

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَدَائِعُ وَالنَّهَائِيسُ

٥٣٥٣

الجزء الثالث عشر

الطبعة السابعة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المحاريف
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى .
استهلت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة ، وخرج هو وأخوه العادل إلى الصيد شرقي
دمشق ، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعد ما يفرغ من أمر الفرنج يسير هو إلى بلاد الروم ،
ويبعث أخاه إلى بغداد ، فاذا فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد آذربيجان ، بلاد المعجم ، فانه
ليس دونها أحد يمانع عنها ، فلما قدم الحجيج في يوم الاثنين حادى عشر صفر خرج السلطان
لتلقيهم ، وكان معه ابن أخيه سيف الاسلام ، صاحب البن ، فأكرمه والتزمه ، وعاد إلى القلعة فدخلها
من باب الجديد ، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا ، ثم إنه اعتراه حمى صفراوية ليلة السبت
سادس عشر صفر ، فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الأفضل ، فأخذ يشكو
إليهم كثرة قلقه البارحة ، وطاب له الحديث ، وطال مجلسهم عنده ، ثم تزايد به المرض واستمر ،
وقصده الأطباء في اليوم الرابع ، ثم اعتراه بيس وحصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض ، ثم
قوى البيس فأحضر الأتراء الأكبر فبويع لولده الأفضل نور الدين على ، وكان نائباً على دمشق ،
وذلك عند ما ظهرت مخايل الضعف الشديد ، وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات ، وكان الذين
يدخلون عليه في هذه الحال الفاضل وابن شداد وقاضي البلد ابن الزكي ، ثم اشتد به الحال ليلة
الأربعاء السابع والعشرين من صفر ، واستدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ

القرآن ويلقنه الشهادة إذا جدد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في الغمرات فقرأ [هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة] فقال : وهو كذلك صحيح . فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق ، فلما قرأ القارئ [لا إله إلا هو عليه توكلت] تبسم وتهلل وجهه . وأسلم روحه إلى ربه سبحانه ، ومات رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفردوس مأواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة ، لأنه ولد بشكريت في شهر سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله ، فقد كان ردماً للإسلام وحرزاً وكفلاً من كيد الكفرة اللثام ، وذلك بتوفيق الله له ، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه ، وود كل منهم لوفداه بأولاده وأحبابه وأصحابه ، وقد غلقت الأسواق واحتفظ على الخواص ، ثم أخذوا في تجهيزه ، وحضر جميع أولاده وأهله ، وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الدوامي ، وكان الذي أحضر الكفن ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال ، هذا وأولاده الكبار والصغار يتباكون وينادون ، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والدعاء له والابتهاال ، ثم أبرز جسمه في نعشه في تابوت بعد صلاة الظهر ، وأم الناس عليه القاضي ابن الزكي ثم دفن في داره بالقلمة المنصورة ، ثم شرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم ، لوصيته بذلك قديماً ، فلم يكمل بناؤها ، وذلك حين قدم ولده العزيز وكان محاصراً لأخيه الأفضل كما سيأتي بيانه ، في سنة تسعين وخمسمائة ، ثم اشترى له الأفضل داراً شمال السكلاسة في وزان مازاده القاضي الفاضل في السكلاسة ، فجعلها تربة ، هطلت سحائب الرحمة عليها ، ووصلت أطفاف الرأفة إليها . وكان نقله إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين ، وصلى عليه تحت النسر قاضي القضاة محمد بن علي القرابي ابن الزكي ، عن إذن الأفضل ، ودخل في لحده ولده الأفضل فدفنه بنفسه ، وهو يومئذ سلطان الشام ، ويقال إنه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وذلك عن أمر القاضي الفاضل ، وتفاءلوا بأنه يكون معه يوم القيامة يتوكأ عليه ، حتى يدخل الجنة إن شاء الله . ثم عمل عزاؤه بالجامع الأموي ثلاثة أيام ، يحضره الخاص والعام ، والرعية والحكام ، وقد عمل الشعراء فيه مراني كثيرة من أحسنها ما عمله الهاد الكاتب في آخر كتابه البرق السامي ، وهي مائتا بيت واثنتان ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين ، منها قوله :

فجمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسناته
 ابن الذي منذ لم يزل مخشيت * مرجوة رهباته وهيباته ؟
 ابن الذي كانت له طاعاتنا * مبنولة ولربه طاعاته ؟
 بالله ابن الناصر الملك الذي * لله خالصة صفت نباته ؟
 ابن الذي ما زال سلطاناً لنا * يرجى نداءه وتنتق سطواته ؟

ابن الذي شرف الزمان بفضله • وسمت على الفضلاء تشريفاته ؟
 ابن الذي عنت الفرنج لبأسه • ذلاً ، ومنها أدركت قاراته ؟
 أغلال أعناق العدا أسيافه • أطواق أجياد الورى مناته ؟
 من للملى من للذرى من للهدى • بحميه ؟ من للبأس من للنائل ؟
 طلب البقاء للملك في آجل • إذ لم يثق ببقاء ملك عاجل
 بجر أعاد البر بجرأ به • وبسيفه فتحت بلاد الساحل
 من كان أهل الحق في أيامه • وبعزه يردون أهل الباطل
 وفتوحه والقدس من أبكارها • أبت له فضلاً بغير مساجل
 ما كنت أستسقى لقبرك وإبلاً • ورأيت جودك مخجلاً للوابل
 فسفك رضوان الآله لأننى • لا أرتضى سفيا الغمام الماطل
 تركته وشيء من ترجمته

قال العماد وغيره : لم يترك في خزائنه من الذهب سوى جرم واحد - أى دينار واحد - سوريا
 وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا
 بستاناً ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك . هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفى
 له في حياته غيرهم ، والذين تأخروا بعده سنة عشر ذكراً أكبرهم الملك الأفضل نور الدين على ، ولد
 بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ، ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ولد بمصر أيضاً في
 جمادى الأولى سنة سبع وستين ، ثم الظاهر مظفر الدين أبو العباس الخضر ، ولد بمصر في شعبان
 سنة ثمان وستين ، وهو شقيق الأفضل ، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ، ولد بمصر في
 نصف رمضان سنة ثمان وستين ، ثم العزيز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، ولد بدمشق في ربيع الأول
 سنة سبعين . ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود ، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وهو شقيق العزيز ، ثم
 الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب ، ولد بمصر سنة ثنتين وسبعين ، وهو شقيق العزيز أيضاً ، ثم الزاهر
 مجير الدين أبو سليمان داود ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر ، ثم أبو الفضل قطب
 الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم لقب بالمظفر أيضاً ، ثم
 الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد ، ولد بالشام سنة خمس وسبعين ، ثم المحسن ظهير الدين أبو
 العباس أحمد ولد بمصر سنة سبع وسبعين ، وهو شقيق الذي قبله ، ثم المعظم نجر الدين أبو منصور
 توران شاه ولد بمصر في ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستائة ،
 ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ثمان وسبعين ، وهو شقيق للمعز ، ثم الغالب نصير

الدين أبو الفتح ملك شاه ، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق المعظم ، ثم المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه ، ولد بخران بعد وفاة السلطان ، ثم عماد الدين شادى لأم ولد ، ونصير الدين مروان لأم ولد أيضاً . وأما البغت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن المادل أبي بكر ابن أيوب رحمهم الله تعالى .

وإنما لم يخلف أموالاً ولا أملاً كالجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم ، حتى إلى أعدائه ، وقد تقدم من ذلك ما يكفي ، وقد كان متقللاً في ملبسه ، ومأكلاً ومركبه ، وكان لا يلبس إلا القطن والسكتان والصوف ، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه ، ولا سباً بعد أن أنعم الله عليه بالملك ، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الاسلام ، وكسر أعدائه اللثام ، وكان يعمل رأيه في ذلك وحده ، ومع من يشق به ليلاً ونهاراً ، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفواضل ، والفوائد الفرائد ، في اللغة والأدب وأيام الناس ، حتى قيل إنه كان يحفظ الحاسة بتمامها ، وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في الجماعة ، يقال إنه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل ، حتى ولا في مرض موته ، كان يدخل الامام فيصلي به ، فكان يتجشم القيام مع ضمه ، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة ، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة ، وإن لم يكن بالعبارة المصطلح عليها ، وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من أولاده ، وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم ، وبواظب على سماع الحديث ، حتى أنه يسمع في بعض مصافه جزء وهو بين الصنفين فكان يتجسس بذلك ويقول هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً ، وكان ذلك بأشارة العباد الكاتب . وكان رقيق القلب سريع الدعة عند سماع الحديث ، وكان كثير التعظيم لشرائع الدين . كان قد صحب ولده الظاهر وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهروردي ، وكان يعرف الكيمياء وشيئاً من الشعبة والأبواب النيرنجيات ، فافتتن به ولد السلطان الظاهر ، وقر به وأحبه ، وخالف فيه حملة الشرع ، فكتب إليه أن يقتله لا محالة ، فصلبه عن أمر والده وشهره ، ويقال بل حبسه بين حيطتين حتى مات كمداً ، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان من أشجع الناس وأقوام بدناً وقلباً ، مع ما كان يمتري جسمه من الأمراض والأسقام ، ولا سيما في حصار عكا ، فانه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة ، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ، ويقال ستمائة ألف ، قتل منهم مائة ألف مقاتل .

ولما انفصل الحرب وتسلموا عكا وقتلوا من كان بها من المسلمين وساروا برمتهم إلى القدس جمل يسائرهم منزلة منزلة ، وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه ، ومع هذا نصره الله وخذلهم ، وسبقهم إلى القدس فسانه وحماه منهم ، ولم يزل يجيشه مقبياً به يرهبهم ويرعبهم ويغلبهم ويسلبهم حتى تضرعوا إليه

وخضعوا لديه ، ودخلوا عليه في الصلح ، وأن تضع الحرب أوزارها بينهم وبينه ، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراد ، لا على ما يريدونه ، وكان ذلك من جملة الرحمة التي رحم الله بها المؤمنين ، فانه ما اقتضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه العادل فمز به المسلمون وذل به الكافرون ، وكان سخيا جيبا ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتعجز من خير يفعله ، شديد المصابرة على الخيرات والطاعات ، فرحمه الله . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة طرفا صالحا من سيرته وأيامه ، وعمله في سيرته وعلايته ، وأحكامه .

فضائله

وكان قد قسم البلاد بين أولاده ، فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين أبي الفتح ، ودمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي ، وهو أكبر أولاده ، والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين ، ولأخيه العادل الذكر والشوبك وبلاد جهمر وبلدان كثيرة قاطع الفرات ، وحماه ومعاملة أخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن أخى السلطان ، وحصن والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، ونجم الدين أخى أبيه نجم الدين أيوب . وابن بمأقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين ، وبمليك وأعمالها للأجمد بهرام شاه بن فروخ شاه ، وبصرى وأعمالها للظاهر بن الناصر . ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف في جميع هذه الممالك ، حتى آل الأمر واستقرت الممالك واجتمعت الكلمة على الملك العادل أبي بكر صلاح الدين ، وصارت المملكة في أولاده كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

وفىها جدد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها ألوف من الكتب الحسنة الثمينة وفي المحرم منها جرت ببغداد كائنة غريبة وهى أن ابنة لرجل من التجار في الطحين عشقت غلام أبيها فلما علم أبوها بأمرها طرد الغلام من داره فواعدته البنت ذات ليلة أن يأتها فجاء إليها مخفياً فتركته في بعض الدار ، فلما جاء أبوها في أثناء الليل أمرته فنزل فقتله ، وأمرته بقتل أمها وهى حبلى ، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفى دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فسك وقتل قبحه الله ، وقد كان سيده من خيار الناس وأكثرهم صدقة وبراً ، وكان شاباً وضىء الوجه رحمه الله . وفيها درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخى الشيخ أبو على التوابعي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل بها دعوة حافلة .

ومن توفي فيها من الأعيان .

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ابن شاذي ، وقد تقدمت وفاته مبسوطة ،

الأمير بكتمر صاحب خلاط

قتل في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأحسنهم سيرة رحمه الله .

الأتابك عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي ، صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة ، من خيار الملوك ، كان بنسبه نور الدين الشهيد معه ، ودفن بتربته عند مدرسة أنشأها بالموصل أنابه الله .

جعفر بن محمد بن فطيرا

أبو الحسن أحد الكتاب بالعراق ، كان ينسب إلى التشيع ، وهذا كثير في أهل تلك البلاد لأكثر الله منهم ، جاءه رجل ذات يوم فقال له رأيت البارحة أمير المؤمنين علياً في المنام ، فقال لي : اذهب إلى ابن فطيرا فقل له يعطيك عشرة دنانير ، فقال له ابن فطيرا . متى رأيته ؟ قال : أول الليل ، فقال ابن فطيرا وأنا رأيته آخر الليل فقال لي : إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئاً فلا تعطه ، فأدبر الرجل مولياً فاستدعاه ووهبه شيئاً ، ومن شعره فيما أورده ابن الساعي وقد تقدم ذلك لغيره :

ولما سبرتُ الناسَ أطلبُ منهم * أخاقةً عندَ اعتراضِ الشدائدِ
وفكرتُ في يومٍ سروري وشدتي * وفاديتُ في الأحياءِ هل من مساعدٍ ؟
فلمْ أرفبها ساءني غيرُ شامتٍ * ولمْ أرفبها سرني غيرُ حاسدٍ
يحيى بن سعيد بن غازي

أبو العباس البصري النجرائي صاحب المقامات ، كان شاعراً أديباً فاضلاً بليغاً ، له اليد الطولى في اللغة والنظم ، ومن شعره قوله :

غناءُ خودِ ينسابُ لطفاً * بلا عناءٍ في كلِّ أذنٍ
ما ردهُ قطُّ بابُ سمعٍ * ولا أتى زاراً بأذنٍ

السيدة زبيدة

بنت الامام المتقي لأمر الله ، أخت المستنجد وعمة المستنقضي ، كانت قد عمرت طويلاً ولها صدقات كثيرة دارة ، وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود على صداق مائة ألف دينار ، فتوفي قبل أن يدخل بها ، وقد كانت كارهة لذلك ، فحصل مقصودها وطلبها .

الشيخة الصالحة فاطمة خاتون

بنت محمد بن الحسن العميد ، كانت عابدة زاهدة ، عمرت مائة سنة وست سنين ، كان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش مطر وهي بكر ، فبقيت عنده إلى أن توفى ولم تتزوج بعده ، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة ، رحمها الله .

وفيها أنفذ الخليفة الناصر المباسب إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدى بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر ، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات ، وهي هذه الأبيات :

أيها الشامتُ المعيرُ بالله * رأأتُ المبرأَ الموفور
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الـ * أيام ، بل أنت جاهلٌ مفور
من رأيتَ المنونَ خلثتُ أم من * ذاعليه من أن يضامُ خفيرو
أين كسرى كسرَ الملوكِ أبو * ساسانِ أم أين قبله سابور
وبنوا الأصغرِ الملوكِ ملوكُ الـ * وم لم يبق منهم مذكور
وأخو الخضرِ إذبناهُ وإذ * دجلة تهبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجله كلساً * فلطير في ذراه وكور
لم تهبة ريبَ المنونِ فزا * لَ الملكُ عنه فبابه مهجور
وتذكرُ ربَّ الخورنقِ إذ * أشرف يوماً وللهندى تكفير
سره حاله وكثرة ما * يملك والبحرُ معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما * غبطة حي إلى الماتِ يصير
ثم بعدُ النعيمُ والملكُ والنهى والـ * أمرٍ وارنهم هناك قبور
ثم أضحو كأنتهم أوردق جف * ت فألوت بها الصبا والدبور
غير أن الأيامُ نخض بالمرى * وفيها العمرى المظلاتُ والتفكير
ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق ، بعث بهدايا سنوية إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات ، ومنها صليب الصلبوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر النفيسة ، وأربع جوارى من بنات ملوك الفرنج ، وأنشأ له الهاد الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه التمزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك .

ولما كان شهر جمادى الأولى قدم العزيز صاحب مصر إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل

نقيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى ، وحاصر البلد ، فأنه أخوه ودافعه عنها ، قطع الأنهار ونهبت الثمار ، واشتد الحال ، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل عهما فأصلح بينهما ، ورد الأمر للألفه بعد اليقين على أن يكون للعزير القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضا ، وعلى أن يكون جبلة واللادقية للظاهر صاحب حلب ، وأن يكون لعمهما العادل أقطاعه الأول ببلاد مصر مضافا إلى ما بيده من الشام والجزيرة كهران والرها وجعبر وما جاور ذلك ، فاتفقوا على ذلك ، وتزوج العزيز ببنه عمه العادل ، ومرض ثم عوفي وهو مخيم بمرج الصفر ، وخرجت الملوك تهنئته بالعافية والتزويج والصلح ، ثم كر راجعا إلى مصر لطول شوقه إلى أهله وأولاده ، وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرب الأجانب وأقبل على شرب المسكر واللبو والعب ، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزرى ، وهو الذى كان يحدوه إلى ذلك ، فتألف وأتلفه ، وأضل وأضله ، وزالت النعمة عنهما كما سيأتى .

وفى كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفار الهند ، أقبلوا إليه فى ألف ألف مقاتل ، ومعهم سبعمائة فيل منها فيل أبيض لم ير مثله ، فالتقوا فقتلوا قتلا شديدا لم ير مثله ، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له الملاحون ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصله وحواصل بلاده وغنم فيلتهم ودخل بلد الملك الكبرى ، فحمل من خزائنه ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة جمل ، ثم عاد إلى بلاده سالما منصورا .

وفى ملك السلطان خوارزم شاه تكش - ويقال له ابن الأصباغى - بلاد الرى وغيرها ، واصطالح مع السلطان طغرل بك السلجوقى وكان قد تسلم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه ، ثم التقى هو والسلطان طغرل بك فى ربيع الأول من هذه السنة . فقتل السلطان طغرل بك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة ، فعلق على باب النوبة عدة أيام ، وأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خوارزم شاه ، وملك همدان وغيرها من البلاد المتسعة .

وفى نقم الخليفة على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى وغضب عليه ، ونفاه إلى واسط ، فكث بها خمسة أيام لم يأكل طعاما ، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه ويستقى لنفسه الماء ، وكان شيخا كبيرا قد بلغ ثمانين سنة ، وكان يتلوفى كل يوم وليلة ختمه . قال : ولم أقرأ يوسف لوجدى على ولدى يوسف ، إلى أن فرج الله كما سيأتى إن شاء الله .

وفى توفى من الأعيان أحمد بن إسماعيل بن يوسف

أبو الخير القزوينى الشافعى المفسر ، قدم بغداد وعظ بالنظامية ، وكان يذهب إلى قول الأشعرى فى الأصول ، وجلس فى يوم عاشوراء فقيل له : المن يزيد بن معاوية ، فقال : ذاك إمام

مجتهد ، فرماه الناس بالآجر فاختفى ثم مرب إلى قزوين .

ابن الشاطبي ناظم الشاطبية

أبو القاسم بن قسيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير ، مصنف الشاطبية في القراءات السبع ، فلم يسبق إليها ولا يلحق فيها ، وفيها من الروز كنوز لا يهتدى إليها إلا كل ناقد بصير ، هذا مع أنه ضرير ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وبلده شاطبية - قرية شرقي الأندلس - كان فقيراً ، وقد أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر في وصف الملوك ، خرج الشاطبي إلى الحج فقدم الإسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع على السافى وولاه القاضي الفاضل مشيخة الاقراء بمدرسته ، وزار القدس وصام به شهر رمضان ، ثم رجع إلى القاهرة ، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية ، وكان ديناً خاشعاً ناسكاً كثير الوقار ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات ، وهي لغز في النعش ، وهي لغيره :

أُتِرفُ شيئاً في السماء يطيرُ * إذا سار هاج الناس حيث يسيرُ
فتلقاهُ مركوباً وتلقاهُ راكباً * وكلُّ أميرٍ يعتليه أسيرُ
يبحثُ على التقوى ويكرهُ قربه * وتنفّرُ منه النفسُ وهو نذيرُ
ولم يسترز عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزورُ

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وقعة الزلافة ببلاد الأندلس شمال قرطبة ، بمرج الحديد ، كانت وقعة عظيمة نصر الله فيها الاسلام وخذل فيها عبدة الصليبان ، وذلك أن القيش ملك الفرنج ببلاد الأندلس ، ومقر ملكه بمدينة طليطلة ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب يستنخيه ويستدعيه ويستحثه إليه ، ليكون من بهض من يخضع له في مثالبه وفي قتاله ، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ووعيد شديد ، فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه [ارجع إليهم فلنأتيهم بمجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون] ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره ، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس ، فالتقوا في المحل المذكور ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، ثم كانت أخيراً على الكافرين فهزهم الله وكسرم وخذلهم أقبح كسرة ، وشر هزيمة وأشنعها ، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً ، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً ، من ذلك مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون خيمة ، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس ، ومن البغال مائة ألف بغل ، ومن الحمير مثلها ، ومن السلاح التام سبعون ألفاً ،

ومن الغدد شئ كثير ، ومالك عليهم من حصونهم شيئا كثيرا ، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة ، ثم لم يفتحها فانفصل عنها راجعا إلى بلاده . ولما حصل للقيش ما حصل خلق لحينه ورأسه ونكس صليبه وركب حماراً وحلف لا يركب فرساً ولا يتلذذ بطعام ولا ينام مع امرأة حتى تنصره النصرانية ، ثم طاف على ملوك الفرنج فجمع من الجنود ما لا يملئه إلا الله عز وجل ، فاستدله السلطان يدموب فالتقيا فاقنتلا قتالا عظيما لم يسمع مثله ، فانهزم الفرنج أقبح من هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر ، واستحوذ السلطان على كثير من معاملهم وقلاعهم ، والله الحمد والمدة ، حتى قيل إنه بيع الأسير بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والخيل بدرهم ، والسيف بدون ذلك ثم قسم السلطان هذه الغنائم على الوجه الشرعي ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم طلبت الفرنج من السلطان الأمان فهادتهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإنما حمله على ذلك أن رجلا يقال له علي بن إسحاق التوزي الذي يقال له المسكالم ، ظهر ببلاد إفريقية فأحدث أمورا فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين ، فأحدث هذا المارق التوزي بالبادية حوادث ، وعاث في الأرض فسادا ، وقتل خلقا كثيرا ، وتملك بلادا .

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على بلاد الري وأصبهان وخرزستان وغيرها من البلاد ، وقوى جانب الخلافة على الملوك والممالك . وفيها خرج العزيز من مصر قاصدا دمشق ليأخذها من يد أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد تاب وأتاب وأقلع عما كان فيه من الشراب والاهو واللعب ، وأقبل على الصيام والصلاة ، وشرع بكتابة مصحف بيده ، وحسنت طريقتة ، غير أن وزيره الضيا الجزري يفسد عليه دولته ، ويكدر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه سار سريعا إلى عمه العادل وهو بمجبر فاستنجد به فسار معه وسبقه إلى دمشق ، وراح الأفضل أيضا إلى أخيه الظاهر بحلب ، فسارا جميعا نحو دمشق ، فلما سمع العزيز بذلك وقد اقترب من دمشق ، كر راجعا سريعا إلى مصر ، وركب وراه العادل والأفضل ليأخذاه منه مصر ، وقد اتفقا على أن يكون ثلث مصر للعادل وثلثاها للأفضل ، ثم بدا للعادل في ذلك فأرسل للعزيز يثبته ، وأقبل على الأفضل يثبته ، وأقاما على بلبيس أياما حتى خرج إليهما القاضي الفاضل من جهة العزيز ، فوقع الصلح على أن يرجع القدس ومعاملتها للأفضل ، ويستقر العادل مقبلا بمصر على إقطاعه القديم ، فأقام العادل بها طمعا فيهما ورجع العادل إلى دمشق بعدما خرج العزيز لتوديعه ، وهي هدية على قضاء وصلح على دخن .

وفيها توفي من الأعيان . علي بن حسان بن سافر

أبو الحسن الكاتب البغدادى ، كان أديبا شاعرا . من شعوه قوله :

نفي رقادى ومضى * برق بسلم ومضى * لاح كما سلت يدلا * أسود عصبا أيضا

كانه الأشهبُ في * النعم إذا ما ركضا * يبدو كأنه تلخُ الر * يح على جمر الفضا
فتحسبُ الريحُ أب * ما انظر أو غضا^(١) * أو شدة الدارِ علا * لميها وانخفضا
آه له من بارقي * ضاء على ذات الأضا * أذكرني عهداً مفى * على الغور وراقضى
فقال لي قلبي أتو * صى حاجة وأعرضا * يطلب من أمره * فديت ذاك الممرضا
يا غرض القلب لقد * غادرت قلبي غرضا * لأنهم كأنما * يرسلها صرف القضا
فبت لا أرتاب في * أنز قادي قد قضى * حتى قفا الليل وكاذ * الليل أن ينقرضا
وأقبل الصبح لاط * راف الدجا مبيضا * وسل في الشرق على اله * رب ضياء وانقضى
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

في رجب منها أقبل العزيز من مصر ومعه عمه العادل في عساكر ، ودخلا دمشق قهرا ، وأخرجوا منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره ، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح ، وخطب له بدمشق ، ودخل القلعة المنصورة في يوم وجلس في دار العدل للحكم والفصل ، وكل هذا وأخوه الأفضل حاضر عنده في الخدمة ، وأمر القاضي محي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه وكانت داراً للأمير عز الدين شامة ، ثم استناب على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر يوم الاثنين تاسع شوال ، والسكة والخطبة بدمشق له ، وصوّل الأفضل على صرخد ، وهرب وزيره ابن الأثير الجزري إلى جزيرته ، وقد أناف نفسه وملكه ، وملكه بجزيرته ، وانتقل الأفضل إلى صرخد بأهله وأولاده ، وأخيه قطب الدين .

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مدلّمة بأرض العراق ومعا رمل أحمر ، حتى احتاج الناس إلى السرج بالنهار . وفيها ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن زيادة كتاب الانشاء ببغداد ، وكان بليغا ، وليس هو كالفاضل . وفيها درس بجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك بالنظامية ، وكان فاضلا مناظرا .

وفيها قتل رئيس الشاقية بأصبهان محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندی قتله ملك الدين سنقر الطويل ، وكان ذلك سبب زوال ملك أصفهان عن الديوان . وفيها مات الوزير ووزير الخلافة .

مؤيد الدين أبو الفضل

محمد بن علي بن القصاب ، وكان أبوه يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد . فتقدم ابنه وساد أهل زمانه . توفي بهمدان وقد أعاد رساتيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها ، إلى ديوان الخلافة ، وكان ناهضاً ذاهمة وله صرامة وشعر جيد . وفيها توفي :

(١) كذا بالأصل ، والبيت مضطرب .

الفخر محمود بن علي

التوقاني الشافعي ، عائداً من الحج . والشاعر :

أبو الغنائم محمد بن علي

ابن المعلم الهرثي من قرى واسط ، عن إحدى وتسعين سنة ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان ابن الجوزي في مجالسه يستشهد بشيء من لطائف أشعاره ، وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الحسن المليح . وفيها توفي .

الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد

ابن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف ، ويلقب بالبيع الفاسد ، كان حنبلياً ثم اشتغل شافعيًا على أبي القاسم بن فضالان ، وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة بين الشافعية والحنفية ، ويقال إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الإمامية فآله أعلم . وفيها توفي

الشيخ أبو شجاع

محمد بن علي بن مغيث بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي ، قدم دمشق وامتدح الكندي أبو الهيثم زيد بن الحسن فقال :

يا زيد زائدك ربي من مواهبه * نعماً يقصر عن إدراكها الأمل
لا بدل الله حالاً قد حبلك بها * ما دار بين النحاح الحال والبدل
النحو أنت أحق العالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه « أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، قوى الجوبها واشتد هبوبها قد أثبت لها أعنة مطلقات ، وارتفعت لها صفقات ، فرجفت لها الجدران واصططقت ، وتلاقت على بعدها واعتنقت ، وثار السماء والأرض مجاجاً ، حتى قيل إن هذه على هذه قد انطبقت ، ولا يحسب إلا أن جهنم قد سال منها واد ، وعدا منها عاد ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سرج النجوم ، ومزقت أديم السماء ، ومحت ما فوقه من الرقوم ، فكنا كما قال تعالى [يجمعون أصابعهم في آذانهم من الصواقع] ويردون أيديهم على أعينهم من البوارق ، لا عاصم لخطف الأَبصار ، ولا ملجأ من الخطاب إلا معاقل الاستغفار . وفر الناس نساء ورجالا وأطفالا ، ونفروا من دورهم خفاً وبقلاً ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ، بوجوه غائية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون من طرف خفي ، ويتوقعون أي خطب جلي ،

قد انقطعت من الحياة علقهم ، وعصيت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا على صلاحهم وودوا لو كانوا من الذين عليها دائمون ، إلى أن أذن بالركود ، وأسعف الماجدين بالموجود ، فأصبح كل مسلم على رفيقه ، ويهنيه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له السكر ، وأحياء بعد أن كاد يأخذهم على غرة ، ووردت الأخبار بأنها قد كسرت المراكب في البحار ، والأشجار في القفار ، وأتلفت خلقا كثيرا من السفار ، ومنهم من فرغ لا ينفعه الفرار . إلى أن قال « ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم محروفا والعلم مجحوظا ، فلا أمر أعظم ، ولكن الله سلم ، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا ، ونهنا بما فيه ولنا ، فما من عباده إلا من رأى القيامة عيانا ، ولم يلمس عليها من بعد ذلك برهانا ، إلا أهل بلدنا فما قص الأولون مثلها في المثلات ، ولا سبقت لها سابقة في المعضلات ، والحمد لله الذي سن فضله قد جعلنا نخب عنها ، ولا يخبر عنا ، ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والفرو ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والنبور » .

وفيها كتب القاضي الفاضل من مصر إلى الملك العادل بمشق يحثه على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الاسلام ، فن ذلك قوله في بعض تلك الكتب « هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد المجاج في هذه المواقف يباطن ما سودته الذنوب من الصخائف ، فما أسعد تلك الوقفات وما أعود بالطمأنينة تلك الرجعات » . وكتب أيضاً « أدام الله ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر والطروس ، وحياه للدينا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف المملوك من الأمر الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به العافية في سرور ، ولا يزيد على سببه الحال بقوله :

ألم تر أن المرء تدوي يمينه * فيقطعها عمداً ليسلم سائر

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الا صبح ظفراً فقد جلب إلى الجسد بفعله نفعاً ، ودفع عنه ضرراً ، ونجشم المكروه ليس بضائر إذا كان ما جلبه سبباً إلى الحمد ، وآخر سنوه أول كل غزوه ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعلمها ، ونجشم الكلف وحملها ، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يحسنين الله] .

وفي هذه السنة انقضت مدة الهدنة التي كان عقدها الملك صلاح الدين للفرنج فأقبلوا بحدم وحديد ، فتلقاهم الملك العادل بمرج عكا فكسرم وغنمهم ، وفتح يافا عنوة وفتح الحمد والمئة . وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنصونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه سريعاً ، وأخفت الفرنج

في هذه السنة يبروت من فاتها عز الدين شامة من غير قتال ولا نزال ، ولهذا قال بعض الشعراء في
الأمير شامة سلم الحصن ما عليك ملامة • ما يلام الذي بروم السلامة
فتعطي الحصون من غير حرب • سنة منها يبروت شامة

ومات فيها ملك الفرنج كندهري ، سقط من شاق ففات ، فبقيت الفرنج كالنم بلا راعي ،
حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امرأة كندهري ، وجرت خطوب كثيرة بينهم
وبين العادل ، ففى كلها يستظهر عليهم ويكسرم ، ويقتل خلقا من مقاتلتهم ، ولم يزالوا كذلك معه
حتى طلبوا الصلح والمهادنة ، فعاقدهم على ذلك في السنة الآتية .
وفى بها توفى ملك اليمن . سيف الإسلام طغتكين

أخو السلطان صلاح الدين ، وكان قد جمع أموالا جزيلة جداً ، وكان يسبك الذهب مثل
الطواحين ويدخره كذلك ، وقام في الملك بعده ولده إسماعيل ، وكان أهوج قليل التدبير ، فحمله جهله
على أن ادعى أنه قرشي أموى ، وتلقب بالهادي ، فكتب إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك وينهده
بسبب ذلك ، فلم يقبل منه ولا التفت إليه ، بل تمادى وأساء التدبير إلى الأثراء والرعية ، قتل
وتولى بعده ملوك من ممالك أبيه . وفى توفى :

الأمير الكبير أبو المعجاء السمين الكردي

كان من أكابر أمراء صلاح الدين ، وهو الذي كان قائما على عكا ، وخرج منها قبل أخذ الفرنج ،
ثم دخلها بعد المشطوب ، فأخذت منه ، واستنابه صلاح الدين على القدس ، ثم لما أخنها العزيز
عزل عنها فطلب إلى بغداد فأكرم إكراما زائدا ، وأرسله الخليفة مقدما على المسافر إلى همدان ،
ففات هناك . وفى توفى .

قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد

البخارى ، سمع الحديث على أبي الوقت وغيره ، وتفقه على أبي القاسم بن فضلان ، وتولى نيابة
الحكم ببغداد ، ثم استقل بالمنصب وأضيف إليه في وقت نيابة الوزارة ، ثم عزل عن القضاء ثم أعيد
ومات وهو حاكم ، نسأل الله العافية ، وكان فاضلا يارعا من بيت فقه وعدالة وله شعر :

تنح عن القبيح ولا ترده • ومن أوليته حسنا فزده
كفا بك من عدوك كل كيدر • إذا كاد العدو ولم تكده

السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد

وفى بها توفى

أبو محمد الحسن بن علي بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن يحيى بن
الحسين بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني المعروف بابن الاقواسي ،

الكوفي مولداً ومنشأً ، كان شاعراً مطبقاً ، امتدح الخلفاء والوزراء ، وهو من بيت مشهور بالأدب والرياسة والمروءة ، قدم ببغداد فامتدح المقتدى والمستنجد وابنه المستنصر وابنه الناصر ، فولاه النقابة كان شيخاً مهيباً ، جاوز الثمانين ، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها :

اصبر على كيد الزمان * نفا يدوم على طريقة
سبق القضاء فكان به * راض ولا تطلب حقيقة
كم قد تغلب مرة * وأراك من سعة وضيق
ما زال في أولاده * يجرى على هدى الطريقة

وفيها توفيت الست عنراء بنت شاهنشاه

ابن أيوب ، ودفنت بمدرستها داخل باب النعمر ، والست خاتون والدة الملك العادل ، ودفنت بمدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة

فيها جرت الفرنج جوعها وأقبلوا لغاصروا تينين ، فاستدعى العادل بن أخيه لقتالهم ، فجاءه العزيز بن معمر ، والأفضل من مصرخند ، فأقلعت الفرنج عن الحصن وبلغهم موت ملك الألمان فطلبوا من العادل الهدنة والأمان ، فهادنهم ورجعت الملوك إلى أملاكها ، وقد عظم المعظم عيسى بن العادل في هذه المرة ، واستنابه أبوه على دمشق ، وصار إلى ملكه بالجزيرة ، فأحسن فيهم السيرة ، وكان قد توفي في هذه السنة السلطان صاحب سنجار وغيرها من المدائن الكبار ، وهو عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي الأتابكي ، كان من خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وسيرة ، وأجودهم طوية وسريرة ، غير أنه كان يبعث ، وكان شديد المحبة للعلماء ، ولا سيما الحنفية ، وقد ابنتى لهم مدرسة بسنجار ، وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وهذا نظر حسن ، والفقير أولى بهذه الحسنة من الغني ، لاشتغال الفقير بتكراره وطلابه من الفكر فيما يقينه ، فمدى على أولاده ابن عمه صاحب الموصل ، فأخذ الملك منهم ، فاستغاث بنوه بالملك العادل ، فرد فيهم الملك ودرأ عنهم الضيم ، واستقرت بالملك لولده قطب الدين محمد ، ثم سار الملك إلى ماردين فحاصرها في شهر رمضان ، فاستولى على ريفها ودماماتها وأعجزته قاطعتها ، فطاف عليها ومشي ، وما ظن أحد أنه تملكها ، لأن ذلك لم يكن مشهوراً ولا مقدراً .

وفيها ملكت الخزر مدينة باغ وكبروا غلطا وقهرهم ، وأرسل الخليفة إليهم أن يمنخوا خوارزم شاه من دخول العراق ، فانه كان يروم أن يخطب له ببغداد . وفيها حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى ففتحها بعد مدة ، وقد كانت امتنعت عليه دهرًا ونصرهم غلطا ، فقهرهم جميعاً وأخذها عنوة ، وهذا

عن أهلها وصفح ، وقد كانوا ألبسوا كلباً أهور قباء وعموه خوارزم شاه ، ورموه في المنجيق إلى الخوارزمية ، وقالوا هذا مالكم ، وكان خوارزم شاه أهور ، فلما قدر عليهم عفا عنهم ، جزاه الله خيراً . وفيها توفي من الأعيان .
العوام بن زيادة

كاتب الانشاء بيب الخلافة ، وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زيادة ، انتهت إليه رئاسة الرسائل والانشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالعراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي ، أخذه عن ابن فضالان ، وله معرفة جيدة بالأصلين الحساب واللغة ، وله شرح جيد وقد ولي عدة مناصب كان مشكوراً في جميعها ، ومن مستجاد شعره قوله :

لا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا تَزِدُّهُ فِكْمٌ * قَدْ أُنْسَ الدَّهْرُ جَدَّ الْجِدَالِ لَعِبِ
فهذه الشمسُ يَمُرُّهَا الكَسُوفُ لَهَا * عَلَى جَلَالِهَا بِالرَّأْسِ وَالذَّنْبِ
باضطرابِ الزَّمانِ تَرْتَفِعُ الْإِلَ * ذَالُ فَيْرٍ حَتَّى يَمُومَ الْبِلَاءُ
وكذا الْمَاءُ رَاكِدٌ فَإِذَا * حَرَكْتُ ثَارَتْ مِنْ قَعْرِهِ الْإِقْدَاءُ
وله أيضاً :
قَدْ سَلَوْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْلُهَا * مِنْ عُلِقَتْ فِي آمَالِهِ وَالْأَرْجَى
فَإِذَا مَا صَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهَا * قَنَفْتُ فِي بَحْرِهَا الْمَجَاجِ
يَسْتَضِيئُونَ بِي وَأَهْلُكَ وَحْدِي * فَكَأَنِّي ذُبَابَةٌ فِي سَرَاجِ

توفي في ذي الحجة وله ثنتان وسبعون سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند موسى بن جعفر .
القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير

ابن علي البطائحي ، قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث وأقام برجة مالك بن طوق مدة يشغل على أبي عبد الله بن النبيه الغرضي ، ثم ولي قضاء العراق مدة ، وكان أديباً ، وقد سمع من شيخه أبي عبد الله بن النبيه ينشد لنفسه مearضاً للحريري في بيتيه الذين زعم أنهما لا يمزوان ثالثهما ، وهما قوله
بِسْمِ مَجَّةٍ يُحْمَدُ آثَارُهَا * وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَا وَلَوْ مَجْمُوعَةً
وَالْمَكْرَمُهَا اسْطَغْفَتْ لَا تَأْتُو * لَتَقْنِي السُّودُذُ وَالْمَكْرَمَةُ

قال ابن النبيه :

مَا الْأُمَّةُ الْوَكْءُ بَيْنَ الْوَرَى * أَحْسَنُ مِنْ حَرْبٍ أُنَى مَلَاةِ
فَهْ إِذَا اسْتَجِدَّ عَنْ قَوْلٍ لَا * ظَلَمْتُ لَا بِمَلَأَ مِنْهَا فَهْ

الأمير عز الدين حرديل

كان من أكابر الأمراء في أيام نور الدين ، وكان ممن شرك في قتل شاور ، وحظي عند صلاح الدين ، وقد استنابه على القدس حين افتتحها ، وكان يستند به للمهمات الكبار فيسدها بنفسه

وشجاعته ، ولما ولي الأفضل عزله عن القدس فترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل ، فأت بها في هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر

وذلك أنه خرج إلى الصيد فكانت ليلة الأحد العشرين من الحرم ، ساق خلف ذئب فكبابه فرسه فسقط عنه فأت فأت بعد أيام ، ودفن بداره ، ثم حول إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة ، ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الحنابلة من بلده ، ويكتب إلى بقية إخوته باخراجهم من البلاد ، وشاع ذلك عنه وذاع ، وسمع ذلك منه وصرح به ، وكل ذلك من معليه وخلطائه وعشرائه من الجهمية ، وقلة علمه بالحديث ، فلما وقع منه هذا ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً ، وعظم قدر الحنابلة بين الخلق بمصر والشام ، عند الخاص والعام . وقيل : إن بعض صالحهم دعا عليه ، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً ، وكتب الفاضل كتاب التعزية بالعزيز لعمه العادل ، وهو محاصر مارددين ومعه العساكر ، وولده محمد الكامل ، وهو نائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب « أدام الله سلطان مولانا الملك العادل ، وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدت الأنفس بنفسه الكريمة وأصغر الله المظالم بنعمه فيه العظيمة ، وأحياء الله حياة طيبة هو والاسلام في مواقيت الفتوح الجسيمة وينتلب عنها بالأمور المسئلة والمواقب السليمة ، ولا تقص له رجالاً ولا أعدمه نفساً ولا ولداً ، ولا قصر له ذيلاً ولا يداً ، ولا أسخن له عينا ولا كبداً ، ولا كدر له خاطراً ولا مورداً ، ولما قدر الله ما قدر من موت الملك العزيز كانت حياته مكدة عليه منغصة مهلة ، فلما حضر أجله كانت بديهته المصاب عظيمة ، وطالمة المكروه أليمة ، وإذا محاسن الوجه بليت تفي الثرى عن وجهه الحسن ، وكانت مدة مرضه بعد عوده من الفيوم أسبوعين ، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد والعشرين من الحرم ، والملوك في حال تسليطها مجموع بين مرض القلب والجسد ، ووجع أطراف وعلة كبد ، وقد فجع بهذا المولى والمهد بالله غير بعيد ، والأسى عليه في كل يوم جديد . ولما توفى العزيز خلف من الولد عشرة ذكور ، فعهد أمراؤه فلكوا عليهم والله محمداً ، ولقبوه بالنصور ، وجمهور الأمراء في الباطن مائلون إلى تملك العادل ، ولكنهم يستبعدون مكانه ، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد فأحضروه على البريد سريعاً ، فلما حضر عندهم منع رقدم ووجدوا الكلمة مختلفة عليه ، ولم يتم له ما صار إليه ، وخاض عليه أكبر الأمراء الناصرية ، وخرجوا من مصر فأقاموا ببيت المقدس وأرسلوا يستحثون الجيوش المادلية ، فأقر ابن أخيه على السلطنة ونوه باسمه على السكة والخطبة في سائر بلاد مصر ، لكن استفاد الأفضل في سفرته هذه أن أخذ جيشاً كثيفاً من المصريين ، وأقبل بهم ليسترد

دمشق في غيبة عمه . وذلك بإشارة أخيه صاحب حلب ، وملك حمص أسد الدين ، فلما انتهى إليها ونزل حوالها قطع أنهارها وعقر أشجارها ، وأكل ثمارها ، ونزل بمخيمه على مسجد القدم ، وجاء إليه أخوه الظاهر وابن عمه الأسد الكاسر وجيش حماه ، فكثر جيشه وقوى بأسه ، وقد دخل جيشه إلى البلد ، وفادوا بشعاره فلم يتابعهم من العامة أحد ، وأقبل العادل من ماردين بمساكره وقد التف عليه أمراء أخيه وطائفة بني أخيه ، وأمدته كل مصر بأكابره ، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين فخصنها وحفظها ، وقد استناب على ماردين ولده محمداً الكامل . ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المصريين وغيرهم ، وضمف أمر الأفضل ويثس من برهم وخيرهم ، فأقام محاصر البلد بمن معه حتى انسלخ الحول ثم انفصل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتي .

وفيهما شرع في بناء سور بغداد بالأجر والكلس ، وفرق على الأمراء وكملت عمارته بعد هذه السنة ، فأمنت بغداد من الفرق والحصار ، ولم يكن لها سور قبل ذلك .

وفيهما توفي السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف

ابن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس بمدينةته ، وكان قد بنى عندها مدينة مليحة سماها المهديّة ، وقد كان ديناً حسن السيرة صحيح السريرة ، وكان مالكي المذهب ، ثم صار ظاهرياً حزمياً ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستتفى في بعض بلاده منهم قضاء ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد رحمه الله ، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس ، وكان قريباً إلى المرأة والضعيف رحمه الله . وهو الذي كتب إليه صلاح الدين يستنجد على الفرنج فلما لم يخاطبه بأمر المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طالب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد فسار كسيرة والده ، ورجع إليه كثير من البلدان الالائي كانت قد عصت على أبيه ، ثم من بعد ذلك تفرقت بهم الأهواء وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب .

وفيهما ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى بن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين برغش نائب القلعة ، بصلبه عند حمام العمد الكاتب ، خارج باب الفرج مقابل الطالحون التي بين البابين ، وقد باد هذا الحمام قديماً ، وبعد صلبه بيومين فارت العامة على الروافض وعمدوا إلى قبر رجل منهم بباب الصغير يقال له وثاب فنبشوه وصلبوه مع كلبين ، وذلك في ربيع الآخر منها .

وفيهما وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان ، وكان سببها أن فخر الدين محمد بن عمر الرازي وفد إلى الملك غياث الدين النوري صاحب غزنة ، فأكرمه وبنى له مدرسة بهراة ، وكان أكثر الفورية كرامة فأنقضوا الرازي وأحبوا إبادته عن الملك ، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية ، وخلقاً من الشافعية ، وحضر ابن القدوة وكان شيخاً معظماً في الناس ، وهو على مذهب ابن كرام وابن الهيثم

فتناظر هو والرازي ، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم ، فلما كان من الغد اجتمع الناس في المسجد الجامع ، وقام واعظ فنكلم فقال في خطبته : أيها الناس ، إنا لا نقول إلا ما صح عندنا من رسول الله (ص) ، وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي وما تلبس به الرازي فأنا لا نعلمها ولا نقول بها ، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، ولأى شيء يشتم بالأمر شيخ من شيوخ الاسلام ينبغي من دين الله وسنة رسوله ، على لسان منكلم ليس معه على ما يقول دليل . قل فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واستغاثوا ، وأعاتهم على ذلك قوم من خواص الناس ، وأنهم إلى الملك صورة ما وقع ، فأمر بإخراج الرازي من بلاده ، وعاد إلى هراة ، فلهذا أشرب قلب الرازي بغض الكرامية ، وصار يلج بهم في كلامه في كل موطن ومكان .

وفيها رضى الخليفة عن أبي الفرج ابن الجوزي شيخ الوعاظ ، وقد كان أخرج من بغداد إلى واسط فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها واشتغلوا عليه واستفادوا منه ، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة وأذن له في الوعظ على عادته عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف ، فكثرت الجمع جدا وحضر الخليفة وأنشد يومئذ فيها يخاطب به الخليفة :

لا تمطش الروض الذي بنيت * بصوب إنعامك قد روضا
لا تبر عوداً أنت قد رشت * حاشى لبائى المجد أن ينقصا
إن كان لي ذنب قد جنيت * فاستأنف العفو وهب لي الرضا
قد كنت أرجوك لنيل المنى * فاليوم لا أطلب إلا الرضا

ومما أنشده يومئذ :

شقين بالنوى زمناً فلما * تلاقينا كأنما ما شقين
سخطنا عند ما جئت اليبالى * وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يبح بعد الموت يوماً * فأنا بعد ما متنا حيننا

وفي هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضي الموصل ضياء الدين ابن الشهرزوري فولاه قضاء قضاء بغداد . وفيها وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغنى المقدسي ، وذلك أنه كان ينكلم في مقصورة الخنا بة بالجامع الأموي ، فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضي ابن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولى بالسلطان المعظم ، والأمير صارم الدين برغش ، ففقد له مجلساً فيها يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والتزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الخنبلي بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع بقية الفقهاء عليه ، وألزموه بالزامات شنيعة لم يلتزمها ، حتى قال له الأمير برغش كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟ قال : نعم ،

فغضب الأمير وأمر بتفنيه من البلد ، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره ، وأرسل برغش الأسارى من القلعة فكسروا منبر الحنابلة وتمطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة ، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك ، وجرت خطبة شديدة ، فمؤذنه من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة ، فأرحل الحافظ عبد الغنى إلى بعلبك ثم سار إلى مصر فأواه المحدثون ، فحنوا عليه وأكرموه .

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير مجاهد الدين قياز الرومي نائب الموصل المستولى على مملكتها أيام ابن استاذ نور الدين أرسلان ، وكان عاقلاً ذكياً قتيلاً حنفياً ، وقيل شافعياً ، يحفظ شيئاً كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد ابتنى عدة جوامع ومدارس وربط وخانات ، وله صدقات كثيرة دارة ، قال ابن الأثير : وقد كان من محاسن الدنيا .

أبو الحسن محمد بن جعفر

ابن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباس الهاشمي ، قاضي القضاة ببغداد ، بعد ابن النجاري ، كان شافعياً ثقة على أبي الحسن بن النخل وغيره ، وقد ولي القضاة والخطابة بمكة ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فقال منها ما قال من الدنيا ، وآل به الأمر إلى ما آل ، ثم إنه عزل عن القضاة بسبب محض رقم خطه عليه ، وكان فيما قيل مزوراً عليه . فله أعلم ، فجلس في منزله حتى مات .

الشيخ جمال الدين أبو القاسم

يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان ، شيخ الشافعية ببغداد ، ثقة أولاً على سعيد بن محمد الزار مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدي تلميذ الغزالي وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصولين ، وساد أهل بغداد وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وبنيته له مدرسة فدرس بها وبعد حين ، وكثرت تلاميذه ، وكان كثير التلاوة وسامع الحديث ، وكان شيعياً حسناً لطيفاً زاهياً ، ومن شعره :

وإذا أردت منازل الأشراف • فليكن بالانصاف
وإذا بنا باغ عليك نغله • والدمع فهو له مكاف كاف

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والملك الأفضل بالجيش المصري محاصر دمشق لمحاصرة العادل ، وقد قطع عنها الأنهار والميرة ، فلا خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تطاول الحال ، وقد خندقوا من أرض القوان إلى الله خندقاً ثلاثاً يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأحوال . فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن العادل على أبيه بخلق من التركمان ، وعساكر من بلاد

الجزيرة والرها وحران ، فعند ذلك انصرف العساكر المصرية ، وفرقوا أيادي سبا ، فرجع الظاهر إلى حلب والأسد إلى حمص ، والأفضل إلى مصر ، وسلم العادل من كيد الأعداء ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلد . وسارت الأمراء الناصرية خلف الأفضل ليمنعوه من الدخول إلى القاهرة ، وكتبوا العادل أن يسرع السير إليهم ، فنهض إليهم سريعاً فدخل الأفضل مصر ونحمن بقلمة الجبل ، وقد اعتراه الضعف والفتل ، ونزل العادل على البركة وأخذ ملك مصر ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعاً ذليلاً ، فأقطعهم بلداً من الجزيرة ، ونفاه من الشام لسوء السيرة ، ودخل العادل القلعة وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الكردي ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور ، والعادل مستقل بالأمور ، واستوزر الصاحب صفي الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسيادته وديارته ، وكتب العادل إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة لملكه على مصر ، فقدم عليه فأكرمه واحترمه وطافه والتزمه ، وأحضر الملك الفقهاء واستفتاهم في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وكان ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح لأنه متولى عليه ، فعند ذلك طلب الأمراء ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا فأرغبهم وأرهبهم ، وقال فيما قال : قد سمعنا ما أفتى به العلماء ، وقد علمنا أن نفور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحفظها الملوك الكبار ، فأذعنوا عند ذلك وبايعوه ، ثم من بعده لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما ، وضربت السكة باسمهما ، واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى بن العادل ، ومصر باسم الكامل .

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير ملك الدين أبو منصور سليمان بن مسرور بن جلدك ، وهو أخو الملك العادل لأمه ، وهو واقف الفلكية داخل باب الفراديس ، وبها قبره ، فأقام بها محترماً معظماً إلى أن توفي في هذه السنة . وفيها وفي التي بمسحها كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك بسببه الغنى والفقير ، وهرب الناس منها نحو الشام فلم يصل إليها إلا القليل ، ونحطهم الفرنج من الطرقات وغروهم من أنفسهم واغتالوم بالقليل من الأقوات ، وأما بلاد العراق فانه كان مرخصاً . قال ابن الساعي : وفي هذه السنة باض ديك بينداد فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به .
ومن توفي فيها من الأعيان .

السلطان علاء الدين خوارزم شاه

تكش بن ألب رسلان من ولد طاهر بن الحسين ، وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والري وغيرها من الأقاليم المتسعة ، وهو الذي قطع دولة السلاجقة ، كان عادلاً حسن السيرة له معرفة جيدة بالموسيقى ، حسن المعاشرة ، قتها على منهج أبي حنيفة ، ويعرف الأصول ، وبني

للحنفية مدرسة عظيمة ، ودفن بتربة بناها بخوارزم ، وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين محمد ، وكان قبل ذلك يلقب بقطب الدين . وفيها قتل وزير السلطان خوارزم شاه المذكور .

نظام الدين مسعود بن علي

وكان حسن السيرة ، شافعي المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبني بمروراً جامعاً عظيماً للشافعية ، فحسنتهم الحنابلة^(١) وشيخهم بها يقال له شيخ الاسلام ، فيقال إنهم أحرقوه وهذا إنما يحمل عليه قلة الدين والعقل ، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه ما غرم الوزير على بنائه . وفيها توفي الشيخ المسند المعمر رحلة الوقت .

أبو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب

ابن صدقة بن الخضر بن كليب الحراني الأصل البغدادى المولود والدار والوفاة ، عن ست وتسعين سنة ، سمع الكثير وأسمع ، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وذوى الثروة

الفقيه مجد الدين

أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جميل ، مدرس القدس أول من درس بالصلاحية ، وهو والد الفقهاء بنى جميل الدين ، كانوا بالمدرسة الجاروخية ، ثم صاروا إلى العمادية والشماعية في أيامنا هذه ، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم .

الأمير صارم الدين قايماز

ابن عبد الله النجى ، كان من أكابر الدولة الصلاحية ، كان عند صلاح الدين بمنزلة الاسناد ، وهو الذى تسلم القصر حين مات الماضد . فحصل له أموال جزيلة جداً ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، تصدق في يوم بسبعة آلاف دينار عينا ، وهو واقف المدرسة القبازية ، شرق القلعة ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد وبنائها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها . ولما توفي قباز ودفن في قبره نبشت دورته وحواصله ، وكان منهما بمال جزيل ، فتحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك ، وكان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقراياه .

الأمير لؤلؤ

سامحه الله .

أحد الحجاب بالديار المصرية ، كان من أكابر الأمراء في أيام صلاح الدين ، وهو الذى كان متسلماً الأسطول في البحر ، فكم من شجاع قد أسر ، وكم من مركب قد كسر ، وقد كان مع كثرة جهاده دار

(١) لعله الحنفية فإنه ليس بمروراً وحنابلة والله سبحانه أعلم . ولكن ابن الأثير قد وافق المؤلف .

الصدقات ، كثير النفقات في كل يوم ، وقع غلاء بمصر فتصدق باثني عشر ألف رغيف ، لاثنى عشر ألف نفس .

الشيخ شهاب الدين الطوسي
أحد مشايخ الشافعية بديار مصر ، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين شاهنشاه بن أيوب ،
التي يقال لها منازل العز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، كان له قدر ومنزلة عند
ملوك مصر ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، توفي في هذه السنة ، فازدحم الناس على
جنازته ، وتأسفوا عليه .

الشيخ ظهير الدين عبدالسلام الفارسي

شيخ الشافعية بحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وتلمذ للارازي ، ورحل إلى
مصر وعرض عليه أن يدرس بترية الشافعي فلم يقبل ، فرجع إلى حلب فأقام بها إلى أن مات .

الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكر

رئيس الحنفية بدمشق ، قال أبو شامة : ويعرف بابن العقادة .

الشاعر أبو الحسن علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بغدادى ، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين
 وخمسمائة ، ومعه ديوان شعر له فيه درر حسان ، وقد تصدى لمذح الملك الأئجد صاحب بعلبك وله :

وما الناس إلا كامل الخط ناقص * وآخر منهم ناقص الخط كامل

وإني لثمر من خيار أعفة * وإن لم يكن عندي من المال كامل

وفيها توفي القاضي الفاضل ، الامام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء .

أبو علي عبدالرحيم بن القاضي الأشرف

أبي المجد علي بن الحسن بن البيهقي المولى الأجل القاضي الفاضل ، كان أبوه قاضيا بمسقلان
 فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الانشاء على أبي الفتح قادوس
 وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد ، ولم يكن له في زمانه نظير ، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مثيل ،
 ولما استقر الملك صلاح الدين بمصر جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأمينه ، وكان أعز عليه
 من أهله وأولاده ، وتساعدوا حتى فتح الأقاليم والبلاد ، هذا بحسامه وسنانه ، وهذا بقلبه ولسانه وبيانه
 وقد كان الفاضل من كثرة أمواله كثير الصدقات والصلوات والصيام والصلاة ، وكان يواظب كل يوم
 وليلة على ختمة كاملة ، مع ما يزيد عليها من نافلة ، رحيم القلب حسن السيرة ، طاهر القلب والسريرة
 له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية ، وأوقف على تخليص الأسارى من يدى النصارى ،
 وقد اقتنى من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب ، وهذا شئ لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء
 ولا الملوك ، ولد في سنة ثنتين وخمسمائة ، توفي يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم

الثلاثاء سادس ربيع الآخر، واحتفل الناس بمجنازته، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل، وتأسف عليه، ثم استوزر العادل صفي الدين بن شكر، فلما سمع الفاضل بذلك دعا الله أن لا يحميه إلى هذه الدولة لما بينهما من المنافسة، فمات ولم ينله أحد بضم ولا أذى، ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه، وقد رثاه الشعراء بأشعار حسنة، منها قول القاضي هبة الله بن سناء الملك:

عبدَ الرحيم على البرية رحمة * أمنت بصحبته حلول عقابها
يا سائل عنه وعن أسبابه * قال السماء فسله عن أسبلها
وأنت خاطبة إليه وزارة * ولطال ما أعتيت على خطابها
وأنت سعادته إلى أبوابه * لا كالذي يسعى إلى أبوابها
تغنو الملوك لوجهه بوجوها * لا بل تساق لبابه برقابها
شفل الملوك بما يزول ونفسه * مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصلوات أنعب نفسه * وضمان راحت على إتمامها
وتعجل الاقلاع عن لذاته * ثقة بحسن مآلها ومآ بها
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها * منه ودارس علمها وكتابها
صوامها قوامها علامها * عاملها بذالها وهابها

والمعجب أن الفاضل مع براعته ليس له قصيدة طويلة، وإيماله ما بين البيت والبيتين في أثناء رسائله وغيرها شيء كثير جداً، فمن ذلك قوله:

سبقتم بأسداء الجليل تكملاً * وما مثلكم فيمن يحدث أو يحكي
وكان ظني أن أسابقكم به * ولكن بليت قبل فيهيج لي البكا
وله: ولي صاحب ما خفت من جور حادث * من الدهر إلا كن لي من ورائه
إذا عضي صرف الزمان فاني * براياته أسطو عليه ورائه
وله في بدو أمره:

أرى الكتاب كلهم جميعاً * بأرزاق تمهم سنينا
ومالي بينهم رزق كافي * خلقت من الكرام الكاتبينا

وله في النحلة والزقطة:

ومفردين فجاوباً في مجلس * منعاهما لأذاها الأقوام
هذا بجمود بمكس ما يأتي به * هذا فيحمد ذا وذاك يلام
بقنا على حال تسر الهوى * لكنه لا يمكن الشرح

وله:

وبابنا الليلُ وقلنا له * إن غبتُ عنا هجمُ الصبحُ
وأرسلت جارية من جوارى الملك العزيز إلى الملك العزيز زراً من ذهب مغلف بعنبر أسود،
فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أراحت بإرساله فأنشأ يقول :

أهت لك العنبر في وسطه * زُرُّ من النبر رقيق الحمام
فلزُر في العنبر معناها * زُرُّ هكذا مخفياً في الظلام

قال ابن خلكان : وقد اختلف في لقبه فقيل محي الدين وقيل مجير الدين ، وحكى عن عمارة
البنى أنه كان يذكر جميل وأن العادل بل الصالح هو الذى استقدمه من الاسكندرية ، وقد كان
مدوداً في حسناته . وقد بسط ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا ، وفي هذه زيادة كثيرة والله أعلم
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الفلاء بأرض مصر جداً ، فهلك خلق كثير جداً من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه
فناء عظيم ، حتى حكى الشيخ أبوشامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة
نحواً من مائتي ألف ، وعشرين ألف ميت ، وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر ، وأكل من
الصغار والأطفال خلق كثير ، يشوى الصغير والداه ويأكلانه ، وكثر هذا في الناس جداً حتى صار
لا ينكر بينهم ، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبجه وأكله ، وكان الرجل
يحتال على الفقير فيأتى به ليطعمه أو ليعطيه شيئاً ، ثم يذبجه ويأكله ، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها
وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى ، بل يعذر بعضهم بعضاً ، ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس
وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى ، فكانوا يذبحون ويؤكلون ، كان الرجل
يستدعى الطبيب ثم يذبجه ويأكله ، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً وكان الرجل موسراً من أهل
المال ، فذهب الطبيب معه على وجل وخوف ، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر
الله ويسبحه ، ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب ونجى منه ، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار
معه حتى دخل داره ، فاذا هي خربة فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له : ومع هذا البطء
جئت لنا بصيد ، فلما سمعها الطبيب هرب فخرجاً خلفه سراطاً فما خلاص إلا بعد جهد وشر .

وفيها وقع وباء شديد ببلاد دغرة بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت منها ثمانى
عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار ، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا تاقى لها ، ولا يستطيع أحد أن
يسكن تلك القرى ولا يدخلها ، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته ،
نموذ بالله من أبأس الله وعذابه ، وغضبه وعقابه ، أما القرىتان الباقيتان فأنهما لم يمت منهما أحد
ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم ، بل هم على حالهم لم يفتقد منهم أحد فسيبجان الحكيم العليم .

وانفق باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جدا ، وهي أن رجلا يقال له عبد الله بن حمزة العلوي كان قد تغلب على كثير من بلاد اليمن ، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس ، ومن الرجال جمعاً كثيراً ، وخافه ملك اليمن إسماعيل بن طفتكين بن أيوب ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا الرجل ، وأيقن بالملك لضعفه عن مقاومته ، واختلاف أمرائه معه في المشورة ، فأرسل الله صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم أحد سوى طائفة من الخيالة والرجال ، فاختلف جيشه فيما بينهم فنشبههم المعز قتل منهم ستة آلاف ، واستقر في ملكه آمناً .

وفيها تكانب الاخوان الأفضل من صرخد والظاهر من حلب على أن يجتمعا على حصار دمشق وينزعاها من المعظم بن العادل ، وتكون للأفضل ، ثم سيرا إلى مصرفاً أخذها من العادل وابنه الكامل اللذين نقضا العهد وأبطلا خطبة المنصور ، ونكثا الموائيق ، فإذا أخذوا مصر كانت للأفضل وتصير دمشق مضافة إلى الظاهر مع حلب ، فلما بلغ العادل ما تمالآ عليه أرسل جيشاً مددا لابنه المعظم عيسى إلى دمشق ، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه إليها ، وكان وصولهما إليها في ذى القعدة من ناحية بعلبك ، فنزلا على مسجد القدم واشتد الحصار للبلد ، وتسلى كثير من الجيش من ناحية خان القدم ، ولم يبق إلا فتح البلد ، لولا هجوم الليل ، ثم إن الظاهر بداله في كون دمشق للأفضل فرأى أن تكون له أولاً ، ثم إذا فتحت مصر تسلمها الأفضل ، فأرسل إليه في ذلك فلم يقبل الأفضل ، فاختلفا وفتقرت كلمتهما ، وتنازعا الملك بدمشق ، فتفرقت الأمراء عنهما ، وكوب العادل في الصلح فأرسل يجيب إلى ما سألا وزاد في إقطاعهما شيئاً من بلاد الجزيرة ، وبعض معاملة المرة . وتفرقت المساكر عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين ، وسار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد التي أقطعا ، وجرت خطوط يطول شرحها ، وقد كان الظاهر وأخوه كتباً إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي أن يحاصر مدن الجزيرة التي مع عمهما العادل ، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة ، فقصدت المساكر حران ، وبها الفارز بن العادل ، فحاصروه مدة ، ثم لما بلغهم وقوع الصلح عدلوا إلى المصالحة ، وذلك بعد طلب الفارز ذلك منهم ، ونهبت الأمور واستقرت على ما كانت عليه .

وفيها ملك غياث الدين وأخوه شهاب الدين الغوريان جميع ما كان يملك خوارزم شاه من البلدان والحواصل والأموال ، وجرت لهم خطوط طويلة جدا . وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظمها بالشام تهبت منها دور كثيرة ، وتخربت محال كثيرة ، وخسف بقرية من أرض بصرى ، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء

كثير، وأخرت بحال كثيرة من طرابلس وصور وعكا وناپلس، ولم يبق بناپلس سوى حارة السامرة ومات بها وبقراها ثلاثون ألفاً تحت الردم، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجامعها، وأربع عشرة شرافة منه، وغالب الكلاسة والمارستان النوري، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة بملبك مع وثاقه بنيانها، وانفرد البحر إلى قبرص وقد حنط بالمراب منه إلى ساحله، وتمدى إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أمم لا يحصون ولا يعدون حتى قال صاحب مرآة الزمان: إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها، وقيل إن أحداً لم يخلص من مات فيها والله سبحانه أعلم.

وفيهما توفي من الأعيان. عبد الرحمن بن علي

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي — نسبة إلى فرضة نهر البصرة — ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التميمي البغدادى الحنبلى، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة، وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه وتفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بمبارة وجيزة سريسة الفهم والادراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة فى الكلمة اليسيرة، وهذا وله فى العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر فى النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات فى ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها، منها كتابه فى التفسير المشهور بزياد المسير، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد ومحيى البخارى ومسلم وجامع الترمذى، وله كتاب المنتظم فى تواريخ الأمم من العرب والعجم فى عشرين مجلداً، قد أوردنا فى كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً، وما أحقته بقول الشاعر:

ما زلت تدأب فى التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك فى التاريخ مكتوباً

وله مقامات وخطب، وله الأحاديث الموضوعة، وله العلل المنتهية فى الأحاديث الواهية، وغير ذلك. ولد سنة عشر وخمسمائة، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين، وكان أهله تجاراً فى النحاس، فلما تزعزع جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ، فلزم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه

الحديث وثقة بابن الزاغوني ، وحفظ الوعظ ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها ، وأخذ الفقه عن أبي منصور الجواليقي ، وكان وهو صبي ديناً مجروحاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان ، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ، ومن سائر صنوف بني آدم هو أقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً ، وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره ، وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وصحو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلب بل ما علا • وأكبد التهج المسير الأطولا
تجري بي الآمال في حليته • جرى السعير مدى ما أملا
أنفسي في التوفيق فيه إلى الذي • أعيا سواي توصلاً وتغلباً
لو كان هذا العلم شخصاً فطقاً • وسألته هل زار مثلي قال : لا
ومن شعره وقيل هو لغيره :

إذا قنعت بميسور من القوت • بقيت في الناس حراً غير معقوت
ياقوت يوم إذا ما در حلقك لي • فلست آمي على دري وياقوت

وله من النظم والنثر شيء كثيراً جداً ، وله كتاب سماه لقط الجان في كان وكان ، ومن لطائف كلامه قوله في الحديث « أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين » إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم حثوا المطي ، وقال له رجل أيما أفضل ؟ أجلس أسبح أو أستغفر ؟ فقال الثوب الوسخ أحوج إلى البخور . وسئل عن أوصى وهو في السياق فقال : هذا طين سطحه في كانون . والتفت إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في الوعظ فقال : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، وإن قول القائل لك اتق الله خير لك من قوله لكم إنكم أهل بيت مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغني عن عامل لي أنه ظلم فلم أغديره فأنا الظالم ، يا أمير المؤمنين . وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرراً ولا تفرقراً ، والله لا ذاق عمر سمناً ولا سميناً حتى يخصب الناس . قال فبكي المستضيء وتصدق بمال كثير ، وأطلق المحاييس وكسى خلقاً من الفقراء . ولد ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسة كما تقدم ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين المشاءين الثاني عشر من رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رأس الناس ، وكان الجمع كثيراً جداً ، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوماً

مشهوداً ، حتى قيل : إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الآيات :

يا كثير العفويا من * كُتِرَتْ ذَنْبِي لديه * جارك المذنبُ برجوا له * فحَ عَنْ جُرْمِ يديه
أنا ضَيْفٌ وجزاءُ ال * ضيفٍ إحسانٌ إليه

وقد كان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز - وهو أكبرهم - مات شاباً في حياة والده في سنة أربع وخمسين ، ثم أبو القاسم علي ، وقد كان عاقاً لوالده إلماً عليه في زمن المحنة وغيرها ، وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسط فباعها بأبخس الثمن ، ثم محي الدين يوسف ، وكان أنجب أولاده وأصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه ، واشتغل وحرر وأتقن وساد أقرانه ، ثم باشر حسبة بغداد ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، ولا سيما بنى أبواب بالشام ، وقد حصل منهم من الأموال والكرامات ما أبقي به المدرسة الجوزية بالنشايين بدمشق ، وما أوقف عليها ، ثم حصل له من سائر الملوك أموالاً جزيلة ، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وخمسة ، واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هارون تركي بن جنكيزخان ، وكان لأبي الفرج عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن مزعل صاحب امرأة الزمان ، وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات فأثنى عليه وشكر تصانيفه وعلومه .

العماد الكاتب الأصهباني

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله - بتشديد اللام وضماً - ، المعروف بالعماد الكاتب الأصهباني ، صاحب المصنفات والرسائل ، وهو قرين القاضي الفاضل ، واشتهر في زمنه ، ومن اشتهر في زمن الفاضل فهو فاضل ، ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسة ، وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرس النظامية ، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فخطى عند الملك نور الدين محمود بن زنكي ، وكتب بين يديه وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية ، نسبة إلى سكنه بها وإقامته فيها ، وتدرسه بها ، لأنه أنشأها وإنما أنشأها نور الدين محمود ، ولم يكن هو أول من درس بها ، بل قد سبقه إلى تدريسها غيره واحد ، كما تقدم في ترجمة نور الدين ، ثم صار العماد كاتباً في الدولة الصلاحية وكان الفاضل يثني عليه ويشكره ، قالوا : وكان منطوقه يعتريه جمود وفترة ، وقريحته في غاية الجودة والحدة ، وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً : قولوا فتكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقبلها القاضي ، وقال : هو كالنار ظاهره بارد وداخله نار ، وله من المصنفات الجريدة جريدة النصر في شعراء العصر ، والفتح القدسي ، والبرق السامي وغير ذلك من المصنفات المسجعة ، والمبارات المتنوعة

والقصائد المطولة . توفي في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بمقابر
الصوفية .
الأمير بهاء الدين قراقوش

الفحل الخصى ، أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية ، كان شهياً شجاعاً فائقاً ، تسلم القصر لما
مات العاضد وعمر سور القاهرة محيطاً على مصر أيضاً ، وانتهى إلى المقسم وهو المكان الذي اقتسمت
فيه الصحابة ما غنموا من الديار المصرية ، وبنى قلعة الجبل ، وكان صلاح الدين سلمه عكا ليعمر
فيها أما كن كثيرة فوق الحصار وهو بها ، فلما خرج البديل منها كان هو من جملة من خرج ، ثم دخلها
ابن المشطوب . وقد ذكر أنه أسر فاقنقى نفسه بعشرة آلاف دينار ، وعاد إلى صلاح الدين ففرح به
فرحاً شديداً ، ولما توفي في هذه السنة احتاط العادل على تركته وصارت أقطاعه وأملاكه للملك
الكامل محمد بن العادل . قال ابن خلكان : وقد نسب إليه أحكام عجيبية ، حتى صنف بعضهم جزءاً
لطيفاً سماه كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش ، فذكر أشياء كثيرة جداً ، وأظنها موضوعة عليه ،
فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه ، فكيف يعتمد على من بهذه المثابة والله أعلم .

مكلبة بن عبد الله المستنجدى

كان تركياً عابداً زاهداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة :

يا رجال الليل جدوا * رب صوت لا يرد

ما يقوم الليل إلا * من له عزم وجد

فبكى مكلبة وقال للمؤذن يا مؤذن زدنى ، فقال :

قد مضى الليل وولى * وحببى قد تخلا

فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حننه ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه فالتعبد منهم
من وصل إلى نعشه رحمه الله تعالى .

أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع

المركسى ببغداد ، ويعرف بابن نقطة ، كان يدور في أسواق بغداد بالتهار ينشد كان وكان والموالي ،
ويسحر الناس في ليالى رمضان ، وكان مطبوعاً غزيرياً خليعاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الغنى الزاهد من
أكابر الصالحين ، له زاوية ببغداد يزار فيها ، وكان له أتباع ومر يدون ، ولا يدخر شيئاً يحصل له من
الفتوح ، تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام لم يدخر منها شيئاً لعشائهم ، وزوجته أم الخليفة
بجارية من خواصها وجهزتها بعشرة آلاف دينار إليه فما حال الحول وعندهم من ذلك شئ سوى هاون ،
فوقف سائل ببابه فالح في الطلب فأخرج إليه الهاون فقال : خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً ، ولا تسأل
الناس ولا تشنع على الله عز وجل . هذا الرجل من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قال لأخيه أبي

منصور: ويحك أنت تدور في الأسواق وتلشد الأشعار وأخوك من قد عرفت؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة:

قد خالب من شبه الجزعة إلى درة * وقاس قعبةً إلى مستحبة حرة

أنا مغنى وأخى زاهد إلى مرة * في الدر يرى ذى حلوة وذى مرة

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل عثمان وعلى حاضر، فأنشأ يقول كان وكان، ومن قتل في جواره مثل ابن عفان فاعتذر، يجب عليه أن يقبل في الشام عنده يزيد، فأرادت الروافض قتله فاتفق أنه بعض الليالي يسحر الناس في رمضان إذ مر بدار الخليفة فمطس الخليفة في الطارقة فشمته أبو منصور هذا من الطريق، فأرسل إليه مائة دينار، ورسم بحمايته من الروافض، إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله. وفيها توفي مسند الشام.

أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر

الخشوعي، شارك ابن عساكر في كثير من مشيخته، وطالت حياته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة فألحق فيها الأحفاد بالأجداد.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

فيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة باني المدرسة بسفح قايسون، في بناء المسجد الجامع بالسفح، فاتفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الغامى، حتى بلغ البناء مقدار قامة فنقد ما عنده، وما كان معه من المال، فأرسل الملك المظفر كوكري بن زين الدين صاحب إربل مالا جزيلا لينتمه به، فكل وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من بردى، فلم يمكن من ذلك الملك العظيم صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا فرش قبور كثيرة المسلمين، فصنع له بئر وبغل يدور، ووقف عليه وقتا لذلك. وفيها كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق بسطها ابن الأثير واختصرها ابن كثير. وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع وخلع عليه خلعة سنية سوداء وطرحة كحل، وحضر عنده العلماء والأعيان. وفيها تولى القضاء ببغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجيلي وخلع عليه أيضاً.

وفيها توفي من الأعيان القاضي ابن الزكي

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي، محي الدين قاضي قضاة دمشق وكل منهما كان قاضيا أبوه وجده وأبوجه يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم، وكان هو جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه، وقد ترجمه ابن عساكر في التاريخ ولم يزد على القرشي. قال الشيخ أبو شامة: ولو كان أمويًا عثمانيا كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجدته

وخالية محمد وسلطان ، فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على ابن عساكر ، اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون ، وناب عنه في الحكم ، وهو أول من ترك النيابة ، وهو أول من خطب بالقدس لما فتح كما تقدم ، ثم تولى قضاء دمشق وأضيف إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان ناظر أوقف الجامع ، وعزل عنها قبل وفاته بشهور ، ولها خمس الدين بن الليث ضمناً ، وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام ، ويمزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة النورية ، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح للفرزالي ، ويحفظها أولاده أيضاً ، وكان له درس في التفسير يذكره بالكلاسة ، نجاه تربة صلاح الدين ، ووقع بينه وبين الاسماعيليين فأرادوا قتله فأنخذ له باباً من داره إلى الجامع ليخرج منه إلى الصلاة ، ثم إنه خولط في عقله ، فكان يمتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شعبان من هذه السنة ، ودفن بترته بسفح قايسون ويقال إن الحافظ عبد الغني دعا عليه فحصل له هذا الداء المضال ، ومات ، وكذلك الخطيب الدولي توفي فيها وهما اللذان قاما على الحافظ عبد الغني فتاتا في هذه السنة ، فكانا عبرة لغيرهما .

الخطيب الدولي

ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الثعالبي الدولي ، نسبة إلى قرية بالموصل ، يقال لها الدولية ، ولد بها في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وتفقه ببغداد على مذهب الشافعي وسمع الحديث فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروجي ، والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد البردي ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدرّس الفزالية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق ، توفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، وتولى بدمه الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعة وثلاثين سنة ، وقبل ولده جمال الدين محمد . وقد كان ابن الزكي ولي ولده الزكي فصلى صلاة واحدة فتشفع جمال الدين بالأمير علم الدين أخي العادل ، فولاه إياها فبقى فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

الشيخ علي بن علي بن عlish

البنّي العابد الزاهد ، كان مقبلاً شرق الكلاسة ، وكانت له أحوال وكرامات ، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ، ساقها أبو شامة عنه .

الصدر أبو الثناء حماد بن هبة الله

ابن حماد الحراني ، التاجر ، ولد سنة إحدى عشرة عام نور الدين الشهيد ، وسمع الحديث ببغداد ومعه وغيرهما من البلاد ، وتوفي في ذي الحجة ، ومن شعره قوله :

تَنَقَّلُ الْمَرَّةَ فِي الْآفَاقِ يُكْسِبُهُ * مُحَاسَنًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا يَبْلُغُهُ

أما ترى البيدق الشطرنج أكسبه * حسن التنقل حسناً فوق زينته

الست الجليلة ينفضا بنت عبد الله

عقيقة المستضيء ، كانت من أكبر حفاظه ، ثم صارت بعده من أكثر الناس صدقة وبراً وإحساناً إلى العلماء والفقراء ، لها عند تربتها ببغداد عند تربة معروف الكرخي صدقات وبر .

ابن المحتسب الشاعر أبو السكر

محمود بن سليمان بن سعيد الموصل يعرف بابن المحتسب ، تفقه ببغداد ثم سافر إلى البلاد ومحب ابن الشهر زوري وقدم معه ، فلما ولي قضاء بغداد ولاء نظر أوقاف النظامية ، وكان يقول الشعر ، وله أشعار في الخير لا خير فيها تركتها تنزها عن ذلك ، وتقنرا لها .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

قال سبط ابن الجوزي في مرآته : في ليلة السبت سلخ الحرم هاجت النجوم في السماء وماجت شرقاً وغرباً ، وتطارت كالجراد المنتشر يمينا وشمالاً ، قال : ولم ير مثل هذا إلا في عام المبعث ، وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها شرع بعمارة سور قلعة دمشق وابتدئ ببرج الزاوية الغربية القبليّة المجاور لباب النصر . وفيها أرسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات الفتوة إلى الملك العادل وبنيه . وفيها بعث العادل ولده موسى الأشرف لمحاصرة ماردين ، وساعده جيش سنجار والموصل ثم وقع الصلح على يدي الظاهر ، على أن يحمل صاحب ماردين في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وأن تكون السكة والخطبة للعادل ، وأنه متى طلبه بمجيئه يحضر إليه . وفيها كل بناء رباط المورانية ، ووليّه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهر زوري ، ومعه جماعة من الصوفية ، ورتب لهم من المعلوم والجراية ما ينبغي لمنهم . وفيها احتجر الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته وسيرهم إلى الرها خوفاً من آفاتهم بمصر . وفيها استحوذت الكرج على مدينة دوين فقتلوا أهلها ونهبوها ، وهي من بلاد آذربيجان ، لاشتغال ملكها بالفسق وشرب الخمر قبحه الله ، فتحككت الكفرة في رقاب المسلمين بسببه ، وذلك كله غل في عنقه يوم القيامة .

وفيها توفي الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين

فقام بالملك بعده ولده محمود ، وتلقب بلقب أبيه ، وكان غياث الدين عاقلاً حازماً شجاعاً ، لم تكسر له راية مع كثرة حروب ، وكان شافعي المذهب ، ابتنى مدرسة هائلة للشافعية ، وكانت سيرته حسنة في غاية الجودة . وفيها توفي من الأعيان .

الأمير علم الدين أبو منصور^(١)

سليمان بن شيرة بن جندر أخو الملك العادل لأبيه ، في تاسع عشر من المحرم ، ودفن بداره التي

(١) في النجوم الزاهرة : سليمان بن جندر .

خطها مدرسة في داخل باب الفراديس في محلة الافتراس ، ووقف عليها الحمام بكاملها تقبل الله منه
القاضي الضياء الشهرزوري

أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصل ، قاضي قضاة بغداد ،
وهو ابن أخي قاضي قضاة دمشق كمال الدين الشهرزوري ، أيام نور الدين . ولما توفى سنة ست
وسبعين في أيام صلاح الدين أوصى لولد أخيه هذا بالقضاء فوليه ، ثم عزل عنه بآب أبي عسرون ،
وعرض بالسفارة إلى الملك ، ثم تولى قضاء بلدة الموصل ، ثم استدعى إلى بغداد فوليه سنتين وأربعة
أشهر ، ثم استقال الخليفة فلم يقبله لحظوته عنده ، فاستشفع في زوجته ست الملك على أم الخليفة ،
وكان لها مكانة عندها ، فأجيب إلى ذلك فصار إلى قضاء حماه لمحبة إياها ، وكان يعاب عليه ذلك ،
وكانت لديه فضائل وله أشعار رائقة ، توفى في حماه في نصف رجب منها .

عبدالله بن علي بن نصر بن حمزة

أبو بكر البغدادى المعروف بابن المرستانية ، أحد الفضلاء المشهورين . سمع الحديث وجمعه ،
وكان طبيباً منجماً يعرف علوم الأوائل وأيام الناس ، وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ،
ورتبته على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر ، وجمع سيرة ابن هبيرة ، وقد كان يزعم أنه من سلالة
الصدى فتكلموا فيه بسبب ذلك . وأنشد بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لتيمة * فإن المهجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من تيم دعياً * كدعوى حيض يمس إلى تيم

ابن النجاء الواعظ

على بن إبراهيم بن نجا زين الدين أبو الحسن الدمشقي ، الواعظ الحنبلي ، قدم بغداد فتفقه بها
وسمع الحديث ثم رجع إلى بلده دمشق ، ثم عاد إليها رسولاً من جهة نور الدين في سنة أربع وستين ،
وحدث بها ، ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين ، وهو الذي نم على عمارة البني وذويه فصلبوا ،
وكانت له مكانة بمصر ، وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس بعد الفراغ من الجمعة ،
وكان وقتاً مشهوداً ، وكان يمشي عيشاً أطيب من عيش الملك في الأطلعة والملابس ، وكان عنده
أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء ، كل واحدة بألف دينار ، فكان يطوف عليهن ويشاهن
وبعد هذا كله مات فقيراً لم يخلف كفاً ، وقد أنشد وهو على منبره لوزير طلائع بن زريك :

مشيك قد قضى شرخ الشباب * وحل البار في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدان يقطي * وما ناب النوائب عنك ناب
فكيف بقاء عرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب ؟

الشيخ أبو البركات (محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي) يعرف بالمويد ، كان أديباً شاعراً . ومما نظمته في الوجيه النحوي حين كان حنبلياً فانتقل حنفياً ، ثم صار شافعيًا ، نظم ذلك في حلقة النحو بالنظامية فقال :

أما مبلغاً عنى الوجية رسالة * وإن كان لا نجدى ليدبر الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي ديانة * ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صار * إلى ملاك فانظر إلى ما أنت قائل ؟

الست الجليلة زمرد خاتون

أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستضى ، كانت سالحة عابدة كثيرة البر والاحسان والصلات والأوقاف ، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف ، وكانت جنازتها مشهورة جداً ، واستمر العزاء بسببها شهراً ، عاشت في خلافة ولدها أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر .

وفيهما كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في الذيل ترجمة مطولة ، فينقل إلى سنة وفاته ، وذكر بدو أمره ، واشتغاله ومصنفاته وشيئا كثيراً من شعاره ، وما روى له من المنامات المبشرة . وفيها كان ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار ، عليه من الله ما يستحقه ، وهو صاحب الباسق وضعها ليتحاكوا إليها - يعنى التتار ومن معهم من أسراء الترك - ممن يبتغى حكم الجاهلية - وهو والد تولى ، وجد هولاكو بن تولى - الذى قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

سنة ستمائة من الهجرة

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقاً منهم ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم ، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم ، فحاصروها حتى فتحوها قسراً ، وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسراً ، وأحرقوا أكثر من ربما ، وما أصبح أحد من الروم في هذه الأيام الثلاثة إلا قتيلاً أو فقيراً أو مكبلاً أو أسيراً ، ولجأ عامة من بقى منها إلى كنيسة المعظمى المسماة بياصوفيا ، فقصدهم الفرنج فخرج إليهم القسيسون بالأنجيل ليتوسلوا إليهم ويتلوا ما فيها عليهم ، فما التفتوا إلى شيء من ذلك ، بل قتلهم أجمعين أكتمين أبصمين . وأخذوا ما كان في الكنيسة من الخلى والأذهب والأموال التى لا تحصى ولا

نعد ، وأخذوا ما كان على الصليبان والحيطان ، والحمد لله الرحيم الرحمن ، الذي ما شاء كان ، ثم اقترح ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة وهم دوق البنادقة ، وكان شيخاً أعمى يقاد فرسه ، وسركيس الأفرنيس وكندا بلند ، وكان أكثرهم عدداً وعدداً . فخرجت القرعة له ثلاث مرات ، فولوه ملك القسطنطينية وأخذ الملك الأخران بعض البلاد ، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ولم يبق بأيدي الروم هناك إلا ما وراء الخليج ، استحوذ عليه رجل من الروم يقال له تسكري ، ولم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفي . ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقووا بملكهم القسطنطينية فنزحوا عكا وأغاروا على كثير من بلاد الاسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي ، فقتلوا وسبوا ، فنهض إليهم العادل وكان بدمشق ، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية ونازلهم بالقرب من عكا ، فكان بينهم قتال شديد وحصار عظيم ، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة وأطلق لهم شيئاً من البلاد فأتاه الله وإنا إليه راجعون .

وفيهما جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالشرق يطول ذكرها . وفيها تحارب صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين وساعد الأشرف بن العادل القطب ، ثم اصطالحوا وتزوج الأشرف أخت نور الدين ، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ، واقفة الأتابكية التي بالسفح ، وبها تربتها . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص وغيرها من البلاد . قاله ابن الأثير في كماله . وفيها قلب رجل من التجار يقال له محمود بن محمد الحميري على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستائة وما بعدها .

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي القضاة ببغداد وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سليمان الجبلي بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرشا فعزل في ذلك المجلس وفسق ونزعت الطرحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيهما كانت وفاة الملك ركن الدين بن قليج أرسلان ، كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة ، وكان كهناً لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأ لهم ، وظهر منه قبل موته فجهرم عظيم ، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه . وكان صاحب أنكورية ، وتسمى أيضاً أنقرة . مدة سنين حتى ضيق عليه الأقوات بها فسلمها إليه قسراً ، على أن يعطيه بعض البلاد . فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غداً وخديعة ومكراً فلم ينظر بعد ذلك إلا خمسة أيام فضر به الله تعالى بالقولنج سبعة أيام ومات [فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين] وقام بالملك من بعده ولده أفلح أرسلان ، وكان صغيراً فبقي سنتواحدة ، ثم نزع منه الملك وصار إلى عمه كنخسرو . وفيها قتل خلق كثير من الباطنية بواسطة . قال ابن

الأثير : في رجب منها اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدتم ، وهو الجمال الحلي :

أعاذلني أقصرى * كفى بمشيبي عدل
شباب كآن لم يكن * وشيت كآن لم يزل
وبنى ليال الوسا * ل أوآخرها والأول
وصفرة لون المحب * مبر عند استماع الغزل
لئن عاد عني لكم * حلالى الميش واتصل
فلست أبالي بما نالنى * ولست أبالي بأهل ومل

قال فتحرك الصوفية على العادة فتواجد من بينهم رجل يقال له أحمد الرازى نغر مغشياً عليه ، فحركوه فاذا هو ميت . قال : وكان رجلاً صالحاً ، وقال ابن الساعى كان شيخاً صالحاً صاحب الصدر عبد الرحيم شيخ الشيوخ فشهد الناس جنازته ، ودفن بباب إبرز . وفيها توفى من الأعيان . أبو القاسم بهاء الدين

الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم على بن هبة الله بن عساكر ، كان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسة ، أتممه أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ، وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة ، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموى ، ودار الحديث النورية . مات يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر على أبيه بمقابر باب الصغير شرق قبور الصعابة خارج الحظيرة .

الحافظ عبد الغنى المقدسى

ابن عبد الواحد بن على بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسى ، صاحب التصانيف المشهورة ، من ذلك الكمال في أسماء الرجال ، والأحكام الكبرى والصغرى وغير ذلك ، ولد بجماعيل في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، وهو أسن من عمه الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى ، والشيخ أبى هر ، بأربعة أشهر ، وكان قدومهما مع أهلها من بيت المقدس إلى مسجد أبى صالح ، خارج باب شرقى أولاً ، ثم انتقلوا إلى السفح ففرت محلة الصالحية بهم ، فقبل لها الصالحية ، فسكنوا الدير ، وقرأ الحافظ عبد الغنى القرآن وسمع الحديث وارتحل هو والموفق إلى بغداد سنة ستين وخمسة ، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، وكان لا يترك أحداً ينزل عنده ، ولكن تسم فيهما الخير والنجابة والصلاح فأكرمهما وأجمعهما ، ثم توفى بعد مقدمهما بخمسين ليلة رحمه الله ، وكان ميل عبد الغنى إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه واشتغلا على الشيخ أبى الفرج ابن الجوزى ، وعلى الشيخ أبى الفتح ابن المنى ، ثم قسما دمشق بعد أربع سنين

فدخل عبد الغنى إلى مصر واسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى الجزيرة و بغداد ، ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها الكثير ، ووقف على مصنف للحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة ، قلت : وهو عندى بخط أبي نعيم . فأخذ فى مناقشته فى أما كن من الكتاب فى مائة وتسعين موضعاً ، فغضب بنو الخجندى من ذلك ، فبفضوه وأخرجوه منها مخفياً فى إزار . ولما دخل فى طريقه إلى الموصل سمع كتاب العقلى فى الجرح والتعديل ، فنار عليه الحنفية بسبب أبي حنيفة ، فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب ، فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الخنابلة من جامع دمشق ، فاجتمع الناس عليه وإليه ، وكان رقيق القلب سريع الذاكرة ، فحصل له قبول من الناس جداً ، فحسبه بنو الزكى والدولى وكبار الدماشقة من الشافعية وبعض الخنابلة ، وجهازوا الناصح الحنبلى ، فتكلم تحت قبة النسر ، وأمره أن يجهر بصوته مهما أمكنه ، حتى يشوش عليه ، فحول عبد الغنى ميعاده إلى بعد العصر فذكر يوماً عقيدته على الكرسي فنار عليه القاضى ابن الزكى ، وضياء الدين الدولى ، وعقدوا له مجلساً فى القلعة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين . وتكلموا معه فى مسألة العلو ومسألة النزول ، ومسألة الحرف والصوت ، وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة ، فقال له برغش نائب القلعة : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق ؟ [قال نعم] فغضب برغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد ، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ، ثم إلى القاهرة ، فأواه الطحانيون فكان يقرأ الحديث بها فنار عليه الفقهاء بمصر أيضاً وكتبوا إلى الوزير صفى الدين بن شكر فأقر بنفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وله سبع وخمسون سنة ، ودفني بالقرافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمهما الله . قال السبط : كان عبد الغنى ورعاً زاهداً عابداً ، يصلى كل يوم ثلاثمائة ركعة كورد الامام أحمد ، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة ، وكان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ، ويتصدق على الأراذل والأيتام حيث لا يراه أحد ، وكان يرفع ثوبه ويؤثر بثمان الجديد ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحده زمانه فى علم الحديث والحفظ . قلت : وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى كتابه الكمال فى أسماء الرجال - رجال الكتب السنة - بهذيبه الذى استدرك عليه فى أما كن كثيرة ، فحوماً من ألف موضع ، وذلك الامام المزى الذى لا يمارى ولا يجارى ، وكتابه التهذيب لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق فى شكله فرحمهما الله ، فلقد كانا قادرين فى زمانهما فى أسماء الرجال حفظاً وإتقاناً وسماطاً وإسماعاً وسرداً للفتون وأسماء الرجال ، والحاسد لا يفلح ولا ينال من لا طائلاً .

قال ابن الأثير : وفيها توفى . أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي

صاحب تمة التمة أسعد بن أبي الفضل بن محمود بن خلف المعلى الفقيه الشافى الأصهبانى

الواعظ منتخب الدين ، جمع الحديث وتفقه وبرع وصنف تنمة التتمة لأبي سعد المهرى ، كان زاهدا عابدا ، وله شرح مشكلات الوسيط والوجيز ، توفى في صفر سنة ست مائة .

البناني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن المهنا الشاعر المعروف بالبناني ، مدح الخلفاء والوزراء وغيرهم ، ومدح وكبر وعلت سنه ، وكان رقيق الشعر ظريفة قال :

ظلماً ترى مفرماً في الحب تزجره * وغيره بالهوى أوسيت تنكره
يا عاذل الصبر لو عانيت قاتله * لو جنة وعذار كنت تمنعه
أفدى الذي بسحر عينيه يملنى * إذا تصدى لقتلى كيف أسهره
يستمتع الليل في نوم وأسهره * إلى الصباح وينساني وأذكركه
أبو سعيد الحسن بن خلدة

ابن المبارك النعماني المازداني الملقب بالوحيد ، اشتغل في حدائثه بعلم الأوائل وأتقنه وكانت له يد طول في الشعر الرائق ، فمن ذلك قوله قاتله الله .

أتاني كتاب أنشأته أنامل * حوث أبجراً من فيضها يفرق البحر
فوا محبباً أنى التوث فوق طرسه * وما عودت بالقبض أنملة العشر
وله أيضاً لقد أنرت صدغه في لون خدم * ولا حاكفى من وراء زجاج
ترى عسكراً لروم في الربيع مذبت * كطائفة تسى ليوم هياج
أم الصبح بالليل البهيم موشح * حكى آبنوساً في صحيفة عاج
لقد غار صدغه على ورد خدم * فسيجه من شعره بسياج
الطاووسى صاحب الطريقة .

العراقي محمد بن العراقي

ركن الدين أبو الفضل القزويني ، ثم الممداني ، المعروف بالطاووسى ، كان بارعا في علم الخلاف والجدل والمناظرة ، أخذ علم ذلك عن رضى الدين النيسابورى الحنفى ، وصنف في ذلك ثلاث تعاليق قال ابن خلكان : أحسنهن الوسطى ، وكانت إليه الرحلة بهمدان ، وقد بنى له بعض الحجبة بها مدرسة تعرف بالحاجبية ، ويقال إنه منسوب إلى طاووس بن كيسان التابعى قاله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وست مائة

فيها عزل الخليفة ولده محمد الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعد ما خطب له سبعة عشرة سنة ، وولى العهد ولده الآخر عليا ، فمات على من قريب فماد الأمر إلى الظاهر ، فبويع له بالخلافة

بعد أبيه الناصر كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزائن السلاح ، فاحترق من ذلك شيء كثير من السلاح والأمتعة والمساكن ما يقارب قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وشاع خبر هذا الحريق في الناس ، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من ذلك شيئاً كثيراً .

وفيها عاثت الكرج ببلاد المسلمين قتلوا خلقاً ، وأسروا آخرين . وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسيني ، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالماً فيها ، فركب إليه سالم بعد ما صلى عند الحجرة فاستنصر الله عليه ، ثم برز إليه فكسره وساق وراه إلى مكة فحصره بها ، ثم إن قتادة أرسل إلى أمراء سالم فأفسدتم عليه فكر سالم راجعاً إلى المدينة سالماً .

وفيها ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج بلاد الروم واستلبها من ابن أخيه ، واستقر هو بها وعظم شأنه وقويت شوكته ، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف ، وخطب له الأفضل بن صلاح الدين بسميساط ، وسار إلى خدمته . واتفق في هذه السنة أن رجلاً ببغداد نزل إلى دجلة يسبح فيها وأعطى ثيابه لقلامه ففرق في الماء فوجد في ورقة بهامته هذه

الآيات : يا أيها الناس كنْ لى أمل * قصر بى عن بلوغه الأجل

فليتق الله ربه رجل * أمكنه فى حياته العمل

ما أنا وحدى بفناء بيت * يرى كل إلى مثله سينتقل

وفيها توفى من الأعيان . أبو الحسن علي بن عنقر بن ثابت الحلبي

المعروف بشميم ، كان شيخاً أديباً لغوياً شاعراً جمع من شعره حماسة كان يفضلها على حماسة أبي تمام ، وله خمریات يزعم أنها أغزل من التي لأبي نواس . قال أبو شامة في الذيل : كان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وخلاعة ، وله حماسة ورسائل . قال ابن السامى : قدم بغداد فأخذ النحو عن ابن الخشاب ، حصل منه طرفاً صالحاً ، ومن اللغة وأشعار العرب ، ثم أقام بالموصل حتى توفى بها . ومن شعره :

لا تسرحن الطرف فى مقل المها * فصارع الآجال فى الآمال

كم نظرة أردت وما أخرت * وكى يدى قبلت أوان قتال

سمنت وما ممحت بتسليمه * وأغلل التحية فلة المختال

وله فى التجنيس :

ليت من طول بالك * أم نواه وثوابه * جعل المؤد إلى الزود * راء من بعض نوابه

أثرى بطنى الده * رثرى مسك ترابه * وأرائى نور عيني * موطنالى وثرى به
وله أيضاً فى الخر وغيره :

أبو نصر محمد بن سعد الله^(١)

ابن نصر بن سعيد الأرتاحى ، كان سخيّاً بهياً واعظاً حنبلياً فاضلاً شاعراً مجيداً وله :

نفسُ الفتى إن أصلحتْ أحوالها * كأنْ إلى نيلِ المنى أحوى لها

وإن تراها سددتْ أقوالها * كأنْ على حملِ العلى أقوى لها

فإن تبدتْ حالُ منْ لها لها * فى قبره عند البلى لها لها

أبو العباس أحمد بن مسعود

ابن محمد القرطبي الخزرجى ، كان إماماً فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة
والعروض والطب ، وله تصانيف حسان ، وشعر رائق منه قوله :

وفى الوجنتِ ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه * أنى لتيار تحمله عصب^(٢)

أبو القداء إسماعيل بن برتعمس السنجارى

مولى صاحبها عماد الدين زنكى بن مودود ، وكان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب
ومن شعره ما كتب به إلى الأشرف موسى بن العادل يعزیه فى أخ له اسمه يوسف :

دموع الممالى والمكارم أذرفت * وربيع العلى قاع لفقدك صنف

غدا الجود والمعروف فى الحدناوياً * غداة ثوى فى ذلك الحد يوسف

حتى خطفت يد المنية روحه * وقد كان للأرواح بالبيض مخطف

سفته ليلالى الدهر كأس حمامها * وكان بسقى الموت فى الحرب يعرف

فوا حسرتنا لو ينفع الموت حسرة * ووا أسفا لو كان يجدى التأسف

وكان على الارزاء نفسى قوية * ولكنها عن حمل ذالرز تضعف

أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلي

تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، وصنف التاريخ وغيره ، وتفرد بحسن كتابة الشروط ، وله

فضل ونظم ، فمن شعره :

أعمرض قلبى ، ما لهجرك آخر ؟ * ومسرطرفى ، هل خيالك زائر ؟

وستعذب التعذيب جوراً بصدى * أمالك فى شرع الحجة زاجر ؟

هينئ لك القاب الذى قد وقفته * على ذكر أيامى وأنت مسافر ؟

(١) فى النجوم الزاهرة : محمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله (٢) كذا فى الأصل والبيت مضطرب فليحرر

فلا فارق الحزن المبرح خاطري • لبعذك حتى يجمع الشمل قادر
 فان مت فالتسليم مني عليكم • يعاودكم ما كبر الله ذاكر
 أبو السعادات الحلبي

التاجر البغدادي الرافضي ، كان في كل جمعة يلبس لأمة الحرب ويقف خلف باب داره ،
 والباب مجاف عليه ، والناس في صلاة الجمعة ، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب
 سامرا - يعني محمد بن الحسن العسكري - ليميل بسيفه في الناس نصرة للمهدي .
 أبو غالب بن كمنونة اليهودي
 الكاتب ، كان يزور على خط ابن مقلة من قوة خطه ، توفي لعنه الله بعمورة واسط ، ذكره
 ابن الساعي : في تاريخه .

ثم دخلت سنة ثنتين وستائة

فيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الفوري ، صاحب غزنة ، وبين بني
 بوكر أصحاب الجبل الجودي ، وكانوا قد ارتدوا عن الاسلام فقاتلهم وكسروهم وغنم منهم شيئا كثيرا
 لا يمد ولا يوصف ، فاتبعه بعضهم حتى قتله غيلة في ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء ، وكان رحمه الله
 من أجود الملوك سيرة وأعقلهم وأثبتهم في الحرب ، ولما قتل كان في صحبته نغر الدين الرازي ، وكان
 يجاس للودظ بمحضرة الملك ويمظه ، وكان السلطان يبكي حين يقول في آخر مجلسه يا سلطان سلطانتك
 لا يبقى ، ولا يبقى الرازي أيضا وإن مردنا جميعا إلى الله ، وحين قتل السلطان اتهم الرازي بعض
 الخاصكية بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسيره إلى حيث يأمن
 وتملك غزنة بمده أحد مماليكه تاج الدر ، وجرت بعد ذلك خطوب يطول ذكرها ، قد استقصاها
 ابن الأثير وابن الساعي .

وفيها أغارت الكرج على بلاد المسلمين فوصلوا إلى أخلاط قتلوا وسبوا وقاتلهم المقاتلة والعامة .
 وفيها سار صاحب إربل مظفر الدين كوكري وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان ، وهو أبو
 بكر بن البهلول ، وذلك لنكوله عن قتال الكرج وإقباله على السكر ليلا ونهاراً ، فلم يقدروا عليه ، ثم
 إنه تزوج في هذه السنة بنت ملك الكرج ، فانكف شرم عنه . قال ابن الأثير : وكان كما يقال
 أحمد سيفه وسل أبوه . وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي ناصر العلوي الحسني وخلع
 عليه بالوزارة وضربت الطبول بين يديه وعلى بابه في أوقات الصلوات . وفيها أغار صاحب بلاد
 الأرمن وهو ابن لاون على بلاد حلب قتل وسبي ونهب ، فخرج إليه الملك الظاهر غازي بن الناصر
 فهرب ابن لاون بين يديه ، فهزم الظاهر قلمة كان قد بناها ودكها إلى الأرض . وفي شعبان منها

هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرق ، ونشرت حجارتها ليليط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر ، وزير المادل ، وكل تبليطه في سنة أربع وستائة .

وفيهاتوفى من الأعيان . شرف الدين أبو الحسن

على بن محمد بن علي جمال الاسلام الشهرزوري ، بمدينة حمص ، وقد كان أخرج إليها من دمشق ، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة بالجامع تجاه البرادة ، وكان لديه علم جيد بالمذهب والخلاف .

التقي عيسى بن يوسف

ابن أحمد العراقي الضرب ، مدرس الأمينية أيضاً ، كان يسكن المنارة الغربية ، وكان عنده شاب يخدمه ويقود به فقدم للشيخ دراهم فاتهم هذا الشاب بها فلم يثبت له عنده شيئاً ، واتهم الشيخ عيسى هذا بأنه يلوط به ، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيء ، فضاغ المال واتهم عرضه ، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذي القعدة مشنوقاً ببيته بالمأذنة الغربية ، فامتنع الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه ، فتقدم الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه ، فاتهم به بعض الناس قال أبو شامة : وإنما حمله على ما فعله ذهب ماله والوقوع في عرضه ، قال وقد جرى لي أخت هذه القضية فمصني الله سبحانه بفضل ، قال وقد درس بعده في الأمينية الجمال المصري وكيل بيت المال

أبو الفنائم المركيسدار البغدادي

كان يخدم مع عز الدين نجاح السراي ، وحصل أموالاً جزيلة ، كان كلما نهيأ له مال اشترى به ملكاً وكتبه باسم صاحب له يعتمد عليه ، فلما حضرته الوفاة أوصى ذلك الرجل أن يتولى أولاده وينفق عليهم من ميراثه مما تركه لهم ، فرض الموصي إليه بمدة قليل فاستدعى الشهود ليشهدوا على نفسه أن ما في يده لورثة أبي الفنائم ، فتمادى ورثته باحضار الشهود وطولوا عليه وأخذته سكتة فمات فاستولى ورثته على تلك الأموال والأموال ، ولم يقضوا أولاد أبي الفنائم منها شيئاً مما ترك لهم .

أبو الحسن علي بن سعاد الفارسي

تفقه ببغداد وأطال بالنظامية وفاب في تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التي أنشأها أم الخليفة وأزيد على نيابة القضاء عن أبي طالب البخاري فامتنع فألزم به فباشره قليلاً ، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه مئزر صوف ، وأمر الوكلاء والجلالدة أن ينصرفوا عنه ، وأشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضاء ، واستمر على الاعادة والتدريس رحمه الله . وفي يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفيت .

الحاتون

أم السلطان الملك المعظم عيسى بن المادل ، قدفنت بالقبة بالمدرسة المعظمية بسفح قايسون .

الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدى

أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيخاً خيراً حسن السيرة كثير العبادة ، غالباً في التشيع ، توفي بتستر فاني جمادى الآخرة وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد على لوصيته بذلك ، هكذا ترجمه ابن الساعى في تاريخه ، وذكر أبوشامة في الذيل أنه طاشتكين بن عبدالله المقتوفى أمير الحاج ، حج بالناس ستاً وعشرين سنة ، كان يكون في الحجاز كأنه ملك ، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكتب صلاح الدين فحبسه الخليفة ، ثم تبين له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحج ، وكانت الحلة الشيعية إقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام ، يمضى عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة ، وكان فيه حلم واحتمال ، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه ، فقال له الرجل المستغيث : أحمار أنت ؟ فقال : لا . وفيه يقول ابن التعاودى .

وأمر على البلاد مولى * لا يجيب الشاكي بغير السكوت

كلما زاد رفةً حطنا الا * بتفيله إلى البهوت

وقد سرق فراشه حياجة له فأرادوا أن يستقروه عليها ، وكان قد رآه الأمير طاشتكين حين أخذها فقال : لا تعاقبوا أحداً ، قد أخذها من لا يردها ، ورآه حين أخذها من لا ينم عليه ، وقد كان بلغ من العمر تسعين سنة ، واتفق أنه استأجر أرضاً مدة ثلاثمائة سنة للوقوف ، فقال فيه بعض المضحكين : هذا لا يوقن بالموت ، عمره تسعون سنة واستأجر أرضاً ثلاثمائة سنة ، فاستضحك القوم والله سبحانه وتعالى أعلم . ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة

فيها جرت أمور طويلة بالمشرق بين الغورية والخوازرية ، وملكهم خوارزم شاه بن تكش بيلاد الطالقان . وفيها ولي الخليفة القضاء ببغداد لعبد الله بن الدامغانى . وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلانى ، بسبب فسقه وفجوره ، وأحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة ، وعلوم الأوائل ، وأصبح يستعصى بين الناس ، وهذا بخطيئة قيامه على أبى الفرج ابن الجوزى ، فانه هو الذى كان وشى به إلى الوزير ابن القصاب حتى أحرقت بعض كتب ابن الجوزى ، وبختم على بقيتها ، ونفى إلى واسط خمس سنين ، والناس يقولون : فى الله كفاية وفى القرآن ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والصوفية يقولون : الطريق يأخذ . والأطباء يقولون الطبيعة مكافئة . وفيها نازلت الفرنج حص فقاتلهم ملكها أسد الدين شيركوه ، وأعانته بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكف الله شرهم . وفيها اجتمع شابان ^(١) ببغداد على الخمر

(١) أحدهما أبو القاسم أحمد بن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ، داعب ابن الأمير أصبه . وكان شاباً جميلاً فرماه بسكين قتلته . فسله الخليفة إلى أولاد ابن أصبه فقتلوه . (النجوم ج ٦ ص ١٩٢)

فضرب أحدهما الآخر بسكين فقتله وهرب ، فأخذ قتل فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه أمر
أن تجعل بين أ كفانه :

قدمتُ على الكريم بغير زادٍ * من الأعمال بالقلب السليم
وسوء الظن أن تمتد زاداً * إذا كان القدوم على كريم
وفيها توفي من الأعيان . الفقيه أبو منصور

عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان النبلي ، الملقب بالقاضي شريح لذكائه وفضله وبرعته وعقله
وكمال أخلاقه ، ولى قضاء بلده ثم قدم بغداد فندب إلى المناصب السكبار فأبأها ، خلف عليه الأمير
طاشتكين أن يعمل عنده في الكتابة فخدمه عشرين سنة ، ثم وشى به الوزير ابن مهدي إلى المهدي
فحبسه في دار طاشتكين إلى أن مات في هذه السنة ، ثم إن الوزير الواشي عما قريب حبس بها أيضاً ،
وهذا مما نحن فيه من قوله : كما تدن تدان .

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر

كان ثقة عابداً زاهداً ورعاً ، لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني خير منه ، لم
يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات ، بل كان متقللاً من الدنيا مقبلاً على أمر الآخرة ،
وقد سمع الكثير وسمع عليه أيضاً .

أبو الحزم مكي بن زيان

ابن شبة بن صالح الماكيني ، من أعمال سنجار ، ثم الموصل النحوي ، قدم بغداد وأخذ
على ابن الخشاب وابن القصار ، والكمال الأنباري ، وقدم الشام فانتفع به خلق كثير منهم الشيخ علم
الدين السخاوي وغيره وكان ضريراً ، وكان يتمصب لأبي العلاء المعري لما بينهما من القدر المشترك
في الأدب والعلم ، ومن شعره :

إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا قبله تصبح قريب عَيْن
إذا عيف النوال لفرْد من * فأولى أن يعاف لمتنب
ومن شعره أيضاً :

نفس فداء لأغبيهم غنج * قال لنا الحق حين ودعنا
من ود شيئاً من حبه طمعا * في قنله للوداع ودعنا
إقبال الخادم

جمال الدين أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليين الشافعية والحنفية ، وكانت دارين فجعلهما
مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً الكبيرة للشافعية والصغيرة للحنفية ، وعليها ثلث الوقف . توفي بالقدس

رحمه الله . ثم دخلت سنة اربع وستمائة

فيها رجع الحجاج إلى العراق وهم يدعون الله ويشكون إليه ما لقوا من صدر جهان البخارى الخنى ، الذى كان قدم بغداد فى رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج فى هذه السنة ، فضيق على الناس فى المياه والميرة ، فمات بسبب ذلك ستة آلاف من حجاج العراق ، وكان فيما ذكرنا يأمر غلمانه فتسبق إلى المناهل فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونه حول خيمته فى قيظ الحجاز ويسقونه للبقولات التى كانت تحمل معه فى ترابها ، ويمنعون منه الناس وابن السبيل ، الآمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم تحتفل به الخاصة ولا أكرمه الخليفة ولا أرسل إليه أحداً ، وخرج من بغداد والعامة من ورائه يرجونه ويلعنونه ، ومناه الناس صدر جهنم ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله أن يزيدنا شفقة ورحمة لعباده ، فإنه إنما يرحم من عباده الرحماء . وفيها قبض الخليفة على وزيره ابن مهدى العلوى ، وذلك أنه نسب إليه أنه يروم الخلافة ، وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين حتى مات بها ، وكان جباراً عنيداً ، حتى قال بعضهم فيه :

خليلى قولاً للخليفة وانصحا * توق وقت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك ياخير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالة حيدر * فهذا وزير فى الخلافة طامع
وإن كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

وقيل : إنه كان عفيفاً عن الأموال حسن السيرة جيد المباشرة فله أعلم بحاله . وفى رمضان منها رتب الخليفة عشرين داراً للضيافة يفطر فيها الصائمون من الفقراء ، يطبخ لهم فى كل يوم فيها طعام كثير . ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شئ كثير ، وهذا الصنيع يشبه ما كانت قرىش تفعله من الرفادة فى زمن الحسيج ، وكان يتولى ذلك عمه أبو طالب ، كما كان العباس يتولى السقاية ، وقد كانت فيهم السفارة والالواء والندوة له ، كما تقدم بيان ذلك فى مواضعه ، وقد صارت هذه المناصب كلها على أتم الأحوال فى الخلفاء العباسيين . وفيها أرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين الشهرزورى وفى صحبته سنقر الساحدار إلى الملك العادل بالخلمة السفينة ، وفيها الطوق والسواران ، وإلى جميع أولاده بالخلمع أيضاً . وفيها ملك الأوحى بن العادل صاحب ميافارقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها شرف الدين بكتمر ، وكان شاباً جميل الصورة جداً ، قتله بعض مماليكهم ^(١) ثم قتل القاتل أيضاً ، فغلا البلد عن ملك فأخذها الأوحى بن العادل .

وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر بعد حروب طويلة . اتفق له فى بعض

(١) اسمه : الهزار دیناری (انظر النجوم ج ٦ ص ١٨٨) .

المواقف أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن خوارزم شاه وبقى معه عصابة قليلة من أصحابه ، قتل منهم كفار الخطا من قتلوا ، وأسرُوا خلقاً منهم ، وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا ، أسره رجل وهو لا يشعر به ولا يدري أنه الملك ، وأسر معه أميراً يقال له مسعود ، فلما وقع ذلك وتراجعت المساكر الإسلامية إلى مقرها فقدوا السلطان فاختبطوا فيما بينهم واختلفوا اختلافاً كثيراً وانزعجت خراسان بكاملها ، ومن الناس من حلف أن السلطان قد قتل ، وأما ما كان من أمر السلطان وذلك الأمير فقال الأمير للسلطان : من المصلحة أن تترك اسم الملك عنك في هذه الحالة ، وتظهر أنك غلام لي ، فقبل منه ما قال وأشار به ، ثم جعل الملك يخدم ذلك الأمير يلبسه ثيابه ويسقيه الماء ويصنع له الطعام ويضعه بين يديه ، ولا يألو جهداً في خدمته ، فقال الذي أسرهما : إني أرى هذا يخدمك فمن أنت ؟ فقال : أنا مسعود الأمير ، وهذا غلامي ، فقال : والله لو علم الأمراء أني قد أسرت أميراً وأطلقته لأطلقنك ، فقال له : إني إنما أخشى على أهلي ، فانهم يظنون أني قد قتلت وقيمون المأثم ، فإن رأيت أن تفاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيراً ، فقال : نعم ، فعين رجلاً من أصحابه فقال له الأمير مسعود : إن أهلي لا يعرفون هذا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي هذا فعلت ليبشرهم بحياتي فانهم يعرفونه ، ثم يسعى في تحصيل المال ، فقال : نعم ، فجهز معهما من يحفظهما إلى مدينة خوارزم شاه . فلما دنوا من مدينة خوارزم سبق الملك إليها . فلما رآه الناس فرحوا به فرحاً شديداً ، ودقت البشار في سائر بلاد ، وعاد الملك إلى نصابه ، واستقر السرور بإيابه ، وأصلح ما كان وهي من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله ، وحاصر هراه وأخذها عنوة . وأما الذي كان قد أسره فانه قال يوماً للأمير مسعود الذي يتوجه لي وينهون به أن خوارزم شاه قد قتل ، فقال : لا ، هو الذي كن في أسرك ، فقال له : فهلا أعلمتني به حتى كنت أردّه موقراً معظماً ؟ فقال : خفتك عليه ، فقال : سر بنا إليه ، فسارا إليه فأكرمهما إكراماً زائداً ، وأحسن إليهما . وأما غدر صاحب سمرقند فانه قتل كل من كان في أسره من الخوارزمية ، حتى كان الرجل يقطع قطعتين ويملق في السوق كما تملق الأغنام ، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ثم رجع عن قتلها وحبسها في قاعة وضيق عليها ، فلما بلغ الخبر إلى خوارزم شاه سار إليه في الجنود فنارزه وحاصر سمرقند فأخذها قهراً وقتل من أهلها نحواً من مائتي ألف ، وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه ، ولم يترك له نسلاً ولا عقباً ، واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك ، وتحارب الخطا وملك التتار كشلى خان المتأخم للملكة انصين ، فكتب ملك الخطا لخوارزم شاه يستنجد على التتار ويقول : متى غلبونا خلعوا إلى بلادك ، وكذا وكذا . وكتب التتار إليه أيضاً يستنصرونه على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك ، فكن معنا عليهم ، فكتب إلى

كل من الفريقين يطيب قلبه ، وحضر الوقعة بينهم وهو متحيز عن الفريقين ، وكانت الدائرة على الخطأ ، فهلكوا إلا القليل منهم ، وغدر التتار ما كانوا عاهدوا عليه خوارزم شاه ، فوقعت بينهم الوحشة الأكيدة ، وتواعدوا للقتال ، وخاف منهم خوارزم شاه وخرب بلاداً كثيرة متاخمة لبلاد كشلي خان خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جنكيز خان خرج على كشلي خان ، فاشتغل بمحاربته عن محاربة خوارزم شاه ، ثم إنه وقع من الأمور الغريبة ما سند كره إن شاء الله تعالى .

وفيهما كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص ، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم ، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكرياً قواه بهم على الفرنج ، وخرج العادل من مصر في المساركة الإسلامية ، وأرسل إلى جيوش الجزيرة فوافوه على عكا فحاصرها ، لأن القبارصة أخذوا من أسطول المسلمين قطما فيها جماعة من المسلمين ، فطلب صاحب عكا الأمان والصلح على أن يرد الأسارى ، فأجابه إلى ذلك ، وسار العادل فنزل على بحيرة قدس قريباً من حمص ، ثم سار إلى بلاد طرابلس ، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويفهم ، حتى جنح الفرنج إلى المهادنة ، ثم عاد إلى دمشق .

وفيهما ملك صاحب آذربيجان الأمير نصير الدين أبو بكر بن البهلول مدينة مراغة فخلوها عن ملك قاهر ، لأن ملكها مات وقام بالملك بعده ولده صغير ، فدبر أمره خادم له . وفي غرة ذى القعدة شهد محبي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغانى ، فقبله وولاه حاسبة جانبى بغداد ، وخلع عليه خلمة سنية سوداء بطرحة كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج بباب درب الشريف ، وحضر عنده خلق كثير . وبعد أربعة أيام من يومئذ درس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود الركسانى الحنفى ، وحضر عنده الأعيان والأكابر وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة إلى العادل بالخلع ، فلبس هو وولده العظيم والأشرف ووزيره صفى الدين بن شكر ، وغير واحد من الأمراء ، ودخلوا القلعة وقت صلاة الظهر من باب الحديد ، وقرأ التقليد الوزير وهو قائم ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها درس شرف الدين عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بالمدرسة الرواحية بدمشق . وفيها انتقل الشيخ الخبير بن البغدادي من الحنبلية إلى مذهب الشافعية ، ودرس بمدرسة أم الخليفة ، وحضر عنده الأكابر من سائر المذاهب .

وفيهما توفى من الأعيان الأمير بنيامين بن عبد الله

أحد أمراء الخليفة الناصر ، كان من سادات الأمراء عقلاً وعفة ونزاهة ، سقاه بعض الكتاب من النصراني سباً فأت . وكان اسم الذي سقاه ابن ساوا ، فسلمه الخليفة إلى غلمان بنيامين فشفع فيه ابن مهدي الوزير وقال : إن النصراني قد بذلوا فيه خمسين ألف دينار ، فكتب الخليفة على رأس الورقة

إن الأسودُ أسودُ الغابِ همتها * يومَ الكربةِ في المسلوبِ لا السلبِ
ففسله غلمان بنيامين قتلوه وحرقوه ، وقبض الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي كما تقدم

حنبل بن عبد الله

ابن الفرج بن سعادة الرصافي الحنبلي ، المكبر بجامع المهدي ، راوى مسند أحمد عن ابن الحصين
عن ابن المذهب عن أبي مالك عن عبد الله عن أبيه ، عمر تسعين سنة وخرج من بغداد فأسمعه
باربل ، واستقدمه ملوك دمشق إليها فسمع الناس بها عليه المسند ، وكان المعظم يكرمه ويأكل عنده
على السباط من الطيبات ، فتصيبه التخمّة كثيراً ، لأنه كان فقيراً ضيق الامعاء من قلة الأكل ، خشن
العيش ببغداد ، وكان الكندي إذا دخل على المعظم يسأل عن حنبل فيقول المعظم هو متخوم ،
فيقول أطعمه العدى فيضحك المعظم ، ثم أعطاه المعظم مالا جزيلاً ورده إلى بغداد فتوفي بها ، وكان
مولده سنة عشر وخمسمائة ، وكان معه ابن طبرزد ، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستمائة .

عبد الرحمن بن عيسى

ابن أبي الحسن المروزي الواعظ البغدادي ، سمع من ابن أبي الوقت وغيره ، واشتغل على ابن
الجوزي بالوعظ ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته وشمخت نفسه ، واجتمع عليه طائفة من أهل باب النصيرة
ثم تزوج في آخر عمره وقد قارب السبعين ، فاغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات في هذه السنة .

الأمير زين الدين قراجا الصلاحي

صاحب صرخد ، كانت له دار عند باب الصندير عند قناة الزلاقة ، وتربته بالسفح في قبة على
جادة الطريق عند تربة ابن تميرك ، وأقر العادل ولده يعقوب على صرخد .

عبد العزيز الطبيب

توفي فجأة ، وهو والد سعد الدين الطبيب الأشرفي ، وفيه يقول ابن عنين :
فراى ولا خلف الخطيب جماعة * وموت ولا عبد العزيز طبيب

وفيها توفي العفيف بن الدرحي

إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع بنى أمية .

أبو محمد جعفر بن محمد

ابن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الأربلي ، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على
مذهب الشافعي ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو ، وما يتماق به لوم القرآن العزيز
وغير ذلك . ومن شعره :

لا يدفع المرء ما يأتي به القدر * وفي الخطوب إذا فكرت معتبر

فليس ينجى من الأقدار إن زكّ * رأى وحزّم ولا خوف ولا حذر
فاستعمل الصبر في كل الأمور ولا * تجزع لشئ فمقبى صبرك الظفر
كم مسنا عسر فصرقة لا * الله عنا وولى بعده يسر
لا يئس المرء من روح الآله فما * يئس منه إلا عصبته كفروا
إني لأعلم أن الدهر ذو دول * وأن يومه ذا أمن وذا خطر
ثم دخلت سنة خمس وستائة

في محرّم كل بناء دار الضيافة ببغداد التي أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربي منها للحجاج والمارة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا أراد أحدهم السفر منها زود وكسى وأعطى بعد ذلك ديناراً ، جزاه الله خيراً . وفيها عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي من رحلته العراقية فاجتاز بالشام فاجتمع في مجلس الوزير الصفي هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي شيخ اللغة والحديث ، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى [قول] إبراهيم عليه السلام « إنما كنت خليلاً من وراء وراء » بفتح اللفظتين ، فقال الكندي من وراء وراء بضمهما ، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر : من هذا ؟ فقال : هذا أبو اليمن الكندي ، فقال منه ابن دحية ، وكان جريئاً ، فقال الكندي : هو من كاب يذبح كما يذبح الكلب . قال أبو شامة : وكنا اللفظتين محكية ، وحكى فيهما الجرايضاً . وفيها عاد نضر الدين ابن تيمية خطيب من حران من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر للوعظ ، مكان محي الدين يوسف بن الجوزي ، فقال في كلامه ذلك :

وابن اللبون إذا ما لزّ في قرن * لم يستطع صولة البزل القنّاعيس

كأنه يعرض بابن الجوزي يوسف ، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة والله أعلم .

وفي يوم الجمعة تاسع محرم دخل مملوك أفرنجي من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران وفي يده سيف مسلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، فقال على الناس يضربهم بسيفه فقتل اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فانكسر سيفه فأخذوا ودع المارستان ، وشنق في يومه ذلك على جسر البادين .

وفيها عاد الشيخ شهاب الدين السهر وردي من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاه الجيش ومعه أموال كثيرة أيضاً لنفسه ، وكان قبل ذلك قديراً زاهداً ، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الربط التي يباشرها ، وكل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى منه خلق كثير ، فقال المحيي ابن الجوزي في مجلس وعظه : لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها ، ولو ترك على ما كان كان تركها أولى به من تناولها ، وإنما أراد أن ترتفع

منزلته ببذلها . ويعود على حاله كما كان مباشره لما بذلها ، فليحذر العبد الدنيا فانها خداعة غرارة تسترق
فحول العلماء والعباد ، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم . وفيها قصدت
الفرنج حصص وعبروا على العاصي يجسر عدوة ، فلما عرف بهم العساكر ركبوا في آفارهم فهربوا منهم
فقتلوا خلقا كثيرا منهم وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة والله الحمد .

وفيها قتل صاحب الجزيرة ، وكان من أسوأ الناس سيرة وأخبثهم سريرة ، وهو الملك سنجر
شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الانابكي ، ابن عم نور الدين صاحب الموصل ، وكان
الذي تولى قتله ولده غازي ، توصل إليه حتى دخل عليه وهو في الخلاء سكران ، فضربه بسكين أربع
عشرة ضربة ، ثم ذبحه ، وذلك كله ليأخذ الملك من بعده فخره الله إياه ، فبويع بالملك لأخيه محمود
وأخذ غازي القاتل فقتله من يومه ، فسلبه الله الملك والحياة ، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم
أبيه وغشمه وفسقه .

وفيها توفي من الأعيان . أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار

ابن علي الواسطي المعروف بابن السنداي ، آخر من روى المسند عن أحمد بن الحسين ،
وكان من بيت فقه وقضاء وديانة ، وكان ثقة عدلا متورعا في النقل ، وما أنشده من حفظه :

ولو أن ليلى مطلع الشمس دونها * وكانت من وراء الشمس حين تقيب
لحدثت نفسي بانتظار نوالها * وقال المني لي : إنها لقريب
قاضي القضاة لمصر

صدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الكردي والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وستائة

في المحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، ومعه
هدايا كثيرة ، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال
اليقيم والمجنون ، وأخذ الحنفي يستدل على عدم وجوبها ، فاعترض عليه الشافعي فأجاد كل منهما في
الذي أوردته ، ثم خلع على الحنفي وأصحابه بسبب الرسالة ، وكانت المناظرة بحضور نائب الوزير ابن
شكر . وفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران المصري رئيس الشافعية
بدمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، فتلقاء الجيش مع حاجب الحجاب ، ودخل معه ابن أخي
صاحب إربل مظفر الدين كوكري ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال في الرضا
عنه ، فأجيب إلى ذلك . وفيها ملك العادل الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار مدة فلم يظفر بها
ثم صالح صاحبها ورجع عنها .

وفيهما توفي من الأعيان القاضي الأسعد ابن مماتي

أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مذهب بن مينا بن زكريا الأسعد بن مماتي بن أبي قدامة ابن أبي مليح المصري الكاتب الشاعر ، أسلم في الدولة الصلاحية وتولى نظر الدواوين بمصر مدة قال ابن خلكان : وله فضائل عديدة ، ومصنفات كثيرة ، ونظم سيرة صلاح الدين وكنية ودمنة ، وله ديوان شعر . ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب فمات بها وله ثنتان وستون سنة . فن شعره في ثقبيل زاره بدمشق :

حكى نهرين وما في الأثر * ضر من يحكيهما أبدا

حكى في خلقه ثورا * أراد وفي أخلاقه بردا

أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل

ابن عبد الرحمن بن عبد السلام اللعاني ، أحد الأعيان من الخفنية ببغداد ، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان ، وكان معتزليا في الأصول ، بارعا في الفروع ، اشتغل على أبيه وعمه ، وأتقن الخلاف وعلم المناظرة ، وقارب التسعين .

أبو عبد الله محمد بن الحسن

المعروف بابن الخراساني ، المحدث الناسخ ، كتب كثيرا من الحديث وجمع خطبا له ولغيره . وخطه جيد مشهور . أبو المواهب معتوق بن منيع

ابن مواهب الخطيب البغدادي ، قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب ، وجمع خطبا كان يخطب منها ، وكان شيخا فاضلا له ديوان شعر ، فنه قوله :

ولا ترجو الصداقة من عدو * يمادي نفسه سرّا وجهرا

فلو أجدت مودته انتفاعاً * لكان النفع منه إليه أجرا

ابن خروف

شارح سيبويه ، علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن ابن خروف الأندلسي النحوي شرح سيبويه ، وقدمه إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار ، وشرح جل الزجاجة ، وكان ينتقل في البلاد ولا يسكن إلا في الخانات ، ولم يتزوج ولا تسرى ، ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل ، وقد تغير عقله في آخر عمره ، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس ، توفي عن خمس وثمانين سنة .

أبو علي يحيى بن الربيع

ابن سليمان بن حرار الواسطي البغدادي ، اشتغل بالنظامية على فضلان وأعاد عنه ، وسافر إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته في الخلاف ، ثم عاد إلى بغداد ثم صار مدرسا بالنظامية وناظرا

على أوقافها ، وقد جمع الحديث وكان لديه علوم كثيرة ، ومعرفة حسنة بالذهب ، وله تفسير في أربع مجلدات كان يدرس منه ، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السهماني وقارب الثمانين .
ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد محمد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي ، المعروف بابن الأثير ، وهو أخو الوزير وزير الأفضل ضياء الدين نصر الله ، وأخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ، ولد أبو السعادات هذا في إحدى الأربعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وجمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه وحررها ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، منها جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ولم يذكر ابن ماجه فيه ، وله كتاب النهاية في غريب الحديث وله شرح مسند الشافعي والتفسير في أربع مجلدات ، وغير ذلك في فنون شتى ، وكان معظماً عند ملوك الموصل ، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه ، أرسل إليه مملوكه لؤلؤ أن يستوزره فأبى فركب السلطان إليه فامتنع أيضاً وقال له : قد كبرت سني واشتهرت بنشر العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم ، ولا يليق بي ذلك ، فأعفاه . قال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان ، وكان يأمرني بصنعة الشعر فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي ، فأمرني بذلك ، فقلت له : ضع لي مثلاً أعمل عليه فقال :

حبّ الملا مدمناً إن فاتك الظفر * فقلت أنا : وخدّ خد الثرى والليل معتكراً

فالمرؤ في صهوات الليل مركزه * والمجد ينتجهُ الاسراء والسهر

فقال : أحسنت ، ثم استيقظت فأتممت عليها نحواً من عشرين بيتاً . كانت وفاته في سلخ ذي الحجة عن ثنتين وستين سنة ، وقد ترجمه أخوه في الذيل فقال : كان عالماً في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة ، وتصانيفه مشهورة في التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكان مقلدا يضرب به المثل ذا دين متين ، ولزم طريقة مستقيمة رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الزمان . قال ابن الأثير وفيها توفي .

المجلد المطرزي النحوي الخوارزمي

كان إماماً في النحو له فيه تصانيف حسنة ،

قال أبو شامة . وفيها توفي : الملك المغيث

فتح الدين عمر بن الملك العادل ، ودفن في تربة أخيه المعظم بسفح قايسون . والملك المؤيد .

مسعود بن صلاح الدين

بمدرسة رأس العين فحمل إلى حلب فدفن بها . وفيها توفي .

الفخر الرازي

المتكلم صاحب التيسير والتصانيف ، يعرف بابن خطيب الرى ، واسمه محمد بن عمر بن الحسين ابن على القرشى النيسى البكرى ، أبو المعالى وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازى ، ويقال له ابن خطيب الرى ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتى مصنف ، منها التفسير الجافى والمطالب العالية ، والمباحث الشرقية ، والأربعين ، وله أصول الفقه والحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعى فى مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب إليه أشياء عجبية ، وقد ترجمته فى طبقات الشافعية ، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم ، وبقيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى ، وملك من الذهب المئتين ثمانين ألف دينار ، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكان يحضر فى مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعمامة ، وكانت له عبادات وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرامية فى أوقات وكان يبهضهم ويهضونه ويبالغون فى الخط عليه ، ويبالغ هو أيضاً فى ذمهم . وقد ذكرنا طرماً من ذلك فيما تقدم ، وكان مع غزارة علمه فى فن الكلام يقول : من لزم مذهب المجاز كان هو الفائز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه . وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الذيل فى ترجمته : كان يهبط وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً بالكبائر ، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاء سمات ففرحوا بموته ، وكانوا يرمونه بالمعاصى مع الممالك وغيرهم ، قال : وكانت وفاته فى ذى الحجة ، ولا كلام فى فضله ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً ، وليس ذلك من صفة العلماء ، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه ، وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله : قال محمد البادى ، يعنى العربى يريد به النبى (ص) ، نسبة إلى البادية . وقال محمد الرازى يعنى نفسه ، ومنها أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك ، قال وبلغنى أنه خلف من الذهب المئتين مائتى ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والمقار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش . وقال ابن الأثير فى الكامل : وفيها توفي فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن خطيب الرى الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة والفقه والأصول ، كان إمام الدنيا فى عصره ،

بلغنى أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسة ومن شعره قوله :

إليك إله الخلق وجهى ووجهى * وأنت الذى أَدعوه فى السر والجهر
وأنت غيائى عند كل ملّة * وأنت ملاذى فى حياتى وفى قبرى

ذكره ابن الساعى عن ياقوت الحموى عن ابن لفخر الدين عنه وبه قال :

تتمّة أبواب السعادة للخلق * بذكر جلال الواحد الأحد الحق
مدبر كل الممكنات بأسرها * ومبدعها بالعدل والقصد والصدق
أجل جلال الله عن شبه خلقه * وأنصر هذا الدين فى الغرب والشرق
إله عظيم الفضل والعدل والعلى * هو المرشد المغوى هو المسعد المشقى

وما كان ينشده :

وأرواحنا فى وحشة من جسوننا * وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم يقول : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى
عليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ فى الاثبات [الرحمن على العرش استوى] [إليه
يصعد الكلم الطيب] وفى النفى [ليس كنهه شيء] [هل تلم له سميا] .

ثم دخلت سنة سبع وستائة

ذكر الشيخ أبو شامة أن فى هذه السنة تملأت ملوك الجزيرة : صاحب الموصل وصاحب سنجار
وصاحب إربل والظاهر صاحب حلب وملك الروم ، على مخالفة العادل ومنابدته ومقاتلته واصطلام
الملك من يده ، وأن تكون الخطبة للملك كنجر بن قلاج أرسلان صاحب الروم ، وأرسلوا إلى
الكرج ليقدموا لحصار خلاط ، وفيها الملك الأوحى بن العادل ، ووعدهم النصر والمعاونة عليه .
قلت : وهذا بنى وعدوان ينهى الله عنه ، فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى فحاصروا خلاط فضاقت بهم
الأوحى ذرعا وقال : هذا يوم عصيب ، فقدّر الله تعالى أن فى يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر
اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده وهو سكران فسقط به جواده فى
بعض الحفر التى قد أعدت مكيدة حول البلد ، فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيرا حقيرا ، فأسقط فى
أيدى الكرج ، فلما أوقف بين يدي الأوحى أطلقه ومنّ عليه وأحسن إليه ، وفاداه على مائتى ألف
دينار وأتى أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحى ، وأن يزوج
ابنته من أخيه الأشرف موسى ، وأن يكون عوناً له على من يحاربه ، فأجابه إلى ذلك كله فأخذت منه
الايمان بذلك وبعث الأوحى إلى أبيه يستأذنه فى ذلك كله وأبوه نازل بظاهر حراب فى أشد حدة

مما قد دأبه من هذا الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الخبر والأمر الهائل من الله العزيز الحكيم ، لا من حولهم ولا من قوتهم ، ولا كان في بالهم ، فكاد يذهل من شدة الفرح والسرور ، ثم أجاز جميع ما شرطه ولده ، وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك فخصموا وذلوا عند ذلك ، وأرسل كل منهم يمتدح مما نسب إليه ويحيل على غيره ، فقبل منهم اعتذاراتهم وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عصراً جديداً ، وفي ملك الكرج الأوحدي جميع ما شرطه عليه ، وتزوج الأشرف ابنته . ومن غريب ما ذكره أبو شامة في هذه الكاتبة أن قيس الملك كان ينظر في النجوم فقال للملك قبل ذلك بيوم : أعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط ولكن بزى غير ذلك أذان العصر ، فوافق دخوله إليها أسيراً أذان العصر .

ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين

أرسل الملك نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل بخط ابنة السلطان الملك العادل ، وأرسل وكيله لقبول العقد على ثلاثين ألف دينار ، فاتفق موت نور الدين ووكيله سائر في أثناء الطريق ، فمقد العقد بعد وفاته ، وقد أتى عليه ابن الأثير في كامله كثيراً وشكر منه ومن عدله وشهامته وهو أعلم به من غيره ، وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وإحدى عشر شهراً ، وأما أبو المظفر السبط فانه قال كان جباراً ظالماً بخيلاً سفاكاً للدماء فافقه أعلم به . وقام بالملك ولده القاهر عز الدين مسعود ، وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد .

قال أبو شامة : وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى ، وبقي له أربع جدر مشرفة ، وجعل له أبواباً صوناً لمكانه من المنيار ونزول القوافل ، وجعل في قبلته محراباً من حجارة ومنبراً من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة . ثم في سنة ثلاث عشرة عمل في قبلته رواقان وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب وإمام راتبان ، ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه ، وذلك كله على يد الوزير الصفي ابن شكر . قال وفي ثاني شوال منها جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر ، وركبت في أمانتها . وفي شوال أيضاً شرع في إصلاح الفؤارة والشاذروان والبركة وعمل عندها مسجد ، وجعل له إمام راتب ، وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضير المستدر فيجتمع عليه الناس الكثيرون . وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا إلى البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرص المسمى إلبان فدخل الثغر ليلاً فأغار على بعض البلاد فقتل وسبي وكر راجعاً فركب مراكبه ولم يدره الطلب ، وقد تقدمت له مثلها قبل هذه ، وهذا شيء لم يتفق لغيره لعنه الله .

وفيها عانت الفرنج بنواحي القدس فبرز إليهم الملك المعظم ، وجلس الشيخ فحمس الدين أبو

المظفر ابن قر على الحنفي وهو سبط ابن الجوزي ابن ابنته رابعة ، وهو صاحب مرآة الزمان ، وكان فاضلا في علوم كثيرة ، حسن الشكل طيب الصوت ، وكان يتكلم في الوعظ جيدا ونجبه العامة على صيت جده ، وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها ، وولى التدريس بها ، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا ، فكان يكثر الجمع عنده حتى يكونوا من باب الناطفانيين إلى باب المشهد إلى باب الساعات ، الجلوس غير الوقوف ، فحضر جمعه في بعض الأيام ثلاثين ألفا من الرجال والنساء ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجامع ويدعون البسائين ، يبيتون في قراءة ختمات وأذكار ليحصل لهم أما كن من شدة الزحام ، فاذا فرغ من وعظه خرجوا إلى أما كنهم وليس لهم كلام إلا بما قال يومهم ذلك أجمع ، يقولون قال الشيخ ومحمنا من الشيخ فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوي ، وكان يحضر عنده الأكابر ، حتى الشيخ تاج الدين أبو الين الكندي ، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو وإلى البلد المعتمد وإلى البر ابن تميرك وغيرهم . والمقصود أنه لما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول كما ذكرنا حدث الناس على الجهاد وأمر باحضار ما كان تحصل عنده من شعور الثائبين ، وقد عمل منه شكالات تحمل الرجال ، فلما رآها الناس ضجوا ضجة واحدة وبكوا بكاء كثيرا وقطعوا من شعورهم نحوها ، فلما انقضى المجلس ونزل عن المنبر فتلقاءه وإلى مبادر الدين المعتمد بن إبراهيم ، وكان من خيار الناس ، فثنى بين يديه إلى باب الناطفانيين يمضيه حتى ركب فرسه والناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فخرج من باب الفرج وبات بالمصل ثم ركب من الفد في الناس إلى الكسوة ومعه خلائق كثيرون خرجوا بنية الجهاد إلى بلاد القدس ، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من جهة زمسكا بالمدد الكثيرة التامة ، قال : فجئنا عقبة أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج ، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم ، قال ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك ، فلما رأى الشكالات من شعور الثائبين جعل يقبلها ويمرغها على عينيه ووجهه ويكي ، وعمل أبو المظفر ميعادا بنابلس وحث على الجهاد وكان يوما مشهودا ، ثم سار هو ومن معه وصحبته المعظم نحو الفرنج فقتلوا خلقا وخرّبوا أما كن كثيرة ، وغنموا وعادوا سالمين ، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبنى قلعة فيه ليكون إلبا على الفرنج ، ففرم أموالا كثيرة في ذلك ، فبعث الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهادنهم وبطلت تلك العمارة وضاع ما كان المعظم غرم عليها والله أعلم .

الشيخ أبو عمر

وفيهما توفي من الأعيان

باني المدرسة بسفح قايسون للفقراء المشتغلين في القرآن رحمه الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة

الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ، باني المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز ، وهو أخو الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، وكان أبو عمر أسن منه ، لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة بقرية الساويا ، وقيل بجماعيل ، والشيخ أبو عمر ربي الشيخ موفق الدين وأحسن إليه وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ، فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح خارج باب شرقي ثم انتقلوا منه إلى السفح ، وليس به من العماره شيء سوى دير الحوراني ، قال فقل لنا الصالحين نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون ، وصميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا ، فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ مختصر الخرق في الفقه ، ثم إن أخاه موفق شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده ، وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعيم والابانة لابن بطه ، وكتب مصاحف كثيرة بيده للناس ولأهله بلا أجره ، وكان كثير العبادة والزهادة والتهجد ، ويصوم الدهر وكان لا يزال متبسما ، وكان يقرأ كل يوم سبعا بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثمان ركعات يقرأ فيهن ألف مرة قل هو الله أحد ، وكان يزور مغارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ، ويجمع في طريقه الشيخ فيعطيه الأرامل والمساكين ، ومهما تهيأ له من فتوح وغيره يؤثر به أهله والمساكين ، وكان متقللا في اللبس وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قيصا ، وكان يقطع من عمامته قطعا يتصدق بها أو في تكميل كفن ميت ، وكان هو وأخوه وابن خاله الحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج ، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها ، وجاء الملك العادل يوماً إلى ختمهم أي خصهم لزيارة أبي عمر وهو قائم يصلي ، فما قطع صلاته ولا أوجز فيها ، فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفت إليه حتى قضى صلاته رحمه الله والشيخ أبو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولاً بمال رجل فامي ، فنقد ما عنده وقد ارتفع البناء قائمة فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكري مالا فكل به ، وولى خطابته الشيخ أبو عمر ، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف من الله عز وجل ، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان ، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراقب والرابطة للجلوس ، كما كان المنبر النبوي ، وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوماً عنده الجمعة وكان الشيخ عبد الله البوتاني حاضراً الجمعة أيضاً عنده ، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال : اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، فلما قال ذلك نهض الشيخ عبد الله البوتاني وأخذ نعليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة ، فلما فرغنا ذهبنا إلى البوتاني فقلنا له : ماذا قمنا عليه في قوله ؟ فقال يقول لهذا الظالم العادل ؟ لاصليت معه ، قال فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال الصلاة ، ثم قال قال النبي «س» .

« بعثت في زمن الملك العادل كسرى » فتبسم الشيخ عبدالله البوتاني ومد يده فأكل فلما فرغوا قام الشيخ أبو عمر فذهب فلما ذهب قال لي البوتاني يا سيدنا ماذا إلا رجل صالح .

قال أبو شامة كان البوتاني من الصالحين الكبار ، وقد رأيته وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين فلم يسامح الشيخ أبا عمر في تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافرا والمسافر لا جمعة عليه ، وعذر الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه ، كما يقال سالم وغانم ومسعود ومحمود ، وقد يكون ذلك على الضد والعكس في هذه الأسماء ، فلا يكون سالما ولا غانما ولا مسعودا ولا محمودا ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم ، والتجار وغيرهم ، كما يقال شمس الدين و بدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوساً على الضد والانقلاب ومثله الشافعي والحنبلي وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك ، وكذلك العادل يدخل إطلاقه على المشترك والله أعلم . قلت : هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، وعجبا له ولأبي المظفر فم لا أبي شامة في قبول مثل هذا وأخذ منه مسلما إليه فيه والله أعلم .

ثم شرع أبو المظفر في ذكر فضائل أبي عمر ومثاقبه وكراماته وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة . قال : وكان على مذهب السلف الصالح سمحا وهديا ، وكان حسن العقيدة متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية يمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وكان ينهى عن صحبة المتبذعين ويأمر بصحبة الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وربما أنشدني لنفسه في ذلك :

أوصيكم بالقول في القرآن • بقول أهل الحق والاتقان
ليس بمخلوق ولا بفان • لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني • منلوة لله باللسان
محفوظة في الصدر والجنان • مكنوبة في الصحف بالبنان
والقول في الصفات بإخواني • كالذات والعلم مع البيان
إمرارها من غير ما كفران • من غير تشبيه ولا عطلان

قال وأنشدني لنفسه :

ألم يك ملهاة عن الله أنى • بدالى شيب الرأس والضعف والألم
ألم بى الخطب الذى لو بكيته • حياتى حتى يذهب اللمع لم ألم
قال ومرض أياماً فلم يترك شيئاً مما كان يعمل من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة

الثلاثة التاسع والمشرين من ربيع الأول ففصل في الدبر وحمل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديداً فأظلت الناس سحابة من الحر ، كان يسمع منها كدوى النحل ، وكان الناس يفتهبون أكفانه وبيعت ثيابه بالغالى الغالى ، ورفاه الشعراء بمراى حسنة ، ورؤيت له منامات ضالحة رحمه الله . وترك من الأولاد ثلاثة ذكور : عمر ، وبه كان يكنى ، والشرف عبد الله وهو الذى ولى الخطابة بعد أبيه ، وهو والد المرز أحمد . وعبد الرحمن . ولما توفى الشرف عبد الله صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه الذكور ، فهو أولاده الذكور ، وترك من الأنثى بنات كما قال الله تعالى [مسلمات مؤمنات قانتات نائبات عابدات سائحات نيبات وأبكارا] قال وقبره في طريق مفارة الجوع في الزقاق المقابل لدبر الحورائى رحمه الله وإيانا .

ابن طبرزد شيخ الحديث

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادى الدراقرمى ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، سمع الكثير وأسمع ، وكان خليفاً ظريفاً ماجناً ، وكان يؤدب الصبيان بدارالقرن قدم مع حنبل بن عبد الله المكبر إلى دمشق فسمع أهلها عليهما ، وحصل لهما أموال وعادا إلى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث وتأخر هو إلى هذه السنة [فى تاسع شهر رجب] فمات وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالا جيداً ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب .

السلطان الملك العادل أرسلاف شاه

نور الدين صاحب الموصل ، وهو ابن أخى نور الدين الشهيد ، وقد ذكرنا بعض سيرته فى الحوادث ، كان شافعى المذهب ، ولم يكن بينهم شافعى سواه ، وبني للشافعية مدرسة كبيرة بالموصل وبها تربته ، توفى فى صفر ليلة الأحد من هذه السنة .

ابن سكيئة عبد الوهاب بن علي

ضياء الدين المعروف بابن سكيئة الصوفى ، كان يعد من الأبدال ، سمع الحديث الكثير وأسمعه ببلاد شتى ، ولد فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان صاحباً لأبى الفرج ابن الجوزى ملازماً لجلسه وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً لكثرة الخلق وكثرة ما كان فيه من الخاصة والعامة رحمه الله .

مظفر بن ساسير

الواعظ الصوفى البغدادى ، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وكان يعظ فى الأعزى والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً قام إليه إنسان فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريض جائع ، فقال : أحمد ربك فقد عوفيت . واجتاز مرة على قصاب يبيع لحماً ضعيفاً وهو يقول أين من

حلف لا يفن ، فقال له حتى تمحنه . قال : وعملت مرة مجلساً يبعثون فاجل هذا يقول عندي للشيخ نصفية وهذا يقول عندي للشيخ نصفية وهذا يقول مثله حتى عدوا نحواً من خمسين نصفية ، قلت في نفسي : استغثت اليلة فأرجع إلى البلد تاجراً ، فلما أصبحت إذا صبرة من شمير في المسجد فقيل لي هذه النصافي التي ذكر الجماعة ، وإذا هي بكيلة يسمونها نصفية مثل الزبدية ، وعملت مرة مجلساً بباصراً فجمعوا لي شيئاً لا أدري ما هو ، فلما أصبحنا إذا شيء من صوف الجواميس وقرونها ، فقام رجل ينادي عليكم عندكم في قرون الشيخ وصوفه ، قلت لا حاجة لي بهذا وأنتم في حل منه .

ذكره أبو شامة ثم دخلت سنة ثمان وستائة

استهلت والمادل مقيم على الطور لعمارة حصنه ، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن عبد المؤمن قد كسر الفرنج بطليطلة كسرة عظيمة ، وربما فتح البلاد عنوة وقتل منهم خلقاً كثيراً . وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة ، هدمت منها دوراً كثيرة ، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعها أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورؤى دخان نازل من السماء فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عائكة غربى دمشق . وفيها أظهرت الباطنية الاسلام وأقامت الحدود على من تعاطى الحرام ، وبنوا الجوامع والمساجد ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بمضات وأمانها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك ، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج فأكرموا وعظموا بسبب ذلك ، ولكن لما كانوا بعرفات ظفروا واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسيني فقتله ظاناً أنه قتادة فنارت فتنة بين سودان مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير وفيها اشترى الملك الأشرف جوسق الرئيس من النيرب من ابن عم الظاهر حضر بن صلاح الدين وبنه بناء حسناً ، وهو المسمى بزماننا بالدهشة .

وفيها توفي من الأعيان . الشيخ عماد الدين

محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصل صاحب التصانيف والفنون الكثيرة ، كان رئيس الشافعية بالموصل ، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان ، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة ، وكان يعامل في الأموال بمسألة العينة كما قيل تصفون البعوض من شرابكم وتسرو بطون الجبال بأحمالها ، ولو عكس الأمر لكان خيراً له ، فلقبه يوماً قضيبي البان الموكه فقال له : يا شيخ بلغني أنك تفسل المصو من أعضائك باريق من الماء فلم لاتفسل اللقمة التي تأكلها لتستظلف قلبك وباطنك ؟ ففهم الشيخ ما أراد فترك ذلك . توفي بالموصل في رجب عن ثلاث وسبعين سنة .

ابن حمدون تاج الدين

أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، كان فاضلاً بارعاً ، اعتنى بجمع

الكتب المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان العضى ، توفى بالمدائن وحمل إلى مقابر قریش فدفن بها .
صاحب الروم خسرو شاه

ابن قلع أرسلان ، مات فيها وقام بالملك بعده ولده كيكارس ، فلما توفى في سنة خمس عشرة ملك أخوه كيقياذ صارم الدين برغش العادلى نائب القلعة بدمشق ، مات في صفر ودفن بتر بته غربى الجامع المظفرى ، وهذا الرجل هو الذى نفي المحافظ عبد الفتى المقدسى إلى مصر وبين يديه كان عقد المجلس ، وكان في جملة من قام عليه ابن الزكى والخطيب الدولى ، وقد توفوا أربعتهم وغيرهم ممن قام عليه واجتمعوا عند ربه بالحكم العدل سبحانه .

الأمير فخر الدين سر كس

ويقال له جهار كس أحد أمراء الدولة الصلاحية وإليه تنسب قباب سر كس بالسفح تجاه تربة خاتون وبها قبره . قال ابن خلكان : هذا هو الذى بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه وبنى في أعلاها مسجدا معلقا وربما ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في البلدان في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجها ركس بمعنى أربعة أنفس . قلت : وقد كان نائباً للعادل على بانياس وتينين وهو بين ، فلما توفى ترك ولدا صغيراً فأقره العادل على ما كان يليه أبوه وجعل له مدبراً وهو الأمير صارم الدين قطلبا التنبيسى ، ثم استقل بها بعد موت الصبى إلى سنة خمس عشرة

الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح

منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوى النيسابورى ، سمع أباه وجد أبيه وغيرهما ، وعنه ابن الصلاح وغيره ، توفى بنيسابور في شعبان في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة

قاسم الدين التركاني

المقبى والد والى البلد ، كانت وفاته في شوال منها والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وستائة

فيها اجتمع العادل وأولاده الكامل والمعظم والفائز بدمياط من بلاد مصر في مقاتلة الفرنج فاغتنم غيبتهم سامة الجبلى أحد أكبر الأمراء ، وكانت بيده قلعة عجلون وكوكب فسار مسرعاً إلى دمشق ليستلم البلدين ، فأرسل العادل في إثره ولده المعظم فسبقه إلى القدس وحمل عليه فرسم عليه في كنيسة صهيون ، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس ، فشرع يردّه إلى الطاعة بالملاطفة فلم ينفع فيه فاستولى على حواصله وأملاكه وأرسله إلى قلعة الكرك فاعتقله بها ، وكان قبيحة ما أخذه منه قريباً من ألف ألف دينار ، من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة ، وداره هى التى جعلها البادرائى مدرسة للشافعية ، وخرب حصن كوكب ونقل حواصله إلى حصن الطور الذى استجده

العادل وولده المعظم . وفيها عزل الوزير ابن شكر واحتيط على أهواله ونفى إلى الشرق ، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفى الحافظ عبد الغنى منها بعد نفيه من الشام ، فكتب أن ينفي إلى المغرب ، فتوفى الحافظ عبد الغنى رحمه الله قبل أن يصل الكتاب ، وكتب الله عز وجل بنفى الوزير إلى الشرق محل الزلازل والفتن والشر ، ونفاه عن الأرض المقدسة جزاء وفاقا . ولما استولى صاحب قبرص على مدينة أنطاكية حصل بسببه شر عظيم وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين ، لا سيما على التراكين الذين حول أنطاكية ، قتل منهم خلقا كثيرا وغنم من أغنامهم شيئا كثيرا ، فقدر الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه وطافوا برأسه في تلك البلاد ، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك العادل إلى مصر فطيف به هنالك ، وهو الذي أغار على بلاد مصر من نفر دمياط مرتين فقتل وسبي وعجز عنه الملوك .

وفي ربيع الأول منها توفى الملك الأوحده .

نجم الدين أيوب

ابن العادل صاحب خلاط ، يقال إنه كان قد سفك الدماء وأساء السيرة فقصف الله عمره ، ووليها بعده أخوه الملك الأشرف موسى ، وكان محمود السيرة جيد السريرة فأحسن إلى أهلها فأحبوه كثيرا . وفيها توفى من الأعيان .

فقيه الحرم الشريف بمكة

محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف البني ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصي المقرئ الحديث ، كتب كثيرا وسمع الكثير ودفن بمقابر الصوفية .

أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي

من أهل مرو ، له كتاب المحصل في شرح الفصل للزخشري في النحو . كان ثقة عالما مع الحديث توفى فيها عن ثنتين وتسعين سنة .

الشيخ الصالح الزاهد العابد

أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعال الحنبلي ، كان له عبادات ومجاهدات وسياحات ، وبنى رباطاً بباب الأرح يأوى إليه أهل العلم من المقدسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالعرف وينهى عن المنكر . توفى وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة عشر وستائة

فيها أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطرق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم ، ولئلا يضيّقوا على المارين إلى الصلاة . وفيها ولد الملك

العزیز للظاهر غازي صاحب حلب ، وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين داخل دمشق ، إحداهما داخل باب الفراديس ، والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة ، التي قيل إنه لا يوجد مثلاً إلا قليلاً ، وهو الذي أسره التتار الذين مع هلاك كوك ملك التتار . وفيها قدم بالفيل من مصر فحمل هدية إلى صاحب الكرج فتمعجب الناس منه جداً ، ومن بديع خلقه . وفيها قدم الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين من حلب قاصداً الحج ، فتلقياه الناس وأكرمه ابن عمه المعظم ، فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر وصدوه عن دخول مكة ، وقالوا إنما جئت لأخذ الهين ، فقال لهم قيدوني وذروني أقضي المناسك ، فقالوا : ليس معنا مرسوم وإنما أمرنا بردك وصدك ، فهم طائفة من الناس بقتالهم تخاف من وقوع فتنة فتحال من حجه ورجع إلى الشام ، وتأسف الناس على ما فعل به وتباكوا لما ودعهم ، تقبل الله منه . وفيها وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين أبو الهيثم الكندي يخبر به أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر في ثلاثة نفر من أصحابه ، ودخل بلاد التتر ليكشف أخبارهم بنفسه ، فأنكرهم فقبضوا عليهم فضربوا منهم اثنين حتى ماتا ولم يقرأ بما جاؤا فيه واستوثقوا من الملك وصاحبه الآخر أسرا ، فلما كان في بعض الأيالي هربا ورجع السلطان إلى ملكه وهذه المرة غير نوبة أسره في المعركة مع مسعود الأمير

وفيها ظهرت بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلاً ، ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلبي .

وفيها توفي من الأعيان . شيخ الحنفية

مدرس مشهد أبي حنيفة ببغداد ، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي الرساني ، وكان إليه المظالم ، ودفن بالمشهد المذكور .

والشيخ أبو الفضل بن إسماعيل

ابن علي بن الحسين نحر الدين الحنبلي ، يعرف بابن الماشطة ، ويقال له الفخر غلام ابن المني ، له تعلية في الخلاف وله حلقة بجامع الخليفة ، وكان يلى النظر في قرأيا الخليفة ، ثم عزله فلزم بيته فقيرا لا شيء له إلى أن مات رحمه الله ، وكان ولده محمد مدبرا شيطانا مريدا كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل ، فقطع لسانه وحبس إلى أن مات .

والوزير معز الدين أبو المعالي

سميد بن علي بن أحمد بن حديدة ، من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري ، ولي الوزارة لناصر في سنة أربع وثمانين ، ثم عزله عن سفارة ابن مهدي فهرب إلى مراغة ، ثم عاد

بعد موت ابن مهدي فأقام ببغداد معظماً محترماً ، وكان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله وسنجر بن عبدالله الناصري

الخليفي ، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسعة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقط النفس ، اتفق أنه خرج أمير الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير ، ومع سنجر خمسمائة فارس ، فدخله الذل من الأعرابي ، فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار فجباها سنجر من الحجيج ودفعا إليه ، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار ودفعا إلى أصحابها وعزله وولى طاشتكين مكانه .

قاضي السلامة

ظهر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، الفقيه الشافعي الأديب ، ذكره العماد في الجريدة وابن خلكان في الوفيات ، وأثنى عليه وأشهد من شعره ، في شيخ له زاوية ، وفي أصحابه يقال له مكي :

ألا قل لمكي قول النصوص * وحق النصيحة أن تستمع
معي مع الناس في دينهم * بأن الفنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير * وبرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاولي الحشا جائلاً * لما دار من طرب واستمع
وقالوا : سكرنا بحب الإله * وما أسكر القوم إلا القمص
كذلك الحمر إذا أخصبت * يهيجها ريها والتبع
ترام يهزوا لحام إذا * ترتم حادهم باليدع
فيصرخ هذا وهذا يثن * ويبس لوتلبن ما انصدع

وتاج الأمان

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبر من إخوته زين الغفر والأمان ، مع عيه الحافظ أبي القاسم والصائغ ، وكان صديقاً للكندي توفي يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبل محراب مسجد القدم .

والنسابة الكلبي

كان يقال له تاج العلى الحسيني ، اجتمع بآمد بآبن دحية ، وكان ينسب إلى دحية الكلبي ، ودحية الكلبي لم يعقب ، فرماه ابن دحية بالكنب في مسائله الموصلية . قال ابن الأثير : وفي الحرم منها توفي

المهذب الطبيب المشهور

وهو علي بن أحمد بن مقبل الموصلي ، سمع الحديث وكان أعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق .

الجزولي صاحب المقدمة المعممة بالقانون

وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي - بطن من البربر - ثم البردكيني النحوي المصري ، مصنف المقدمة المشهورة البديعة ، شرحها هو وتلامذته ، وكلهم يمتدحون بتهذيبهم عن فهم مراده في أما كن كثيرة منها ، قدم مصر وأخذ عن ابن بري ، ثم عاد إلى بلاده وولى خطابة مرا كش ، توفي في هذه السنة وقيل قبلها فآله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أخصاء أمراءه عنده ، وكان قبل ذلك سيروانياً فصار أميراً خاصاً ، فبعثه في جيش ففتح له كرمان ومكران و إلى حدود بلاد السند ، وخطب له بتلك البلاد ، وكان خوارزم شاه لا يصيف إلا بنواحي سمرقند خوفاً من التتار وكشلي خان أن يثبوا على أطراف تلك البلاد التي تناخهم . قال أبو شامة : وفيها شرع في تبليط داخل الجامع الأموي وبدأوا من ناحية السبع الكبير ، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً ، فاستراح الناس في تبليطه . وفيها وسع الخندق مما يلي القبازية فأخربت دور كثيرة وحمام قايمازوفرن كان هناك وقفنا على دار الحديث النورية . وفيها بنى المعظم الفندق المنسوب إليه بناحية قبر عائكة ظاهر باب الجابية . وفيها أخذ المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا وعرضه عنها وسلها إلى مملوكه عز الدين أيبك المعظمي ، فنبتت في يده إلى أن انتزعها منه نجم الدين أيوب سنة أربع وأربعين . وفيها حج الملك المعظم ابن العادل ركب من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوك أبيه وعز الدين أستاذ داره وخلق ، فسار على طريق تبوك والعلا . وبنى البركة المنسوبة إليه ، ومصانع أخرى . فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم وسلم إليه مفاتيحها وخدمه خدمة تامة ، وأما صاحب مكة فتنادة فلم يرفع به رأساً ، ولهذا لما قضى نسكه ، وكان قارناً ، وأنفق في المجاورين ما حمله إليهم من الصدقات وكرراً راجعاً استنصحب معه سالماً صاحب المدينة وتشكى إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة ، فأرسل العادل ، مع سالم جيشاً يطردون صاحب مكة ، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري ، وقد أضر المعظم في حجته هذه آثاراً حسنة بطريق الحجاز أثابه الله ،

وفيها تعامل أهل دمشق في القراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك ودفنت . وفيها مات

صاحب اليمن وتولاها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه ، فأرسل العادل إلى ولده الكامل أن يرسل إليها ولده أضييس ، فأرسله فتملكها فظلم بها وفنك وغشم ، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمائة ، وأما من عدام فكثير ، وكان من أجر الملوك وأكثرهم فسقا وأقلمهم حياء ودينا ، وقد ذكروا عنه ما تقشع منه الأبدان وتنكره القلوب ، نسأل الله العافية وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن علي

ابن محمد بن بكر وس الفقيه الحنبلي ، أفتى وناظر وعادل عند الحكام ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب النوى يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ، ثم بعد ذلك ضرب إلى أن مات وألقي في دجلة وفرح الناس بموته ، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً .

الركن عبد السلام بن عبد الوهاب

ابن الشيخ عبد القادر ، كان أبوه صالحاً وكان هو متبهاً بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك ، وقد ولي عدة ولايات ، وفيه وفي أمثاله يقال : نعم الجدود ولكن بئس ما نسلوا . رأى عليه أبوه يوماً ثوباً بخارياً فقال : سمعنا بالبخاري ومسلم ، وأما بخاري وكافر فهذا شيء عجيب ، وقد كان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان الآخر مدبراً فاسقاً ، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان قبهما الله .

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك

البنار المعروف بابن الأخضر البغدادي المحدث المكثر الحافظ المصنف الحرر ، له كتب مفيدة متقنة ، وكان من الصالحين ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله .

الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب

أبي المكارم المفضل [بن أبي الحسن علي بن أبي الفيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن] الأخي المقدسي ، ثم الاسكندراني المالكي ، مع السلفي وعبد الرحيم المنري وكان مدرسا للمالكية بالأسكندرية ، وفائب الحكم بها . ومن شعره قوله :

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خيرِ مرسلٍ * وأصحابهِ والتابعينَ تمسكي

عساكي إذا بالفتِ في نشرِ دينهِ * بما طالبُ من عرفٍ له أن تمسكي

وخافى غداً يومَ الحسابِ جهنماً * إذا لفتحت نيرانها أن تمسكي

توفي بالقاهرة في هذه السنة قاله ابن خلكان .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستمائة

فيها شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق ، وفيها عزل القاضي ابن الزكي وفرض الحكم

إلى القاضي جمال الدين بن الحرساني ، وهو ابن ثمانين أو تسعين سنة ، حكم بالعدل وقضى بالحق ، ويقال إنه كان يحكم بالمدرسة المجاهدية قريبا من النورية عند باب القواسين . وفيها أبطل العادل ضمان الخمر والقيان جزاء الله خيرا ، فزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر كثير . وفيها حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة ومن بها وقطع نخلا كثيرا ، قاتله أهلها فكر خائبا خاسرا حسيرا ، وكان صاحب المدينة بالشام فطلب من العادل نجدة على أمير مكة ، فأرسل معه جيشا فأسرع في الأوبة فأت في أثناء الطريق ، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جواز فقصده مكة فالتقاء أميرها بالصفراء فاقتنوا قتالا شديدا ، فهرب المكيون وغنم منهم جواز شيئا كثيرا ، وهرب قتادة إلى الينبع فساروا إليه فحاصروه بها وضيقوا عليه . وفيها أغارت الفرنج على بلاد الاسماعيلية قتلوا ونهبوا . وفيها أخذ ملك الروم كيكارس مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم منه إبراهيم طرابلس . وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة بغير قتال .

وفيها كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزنا عظيما ، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس ، حتى قيل إنه لم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه ، وكان يوم جنازته يوما مشهودا وناح أهل البلد عليه ليلا ونهارا ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف ، توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلى عليه بعد صلاة العصر ، وفي هذا اليوم قدم بغداد برأس منكلى الذي كان قد عصى على الخليفة وعلى أستاذه ، فطيف به ولم يتم فرحه ذلك اليوم لموت ولده وولى عهده ، والدنيا لا تسر بقدر ماتصير ، وترك ولدين أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسين ، والموفق أبو الفضل يحيى .

وفيها توفي من الأعيان الحافظ عبد القادر الرهاوي

ابن عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ المحدث المخرج المفيد المحرر المتقن البارع المصنف ، كان مولى لبعض المواصلة ، وقيل لبعض الجوابين ، اشتغل بدار الحديث بالموصل ، ثم انتقل إلى حران ، وقد رحل إلى بلدان شتى ، وسمع الكثير من المشايخ ، وأقام بمران إلى أن توفي بها ، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، كان دينيا صالحا رحمه الله .

الوجيه الأعمى

أبو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوى الواسطى الملقب بالوجيه ، ولد بواسط وقدم ببغداد فاشتغل بعلم العربية ، فأتقن ذلك وحفظ شيئا كثيرا من أشعار العرب ، وسمع الحديث وكان حنبليا ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعيا ، وولى تدريس النحو بالنظامية ، وفيه يقول الشاعر :

فمن مبلغ عني الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدي إليه الرسائل

تمذهبت للنعمان بمذاين حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما أخذت برأي الشافعي ديانة * ولكننا تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل

وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والأمثال والملح ، ويعرف العربية والتركية والعجمية
والرومية والحبشية والزنجية ، وكانت له يد طويلة في نظم الشعر . فن ذلك قوله :

ولو وقفت في لجة البحر قطرة * من المزن يوما ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها * عبيدآله في الشرق والغرب مازها

وله في التجنيس :

أطلت ملاهى في اجتنابى لمشر * طعام لثام جودهم غير مرتجى
حوا ما لهم والدين والعرض منهم * مباح ، فما يخشون من عاب أو حجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهمجا * لهم شرعوا في البخل سبعمين منهمجا

وله مدائح حسنة وأشعار رائعة ومعاني فائقة ، وربما عارض شعر البحترى بما يقاربه ويدانيه ،
قالوا وكان الوجيه لا يفض قط ، قتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا ، فجاء إليه
فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ ، فأعاد عليه
الجواب بعبارة أخرى ، فقال : كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو ، فقال الوجيه : أيها الرجل فلعلك
لم تفهم ما أقول لك ، فقال بلى ولكنك تخطئ في الجواب ، فقال له فقل أنت ما عندك لنستفيد منك ،
فأغلظ له السائل في القول فتبسّم ضاحكا وقال له : إن كنت راهنت فقد غلبت ، وإنما مثلك
مثل البعوضة - يعنى الناموسة - سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له استمسك
فأني أحب أن أطير ، فقال لها الفيل : بما أحسست بك حين سقطت ، فما أحتاج أن أستمسك إذا
طرت ، كانت وفاته رحمه الله في شعبان منها ودفن بالوردية .

أبو محمد عبد العزيز بن أبي المعالي

ابن غنيمة المعروف بابن منينا ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة وسمع الكثير وأسمعه ، توفى في
ذى الحجة منها عن سبع وتسعين سنة .

الشيخ الفقه كمال الدين مودود

ابن الشاغوري الشافعي كان يقرى بالجامع الأموى الفقه وشرح التنبيه للطلبة ، ويتأني عليهم
حتى يفهموا احتسابا تجاه المقصورة . ودفن بمقابر باب الصغير شمالي قبور الشهداء وعلى قبره شعر ذكره
أبو شامة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة

قال أبو شامة : فيها أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة النسيم ، طول كل واحد اثنان وثلاثون ذراعاً بالنجار . وفيها شرع في تجديد خندق باب السر المقابل لدار الطعم العتيقة إلى جانب باناس . قلت : هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان ، وقد نقل السلطان بنفسه التراب وماليكه تحمل بين يديه على قربوس السروج القفاف من التراب فيفرغونها في الميدان الأخضر ، وكذلك أخوه الصالح وماليكه يعمل هذا يوماً وهذا يوماً . وفيها وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل العقبة فاقتنلوا بالرحبة والصارف ، فركب الجيش إليهم ملبسين وجاء المعظم بنفسه فسك رؤسهم وحبسهم . وفيها رتب بالمصلى خطيب مستقل ، وأول من بشره الصدر معبد الفلكية ، ثم خطب به بعد بهاء الدين بن أبي اليسر ، ثم بنو حسان وإلى الآن .

وفيها توفي من الأعيان . الملك الظاهر أبو منصور

غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان من خيار الملوك وأسد م سيرة ، ولكن كان فيه عسف ويقاب على الذنب اليسير كثيراً ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء ، أقام في الملك ثلاثين سنة وحضر كثيراً من الغزوات مع أبيه ، وكان ذكياً له رأي جيد وعبرة سديدة وفطنة حسنة ، بلغ أربعاً وأربعين سنة ، وجعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد ، وكان حينئذ ابن ثلاث سنين ، وكان له أولاد كبار ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه كان من بنت عمه العادل وأخواله الأشرف والمعظم والكامل ، وجده وأخواله لا ينازعونه ، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه ، وهكذا وقع سواء ، بايع له جده العادل وأخواله ، وهم المعظم بنقض ذلك وبأخذ الملك منه فلم يتفق له ذلك ، وقام بتدبير ملكه الطواشي شهاب الدين طغرى بك الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً .

وفيها توفي من الأعيان زيد بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة الشيخ الامام وحيد عصره تاج الدين أبو اليمن الكندي ، ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصل ، ثم قدم دمشق فأقام بها وفاق أهل زمانه شرقاً وغرباً في اللغة والنحو وغير ذلك من فنون العلم ، وعلو الاسناد وحسن الطريقة والسيرة وحسن العقيدة ، وانتفع به علماء زمانه وأئمنوا عليه وخضعوا له . وكان حنبلياً ثم صار حنفياً . ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة ، قرأ القرآن بالروايات وعمره عشرين سنين ، وسمع الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات ، وعفى به وتعلم العربية والفقه واشتهر بذلك ، ثم دخل الشام في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ثم سكن مصر واجتمع بالقاضي الفاضل ، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بدار

المعجم منها وحظي عند الملوك والوزراء والأمرءاء ، وتردد إليه العلماء والملوك وأبناؤهم ، كان الأفضل ابن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله ، وكذلك أخوه المحسن والمعظم ملك دمشق ، كان ينزل إليه إلى درب المعجم يقرأ عليه في المفصل للزخشرى ، وكان المعظم يعطى لمن حفظ المفصل ثلاثين ديناراً جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرب المعجم جميع المصدرين بالجامع ، كالشيخ علم الدين السخاوى ويحيى بن معطى الوجيه اللغوى ، والفخر التركى وغيرهم ، وكان القاضى الفاضل يثنى عليه . قال السخاوى : كان عنده من العلوم ما لا يوجد عند غيره . ومن العجب أن سيبويه قد شرح عليه كتابه وكان اسمه عمرو ، واسمه زيد . قلت في ذلك :

لم يكن في عهد عمرو مثله * وكذا الكندى في آخر عصر

فهما زيد وعمرو إنما * بنى النحو على زيد وعمرو

قال أبو شامة : وهذا كما قال فيه ابن الدهان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة :

يا زيد زادك ربى من مواهبه * نعماً يقصر عن إدراكها الأمل

النحو أنت أحق المالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل

وقد مدحه السخاوى بقصيدة حسنة ، وأثنى عليه أبو المظفر سبط ابن الجوزى ، فقال قرأت عليه وكان حسن العقيدة ظريف الخلق لا يسأم الانسان من مجالسته ، وله النوادر العجيبة والخط المليح والشعر الرائق ، وله ديوان شعر كبير ، وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال منها وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم حمل إلى الصالحية فدفن بها ، وكان قد وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهى سبعمائة وإحدى وستون مجلداً ، على معتقه نجيب الدين ياقوت ، ثم على العلماء فى الحديث والفقه واللغة وغير ذلك ، وجمعت فى خزانة كبيرة فى مقصورة ابن سنان الحلبيّة المجاورة لمشهد على بن زين العابدين ، ثم إن هذه الكتب تفرقت وبيع كثير منها ولم يبق بالخرانة المشار إليها إلا القليل الرث ، وهى بمقصورة الحلبيّة ، وكانت قد بما يقال لها مقصورة ابن سنان ، وقد ترك نعمة وافرة وأموالاً جزيلة ، وعمالك متعددة من الترك الحسان ، وقد كان رقيق الحاشية حسن الأخلاق يعامل الطلبة معاملة حسنة من القيام والتعظيم ، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ يقول :

تركْتُ قِيامى لصديق يزورنى * ولا ذنب لى إلا الاطالة فى عمرى

فان بلغوا من عشرِ تسعين نصفها * تبين فى ترك القيام لهم عنى

ومما مدح فيه الملك المظفر شاهنشاه ما ذكره ابن السامى فى تاريخه :

وصال النوائى كان أورى وأرجا * وعصرُ التداوى كان أبهى وأبهجا

ليالى كان العمر أحسن شافع • تولى وكان الهوى أوضح منهاجاً •
 بدا الشيب فأنجابت طماعية الصبا • وقبح لى ما كان يستحسن الحجا •
 بلهية ولت كان لم أكن بها • أجلى بها وجه النعيم مسرجا •
 ولا اختلت في برد الشبات مجرراً • ذبولى إعجاباً به وتبرجا •
 أعارك غيداء الماطف طفلة • وأغيد ممولر المرافف أدعجا •
 نقضت ليلها بطيب كأنه • لتقصيره منها مختطف الدجا •
 فان أمس مكروب الفؤاد حزينة • أعقر من در الصباة منهاجا •
 وحيداً على أنى بفضل منيم • مروغاً بأعداء الفضائل مزعجا •
 فيارب ديني قد سررت وسرني • وأبهجت بالصالحات وأبهجا •
 ويارب ناد قد شهدت وماجد • شهدت دعوتك فتلجلجنا (١) •
 صدعت بفضل نقصه فتركته • وفي قلبه شجوة وفي حلقه شجا •
 كان ثنائى في مسامع حسدى • وقد ضم أبكار الملقى وأدرجا •
 حسام تقى الدين في كل مارق • يقدر إلى الأرض الكى المدججا •
 وقال يمدح أخاه معز الدين فر وخشاه بن شاهنشاه بن أيوب :

هل أنت راحم عبدة ومدله • ومحير صبي عند ما منه وهى •
 هبات برحم قاتل مقتوله • وسانه في القلب غير منهى •
 مذ بل من ذاك الغرام فاني • مذ حل بي مرض الهوى لم أقره •
 إني بليت بحب أغيد ساحر • بلحاظ رخص البنان بزهره •
 أبني شفاء تدمى من واله • ومتى يرق مدلل لملله •
 كم آه لي في هواه وأنه • لو كان ينفعني عليه تأوهى •
 ومآرب في وصله لو أنها • تقضى لكانت عند مبسم الشوى •
 يا مفرداً بالحسن إنك منته • فيه كما أنا في الصباة منتهى •
 قد لام فيك مباشرى أنتهى • بالوم عن حب الحياة وأنتهى •
 أبكى لديه فان أحسن بلوعة • وتشقى أرمى بطرف مقهقه •
 يا من محاسنه وحالى عنده • حيران بين تفكر وتكفه •
 ضدان قد جما بلفظ واحد • لى في هواه بمنيين موجه

أو لستَ ربَّ فضائلٍ لوحازٍ أد * نأها وما أزهى بها غيرى زهى
والذى أنشده تاج الدين الكندى فى قتل عمارة اليمنى حين كان مالا الكفرة والملحدى على قتل
الملك صلاح الدين ، وأرادوا عودة دولة الفاطمىين فظهر على أمره فصلب مع من صلب فى سنة
تسع وتسعين وخمسمائة .

عمارة فى الاسلام أبدى خيانة * وحالف فيها بيعة وصلبها
فأسى شريك الشرىك فى بعض أحمير * وأصبح فى حب الصليب صليبا
وكان طبيب الملقى إن عجمته * نجد منه عودا فى النفاق صليبا^(١)
وله صحننا الدهر أيلما حسانا * نعوم بهن فى اللذات عوما
وكانت بمد ما ولت كائن * لدى نقصاتها حلما ونوما
أنافخ بى المشيب فلا براح * وإن أوسعه عتبا ولوما
نزبل لا يزال على التانى * يسوق إلى الردى يوما فيوما
وكنت أعدى لى علما فاما * فصرت أعدى لى يوما فيوما

المر محمد بن الحافظ عبد الغنى المقدسى

ولد سنة ست وستين وخمسمائة وأسمه والده الكثير ورحل بنفسه إلى بغداد وقرأ بها مسند أحمد
وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وكان من أصحاب المعظم ، وكان صالحا دينيا ورعا حافظا رحمه الله
ورحم أباه . أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك

الخلاخلى البغدادى ، سمع الكثير ، وكان يتردد فى الرسلىة بين الخليفة والملك الأشرف ابن العادل
وكان عاقلا دينيا ثقة صدوقا . الشريف أبو جعفر

يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي العلوى الحسينى ، نقيب الطالبين بالبصرة بمد
أبيه ، كان شيخا أدبيا فاضلا عالما بفنون كثيرة لا سيما علم الأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ
كثيرا منها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر ، ومن لطيف شعره قوله :

لهنك سمع لا يلائمه العنل * وقلب قريح لا بل ولا يسو
كان على الحب أضفى فريضة * فليس لقلبي غيرة أبدا شغل
وإني لأهوى المهجر ما كان أصله * دلا لأولوا المهجر ما عنب الوصل
وأما إذا كان الصدود ملالة * فأيسر ما هم الحبيب به القتل
أبو علي مزيد بن علي

ابن مزيد المعروف بابن الخشكرى الشاعر المشهور ، من أهل النعمانية جمع لنفسه ديوانا أورد
له ابن الساعى قطعة من شعره فن ذلك قوله :

(١) تقدمت هذه الأبيات فى (ج ١٢ ص ٢٧٦)

سألتك يوم النوى نظرة * فلم تسمعي فز الأ سلم
فأعجب كيف تقولين لا * ووجهك قد خط فيه نعم
أما النون يا هنه حاجب * أما العين عين أما الميم فم

أبو الفضل رشوان بن منصور

ابن رشوان الكردي المعروف بالنقف ولد باربل وخدم جنديا وكان أديبا شاعرا خدم مع الملك

العاذل ، ومن شعره قوله :

سلى عنى الصوارم والرماحا * وخيلاً تسبق الهوج الرياحا
وأسدًا حبيسها سمر العوالى * إذا ما الأسد حاولت الكفاحا
فانى ثابت عقلاً ولباً * إذا ما صائح في الحرب صاحا
وأورد مهجتي لجج المنايا * إذا ما جئت ولم أخف الجراحا
وكم ليل سهرت وبت فيه * أراعى النجم أرتقب الصباحا
وكم فى فدفد فرسى ونضوى * بقائلة المهجير غدا وراحا
لعينك فى المعاجة ما ألقى * وأثبت فى الكربة لا براحا

محمد بن يحيى

ابن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطى كتب إلى السبط من شعره :

وقائلة لما عمرت وصارت لى * ثمانون عاماً عش كذا وابق واسلم
ودم وانتشق روح الحياة فانه * لأطيب من بيت بصعدة مظلم
قلت لما عندي لديك مهاد * بيت زهير فاعلمي وتعلمي
سنت تكاليف الحياة ومن يش * ثمانين حولاً لا محالة يسأم

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستائة

فى ثالث المحرم منها كل تبليط داخل الجامع الأموى وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولى
بدمشق ، فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب الزيارة فرحاً بذلك . وفيها زادت دجلة ببغداد زيادة
عظيمة وارتفع الماء حتى ساوى القبور إلا مقدار أصبعين ، ثم طغى الماء من فوقه وأيقن الناس بالهلكة
واستمر ذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، ثم من الله فنناقص الماء وذهبت الزيادة ، وقد بقيت
بغداد تلولاً وتهدمت أكثر البنايات . وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضالان وحضر عنده
القضاة والأعيان . وفيها صدر الصدر بن حمويه رسولا من العاذل إلى الخليفة . وفيها قدم ولده الفخر
ابن الكامل إلى المعظم بخطب منه ابنته على ابنه أقيس صاحب اليمن ، فعقد العقد بدمشق على

صداق هائل . وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش من همدان قاصدا إلى بغداد في أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل في ستمائة ألف ، فاستعد له الخليفة واستخدم الجيوش وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يكون بين يديه على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة ، وأن يختلب له ببغداد ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي ، فلما وصل شاهد عنده من المظنة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في حركة من ذهب على سرير ساج ، وعليه قباء بخاري ما يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه جلدة ما تساوي درهما ، فسلم عليه فلم يرد عليه من الكبر ولم يأذن له في الجلوس ، فقام إلى جانب السرير وأخذ في خطبة هائلة فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم ، وأورد حديثا في النهي عن أذام والترجمان يعيد على الملك ، فقال الملك : أما ما ذكرت من فضل الخليفة فإنه ليس كذلك ، ولكني إذا قدمت ببغداد أقمت من يكون بهذه الصفة ، وأما ما ذكرت من النهي عن الأذام فاني لم أؤذ منهم أحدا ولكن الخليفة في سجنونه منهم طائفة كثيرة يتناملون في السجون ، فهو الذي آذى بني العباس ، ثم تركه ولم يرد عليه جوابا بعد ذلك ، وانصرف السهروردي راجعا ، وأرسل الله تعالى على الملك وجنوده ثلجا عظيما ثلاثة أيام حتى طم الحزاي والخيما ، ووصل إلى قريب رؤس الأعلام ، وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم ، وعهم من البلاء مالا يحصى ولا يوصف ، فمدحهم الله خائبين والحمد لله رب العالمين .

وفيها انقضت الهدنة التي كانت بين العادل والفرنج واتفق قدوم العادل من مصر فاجتمع هو وابنه المعظم ببيسان ، فركبت الفرنج من عسكا ومحبتهم ملوك السواحل كلهم وساقوا كلهم قاصدين معانصة العادل ، فلما أحس بهم فرمنهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه ، فقال ابنه المعظم إلى أين يا أبة ؟ فشتمه بالمعجمية وقال له أقطعت الشام مما يليك وتركت أبناء الناس ، ثم توجه العادل إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد ليحصنها من الفرنج وينقل إليها من الفلات من داريا إلى القلعة ، ويرسل الماء إلى أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور ، ففرغ الناس من ذلك وابتهلوا إلى الله بالدعاء وكثر الضجيج بالجامع ، وأقبل السلطان فنزل مرج الصفر وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج ، فكان أول من قدم صاحب حصن أسد الدين ، فتلقاها الناس فنخل من باب الفرج وجاء فسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ، ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين سرى عن الناس فلما أصبح توجه نحو العادل إلى مرج الصفر . وأما الفرنج فانهم قدموا بيسان قهيبوا ما كان بها من الفلات والدواب ، وقتلوا وسبوا شيئا كثيرا ، ثم عاثوا في الأرض فسادا يقتلون وينهبون ويأسرون ما بين بيسان إلى بانياس ، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى نوى وغيرها ، وسار الملك المعظم فنزل على عقبة اللبن بين القدس و نابلس خوفا على القدس منهم ، فإنه هو الأهم الأكبر ، ثم حاصر الفرنج

حصن الطور حصاراً هائلاً ومانع عنه الذين به من الأبطال مما أمة هائلة ، ثم كر الزنج راجعين إلى عكا ومعهم الأسارى من المسلمين ، وجاء الملك المعظم إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وطيب نفوسهم ، ثم اتفق هو وأبوه على هدمه كما سيأتي .

وفيها توفي من الأعيان . الشيخ الامام العلامة الشيخ العماد

أخو الحافظ عبد الغنى ، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى ، الشيخ الهامدى أصغر من أخيه الحافظ عبد الغنى بسنتين ، وقدم مع الجماعة إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ودخل بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابداً زاهداً ورعاً كثير الصيام ، يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان فقيهاً مفتياً ، وله كتاب الفروع وصنف أحكاماً ولم يتمه ، وكان يؤم بمحراب الحنابلة مع الشيخ الموفق ، وإنما كانوا يصلون بغير محراب ، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستمائة وكان أيضاً يؤم بالناس لقضاء الفوائت ، وهو أول من فعل ذلك . صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً ثم رجع إلى منزله بدمشق فأفطر ثم مات فجأة ، فصلت عليه بالجامع الأموى ، صلى عليه الشيخ الموفق عند مصلاه ، ثم صعدوا به إلى السفح ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً من كثرة الناس . قال سبط ابن الجوزى كان الخلق من الكهف إلى مفارة الدم إلى المنطور لو بدر السمسم ما وقع إلا على رؤس الناس ، قال فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهداها وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره ، ومر بذهنى أبيات الثورى التى أنشدها بعد موته فى المنام :

نظرتُ إلى ربى كفاحاً فقال لى * هنيئاً رضى عنك يا ابن سعيد

لقد كنتُ قواماً إذا أظلم الدجى * بعبرة مشتاقٍ وقلبٍ عديد

فدونك فاختر أى قصر أردته * وزرنى فانى عنك غير بعيد

ثم قلت أرجو أن يكون الهامدى ربه كما رآه الثورى ، فتمت فرأيت الشيخ العماد فى المنام وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء ، وهو فى مكان متسع كأنه روضة ، وهو يرقى فى درج متسعة ، فقلت يا عماد الدين كيف بت فانى والله تفكر فيك ؟ فنظر إلى وتبسم على عادته التى كنت أعرفه فيها فى الدنيا ثم قال :

رأيتُ إلهى حين أنزلتُ حفرى * وفارقتُ أصحابى وأهل وجيرى

وقالَ جزيته الخبيرُ عني فانى * رضيتُ فهاغفوى لديك ورحمى

دأبتُ زماناً تأملُ الغفوَ والرضا * فوقيتُ نيرانى ولقيتُ جننى

قال فانتبهت وأنا مذعور وكتبت الأبيات والله أعلم .

القاضى جمال الدين ابن الحرسى

عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل أبو القاسم الأنصارى ابن الحرسى قاضى القضاة بدمشق

ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وكان أبوه من أهل حرستان ، فنزل داخل باب توما وأم بمسجد الزينبي ونشأ ولده هذا نشأة حسنة سمع الحديث الكثير وشارك الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه ، وكان يجلس للاستماع بمقصورة الخضر ، وعندها كان يصلي دائماً لا تفوته الجماعة بالجامع ، وكان منزله بالحورية ودرس بالمجاهدية وعمر دهرًا طويلاً على هذا القدم الصالح والله أعلم . وناب في الحكم عن ابن أبي عصرون ، ثم ترك ذلك ولزم بينه وصلاته بالجامع ، ثم عزل العادل القاضي ابن الزكي وألزم هذا بالقضاء وله ثنتان وتسعون سنة وأعطاه تدريس العزيزية . وأخذ التقوية أيضاً من ابن الزكي وولاهها نغر الدين ابن عساكر . قال ابن عبد السلام ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني ، كان يحفظ الوسيط للغزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولى مشيخة الاشرفية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية ، وأرسل إليه السلطان طراحة ومسندة لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فإذا قام أبوه جالس في مكانه ، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستناب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يجلس نجاها في شرق الايوان ، واستناب معه شمس الدين ابن سنا الدولة ، واستناب شرف الدين ابن الموصل الحنفي ، فكان يجلس في محراب المدرسة ، واستمر حاكماً سنتين وأربعة أشهر ، ثم مات يوم السبت رابع الحجة وله من العمر خمس وتسعون سنة ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قايسون .

الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم

المسكاري باني المدرسة التي بالقدس ، كان من خيار الامراء ، وكان يتمنى الشهادة دائماً فقتله الفرنج بحصن الطور ، ودفن بالقدس بتربة علمها وهو يزار إلى الآن رحمه الله
الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ

كان من أصدقاء العادل يضحكه ، فحصل أموالاً جزيلاً منهم ، كانت داره داخل باب الفرنج فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً داره
الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة

شيخة العالمات بدمشق ، تلقب بدهن اللوز ، بنت نورنجان ، وهي آخر بناته وفاة وجعلت أموالها وقفا على تربة أختها بنت العصابة المشهورة

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستائة

استهلت والعادل بمرج الصفر لمناجزة الفرنج وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور فأخربه ونقل ما فيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفاً من الفرنج . وفي ربيع الاول نزلت الفرنج على

دمياط وأخذوا برج السلسلة في جمادى الاولى ، وكان حصناً منيعاً ، وهو قتل بلاد مصر . وفيها التقي المعظم والفرنج على القيمون فكسروهم وقتل منهم خلقاً وأسروا مائة فأدخلهم إلى القديس منكسة أعلامهم . وفيها جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قراء أرسلان واحداً بعد واحد ، وتقلب مملوك أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور والله أعلم . وفيها أقبل ملك الروم كيكاريس سنجر يريد أخذ مملكة حلب ، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب حمص ، فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة سنجار مضافاً إلى ما بيده من الممالك .

وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فأخنت الفرنج دمياط ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر من ثغر دمياط فحاصروه مدة أربعة شهور ، والملك الكامل يقاتلهم ويمانعهم ، فتملكوا برج السلسلة وهو كالتقل على ديار مصر ، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومنه إلى دمياط ، وهو على شاطئ البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر وسلسلة أخرى تمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يمكن الدخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه لذلك تأوهاً شديداً ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر بريد الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية غالقين ، فجاء ولده المعظم مسرعاً فجمع حواصله وأرسله في محفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض ، وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلغهم الطواشي عنه ، أي أنه ضعيف ، عن الرد عليهم ، فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بالمعادية الكبيرة ، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شاذي من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، ديناً عاقلاً صبوراً وقوراً ، أبطل المحرمات والخمر والمعارف من مملكته كلها وقد كانت ممسدة من أقصى بلاد مصر إلى الشام والجزيرة إلى همدان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين سوى حلب فإنه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي لأنه زوجه ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليماً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضرته موافقه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج ، وكانت له في ذلك اليد البيضاء ، وكان ماسك اليد وقد أنفق في عام الغلاء بمصر أموالاً كثيرة على الفقراء وأصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً كثيراً جداً ، ثم إنه كف في العام الثاني من بعد عام الغلاء في الفناء مائة ألف إنسان من الغرباء والفقراء ، وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه ، وكان كثير الأكل ممتناً بصحة وعافية مع كثرة صيامه ، كان يأكل في اليوم الواحد أكالات جيدة ، ثم بعد

هذا يأكل عند النوم رطلا بالدمشق من الحلوى السكرية اليابسة ، وكان يعتريه مرض في أنفه في زمن الورد وكان لا يقدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد ، فكان يضرب له الوطاق بمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك . توفي عن خمس وسبعين سنة ، وكان له من الأولاد جماعة : محمد الكامل صاحب مصر ، وعيسى المعظم صاحب دمشق ، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة ، وخلط وحران وغير ذلك ، والآوحد أيوب مات قبله ، والفائز إبراهيم ، والمظفر غازي صاحب الرها ، والمزبوع عثمان والأبجد حسن وهما شقيقا المعظم ، والمقيت محمود ، والحافظ أرسلان صاحب جمبر ، والصالح إسماعيل ، والقاهر إسحاق ، ومجير الدين يعقوب ، وقطب الدين أحمد ، وخليل وكان أصغرهم ، وتقي الدين عباس وكان آخرهم وفاة ، بقي إلى سنة ستين وستمائة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون زوجة الظاهر غازي صاحب حلب وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذي ملك دمشق ، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح وهو الذي قتله هلاكو كما سيأتي .

صفة أخذ الفرنج دمياط

لما اشتهر الخبر بموت العادل ووصل إلى ابنه الكامل وهو بشرف دمياط مرابط الفرنج ، أضعف ذلك أعضاء المسلمين وفشلوا ، ثم بلغ الكامل خبر آخر أن الأمير ابن المشطوب وكان أكبر أمير بمصر ، قد أراد أن يبايع للفائز عوضا عن التكامل ، فساق وحده جريدة فدخل مصر ليستدرك هذا الخطأ الجسيم ، فلما فقد الجيش من بينهم انحل نظامهم واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر من موت العادل ، فركبوا وراءه فدخلت الفرنج بأمان إلى الديار المصرية ، واستحوذوا على معسكر الكامل وأقاله ، فوقع خبط عظيم جدا ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فلما دخل الكامل مصر لم يقع مما ظنه شيء ، وإنما هي خديعة من الفرنج ، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب من فوره في الجيش إلى الفرنج فاذا الأمر قد تزايد ، وتمكنوا من البلدان وقتلوا خلقا وغنموا كثيرا ، وطالت الأعراب التي هنالك على أموال الناس ، فكانوا أضرب عليهم من الفرنج ، فنزل الكامل تجاه الفرنج يمانعهم عن دخولهم إلى القاهرة بعد أن كان يمانعهم عن دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستحثهم ويستنجدهم ويقول الوحا الوحا المعجل المعجل ، أدركوا المسلمين قبل تلك الفرنج جميع أرض مصر . فأقبلت المساكين الإسلامية إليه من كل مكان ، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف بيض الله وجهه ، ثم المعظم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سذكركه بعد هذه السنة .

وفيهما ولي حسبة بغداد صاحب محبي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وهو مع ذلك يعمل ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه ، وشكر في مباشرته للحسبة . وفيها فوض إلى المعظم النظر في التربة البدرية تجاه الشبلية عند الجسر الذي على ثور ، ويقال له جسر كحيل ، وهي منسوبة إلى

حسن بن الداية ، كان هو وإخوته من أكبر أمراء نور الدين محمود بن زنكي ، وقد جعلت في حدود الأربعين وستائة جامعا يخطب فيه يوم الجمعة . وفيها أرسل السلطان علاء الدين محمد بن تكش إلى الملك العادل وهو مخيم بمرج الصفر رسولا ، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق جمال الدين محمد بن عبد الملك الدولعي ، واستنصب عنه في الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار ، فأقام بالمريزية يباشر عنه ، حتى قدم وقد مات العادل .

وفيها توفي الملك القاهر صاحب الموصل . فأقيم ابنه الصغير مكانه . ثم قتل ونشئت فحمل البيت الأتابكي ، وتغلب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيه . وفيها كان عود الوزير صفى الدين عبد الله ابن علي بن شكر من بلاد الشرق بعد موت العادل ، فعلم فيه علم الدين مقامة بالغ في مدحه فيها ، وقد ذكروا أنه كان متواضعا يحب الفقراء والفقهاء ، ويسلم على الناس إذا اجتاز بهم وهو راكب في أبهة وزارته ، ثم إنه نكب في هذه السنة ، وذلك أن الكامل هو الذي كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه ، فاحتاط على أمواله وحواصله ، وعزل ابنه عن النظر من الدواوين ، وقد كان ينوب عن أبيه في مدة غيبته . وفي رجب منها أعاد المعظم ضمان القيان والخوارج والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها ، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل ملء كف خر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية ، فجزى الله العادل خيرا ، ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل ، واعتذر المعظم في ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلة الأموال على الجند ، واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج . وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور ، فإن هذا الصنيع يدل عليهم الأعداء وينصرهم عليهم ، ويتمكن منهم الداء ويثبط الجند عن القتال ، فيولون بسببه الأديار ، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويدل الدول ، كما في الأثر « إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني » . وهذا ظاهر لا يخفى على فطن .

ومن توفي فيها من الأعيان . القاضي شرف الدين

أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى اللخمي الضرب البغدادى ، كان ينسب إلى علم الأوائل ، ولكنه كان يقترب بمذهب الظاهرية ، قال فيه ابن الساعى : الداودى المذهب ، المعرى أدبا واعتقادا ، ومن شعره :

إلى الرحمن أشكو ما ألقى • غداة عدوا على هوج النياق
سألتكم بمن زم المطايا • أمرا بكم أمرا من الفراق ؟
وهل ذل أشد من التناي • وهل عيش أذل من التلاق ؟

قاضى قضاة بغداد .

عماد الدين أبو القاسم

عبد الله بن الحسين بن الهامغالي الحنفي ، سمع الحديث وتفق على مذهب أبي حنيفة ، وولى القضاء ببغداد مرتين نحواً من أربع^(١) عشرة سنة ، وكان مشكور السيرة عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات

أبو اليم نجاح بن عبد الله الحبشي

السوداني نجم الدين مولى الخليفة الناصر ، كان يسمى سلمان دار الخلافة ، وكان لا يفارق الخليفة ، فلما مات وجد عليه الخليفة وجداً كثيراً ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، كان بين يدي نعشه مائة بقرة وألف شاة وأحبال من التمر والخبز والماورد ، وقد صلى عليه الخليفة بنفسه تحت التاج ، وتصدق عنه بعشرة آلاف دينار على المشاهد ، ومثلها على المجاورين بالحرمين ، وأعتق مماليكه ووقف عنه خمسمائة مجلد . أبو المظفر محمد بن علوان

ابن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصل ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل زمانه بها ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديناً .

أبو الطيب رزق الله بن يحيى

ابن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سلمان بن رزق الله بن غانم بن غنام النأخدي الحديث الجوال الرحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر ، أبو العباس أحمد بن برتوكش بن عبد الله العمادي ، كان من أمراء سنجار ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكي صاحبها ، وكان أحمد هذا ديناً شاعراً ذا مال جزيل ، وأمسلاك كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي وأودعه سجناً ففسى فيه ومات كذا ، ومن شعره :

قولٌ وقد ودعتها ودموعها * على خدها من خشية البين تلتقي

مضى أكثر العمر الذي كان نافعاً * رويدك فاعمل صالحاً في الذي بقي

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة

فيها أمر الشيخ محي الدين بن الجوزي محاسب بغداد بإزالة المنكر وكسر الملامى عكس ما أمر به المظفر ، وكان أمره في ذلك في أول هذه السنة وقه الحمد والمنة .

ظهور جنكيزخان وعبور التتار نهر جيحون

وفيها عبرت التتار نهر جيحون محبة ملكهم جنكيزخان من بلادهم ، وكانوا يسكنون جبال طمنج من أرض الصين ولغتهم مخالفة لغة سائر التتار ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكيزخان بعث تجاراً له ومعهم أسواق كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه لينضمون له

(١) في المصرية : نحواً من سبع عشرة سنة .

ثياباً للكسوة ، فكتب قائمها إلى خوارزم شاه يذكرك له ما معهم من كثرة الأموال ، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم ، ففعل ذلك ، فلما بلغ جنكزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه ، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلاً جيداً ، فلما تهدده أشار من أشار على خوارزم شاه بالسير إليهم ، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلي خان ، فتهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم ، فأقبلوا إليه محروبين فاقبلوا معه أربعة أيام قتالاً لم يسمع بمثله ، أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم ، يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، حتى أن الخيول كانت تزلق في الدماء ، وكان جملة من قتل من المسلمين نحو من عشرين ألفاً ، ومن التتار أضعاف ذلك ، ثم نهج الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى ومهرقند فحاصرها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ، ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة ، فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكزخان ثلاثة أيام ، فطلب منه أهلها الأمان فأنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكراً وخديعة ، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها واستعمل أهل البلد في طم خندقها وكانت التتار يأتون بالمنابر والربعات فيطرحونها في الخندق يطمون بها ففتحوها قسراً في عشرة أيام ، فقتل من كان بها ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأهلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وأسروا الذرية والنساء ، وفعلوا معهن الفواحش بمحضرة أهليهن ، فن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ، ومنهم من أسرف مذنب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ، ثم ألت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فأحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ، ثم كروا راجعين عنها قاصدين مهرقند ، وكان من أمرهم ما سنده كره في السنة الآتية .

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس عمره الله بذكره ، أمر بذلك المعظم خوفاً من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك ، فان الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم فهرب منه أهل خوف من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثاثهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل إنه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم . وضج الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى ، وهي أيضاً فعلة شنعاء من المعظم ، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي ، فقال بعضهم يهجو المعظم بذلك .

في رجب حلّ الحياء • وأخرب القدس في المحرم

وفيه استحوذت الفرنج على مدينة دمياط ودخلوها بالأمان ففقدوا بأهلها وقتلوا رجالها وسبوا

نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورؤس القنلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة . وفيها غضب المعظم على القاضي زكى الدين بن الزكى ، وسببه أن عمته ست الشام بنت أيوب مرضت في دارها التي جعلتها بمدى مدرسة فأرسلت إلى القاضي لتوصى إليه ، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم يذهب إلى عمى بدون إذن ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟ واتفق أن القاضي طلب من جابى العزيزية حسابها وضربه بين يديه بالمقارع ، وكان المعظم يبغيض هذا القاضي من أيام أبيه ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي ببتجة فيها قباء وكوثة ، القباء أبيض والكوثة صفراء . وقيل بل كانا حراوين مدرنين ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهما ويحكم بين الخصوم فيهما ، وكان من لطف الله أن جاءت الرسالة بهذا وهو في دهليز داره التي يباب البريد ، وهو منتصب للحكم ، فلم يستطع إلا أن يلبسهما وحكم فيهما ، ثم دخل داره واستقبل مرض موته ، وكانت وفاته في صفر من السنة الآتية بمدى ، وكان الشرف بن عنين الزرعى الشاعر قد أظهر النسك والتعب ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع أيضاً فأرسل إليه المعظم بخمر وزرد ليشتغل بهما . فكتب إليه ابن عنين :

يا أيها الملك المعظم سنة * أحدثتها تبقى على الآباد
نجرى الملوك على طريقك بمدى * خلع القضاة وتحفة الزهاد

وهذا من أقبح ما يكون أيضاً ، وقد كان نواب ابن الزكى أربعة : فممس الدين بن الشيرازى إمام مشهد على ، كان يحكم بالمشهد بالشباك ، ووربما برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء . وممس الدين ابن سنى الدولة ، كان يحكم فى الشباك الذى فى الكلاسة نجاء تربة صلاح الدين عند الغزالية ، وكال الدين المصرى وكيل بيت المال كان يحكم فى الشباك الكمالى بمشهد عثمان ، وشرف الدين الموصلى الخنفي كان يحكم بالمدرسة الطرخانية بمجرون والله تعالى أعلم .

وفىها توفى من الأعيان ست الشام

واقعة المدرستين البرانية والجوانية الست الجليلة المصونة خاتون ست الشام بنت أيوب بن شادى ، أخت الملوك وعمة أولادهم ، وأم الملوك ، كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا ، منهم شقيقها المعظم نوران شاه بن أيوب صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها فى القبر القبلى من الثلاثة ، وفى الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبى ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهى وابنها حسام الدين عمر فى القبر الثالث ، وهو الذى يلى مكان المدرس ، ويقال للتربة والمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين ، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين ، وكانت ست الشام

من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج ، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس ، وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار السادس عشر من ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة ، وهي عند المارستان وهي الشامية الجوانية ، ونقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها حافلة رحها الله .

أبو البقاء صاحب الأعراب واللباب

عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الشيخ أبو البقاء العكبري الضريبر النحوي الحنبلي صاحب إعراب القرآن العزيز وكتاب اللباب في النحو ، وله حواش على المقامات ومفصل الزمخشري وديوان المتنبي وغير ذلك ، وله في الحساب وغيره ، وكان صالحاً ديناً ، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وكان إماماً في اللغة فقيهاً مناظراً عارفاً بالأصلين والفقه ، وحكى القاضي ابن خلكان عنه أنه ذكر في شرح المقامات أن عنقاء مغرب كانت تأتي إلى جبل شاهق عند أصحاب الرس ، فربما اختلطت بعض أولادهم فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلك . قال : وكان وجهها كوجه الانسان وفيها شبه من كل طائر ، وذكر الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار أنها كانت في زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب ، ووجه كوجه الانسان ، وفيها شبه كثير من سائر الحيوان ، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسي الذي كان في الفترة فدعا عليها فهلك والله أعلم . وذكر ابن خلكان أن المعز الفاطمي جىء إليه بطائر غريب الشكل من الصعيد يقال له عنقاء مغرب . قلت : وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة ، وكان صالحاً ولم يكن نبيئنا لقول رسول الله (ص) « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » وقد تقدم ذلك .

الحافظ عماد الدين أبو القاسم

على ابن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي ، سمع الكثير ورحل فوات ببغداد في هذه السنة ، ومن لطيف شعره قوله في المروحة

ومروحة تروح كل هم * ثلاثة أشهر لا بد منها
حزيران وتموز وآب * وفي أيلول يغنى الله عنها

ابن الدواي الشاعر وقد أورده ابن الساعي جملة صالحة من شعره وأبو سعيد بن الوزان الداوي وكان أحد المدلين ببغداد وسمع البخاري من أبي الوقت وأبو سعيد محمد بن محمود بن عبد الرحمن المروزي الأصل الهمداني المولد البغدادي المنشأ والوفاء ، كان حسن الشكل كامل الأوصاف له خط حسن ويعرف فنونا كثيرة من العلوم ، شافعي المذهب ، يتكلم في مسائل الخلاف حسن الأخلاق ومن شعره قوله :

أرى قسم الأرزاق أعجب قسمه * لنى دعة ومكديرة لنى كبر
وأحق ذو مال وأحق معدم * وعقل بلا حظ وعقل له حد
يعم النقي والفقير ذا الجهل والحجا * والله من قبل الأمور ومن بعد
أبو زكريا يحيى بن القاسم

ابن الفرج بن درع بن الخضر الشافعي شيخ تاج الدين التكريتي قاضيها ، ثم درس بنظامية
بغداد ، وكان متقنا لغو كثر منها التفسير والفقه والأدب والنحو واللغة ، وله المصنفات في ذلك
كله وجمع لنفسه تاريخاً حسناً . ومن شعره قوله :

لا بد للفرع من ضيق ومن سعة * ومن سرور يوافيه ومن حزن
والله يطلب منه شكر نعمته * مادام فيها وبينى الصبر في الحزن
فكن مع الله في الحالين معتقاً * فرضيك هذين في سرور في علن
فما على شدة يبق الزمان يكن * ولا على نعمة تبق على الزمن
وله أيضاً : إن كان قاضي الهوى على ولي * ماجار في الحكم من على ولي
يا يوسف الجمال عندك لم * تبق لي حيلة من الحيل
إن كان قد القميص من دير * ففبك قد الفؤاد من قبل

صاحب الجواهر

الشيخ الامام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن ساس بن نزار بن عثمان بن عبد الله بن
محمد بن سلس الجذامي المالكي الفقيه ، مصنف كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، وهو
من أكثر الكتب فوائد في الفروع ، رتبته على طريقة الوجيز للقرافي . قال ابن خلكان : وفيه
دلالة على غزارة علمه ونضله والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده ، وكان مدرساً
بمصر ومات بدمياط رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة

في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بجنكز خان المسمى بتموجين لعنه الله تعالى ، ومن معه
من التتار قبهم الله أجمعين ، واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا
بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها ، فلكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر
الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر ، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية
والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم ، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في
بلدان متعددة كبار مالا يحصى ولا يوصف ، وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة

والرجال ، وكثيراً من النساء والأطفال ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الخرب الكثير الذى يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويخربون المنازل وما يحجزوا عن تخريبه بحرقه ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا فى القتال قتلهم . وقد بسط ابن الأثير فى كامله خبرهم فى هذه السنة بسطاً حسناً مفصلاً ، وقدم على ذلك كلاماً هائلاً فى تعظيم هذا الخطب العجيب ، قال فنقول : هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الليالى والأيام عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها ، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بخت نصر ببنى إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا ، فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بنى إسرائيل ، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتنفى الدنيا إلا بأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فانه يبقى على من اتبعه وبهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة . فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها ، وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، فان قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل ممرقند وبخارا وغيرهما ، فملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكركه ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخربوا وقتلوا ونهبوا ، ثم يجاوزونها إلى الرى وهذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر فى أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ، ثم ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير قلعة التى بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللان الكز ومن فى ذلك الصقع من الأمم المختلفة ، فأوسعهم قتلها ونهبها وتخريباً ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الفياض وملكوا عليهم بلادهم ، وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد ، هذا ما لم يطرق الأسماع مثله ، فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها فى سنة واحدة ، إنما ملكها فى نحو عشرين سنة ، ولم يقتل أحداً بل رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد

ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلاً وأعد لهم أخلاقاً وسيرة في نحو سنة ، ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا هو خائف مترقب وصولهم ، وهم مع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت ، ولا يحرمون شيئاً ، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والنباتات لعنهم الله تعالى . قال : وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأن السلطان خوارزم شاه محمداً كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور ، فلما انتهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدرى أين ذهب ، وهلك في بعض جزائر البحر ، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وإلى الله ترجع الأمور . ثم شرع في تفصيل ما ذكره مجملًا ، فذكر أولاً ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بعث جنكزخان أولئك التجار بمال له ليأتونه بتمنه كسوة ولباساً ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال فخلق عليه جنكزخان وأرسل يهدده فصار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده فوجد التتار مشغولين بقتال كشلي خان ، فتهب أنقلمهم ونساءهم وأطفالهم فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم ، وازدادوا حنقا وغيظاً ، فتواقعوهم وإياه وابن جنكزخان ثلاثة أيام فقتل من الفريقين خلق كثير ، ثم تهاجروا ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده فخصنها ثم كر راجعاً إلى مقره ومملكته بمدينة خوارزم شاه ، فأقبل جنكزخان فحصر بخارا كما ذكرنا فافتتحها صلحاً وغدر بأهلها حتى افتتح قلعتها قهراً وقتل الجميع ، وأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال وخرّب الدور والحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يبق منهم شيئاً ، ثم سار إلى سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فسكوا وبرز إليهم سبعون ألفاً من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليهم الخمسون ألف السلم فسلمهم سلاحهم وما يمنعون به ، وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبي الذرية وحرقه وتركه بلاقع ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميها التتار المفرقة ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفاً قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسما فصاروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهري جيحون وهو آمن بسببه ، فلم يجدوا سفناً فحملوا لهم أحواضاً يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بذنبا فتجره الفرس بالماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه ، حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر ، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يملكونه يجمع لهم فصار كلما أتى بلداً اجتمع فيه عساكره ليدركونه فهرب منهم ، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته ، وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدرى أين ذهب ، ولا إلى أي مفر هرب ، ومكنت التتار حواصله فوجدوا في خزائنه عشرة آلاف

ألف دينار، وألف حمل من الأطلس وغيره وعشرون ألف فرس وبغل، ومن الفلن والجواري والخيام شيئا كثيرا، وكان له عشرة آلاف مملوك كل واحد مثل ملك، فتمزق ذلك كله، وقد كان خوارزم شاه قبيحا خفيا فاضلا له مشاركات في فنون من العلم، يفهم جيدا، وملك بلادا متسعة وممالك متعددة إحدى وعشرين سنة وشهورا، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكثر حرمة منه ولا أعظم ملكا منه، لأنه إنما كانت همته في الملك لا في اللذات والشهوات، ولذلك قهر الملوك بتلك الأراضي وأحل بالخطأ بأسا شديدا، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر وعراق المعجم وغيرها من الممالك سلطان سواء، وجميع البلاد تحت أيدي نوابه. ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أنمع القلاع، بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسمين من أيام سليمان بن عبد الملك، ففتحها هولاء في أيسر مدة ونهبوا ما فيها وقتلوا أهلها كلهم وسبوا وأحرقوا، ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعه أموال عظيمة جدا، فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها، ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلهم وسبوا وأسروا، ثم ساروا إلى همدان فملكوها ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا، ثم قصدوا قزوین فتهبوا وقتلوا من أهلها نحو أربعين ألفا، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أربك بن البهلوان على مال حمله إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهمك على الشهوات، فتركه وساروا إلى موغان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم بخدم وحديد، فكسرتهم التتار وقمة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها. وهنالك ابن الأثير: ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان والله لا أشك أن من يجيئ بعدنا إذا بعد العهد وبرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها، والحق بيده، فتي استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزمانا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها، يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تعدى همته بطنه وفرجه، وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه. قال: واقضت هذه السنة وم في بلاد الكرج، فلما رأوا منهم ممانعة ومقاتلة يعاول عليهم بها الماطل عدلوا إلى غيرهم، وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال. ثم ساروا إلى مراغة فحصروها ونصبوا عليها المجانيق وترسوا بالأسارى من المسلمين، وعلى البلد امرأة - ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة - ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، وغنموا منه شيئا كثيرا، وسبوا وأسروا على

عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلاد وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده . ودخلت امرأة منهم في زى رجل [بيتنا] قتلته كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة قتلها لعنها الله ، ثم قصدوا مدينة إربل فضايق المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصيب ، وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكريا فكونوا معي لقتال هؤلاء التتار ، فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قدمه المسلمين هناك من الفرج ، وأخذهم دميما الذي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة ، وكان أخوه المعظم قد قدم على والي حران يستنجده لأخيهما الكامل ليتحاجزا والفرنج بدمياط وهو على أهبة السير إلى الديار المصرية ، فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا ، فأن الله وإنا إليه راجعون ، ولكن الله سلم بأن صرف همه التتار إلى ناحية همدان فصالحهم أهلها وتركهم التتار شحنة ، ثم اتفقوا على قتل شحتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسرا وقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أردبيل ثم تبريز ثم إلى ييلقان فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وحرقوها ، وكانوا يغربون بالنساء ثم يقتلونهم ويشقون بطونهم عن الأجنسة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فاقتلوا معهم فكسروهم أيضا كسرة عظيمة ، ثم فتحوا بلادا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون ، يجمعونهم بين أيديهم ترسا يتقون بهم الرمي وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب ، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فاقتلوا معهم قتلا عظيما فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القبجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأئمة والوثيا والنجار من البرطاسي والقندر والسعجاب شيء كثير جدا ، ولجأت القبجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتل التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة عظيمة جدا ، ثم ساروا نحو باقار في حدود الشرين وستمائة فرغوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكركان لعنهم الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المغربية ، وكان جنكركان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى كلانة وأخرى إلى فرغانة فلكوها ، وجهز جيشا آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعتها وكانت حصينة فحاصروها ستة أشهر حتى هجزوا فكتبوا إلى جنكركان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر

أخرى حتى فتحها قهراً ، ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكامله خاصة وعامة ، ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكزخان فقد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالاً عظيماً حتى انكسر المسلمون فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبيها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد قتلوه وغنموهم وسلبوهم وعاقبهم بأنواع العذاب ، حتى إنهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو ، ثم إلى طوس فقتلوا وخرّبوا مشهد على بن موسى الرضى سلام الله عليه وعلى آبائه ، وخرّبوا تربة الرشيد الخليفة فتركوه خراباً ، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان لعنه الله وإياهم ، وأرسل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها حتى فتحوا البلد قهراً فقتلوا من فيها قتلاً ذريعاً ، ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون منها ففرقت دورها وهلك جميع أهلها ثم عادوا إلى جنكزخان وهو مخيم على الطالقان فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة ، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله ، فقصد جنكزخان فتواجهوا وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من القتال ، فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يمهّد قبلها مثلها من قتالهم ، ثم ضعفت أصحاب جلال الدين فذهبوا فركبوا بحر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة ، كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة .

وفيها أيضاً ترك الأشرف موسى بن العادل لأخيه شهاب الدين غازي ملك خلاط وميا طارقين وبلاد أرمينية واعتاض عن ذلك بالرها وسروج ، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لأنهم الله تعالى . وفي الحرم منها هبت رياح ببغداد وجاءت بروق وصحمت رعود شديدة وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لمون ومعين فنزلتها ، ثم أصلحت ، وغارت الصاعقة في الأرض . وفي هذه السنة نصب محراب الحنابلة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم ، ولكن ساعدتهم بعض الأمراء في نصبه لهم ، وهو الأمير ركن الدين المعظمي ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة . قلت : ثم رفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيارة ، كاعوض الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم شرق باب الزيارة ، حين جدد الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية ، على يدى ناظر الجامع تقي الدين ابن مراحل أتابه الله تعالى كما سيأتى بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . وفيها قتل صاحب سنجار أخاه فلكنها مستقبلاً بها

الملك الأشرف بن العادل . وفيها نافق الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل حين أراد أن يبايع للفائز ، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة فسجنه الأشرف حتى مات كمداً وذلاً وعذاباً . وفيها أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً قتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم والله الحمد .

وفيها عزل المعظم المعتمد مغاخر الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاه للعزير خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المعتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحجاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر وأخصهم عنده ، وذلك لأنه قدم معه بخلع للأمير حسين بن أبي عزيز قتادة بن إدريس ابن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لامرأة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنازع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال لا يتأمر عليها غيري ، ف وقعت فتنة أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً . وقد كان قتادة من أكابر الاشراف الحسنيين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منهما ، نعمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظالم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة فسلط الله عليه ولده حسناً فقتله وقتل عمه وأخاه أيضاً ، فلهذا لم يهل الله حسناً أيضاً ، بل سلبه الملك وشرده في البلاد ، وقيل بل قتل كما ذكرنا ، وكان قتادة شيخاً طويلاً مريباً لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك ، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد ، وكان الخليفة يود لو حضر عنده فيكرمه ، وكان يأتي من ذلك ويمتنع عنه أشد الامتناع ، ولم يقد إلى أحد قط ولا ذل لخليفة ولا ملك ، وكتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه .

ولي كف ضرغام أذل يبطشها * وأشري بها بين الوري وأبيع

تظل ملوك الأرض تلم ظهرها * وفي بطنها للمجد بين ربيع

أجعلها تحت الرحي ثم أبتغي * خلاصاً لها إني إذا لرقيع

وما أنا إلا المسك في كل بقعة * يضوع وأما عندكم فيضيع

وقد بلغ من السنين سبعين سنة ، وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ثمانى عشرة فالف الله أعلم .

وفيها توفي من الأعيان : الملك الفائز

غياث الدين إبراهيم بن العادل ، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار المصرية على يدى الأمير عماد الدين بن المشطوب ، لولا أن الكامل تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف موسى يستحثه في سرعة المسير إليهم بسبب الفرنج ، فمات بين سنجاب والموصل ، وقد ذكر أنه سم فرود إلى سنجاب فدفن بها رحمه الله تعالى .

شيخ الشيوخ صدر الدين

أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجربني ، من بيت ريادة وإمرة عند بني أيوب ، وقد كان صدر الدين هذا فقيهاً فاضلاً ، درس بترية الشافعي بمصر ، وبمشهد الحسين وولى مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها ، وكانت له حرمة وافرة عند الملوك ، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فأتى بالموصل بالأسهال ، ودفن بها عند قضيبة البان عن ثلاث وسبعين سنة .
صاحب حماء

الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وكان فاضلاً له تاريخ في عشر مجلدات سماه المضار ، وكان شجاعاً فارساً ، فقام بالملك بعده ولده الناصر قلدج أرسلان ، ثم عزله عنها الكامل وحبسه حتى مات رحمه الله تعالى وولى أخاه المظفر بن المنصور
صاحب آمد

الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ، وكان شجاعاً محباً للعلماء ، وكان مصاحباً للشراف موسى بن العادل يحميه إلى خدمته مراراً ، وملك بعده ولده المسعود ، وكان بخيلاً فاسقاً ، فأخذ منه الكامل وحبسه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار ، فأخذته منه .
الشيخ عبد الله اليونيني

الملقب أسد الشام رحمه الله ورضي عنه من قرية يبعليك يقال لها يونين ، وكانت له زاوية يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له همة عالية في الزهد والورع ، بحيث إنه كان لا يقتني شيئاً ولا يملك مالا ولا ثياباً ، بل يلبس عارية ولا يتجاوز قميصاً في الصيف وفروة فوقه في الشتاء ، وعلى رأسه قمعا من جلود المعز ، شعره إلى ظاهره ، وكان لا ينقطع عن غزاة من الغزوات ، ويرى عن قوس زنته ثمانون رطلاً ، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتي في الشتاء إلى عيون العاصرية في سفح الجبل المطل على قرية دومة شرقي دمشق ، لاجل سخونة الماء ، فيقصد الناس للزيارة هناك ، ويحجي قارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند القادسية وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة ، وكان يقال له أسد الشام ، حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي عن القاضي جمال الدين يعقوب الحاكم بكرك البقاع أنه شاهد مرة الشيخ عبد الله وهو يتوضأ من نور عند الجسر الأبيض إذ مر نصراني ومعه حمل بفل خمرآ ففترت الدابة عند الجسر فسقط الحمل فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه ، واستعان به على رفع الحمل فاستدعاني الشيخ فقال : تعال يا فقيه ، فتساعدنا على تحميل ذلك الحمل على الدابة وذهب النصراني فتعجبت من ذلك وتبعته إلى المدينة ، فأتته به إلى العقبة فأورده إلى

الحار بها فاذا خل فقال له الحار : ويحك هذا خل ، فقال النصراني أنا أعرف من أين أتيت ، ثم ربط الدابة في خان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فعرّفه فجاء إليه فأسلم على يديه ، وله أحوال وكرامات كثيرة جدا ، وكان لا يقوم لاحد دخل عليه ويقول : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، وكان الأجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له : يا أجد فقلت كذا وكذا وبأمره بما يأمره ، وينهاه عما ينهاه عنه ، وهو يمثل جميع ما يقوله له ، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه ، وكان يقبل الفتوح ، وكان لا يدخر منه شيئا لعد ، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستغه ويشرب فوقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه ، وذكروا أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء ، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجبي ، وكان من أصحاب الحسن البصري ، ثم من بعده من الصالحين رحمهم الله أجمعين . فلما كان يوم جمعة من عشرين الحجة من هذه السنة صلى الصبح عبد الله البيهقي وصلاة الجمعة بمجامع بعلبك ، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو صحيح ، فلما انصرف من الصلاة قال للشيخ داود المؤذن ، وكان يغسل الموتى ، انظر كيف تكون غدا ، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك الليلة ويتذكر أصحابه ، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم ، فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة ، فبات وهو كذلك جالس لم يسقط ، ولم تسقط السبحة من يده ، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأجد صاحب بعلبك فجاء إليه فعاينه كذلك فقال لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشاهد الناس منه آية ، فقيل له : ليس هذا من السنة ، فنجى وكفن وصلى عليه ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى ، رحمه الله ونور ضريحه . وكانت وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين عاماً أكرمهم الله تعالى ، وكان الشيخ محمد الفقيه البيهقي من جملة تلاميذه ، ومن يلوح به وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك .

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر

الحلي الموصل ، ويعرف بابن الجهنى ، شاب فاضل ولى كتابة الانشاء لبسر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، ومن شعره :

نفسى فداءً التى فكرت فيه وقد * غدوت أغرق في بحر من العجب
يبدو بلبل على صبح على قبر * على قضيب على وم على كنب

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستائة

فيها استولت التتر على كثير من البلدان بكلادة وهذان وأردبيل وتبريز وكنجة ، وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها ، واستأسروا ذراريها ، واقتربوا من بغداد فارتعج الخليفة لذلك وحسن

بعداد واستخدم الأجناد ، وقتت الناس في الصلوات والأوراد . وفيها قهروا الكرج واللان ، ثم قاتلوا القبيح فكسروهم ، وكذلك الروس ، وينهبون ما قدروا عليه ، ثم قاتلوم وسبوا نساءهم وذرايرهم ، وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل ، وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعاً نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة ، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتركوا دمياط ، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا ، فقدر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأقوات فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذها الأساطول البحرية وأرسات المياه على أراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، فعند ذلك أتوا إلى المصالحة بلا معاوضة ، فجاء مقدمهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً ، فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بين يديه ، ومد سباطاً عظيماً ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقام راجع الحلى الشاعر فأنشد :

هنيئاً فإن السعد راح مخلداً * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخالق فتحاً بدلنا * مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبدا
تهلّل وجه الدهر بعد قطوبه * وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الط * غاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمة * صقيلاً كما سل الحسام مجردا
فلم ينبج إلا كل شلو مجدل * نوى منهم أو من تراء مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً * عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه * وموسى جميعاً يخدمون محمداً

قال أبو شامة : وبلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ، قال : وهذا من أحسن شيء اتفق ، وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر رجب من هذه السنة ، وتراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها ، ورجع المعظم إلى الشام واصطلح الأشرف والكامل على أخيهما المعظم . وفيها ولي الملك المعظم قضاء دمشق كمال الدين المصري الذي كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلاً بارعاً يجلس في كل يوم جمعة قبل الصلاة بالمعادية بعد فراغها لاثبات المحاضر ، ويحضر عنده في المدرسة جميع اليهود من كل المراكز حتى يتيسر على الناس إثبات كتبهم في الساعة الواحدة ، جزاء الله خيراً .

ومن توفي فيها من الأعيان ياقوت الكاتب الموصل رحمة الله
أمين الدين المشهور بطريفة ابن البواب . قال ابن الأثير : لم يكن في زمانه من يقاربه ،
وكانت لديه فضائل جمة والناس متفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل . وقد قال فيه نجيب الدين
الواسطي قصيدة بمدحه بها :

جامع شارد العلوم ولولا * لكانت أم الفضائل تكلى
ذو براع تخاف ريقته الأسم * د ، وتمنوه له الكتاب ذلا
وإذا افتقر نفره عن بياض * في سواد السمر والبعض خجلا
أنت بدر والكاتب ابن هلال * كأبيسر لا غفر فيمن تولى
إن يكن أولى فانك بالنفض * بل أولى فقد سبقت وصلى

جلال الدين الحسن

من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية ، وكان قد أظهر في قومه شعار الاسلام ، وحفظ
الحدود والمحرمات والقيام فيها بالزواج الشرعية .

الشيخ الصالح

شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسي الحنبلي الزاهد العابد الناسك ، كان يقرأ على الناس
يوم الجمعة الحديث النبوي وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المظفرى ، وقد سمع الحديث
الكثير ، وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة ، وكانت له فنون كثيرة ، وكان ظريفا
مطبوعا رحمه الله والخطيب موفق الدين

أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كمال المقدسي ، خطيب بيت الأبار ، وقد ناب
في دمشق عن الخطيب جمال الدين الدولى حين سار في الرسلية إلى خوارزم شاه ، حتى عاد .

المحدث تقي الدين أبو طاهر

إسماعيل بن عبد الله بن عبد الحسن بن الأنماطى ، قرأ الحديث ورحل وكتبه ، وكان حسن الخط
متقنا في علوم الحديث ، حافظا له ، وكان الشيخ تقي الدين ابن الصلاح يثنى عليه بمدحه ، وكانت
له كتب بالبيت الغربى من الكلاسة الذى كان الملك الحسن بن صلاح الدين ، ثم أخذ من ابن
الأنماطى وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الدكاوى ، واستمر بيد أصحابه بعد ذلك ، وكانت وفاته بدمشق
ودفن بمقابر الصوفية وصلى عليه بالجامع الشيخ ، وفق الدين ، وبسبب النصر الشيخ فخر الدين بن
عساكر ، وبالمقبرة قاضى القضاة جمال الدين المصرى رحمه الله تعالى .

أبو الفيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب

ابن مقبل الضرير الفقيه الشافعي ، أقام ببغداد إلى أن توفي ، وكانت لديه فضائل وله رسائل ، ومن شعره قوله :

إذا كنتم للناس أهل سبابة * فسوسوا كرام الناس بالجود والبذل
وسوسوا لثام الناس بالذل يصاحوا * عليه ، فإن الذل أصلح للندل
أبو العز شرف بن علي

ابن أبي جعفر بن كامل الخالصي المقرئ الضرير الفقيه الشافعي ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث ورواه ، وأشد عن الحسن بن عمرو الحلبي :

تمثلتم لي والديار بعيدة * فغيل لي أن الفؤاد لكم معنى
ونجاكم قلبي على البعد بيننا * فأوحشتم لفظاً وأنتم معنى
أبو سليمان داوود بن إبراهيم

ابن مندار الجيلي ، أحد المعيدين بالمدرسة النظامية ، ومما أنشده .

أيا جامعا أمسك عنانك مقصراً * فإن مطايا الدهر تكبو وتقصر
ستفرح سناً أو تعض ندامة * إذا خان الزمان واقصر^(١)
ويلفك رشداً بعد غيك واعظ * ولكنه يلفك والأمر مدبر

أبو المظفر عبد الوود بن محمود بن المبارك

ابن علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الأصل ، البغدادي الدار والمولد ، كمال الدين المعروف والده بالحجيد ، تفقه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسته عند باب الأزج ، ووكله الخليفة الناصر واشتهر بالديانة والأمانة ، وبأشر مناصب كباراً ، وحجج مراراً عديدة ، وكان متواضعا حسن الأخلاق وكان يقول :

وما تركت ست وستون حجة * لنا حجة أن نركب اللهو مركبا
وكان ينشد : العلم يأتي كل ذي خف * في وبأبي على كل آبي
كلما ينزل في الوها * دوليس يصعد في الروابي

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها نقل تابوت العادل من القلعة إلى تربته العادلية الكبيرة ، فصلى عليه أولا تحت النسر بالجامع الأموي ، ثم جاؤا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن المدرسة مكنت بعد ، وقد تكامل بناؤها في هذه السنة أيضاً ، وذكر الدرس بها القاضي جمال الدين المصري ، وحضر عنده السلطان

المعظم فجلس في الصدر وعن شماله القاضي وعن يمينه صدر الدين الحصري شيخ الحنفية ، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الآمدي إلى جانب المدرس ، وإلى جانبه شمس الدين بن سناء الدولة ، و يليه النجم خليل قاضي العسكر ، ونحت الحصري شمس الدين بن الشيرازي ، ونحت محي الدين التركي ، وفيه خلق من الأعيان والأكابر ، وفيهم نخر الدين بن عساكر . وفيها أرسل الملك المعظم الصدر الكشفي^(١) محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تملا عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد الصدر المذكور أضاف إليه مشيخة الشيوخ . وحج في هذه السنة الملك مسعود بن أقيس بن الكامل صاحب اليمن فبدت منه أفعال ناقصة بالحرم من سكر ورشق حمام المسجد بالبندق من أعلا قبة زمزم ، وكان إذا نام في دار الإمارة يضرب الطائفون بالمسمي بأطراف السيوف لتلايشوشوا عليه وهو نوم سكر قبحه الله ، ولكن كان مع هذا كله مهيباً محترماً وبالبلاد به أمانة مطمئنة ، وقد كاد يرفع سنجد أبيه يوم عرفة على سنجد الخليفة فيجري بسبب ذلك فتنة عظيمة ، وما يمكن من طلوعه وصعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد . وفيها كان بالشام جراد كثير أكل الزرع والثمار والأشجار . وفيها وقعت حروب كثيرة بين القبجاق والكرج ، وقتال كثير بسبب ضيق بلاد القبجاق عليهم . وفيها ولي قضاء القضاة بيفداد أبو عبد الله محمد بن فلان . ولبس الخلعة في باب دار الوزارة . مؤيد الدين محمد بن محمد بن محمد القيق بحضرة الأعيان والكبراء ، وقرى تقليده بحضرتهم وساقه ابن الساعي بحروفه

ومن توفي فيها من الأعيان عبد القادر بن داود

أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالحب ، استقل بالنظامية دهرآ ، واشتغل بها ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً ، ومما أنشده من الشعر :

الفرقدان كلاهما شهدا له * والبدر ليلة نوره بسهاده
دنف إذا عتبق الظلام تضرمت * نار الجوى في صدره وفؤاده
فجرت مدامع جفنه في خده * مثل المسيل يسيل من أطواره
شوقاً إلى مضنيه لم أرهكذا * مشتاق مضى جسمه بيماده
ليت الذي أضناه سحر جفونه * قبل المات يكون من عواده
أبو طالب يحيى بن علي

اليمة قوى الفقيه الشافعي أحد المعبدن بيفداد ، كان شيخاً مليح الشية جميل الوجه ، كان يلى بعض الاوقاف ، ومما أنشده لبعض الفضلاء :

(١) هو صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح .

لحل تهامة وجبال أحد * وماء البحر ينقل بالزبيل
 وقتل الصخر فوق الظهر عرياً * لأهون من مجالسة الثقيل
 ولبعضهم أيضاً ، وهو مما أنشده المذكور :

وإذا مضى للمرء من أعوامه * خسون وهو إلى التقى لا ينجح
 عكفت عليه الخزيات فقولها * حالفتنا ، فأقم كذا لا تبرح
 وإذا رأى الشيطان غرة وجهه * حياً ، وقال فديت من لا يفلح
 اتفق أنه طوب بشيء من المال فلم يقدر عليه فاستعمل شيئاً من الأفيون المصري فات من
 يومه ودفن بالوردية . وفيها توفي .

قطب الدين العادل

باليوم ونقل إلى القاهرة . وفيها توفي إمام الحنابلة بمكة .

الشيخ نصر بن أبي الفرج

المروفي بن الحصري ، جاور بمكة مدة لم يسافر ، ثم ساقته المنية إلى اليمن ، فات بها في هذه
 السنة . وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ .

وفيها في ربيع الأول توفي بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم النيلي أخو البهاء والناصح ،
 وكان فقهاً مناظراً بصيراً بالحكايات . وهو الذي أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علم الدين السخاوي
 رحمه الله تعالى عنه وكرمه . ثم دخلت سنة عشرين وستمائة

فيها عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر . فتلقيه أخوه المعظم
 وقد فهم أنهما تمالآ عليه ، فبات ليلة بدمشق وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك ، فسار إلى
 بلاده فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خلاط وميافارقين وقد قوا رأسه وكتبه المعظم
 صاحب إربل وحسنوا له مخالفة الأشرف ، فكتب إليه الأشرف ينهاء عن ذلك فلم يقبل ، فجمع
 له العساكر ليقاتله . وفيها سار أقيس الملك مسعود صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة
 شرفها الله تعالى فقاتله ابن قتادة بطن مكة بين الصفا والمروة ، فهزمه أقيس وشرده ، واستقل
 بملك مكة مع اليمن ، وجرت أمور فظيعة وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه في تلك
 الشاب والأودية .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الامام .

موفق الدين عبد الله بن أحمد

ابن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر . شيخ الاسلام ، مصنف المغني في المذهب ، أبو محمد المتقي

إمام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أقفه منه ، ولد بمجامعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن ومع الحديث الكثير ، ورحل مرتين إلى العراق إحداها في سنة إحدى وستين مع ابن عمه الحافظ عبد الغنى ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحج في سنة ثلاث وسبعين ، وتفقه ببغداد على مذهب الإمام أحمد ، وبرع وأفنى وناظر وتبحر في فنون كثيرة ، مع زهد وعبادة وورع وتواضع وحسن أخلاق وجود وحياء وحسن سمع ونور وبهاء وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح ، وكانت له أحوال ومكاشفات ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : إن لم تكن العلماء الماقلون أولياء الله فلا أعلم الله وليا ، وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الخياطة هو والشيخ العماد ، فلما توفى العماد استقل هو بالوظيفة ، فان غاب صلى عنه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغنى ، وكان يتنفل بين العشاءين بالقرب من محرابه ، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرج الدولى بالرصيف وأخذ معه من الفقراء من تيسر يأكلون معه من طعامه ، وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل ، فاتفق في بعض الليالي أن خطف رجل عمامته وكان فيها كاغد فيه رمل ، فقال له الشيخ : خذ الكاغد وألق الممامة ، فظن الرجل أن ذلك نفقة فأخذه وألقى الممامة . وهذا يدل على ذكاه مفرط واستخصار حسن في الساعة الزاهنة ، حتى خالص عمامته من يده بتلطف . وله مصنفات عديدة مشهورة ، منها المغنى في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات ، والشافعي في مجلدين والمنع للحفظ ، والروضة في أصول الفقه ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة ، وقد بلغ الثمانين ، وكان يوم سبت وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بتربته المشهورة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله تعالى ، وكان له أولاد ذكور وإناث ، فلما كان حيا ماتوا في حياته . ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين ثم ماتا وانقطع نسله ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : نقلت من خط الشيخ موفق رحمه الله تعالى :

لا تجلسن بباب من * يابى عليك وصول داره
وتقول حاجاتي إليه * ويعوقها إن لم أداره
واتركه واقصد ربه * تُقضى ورب الدار كاره

وما أنشد الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه قوله :

أبعد بياض الشعر أعمر مسكنا * سوى القبر ، إني إن فعلت لأحق
بجبرتي شبي باني ميت * وشيكا ، فينعاني إلى ويصق
بخرق عمري كل يوم وليلة * فهل مستطاع رقع ما يتخرق

كأني بجسمي فوقَ نَمشي ممدداً * فمن ساكتٍ أو معولٍ يتعرقُ
إذا سئلوا عني أجابوا وعولوا * وأدمعهم تنهلُ هذا الموقفُ
وغيبَتْ في صدعٍ من الأرض ضيقُ * وأودعتُ لحداً فوقهُ الصخرُ مطبقُ
ويمشوا على القربِ أوثقُ صاحبٍ * ويسلمني للقبرِ من هو مشفقُ
فيارب كن لي مؤسلاً يوم وحشتي * فاني بما أنزلته المصدقُ
وما ضرتني أني إلى الله صائرٌ * ومن هو من أهلي أبروأرفقُ

نفر الدين ابن عساكر عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر

أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية بها، وأمه اسمها أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القدسية المروفي والدها بأبي البركات ابن المران، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسة مائة وبه قبره وقبرها، ودفن هناك طائفة كبيرة من العلماء، وهي أخت آمنة والدة القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي، اشتغل الشيخ نفر الدين من صغره بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري، فتزوج بابنته ودرس مكانه بالحاروجية، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين اللتين أنشأهما وبها توفي غربي الإيوان، ثم تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقدس الشريف، ثم ولاه العادل تدريس التقوية، وكان عنده أعيان الفضلاء، ثم تفرغ فلزم المجاورة في الجامع في البيت الصغير إلى جانب محراب الصحابة يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى، وكانت تغد إليه من الأقطار، وكان كثير الذكر حسن السمعة، وكان يجلس تحت النسر في كل اثنين وخميس مكان عمه لا سماع الحديث بعد العصر، فيقرأ عليه دلائل النبوة وغيره، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة أول ما فتح، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه ابن الزكي فأجلسه إلى جانبه وقت السباط، وسأل منه أن يلقى القضاء بدمشق، فقال حتى أستخير الله تعالى، ثم امتنع من ذلك فشق على السلطان امتناعه، ونم أن يؤذيه فقبل له أحمد الله الذي فيه مثل هذا. ولما توفي العادل وأعاد ابنه المعظم الخوار أنكر عليه الشيخ نفر الدين، فبقي في نفسه منه، فانزع منه تدريس التقوية، ولم يبق معه سوى الحاروجية ودار الحديث النورية ومشهد ابن عروة، وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر عاشر رجب من هذه السنة وله خمس وستون سنة، وصلى عليه بالجامع وكان يوماً مشهوداً، وحملت جنازته إلى مقابر الصوفية فدفن في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسعود بن عروة.

سيف الدين محمد بن عروة الموصلي

المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي، لأنه أول من فتحه، وقد كان مشحوناً بالحوصل الجامعية وبنى فيه البركة ووقف فيه على الحديث درساً، ووقف خزائن كتب فيه، وكان

مقيماً بالقدس الشريف ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، فانتقل إلى دمشق حين خرب
سور بيت المقدس إلى أن توفي بها ، وقبره عند قباب أنابك طفتكين قبل المصلى رحمه الله .

الشيخ أبو الحسن الروزبهاري

دفن بالمكان المنسوب إليه عند باب الفراديس .

الشيخ عبد الرحمن اليميني

كان مقيماً بالمنارة الشرقية ، كان صالحاً زاهدا ورعا وفيه مكارم أخلاق ، ودفن بمقابر الصوفية .

الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد

ابن حمزة النيسابوري ، أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجدته أبو يعلى حمزة له تاريخ
ذيل به على ابن عساكر ، وقد سمع عز الدين هذا الحديث من المحافظ أبي القاسم ابن عساكر
وغيره ، ولزم مجالسة الكندي وانتفع به .

الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة

محمد بن سليمان بن قتلش بن تركانشاه بن منصور السمرقندي ، وكان من أولاد الأمراء ، وولى
حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفة ، وكان يكتب جيداً وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة ، منها
الأدب وعلوم الرياضة ، وعمر دهره ، وله حظ من نظم الشعر الحسن ومن شعره قوله :

سَمْتُ تَكاليفَ هَذِي الْحَيَاةِ • وَكُنَّا الصَّبَاحَ بِهَا وَالْمَسَاءَ

وَقَدْ كُنْتُ كَالطُّفْلِ فِي عَقْلِهِ • قَلِيلَ الصَّوَابِ كَثِيرَ الْهَرَاءِ

أَنَامَ إِذَا كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ • وَأَسَهَرَ عِنْدَ دُخُولِ الْفَنَاءِ

وَقَصَرَ خَطْوِي قِيَدَ الْمَشِيبِ • وَطَالَ عَلَى مَا عَنَانِي عَنَاءُ

وَعُودْتُ كَالْفَرْخِ فِي عَشَةٍ • وَخَلَفْتُ حُلِيَّ وَرَاءَ وَرَاءِ

وَمَا جَرَّ ذَلِكَ غَيْرَ الْبَقَاءِ • فَكَيْفَ بَدَأَ سُوءَ فُتْلِ الْبَقَاءِ

وله أيضاً ، وهو من شعره الحسن رحمه الله :

إِلْمَى يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَفْوَاً • لَمَّا أَسْلَفْتُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ

فَقَدْ سَوَدَتْ فِي الْأَنَامِ وَجْهاً • ذَلِيلًا خَاضِعًا لَكَ فِي التَّرَابِ

فَبَيَّضُهُ بِحَسَنِ الْعَفْوِ عَنِّي • وَسَاعَنِي وَخَفَّفَ مِنْ عَذَابِي

ولما توفي صلى عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك ؟ فقال

تَحَاشَيْتُ الْقَتْلَ لِسُوءِ فِعْلِي • وَخَوْفًا فِي الْمَعَادِ مِنَ التَّنَادِمِ

فَلَمَّا أَن قَدِمْتُ عَلَى إِلْمَى • وَحَاقَنِي فِي الْحِسَابِ عَلَى قَلَامِي

وكان العدل أن أصلي ججياً * تمطف بالسكر والكرامة
وناداني لسان العفو منه * ألا يا عبد يهنيك السلامة
أبو علي الحسن بن أبي المحاسن

زهرة بن علي بن زهرة العلوي الحسيني الحلبي ، نقيب الأشراف بها ، كان لديه فضل وأدب وعلم
بأخبار الناس والتواريخ والسير والحديث ، ضابطاً حافظاً للقرآن المجيد ، وله شعر جيد فنه قوله :

لقد رأيت المعشوق وهو من الـ * بهجر تنبؤ النواظر عنه
أثر الدهر فيه آثار سوء * وأدالت يده الحوادث منه
عاد مستذلاً ومستقبلاً * عزاً بذل كأن لم يصنه
أبو علي يحيى بن المبارك

ابن الجلاجلي من أبناء التجار ، جمع الحديث وكان جميل الهيئة يسكن بدار الخلافة وكان عنده
علم وله شعر حسن ، فنه قوله :

خير إخوانك المشارك في المر * وأين الشريك في المر أينما
الذي إن شهدت مرك في القو * م وإن غبت كن أذنًا وعينا
مثل العقيق إن مسه النا * رجلاه الجلاء فازداد زينا
وأخوال سوء إن يغب عنك يش * مثلك وإن يحتضر يكن ذاك شينا
جيبه غير ناصح ومنه أن * يصب الخليل إفكاً ومينا
فاخش منه ولا تلهف عليه * إن غرماً له كنفك دينا
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة

فبها وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الري ، وكانت قد عمرت قليلا
فقتلوا أهلها أيضاً ، ثم ساروا إلى ساوة ، ثم إلى قم وقاسان ، ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة ، فغفلوا بها
مثل ما تقدم من القتل والسبي ، ثم ساروا إلى همدان فقتلوا أيضاً وسبوا ، ثم ساروا إلى خلف
الخورازمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، فهربوا منهم إلى تبريز فلقحوم وكتبوا
إلى ابن البهلوان : إن كنت مصالحا لنا فابعث لنا بالخورازمية وإلا فأنت مثلهم ، فقتل منهم خلقاً
وأرسل برؤسهم إليهم ، مع تحف وهدايا كثيرة ، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف
والخورازمية وأصحاب البهلوان أضعاف أضعافهم ، ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل ،
فأنا لله وإنا إليه راجعون .

وفبها ملك غياث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده من مملكة أصفهان وهمدان

وفيهما استعاد الملك الأشرف مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي ، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية وميا فارقين وجاي وجبل حور ، وجعله ولي عهده من بعده ، فلما عصى عليه وتشغب دماغه بما كتب إليه المعظم من تحسينه له مخالفته ، فركب إليه وحاصره بمخلاط فسلمت إليه وامتنع أخوه في القلعة ، فلما كان الليل نزل إلى أخيه معتذراً قبل عذره ولم يعاقبه بل أقره على ميافارقين وحدها ، وكان صاحب إربل والمعظم متفقين مع الشهاب غازي على الأشرف ، فكتب الكامل إلى المعظم يتهده لئن ساعد على الأشرف ليأخذنه وبلاد ، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع الأشرف ، فركب إليه صاحب إربل فحاصره بسبب قلة جنده لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط ، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا ندم صاحب إربل ، والمعظم بدمشق أيضاً .

وفيهما أرسل المعظم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه على مخالفة الأشرف ، وأرسل صوفيا من الشميساطية يقال له الملقى إلى جلال الدين بن خوارزم شاه - وكان قد أخذ أذربيجان في هذه السنة وقوى جأشه - يتفق معه على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرفادة . وفيها قدم الملك مسعود أقيس ملك اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيصة هائلة ، وأحمال عود وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ومن نية أقيس أن ينزع الشام من يد عمه المعظم . وفيها كمل عمارة دار الحديث السكلمية بمصر ، وولى مشيختها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية السكبي ، وكان مكثراً كثير الفنون ، وعنده فوائد ومحائب رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد

ابن علي القادسي الضرير الحنبلي ، والد صاحب الذيل على تاريخ ابن الجوزي ، وكان القادسي هذا يلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ويظهر لما يسمعه من الفرائب ، ويقول والله إن ذا مليح ، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة : هذا القادسي لا يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا مليح ؟ رحمهم الله تعالى ، وقد طلب القادسي مرة إلى دار المستضيء ليصلي بالخليفة التراويح قبل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال حنبلي ، فقال له لا اتصل بدار الخلافة وأنت حنبلي ، فقال أنا حنبلي ولا أصلي بكم ، فقال الخليفة أتركوه لا يصلي بنا إلا هو . أبو الكرم المظفر بن المبارك

ابن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي شيخ مشهد أبي حنيفة وغيره ، ولى الحسبة بالجانب الغربي من بغداد ، وكان فاضلاً ديناً شاعراً ومن شعره :

فصن بجميل الصبر نفسك واغتم * شريف المزايا لا يفتك ثوابها
وعش سالماً والقول فيك مهذب * كرباً وقد هانت عليك صعبها
وتندرج الأيام والكل ذاهب * قليل ويقى غنّها وعذابها
وما الدهر إلا سرّ يوم وليلة * وما العمر إلا طيّها وذهابها
وما الحزم إلا في إخاء عزيمة * وفيك المعالي صفوها ولبايها
ودع عنك أحلام الأمانى فانه * سيسفر يوماً غنّها وصوابها

محمد بن أبي الفرج بن بركة

الشيخ نحر الدين أبو المعالي الموصلي ، قدم بغداد واشتغل بالنظامية وأعاد بها ، وكانت له معرفة
بالقراءات ، وصنف كتاباً في مخارج الحروف ، وأسند الحديث وله شعر لطيف .

أبو بكر بن حلبة الموازيني البغدادي

كان فرداً في علم الهندسة وصناعة الموازين مخترع أشياء عجبية ، من ذلك أنه ثقب حبة خشخاش
سبعة ثقوب وجعل في كل ثقب شعرة ، وكان له حظوة عند الدولة .

أحمد بن جعفر بن أحمد

ابن محمد أبو العباس الديلمي البيهقي الواسطي ، شيخ أديب فاضل له نظم ونثر ، عارف بالأخبار
والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبي الملاء المعري في ثلاث مجلدات ، وقد
أورد له ابن السامعي شعراً حسناً فصيحاً حلواً للذيذا في السمع لطيفاً في القلب .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة

فيها عالت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من
التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه . وفيها استعوز
جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثيراً من بلاد الكرج ، وكسر الكرج وهم في
سبعين ألف مقاتل ، قتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة ، واستفحل أمره جداً وعظم شأنه ، وفتح
تفليس قتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل
من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه
أهلها ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد
لأنه فيما زعم عمل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتار على البلاد ، وكتب إلى المعظم بن العادل
يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك ، فامتنع المعظم من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد
جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحسن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد ، أنفق

في الناس ألف ألف دينار، وكان جلال الدين قد بعث جيشاً إلى الكرج فكتبوا إليه أن أدر كنا قبل أن نهلك عن آخرنا، وبغداد ما تفوت، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفيها كان غلاء شديد بالعراق والشام بسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد، ثم أعقب ذلك فناء كثير بالعراق والشام أيضاً، فمات بسببه خلق كثير في البلدان، فانا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر

لما كان يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله، أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله، أبي عبد الله أحمد بن المقتدي بأمر الله، أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله، أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، أبي أحمد بن محمد المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، ولد ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين [وخمسمائة]، وتوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً، وكانت مدة خلافته سبعة وأربعين سنة إلا شهراً، ولم يرق أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المحتشم العبيدي، أقام بمصر حاكماً ستين سنة، وقد انتظم في نسبة أربعة عشر خليفة، وولي عهد على ما رأيت، وبوقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه.

وكان مرضه قد طال به وجمهوره من غسار البول، مع أنه كان يجلب له الماء من مراحل عن بغداد ليكون أصفى، وشق ذكره مرات بسبب ذلك، ولم يبق عنه هذا الحذر شيئاً، وكان الذي ولي غسله محبي الدين ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وصلى عليه ودفن في دار الخلافة، ثم نقل إلى القرب من الرصافة في ثلثي ذي الحجة من هذه السنة، وكان يوماً مشهوداً، قال ابن الساعي: أما سيرته فقد تقدمت في الحوادث، وأما ابن الأثير في كتابه فانه قال: بقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً من الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيها الأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يوماً ومات، ووزر له عمدة وزراء، وقد تقدم ذكرهم، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة، وكان قبيل بيع السيرة في رعيته غالياً لهم، فخرّب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملأهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دوراً

للافتار في رمضان ودورا لضيافة الحجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها وجعل
جل همه في رمي البندق والطيور المناسب ومراويلات الفتوة . قال ابن الأثير : وإن كان ما ينسبه
المعجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطعم التتار في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر
عندها كل ذنب عظيم . قلت ، وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسول الوافدين
عليه فعلم في مكان كذا كذا ، وفعلم في الموضع الفلاني كذا ، حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه
كان يكشف أو أن جنياً يأتيه بذلك ، والله أعلم .

خلافة الظاهر بن الناصر

لما توفي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر ،
وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتوفي في حياة أبيه سنة ثلث عشرة ، فاحتاج إلى
إعادة هذا لولاية العهد فخطب له ثانياً ، فحين توفي بوبيع بالخلافة ، وعمره يومئذ ثلثان وخمسون سنة ،
فلم يل الخلافة من بني العباس أسن منه ، وكان عاقلاً وقوراً دينا عادلاً محسناً ، رد مظالم كثيرة وأسقط
مكوساً كان قد أحدثها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز
أعدل منه لو طالت مدته ، لكنه لم يحل إلى الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر أسقط الخراج الماضي
عن الأراضي التي قد تمطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي يعقوبا سبعين ألف دينار كان أبوه
قد زادها عليهم في الخراج ، وكانت صنجة الخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار في كل مائة إذا
قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد ، فكتب إلى الديوان [ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على
الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم
الناس لرب العالمين] فكتب إليه بعض الكتاب يقول يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام
الماضي خمسة وثلاثون ألفاً ، فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلثمائة ألف
وخمسين ألفاً ، رحمه الله . وأمر للقاضي أن كل من ثبت له حق بطريق شرعي يوصل إليه بلا مراجعة ،
وأقام في النظر على الأموال الجردة رجلاً صالحاً واستخلص على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبا
صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيل في يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة ، فكان من
خيار المسلمين ومن القضاة العادلين ، رحمه الله أجمعين . ولما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط
أن يورث ذوى الأرحام ، فقال : أعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ، وكان من عادة
أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب في كل صباح بما كان عندهم في الحال من الاجتماعات الصالحة
والطالحة ، فلما ولي الظاهر أمر بتبديل ذلك كله وقال : أي فائدة في كشف أحوال الناس وهناك
أستارهم ؟ فقيل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية ، فقال نحن ندعوا الله لهم أن يصلحهم ، وأطلق من كان

في السجون معتقلا على الأموال الديوانية ، ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفى بها ديون من في سجنونه من المدينين الذين لا يجدون ولاء ، و فرق في العلماء بقية المائة ألف ، وقد لاهم بعض الناس في هذه التصرفات فقال : إنما فتحت الدكان بعد مصر ، فذروني أعمل صالحا أفضل الخير ، فكم مقدار ما بقيت أعيش ؟ ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي . ورخصت الأسعار في أيامه وقد كانت قبل ذلك في غاية الغلاء حتى أنه فيما حكى ابن الأثير أكلت الكلاب والسنانير ببلاد الجزيرة والموصل ، فزال ذلك والحمد لله . وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل مليح الوجه أبيض مشربا حلو الشماثل شديد القوى .
ومن توفي فيها من الأعيان أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل

نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ، كان ولي عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه العادل ، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه العادل أبو بكر ، ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضا عمه العادل ، ثم آل به الحال أن ملك سميساط وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلا شاعرا جيدا الكتابة ، ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها . وقد ذكر ابن خلكان أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان وكان الناصر شيعيا مثله :

مولائي إن أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذي كان قدولاه * والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي
نخلفناه وحلا عقد بيعته * والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي * من الأواخر ملاقي من الأول
الأمير سيف الدين علي

ابن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر ، كان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداها على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبني الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات والنفقات رحمه الله .

الشيخ علي الكوردي

المولود المقيم بظاهر باب الجابية ، قال أبو شامة : وقد اختلفوا فيه فبعض الدما شقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداسا ، بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله ، وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه حكى السبسط عن امرأة قالت جاء خير بموت أمي باللاذقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ،

قالت فررت به وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال لي مانت ملتت إيش تملين ؟ فكان كما قال . وحكى لي عبد الله صاحبي قال صبحت يوماً وما كان معي شيء فاجترت به فدفع إلي نصف درهم وقال : يكتفي هذا للخبز والفت بدبس ، وقال مر يوماً على الخطيب جمال الدين المدولمي فقال له يا شيخ على أكات اليوم كسيرات يا بسة وشربت عليها الماء فكفنتني ، فقال له الشيخ على الكردي وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال لا ، قال يا مسلمين من يفتح بكسرة يابساً بجبس نفسه في هذه المقصورة ولا يقضى ما فرضه الله عليه من الحج

الفخر ابن تيمية

محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ نحر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني ، عالمها وخطيبها وواعظها ، اشتغل على مذهب الامام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل وجع تفسيراً حافلاً في مجلدات كثيرة وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، وم عم الشيخ محمد الدين صاحب المنتقى في الأحكام ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس ينشد :

أحبابنا قد ندرت مقلتي * ما تلتقي بالنوم أو نلتقي
رقباً بقلب مفرم وإعطفوا * على سقام الجسد المحرق
كم تملطوني بليالي آقنا * قد ذهب العمر ولم نلتقي

وقد ذكرنا أنه قدم بغداد حاجاً بعد وفاة شيخه أبي الفرج ابن الجوزي ووعظ بها في مكان وعظه .

الوزير بن شكر

صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر ، ولد بالديار المصرية بمدينة بين مصر واسكندرية سنة أربعين وخمسمائة ، ودفن بقرنته عند مدرسته بمصر ، وقد وزر الملك العادل وعمل أشياء في أيامه منها تبليط جامع دمشق وأحاط سور المصلى عليه ، وعمل الفوارة ومسجدها وعمارة جامع المزة ، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وستائة وبقى معزولاً إلى هذه السنة فكانت فيها وفاته ، وقد كان مشكور السيرة ومنهم من يقول كان ظالماً فآله أعلم

أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر

ابن إبراهيم بن علي المعروف بابن البندى الواعظ البغدادي ، أخذ الفن عن شيخه أبي الفرج ابن الجوزي وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره قوله في الزهد :

ما هنو الدنيا بدار مسرة * فتخوف مكرآ لها وخداعا
بيننا الفتى فيها يسر بنفسه * وبماله يستمتع استمتاعا
حتى سقته من المنية شربة * وحته فيه بعد ذاك رضاءا

فندا بما كسبت يده رهينة * لا يستطيع لما عرتة دقا
لو كان ينطق قال من تحت الثرى * فليحسن للعمل الفقى ما استطاعا
أبو الحسن علي بن الحسن

الرازي ثم البغدادي الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، فنه قوله في الزهد :
استعدى يافس الموت واسمى * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبين أن ليس للحى * خلود ولا من الموت بد
إما أنت مستعيرة ماسو * ف نردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا * تسهو وتلهين والمنايا تجد
لا ترجى البقاء في معدن المو * ت ولا أرضا بها لك ورد
أى ملك في الأرض أم أى حظ * لأمري يحظه من الأرض لحد
كيف يهوى امرؤ لذادة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

البها السنجاري

أبو السعادات أسعد بن محمد بن موسى الفقيه الشافعى الشاعر ، قال ابن خلكان : كان فقيها
وتكلم في الخلاف إلا أنه غلب عليه الشعر ، فأجاد فيه واشتهر بنظمه وخدم به الملوك ، وأخدمهم
الجواز وطاف البلاد ، وله ديوان بالتربة الأشرفية بدمشق ، ومن رقيق شعره ورائقه قوله :

وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ومتى وشى واشى إليك بأنه * سالى هواك فذاك من عداله
أوليس للكلف المعنى شاهد * من حاله يفنيك عن تساله
جددت نوب سقامه وهنكت سنه * ر غرامه وضمرت حبل وصاله

وهي قصيدة طويلة امتدح فيها القاضى كمال الدين الشهر زورى وله :

فهد أياى على رامة * وطيب أوقانى على حاجر
نكاد للسرعة فى مرها * أولها يعثر بالآخر

وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة رحمه الله عنه وفضله .

عثمان بن عيسى

ابن درباس بن قسر بن جهم بن عبدوس الهذلي الماراني ضياء الدين أخو القاضى صدر الدين
عبد الملك حاكم الديار المصرية في الدولة الصلاحية ، وضياء الدين هذا هو شارح المذهب إلى كتاب
الشهادات في نحو من عشرين مجلدا ، وشرح الدع في أصول الفقه والتفسيه للشيرازي ، وكان بارعا
علما بالمذهب رحمه الله .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوي

البواريجي ثم البغدادى ، شيخ فاضل له رواية ، ومما أنشده :

ضيقَ المذرفى الصراعةَ أنا * لو قنعنا بقسمننا لكفانا

مالنا نعبدُ المبادَ إذا كان * إلى الله فقرنا وغنا

أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله

ابن علي بن منصور بن الكيال الواسطى من بيت الفقه والقضاء ، وكان أحد المعدلين

ببغداد ومن شعره :

فتباً لدنيا لا يدومُ نعيمها * تسرّ يسيراً ثم تبدى المساويا

تريك رواء فى النقب وزخرفاً * وتسفر عن شوها طعياً عاميا

ومن ذلك قوله :

إن كنتُ بعد الطاعتين تسامحت * بالفحص أجفانى فما أجفانى

أو كنتُ من بعد الأجرة ناظراً * حسناً بأنسانى فما أنسانى

الدهر مغفور له زلاته * إن عاد أوطانى على أوطانى

أبو علي الحسن بن علي

ابن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فهر بن وقاح الياصرى نسبة إلى عمار بن

ياسر ، شيخ ببغدادى فاضل ، له مصنفات فى التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة

وكان مقبول الشهادة عند الحكام .

أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ

الواسطى البغدادى الصوفى ، باشر بعض الولايات ببغداد ، ومما أنشده :

ما وهب الله لأمري هبة * أحسن من عقله ومن أدبه

نما جمال الفتى فان قدما * ففقدته للحيازة أجل به

ابن يونس شارح التنبيه

أبو الفضل أحمد بن الشيخ كمال الدين أبى الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن

محمد بن سـمـد بن سـمـيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الأربلى الأصل ثم

الموصلى من بيت العلم والرياسة ، اشتغل على أبيه فى فنونه وعلومه فبرع وتقدم . وقد درس وشرح

التنبيه واختصر إحياء علوم الدين للغزالي مرتين صغيراً وكبيراً ، وكان يدرس منه . قال ابن خلكان :

وقد ولى بأربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والدى فى سنة عشر وستمائة ، وكنت أحضر عنده

وأنا صغير ولم أر أحدا يدرس مثله ، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة ، ومات في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة عن سبع وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسروهم كسرة عظيمة ، وصعد إلى أكبر معاقلتهم تفاح ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبي ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقر ملكه عليها ، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنقذها منهم جلال الدين هذا ، فكان فتحاً عظيماً والله المنة . وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاله أهلها قتالا عظيماً فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له ، فسار إليهم وتركهم . وفيها اصطلح الملك الأشرف مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق ، وكان المعظم ممالئاً عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب مازدين وصاحب الروم ، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته يقوى جانبه . وفيها كان قتال كبير بين إبراش إنطاكية وبين الأرمن ، وجرت خطوب كثيرة بينهم وفيها أوقع الملك جلال الدين بالتركان الإيوانية بأساً شديداً ، وكانوا يقطعون الطارق على المسلمين .

وفيها قدم محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسالة إلى الملك المعظم بدمشق ، ومعه الخلع والتشريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نهيه عن موالاة جلال الدين بن خوارزم شاه ، فانه خارجي من عزمه قتال الخليفة وأخذ بغداد منهم ، فأجابه إلى ذلك وركب القاذي محي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية ، وكان ذلك أول قدمه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك ، منها كان بناء مدرسته الجوزية بالشبابين بدمشق . وفيها ولي تدريس الشبلية بالسفح شمس الدين محمد بن قزغلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك المعظم ، وحضر عنده أول يوم انقضاء والأعيان .

وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر

كانت وفاة الخليفة رحمه الله يوم الجمعة ضحى الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة ، فدعاه الخطباء يومئذ على المنابر على عادتهم فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وعمره اثنتان وخمسون سنة ، وكان من أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسريرة ، وأكثرهم عطاء وأحسنهم منظرًا ورواء ، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن أحب الله تربيته وإزلافه لديه ، فاختر له ما عنده وأجرل له إحساناً

ورفضه ، وقد ذكرنا ما اعتمد به في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المظالم وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عن محجز عن أدائها ، والاحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوى الديانة والأمانة ، وقد كان كتب كتاباً لولاء الرعية فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلوا أنه ليس إيماننا إيمالا ، ولا إغضاؤنا احتمالا ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراج البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة ، وإظهار الباطل الجلى في صورة الحق الخفى ، حيلة ومكيده ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستندرا كالأغراض انتهزتم فرصها مخنسة من برائن ليث باسل ، وأنياب أسد مهيب ، تنفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته فتنبلون رأيهم إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، وبواقعكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقا ، ورزقكم سلطانا يقبل العثرة ، ولا يؤاخذ إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام . » ووجد في داره رقايع مخنومة لم يفتحها ستراً للناس ودرءاً عن أعراضهم رحمه الله ، وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإنا ، منهم ابنه الأكبر الذى بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله ، وفصله الشيخ محمد الخياط الواعظ ، ودفن في دار الخلافة ، ثم نقل إلى التربة من الرصافة .

خلافة المستنصر بالله العباسي

أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ، بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الجمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، استدعوا به من التاج فبايعه الخاصة والعامة من أهل العقد والحل ، وكان يوما مشهودا ، وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان من أحسن الناس شكلا وأبهام منظرا ، وهو كما قال القائل :

كأن الثريا علق في جبينه • وفي خده الشمرى وفي وجهه القمر

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آبائه ولوا نسقا ، وتلقى هو الخلافة عنهم ورائة كبرا عن كابر ، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله ، وصار في الناس كسيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والاحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبين مدرسة في الدنيا مثلها ، وسيأتى بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ، واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه ، ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه ، وكان يوما مشهودا ، وأنشد الشعراء المدائح والمراني ، وأطلقت لهم

انطلق والجواز ، وقدم رسول من صاحب الموصل يوم غرة شعبان من الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن الأثير ، فيها التهنئة والتعزية بعبارة فصيحة بليغة .

ثم إن المستنصر بالله كان يواظب على حضور الجمعة راكبا ظاهراً للناس ، وإنما معه خادمان وراكب دار ، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال : ما هذا ؟ ف قيل له التأذين ، فترجل عن مركوبه وسعى ماشياً ، ثم صار يمدن المشى إلى الجمعة رغبة في التواضع والخشوع ، ويجلس قريباً من الامام ويستمع الخطبة ، ثم أصلح له المطبق فكان يمشى فيه إلى الجمعة ، وركب في الثاني والعشرين من شعبان ركوباً ظاهراً للناس عامة ، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والنققات على العلماء والفقراء والمحاويج ، إعانة لهم على الصيام ، وتقوية لهم على القيام . وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت الظاهر من دار الخلافة إلى التربة من الرصافة ، وكان يوماً مشهوداً ، وبثت الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاما جزيلاً إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد ، على يدى محي الدين ابن الجوزى . وذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة ، هدمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم ، وذكر أنه ذبح شاة بيلادم فوجد لحماً مرا حتى رأسها وأكارعها [ومعاليقها وجميع أجزائها] .

ومن توفى فيها من الأعيان بعد الخليفة الظاهر كما تقدم :

الجمال المصري

يونس بن بدران بن فيرور جمال الدين المصري ، قاضى القضاة في هذا الحين ، اشتغل وحصل وبرع واختصر كتاب الأم للإمام الشافعى ، وله كتاب مطول في الفرائض ، وولى تدريس الأمانة بعد النقي صالح الضرير ، الذى قتل نفسه ، وولاه إياه الوزير صفى الدين بن شكر ، وكان معتقياً بأمره ثم ولى وكالة بيت المال بدمشق ، وترسل إلى الملوكة والخلفاء عن صاحب دمشق ، ثم ولاه المعظم قضاء القضاة بدمشق بعد عزله الزكى ابن الزكى ، وولاه تدريس العادلية الكبيرة ، حين كمل بناؤها فكان أول من درس بها وحضره الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى أكل التفسير إلى آخره ، ويقول درس الفقه بعد التفسير ، وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً ، وهو أنه كان يجلس في كل يوم الجمعة بكرة ويوم الثلاثاء ويستحضر عنده في إيوان العادلية جميع شهود البلدة ، ومن كان له كتاب يثبت حضر واستدعى شهوده فأدوا على الحاكم وثبت ذلك سرىما ، وكان يجلس كل يوم الجمعة بعد العصر إلى الشباك الكمالى بمشهد عثمان فيحكم حتى يصلى المغرب ، وربما مكث حتى يصلى العشاء أيضاً ، وكان كثير المذاكرة للعلم كثير الاشتغال حسن الطريقة ، لم ينقم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد . قال أوشامة : وإنما كان ينقم عليه أنه كان يشير على

بعض الورثة بمصالحة بيت المال ، وأنه استناب ولده التاج محمدا ولم يكن مرضى الطريقة ، وأما هو فكان عفيفا في نفسه زهافا مهيبا . قال أبو شامة : وكان يدعى أنه قرشي شيبى فتكلم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولى القضاء بعده قحس الدين أحمد بن الخليل الجويني . قلت : وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بداره التي في رأس درب الريحان من ناحية الجامع ، ولترتبه شباك شرق المدرسة الصدرية اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاء .

ما أقصرَ المصيرُ في فعله • إذ جملَ التربةَ في داره

أراحَ للأحياء من رجبه • وأبعدَ الأموات من ناره

المعتمد والي دمشق

المبارز إبراهيم المعروف بالمعتمد والي دمشق ، من خيار الولاة وأعفهم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة ، أصله من الموصل ، وقدم الشام فخدم فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم استنابه البدر مودود أخو فروخ شاه ، وكان شحنة دمشق ، فخدمت سيرته في ذلك ، ثم صار هو شحنة دمشق أربعين سنة ، فجرت في أيامه عجائب وغرائب ، وكان كثير الستر على ذوى الهيئات ، ولا سيما من كان من أبناء الناس وأهل البيوتات ، واتفق في أيامه أن رجلا حائكا كان له ولد صغير في آذانه حلق فعدا عليه رجل من جيرانهم فقتله غيلة وأخذ ما عليه من الحلى ودفنه في بعض المقابر ، فاشتكوا عليه فلم يقر ، فبكت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها ، فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل وسألته أن يتزوجها وأظهرت له أنها أحبه فتزوجها ، ومكثت عنده حيناً ، ثم سأله في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه فقال : نعم أنا قتله . فقالت أشتهى أن تري قبره حتى أنظر إليه ، فذهب بها إلى قبر خشنكاشة ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستمبرت وقد أخذت معها سكيناً أعدتها لهذا اليوم ، ففصرته حتى قتله ودفنته مع ولدها في ذلك القبر ، فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالي المعتمد هذا فسالها فذكرت له خبرها ، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها ، وحكى عنه السبط قال بينما أنا يوما خارج من باب الفرج وإذا برجل يحمل طبلاد وهو سكران فأمرت به ففصرته الحدة ، وأمرتهم فكسروا الطبل ، وإذا ذكوة كبيرة جدا فشقوقها [فاذا فيها خر] وكان العادل قد منع أن يمصر خر ويحمل إلى دمشق شيء منه بالكلية ، فكان الناس يتحيلون بأنواع الحيل ولطائف المكر ، قال السبط فسألته من أين علمت أن في الطبل شيئا . قال رأيته يمشى ترجف سيقانه ففكرت أنه يحمل شيئا ثقيلا في الطبل . وله من هذا الجنس غرائب ، وقد عزله الممظم وكان في نفسه منه وسجنه في القلعة نحو من خمس سنين ، ونادى عليه في البلاد فلم يجبه أحد ذكر أنه أخذ منه حبة خردل ، ولما مات رحمه الله دفن بترتبه المجاورة لمدرسة أبي عمر من شامها قبلى السوق ، وله عند تربته مسجد

يعرف به رحمه الله . واقف الشبلية التي بطريق الصالحية

شبل الدولة كافور الحسامي نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، ولد ست الشام ، وهو الذي كان مستحفا على عمارة الشامية البرانية لمولاه ست الشام ، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية والحنافاة على الصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، ووقف القناة والمصنع والسباط ، وفتح للناس طريقا من عند المقبرة غربى الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش ، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالمقبية ، وكانت وفاته في رجب ودفن إلى جانب مدرسته ، وقد جمع الحديث على الكندى وغيره رحمه الله تعالى

واقف الرواحية بدمشق وحلب

أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار ، وفي الثروة والمقدار ومن المعدلين بدمشق ، وكان في غاية الطول والعرض ولا لحية له ، وقد ابنتى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفوض نظرها وتدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهر زورى ، وله بحلب مدرسة أخرى مثلها ، وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق ، ورغب فيما بعد أن يدفن فيه إذا مات فلم يمكن من ذلك ، بل دفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد على الدين ابن عربي الطائي الصوفى ، وتقى الدين خزعل النحوى المصرى ثم المقدسى إمام مشهد ، على شهدا على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خطوب طويلة ولم ينتظم ما راماه من الأمر ، ومات خزعل في هذه السنة أيضاً فبطل ما سلكوه .

أبو محمد محمود بن مودود بن محمود

البلدجى الحنفى الموصلى ، وله بها مدرسة تعرف به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء وله دين متين وشعر حسن جيد ، فنه قوله :

مَنْ ادَّعَى أَنْ لَهُ حَالَةً * تُخْرِجُهُ عَنْ مَنَهِجِ الشَّرْعِ
فَلَا تُكُونَنَّ لَهُ صَاحِبًا * فَإِنَّهُ خُرَّةٌ بِلَا قَفَرٍ

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من ثمانين سنة .

ياقوت ويقال له يعقوب بن عبدالله

نجيب الدين متولى الشيخ تاج الدين الكندى ، وقد وقف إليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق ، وكانت سبعمائة وإحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتممحت هذه الكتب وبيع أكثرها ، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد ، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب ، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة :

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستائة

فيها كانت عامة أهل تفلّيس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ، ونهبوا وسبوا وخرّبوا وأحرقوا ، وخرجوا على حمية ، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريماً ليذكرهم فلم يدرهم . وفيها قتلت الاسماعيلية أميراً كبيراً من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه ، فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وخرّب مدينتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، وقد كانوا قبّحهم الله من أكبر العون على المسلمين ، لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضّر على الناس منهم .

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزموهم وأوسعهم قتلاً وأسرّاً ، وساق وراءهم أياماً فقتلهم حتى وصل إلى الرى فبلغه أن طائفة قد جاءوا لقصدته فأقام يثبطهم ، وكان من أمره وأمرهم ما سيأتي في سنة خمس وعشرين . وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف بن العادل إلى أذربيجان فلكوا منها مدناً كثيرة وغنموا أموالاً جزيلة ، وخرجوا معهم بزوجة جلال الدين بنت طغرل ، وكانت تبغضه وتماديه ، فأنزلوها مدينة خلّاط وسيأتي ما كان من خبرهم في السنة الآتية . وفيها قدم رسول الأنبور ملك الفرنج في البحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأعظم لهم المعظم في الجواب وقال له : قل لصاحبك ما عندي إلا السيف والله أعلم . وفيها جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في محمل عظيم يحمل ثقله ستائة جمل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق وجاءته هدايا من الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التي حجج منها . وفيها ولي قضاء القضاة بيفداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، وخاع عليه كما هي عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقل اللحم حتى حكي ابن الأثير أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع ، قال : وسقط فيها عاشر أذار تلج . كثير بالجزيرة والعراق مرتين فأهلك الأزهار وغيرها ، قال : وهذا شيء لم يمهّد مثله ، والمعجب كل المعجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا .

جنكيز خان

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان الأعظم عند التتار والد ملوكهم اليوم ، ينتسبون إليه و من عظم القان إنما يريد هذا الملك وهو الذي وضع لهم السياسة ^(١) التي يتحاكون إليها ، ويحكمون بها ، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه ، وهو شيء اقترحه من عند نفسه ، وتبعوه في ذلك ، وكانت تزعم أمه أنها حملته من شعاع الشمس ، فلهذا لا يعرف له أب ، والظاهر أنه مجهول النسب ، وقد رأيت مجلداً جمعه الوزير

(١) السياسة : مركبة من « سي » بمعنى ثلاثة . و « يسا » بمعنى الترتيب ، ثم حرفها العرب

فقالوا : سياسة .

ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته ، وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا ، والحروب ، فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصاً عند الملك أربك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً ترمجي ، ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان ، وكان هذا الملك قد قر به وأذناه ، فحسده عظماء الملك وشوا به إليه حتى أخرجه عليه ، ولم يقتله ولم يجد له طريقاً في ذنب يتسلط عليه به ، فهو في ذلك إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجأ إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضمرة الملك أربك خان من قتله ، فأخذ حذره وتجهز بدولة واتبعه طوائف من التتار وصار كثير من أصحاب أربك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكتهم وكثرت جنوده ، ثم حارب بعد ذلك أربك خان فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته وملكيته ، وانضاف إليه عدده وعدده ، وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طماج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكثر القبائل قبيلته التي هومنها يقال لهم قيان ، ثم أقرب القبائل إليه بعدد قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان وقنقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم . قال الجويني : وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحصى كثرة ، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك ، فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلبه ، واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث ، وكان ابتداء ملك جنكيزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستائة ، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا ، فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع ، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستائة فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسا فانه يكتب في مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يعبى ويقع مغشياً عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئذ ، فان كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها . وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة فسمع قائلاً يقول له إننا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فشايخ المغول يصدقون بهذا يأخذونه مسلماً .

ثم ذكر الجويني تنقبا من الياسا من ذلك : أنه من زنا قتل ، محصنا كان أو غير محصن ، وكذلك من لواط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن فحش قتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعلن أحدهما قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ، ومن أطعم أسيراً

أو سقاء أو كساء بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد هارباً ولم يردده قتل ، ومن أطمع أسيراً أوردى إلى أحد شيئاً من المأكول قتل ، بل يسأله من يده إلى يده ، ومن أطمع أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المَطْعوم أميراً لا أسيراً ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ، ومن ذبح حيواناً ذبح مثله بل يشق جوفه و يقتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً . وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المتزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقسمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر باجماع المسلمين . قال الله تعالى [ألحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون] وقال تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسلياً] صدق الله العظيم

ومن آدابهم : الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة ، وأن يمرضوا عليه أبقارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهم ، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ، ومن مرقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ، ولا يقف على أسكفة الخركاه ولا يفسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ، ولا يكافون العلماء من كل ما ذكر شيئاً من الجنائيات ، ولا يتعرضون لمال ميت ، وقد ذكر علاء الدين الجويني طرقاً كثيرة من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما أداه إليه عقله وإن كان مشركاً بالله كان يعبد معه غيره ، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، ولكن كان البداءة من خوارزم شاه ، فانه لما أرسل جنكيزخان نجارا من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فأتوها إلى إيران فقتلهم فأتبها من جهة خوارزم شاه ، وهو والد زوجة كشلي خان ، وأخذ جميع ما كان معهم ، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يعلم به ، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه : من المهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم ، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم فأتبك ، فان كان أمرا أمرت به طلبنا بدمائهم ، وإلا فانت تنسكه وتقتص من فأتبك . فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرق وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده ، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع ، فما ذكره الجويني أنه قدمه لبعض الفلاحين بالصيد ثلاث بطيخات فلم يتفق أن عند جنكيزخان أحد من الخزندارية ، فقال لزوجته خاتون أعطيه هذين القرطين اللذين في أذنك ، وكان فيهما جوهرتان نفستان جداً ، فشحت المرأة بهما

وقالت : أنظره إلى غد ، فقال إنه يبيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لا يجعل له شيء بعد هذا ، وإن هذين لا يمكن أحدهما إذا اشتراها إلا جاء بهما إليك فأنزعتهما فدفعتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك فردهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك :

ومن قال إن البحر والقطر أشبهها * نداهُ فقد أثنى على البحر والقطر

قالوا : واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عتابة فأنجبه لونه ومالت نفسه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه ببالس ، فاشتري الحاجب ربع بالبس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال : هذا كله ببالس ؟ قال وبقى منه هذا - وأشار إلى ما بقى معه من المال - فغضب وقال : من يجد من يشتري منه مثلي يتموا له عشرة بالبس . قالوا : وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فاستحسنه جنكيزخان فوهن أمره عنده بعض خواصه وقال : خوند هذا زجاج لقيمة له ، فقال : أليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالماً ؟ أعطوه مائتي بالبس . قال : وقيل له إن في هذا المكان كنزاً عظيماً إن فتحته أخذت منه ما لا جزى بلاه فقال الذي في أيدينا يكفيننا ، ودع هذا يفتحه الناس ويأكلونه فهم أحق به منا ، ولم يتعرض له ^(١) قال واشتهر عن رجل في بلاده يقول أنا أعرف موضع كنز ولا أقول إلا للقان ، وألح عليه الأمراء أن يعلمهم فلم يفعل ، فذكروا ذلك للقان فأحضره على خيل الأولاق - يعني البريد - سريعاً فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك . فلما رأى تغير كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما قلت ، وورده إلى موضعه سالماً ولم يعطه شيئاً . قال : وأهدى له إنسان رمانة فكسرها وفرق جها على الحاضرين وأمر له بعدد جها بالبس ثم أنشد :

فلذلك تزدحم الوفودُ ببابه * مثل ازدحام الخبر في الرمان

قال : وقدم عليه رجل كافر يقول رأيت في النوم جنكيزخان يقول قل لأبي يقتل المسلمين ، فقال له هذا كذب ، وأمر بقتله ^(٢) . قال وأمر بقتل ثلاثة قد قضت الياسا بقتلهم ، فاذا امرأة تبكي

(١) وجد بهامش التركة ما نصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذي قام مقامه ، ولعله هو الصحيح لأن قان هذا المنسوب إلى السكرم الجبلي العظيم والسخاء المفرط ، ويحكى عنه حكايات عظيمة في هذا الشأن . وأما أبوه جنكيزخان فانه متوسط في الجود بل وفي سائر سجاليه وأخلاقه وأفعاله إلا في أمر سفك الدماء قبحه الله تعالى . (٢) فيه تخليط والصحيح أن أعرابياً جاء إلى قان وقال له : رأيت في النوم أباك جنكيزخان فقال لي : قل لأبني قان يقتل المسلمين ، وكان قان عميل إلى المسلمين ، مخالفاً لأهل بيته ، فسأل الرجل : هل تعرف اللغة المغولية ؟ فقال : لا . فقال الملك له : أنت كاذب لأن أبي ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية ، فأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده .

وتلطم . فقال : ماهذه ؟ أحضروها ، فقالت : هذا ابني ، وهذا أخى ، وهذا زوجى ، فقال اختارى واحداً منهم حتى أطلقك لك ، فقالت : الزوج يحبى مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له ، فاستحسن ذلك منها وأطلق الثلاثة لها . قال : وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، فذكر له إنسان بخراسان فأحضره فصارع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه وأطلق له بنتاً من بنات الملوك حسناء . فمكثت عنده مدة لا يتعرض لها ، فاتفق بحبيثها إلى الوردوا فجعل السلطان يمازحها ويقول : كيف رأيت المستعرب ؟ فذكرت له أنه لم يقربها ، فتمجب من ذلك وأحضره فسأله عن ذلك فقال : ياخوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة ومتى قربتها نقصت منزلي عندك ، فقال لا بأس عليك وأحضر ابن عم له وكان مثله ، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان : أنما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل .

قال : ولما احتضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق ، وضرب لهم في ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشاباً وأخذسهما أعطاه لواحد منهم فكسره ، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يطبقوا كسرها ، فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلقتهم ، قال : وكان له عدة أولاد ذكور وإناث منهم أربعة هم عظماء أولاده أكبرهم يوسى وهريول وباتو وبركة وتركجار ، وكان كل منهم له وظيفة عنده . ثم تكلم الجويني على ملك ذريته إلى زمان هو لا كوخان ، وهو يقول في اسمه يادشاه زاره هو لا كو ، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأموار المعروفة المرمجة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم .

السلطان الملك المعظم

عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، ملك دمشق والشام ، كانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة ، وكان شجاعاً باسلاً عالماً فاضلاً ، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحصري مدرس النورية ^(١) ، وفي اللغة والنحو على التاج السكندی ، وكان محفوظه مفصل الزخشرى ، وكان يجيز من حفظه ثلاثين ديناراً وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد والتهذيب للزهرى وغير ذلك ، وأمر أن يرتب له مسند الامام أحمد ، وكان يحب العلماء ويكرمهم ، ويجهت في متابعة الخير ويقول أنا على عقيدة الطحاوى ، وأوصى عند وفاته أن لا يكفن إلا في البياض ، وأن يلحد له ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه ، وكان يقول : واقعة دمياط أدرها عند الله تعالى وأرجو أن يرحمى بها . يعنى أنه أبلى بها بلاء حسناً - رحمه الله تعالى ، وقد جمع له بين الشجاعة والبراعة والعلم ومحبة أهله ، وكان يحبى في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين

(١) وهو مؤلف كتاب « السهم المصيب في الرد على الخطيب » فيما ذكره في تاريخ بغداد في

ترجمة الامام أبي حنيفة رحمه الله .

فيصلى فيها الجمعة ، وكان قليل التعاطف ، يركب في بعض الأحيان وحده ثم يلحقه بعض غلمانه سوفا .
وقال فيه بعض أصحابه وهو محب الدين بن أبي السعود البندادى .

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى * بوال فما وجدى عليك ببال
ومذغبت عني ما ظفرت بصاحب * أخى ثقة إلا خطرت ببال
وملك بعده دمشق ولده الناصر داود بن المعظم ، وبإيه الأمراء .

أبو المعالي أسعد بن يحيى

ابن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب الفقيه الشافعى البخارى ، شيخ أديب فاضل
خدير ، له نظم ونثر ظريف ، وله نوادر حسنة وجاوز التسعين . قد استوزره صاحب حماة في وقت
وله شعر رائع أورد منه ابن الساعى قطعة جيدة . فن ذلك قوله :

وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ففى وثى واش إليك بشأنه * سائل هواك فذاك من أعداله
أو ليس للدنف المعنى شاهدة * من حاله يفنيك عن تسأله
جددت ثوب سقامه وهتكت سمة * رُغرامه ، وصرمت جبل وصاله
بالعجائب من أسير دابة * يفدى الطليق بنفسه وبماله
وله أيضاً : لام العواذل في هواك فأكثروا * هيات ميعاد السلو المحشر
جهلوا مكانك في القلوب وحولوا * لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
صبراً على عذب الهوى وعذابه * وأخو الهوى أبداً يلام ويعدر^(١)

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد

ابن أحمد بن حمدان الطائى المعروف بالصائغ ، أحد المعيدى بالنظامية ، ودرس بالثقفية ، وكان
عارفاً بالمذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحاً للتنبيه . ذكره ابن الساعى .

أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي

الفقيه الشافعى ، تفقه على أبي القاسم بن فضال ثم أعاد بالنظامية ودرس بغيرها ، وكان يشغل
كل يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ، وكان بارعاً كثير المعلوم ،
قد أتقن المذهب والخلاف ، وكان يفتى في مسألة الطلاق الثلاث بواحدة فتضيظ عليه قاضى القضاة
أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغانى ، فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تكريت فأقام بها ، ثم استدعى
إلى بغداد ، فعاد إلى الاشتغال وأعاد قاضى القضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية ، وعاد
إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى والوجاهة إلى أن توفى في هذه السنة رحمه الله تعالى . وهذا

ذكره ابن الساعي . ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستائة

فيها كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتر ، كسروه غير مرة ، ثم بعد ذلك كله كسره كسرة عظيمة ، وقتل منهم خلقا وأما لا يمحسون ، وكان هؤلاء التتر قد افردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له : إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم ، ولكن سترى منا ما لا قبل لك به . وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية صقلية قتلوا عكا وصور وحملوا على مدينة صيدا فانزعروها من أيدي المؤمنين ، وعبروها وقويت شوكتهم ، وجاء الانبرور ملك الجزيرة القبرصية ثم صار قتل عكا تخاف المسلمون من شره وبالله المستعان . وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس الشريف فدخله ، ثم سار إلى نابلس تخاف الناصر داود بن المعظم من عمه الكامل ، فكتب إلى عمه الأشرف تقدم عليه جريئة ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفه عن ابن أخيه ، فأجابه الكامل بأنى إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشى لله أن أحاصر أخى أو ابن أخى ، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأنت تحفظها وأنا راجع إلى الديار المصرية ، غشى الأشرف وأهل دمشق إن رجع الكامل أن تمتد أطماع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فتبطله عن الرجوع ، وأقاما جميعا هناك جزاءها الله خيرا ، يحوطان جناب القدس عن الفرنج لعنهم الله . واجتمع إلى الملك جماعة من ملوكهم ، كأخيه الأشرف وأخيهما الشهاب غازي بن العادل وأخيهما الصالح إسماعيل بن العادل ، وصاحب حمص أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين ، وغيرهم ، واتفقوا كلم-م على نزع الناصر داود عن ملك دمشق وتسليمها إلى الأشرف موسى . وفيها عزل الصدر التكريتي عن حبة دمشق ومشيجة الشيوخ وولى فيها اثنان غيره .

قال أبو شامة : وفي أوائل رجب توفي الشيخ الصالح الفقيه أبو الحسن علي بن المراكشي المقيم بالمدرسة المالكية ، ودفن بالمقبرة التي وقفها الزين خليل بن زوزان قبلى مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستائة

استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون ، قد صاروا أحزابا وفرقا ، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف ، قويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكفرتهم بمن وفد إليهم من البحر ، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، ففسلوا القدس الشريف ، وكان

المعظم قد هدم أسواره ، فمعظم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيق على أهلها فقطع النهار ونهبت الحواصل وغلت الأسعار ، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم ، على أن يقيم ملكاً بمدينة الكرك والشوبك ونابلس وبرا ما بين النور والبلقاء ويكون الأمير عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخند ، ثم تفايض الأشرف وأخاه الكامل فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرها والرقه ورأس العين وسروج ، ثم سار الكامل فحاصره وكان صاحبها الملك المنصور بن تقي الدين عمر قد توفى وعهد بالأمر من بعده لملي أكبر ولده المظفر محمد ، وهو زوج بنت الكامل ، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين فليج أرسلان فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه المظفر محمد ، ثم سار فنسلم البلاد التي قايس بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا ، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل في أيام الملك الناصر داود ، وكان يعاني ذلك وقديما نسبة بعضهم إلى نوع من الانحلال فله أعلم ، فنأدى الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه ، وكان سيف الدين الأمدى مدرسا بالمرزية فمزله عنها وبقي ملازماً منزله حتى مات في سنة إحدى وثلاثين كما سيأتي .

وفيهما كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة شمس الدين بن الخولي القاضي محيي الدين يحيى بن محمد بن علي بن الزكي ، فحكم أياما بالشباك ، شرقي باب الكلاسة ، ثم صار الحكم بداره ، مشاركا لابن الخولي .

ومن توفى فيها من الأعيان الملك المسعود اقميس بن الكامل

صاحب العين ، وقد ملك مكة سنة تسع عشرة فأحسن بها المدة ، ونفى الزيدية منها ، وأمنت الطرقات والحجاج ، ولكنه كان مسرفا على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضا . وكانت وفاته بمكة ودفن بباب الملى ، محمد السبتي النجار

كان يعمه بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة : وهو الذي بنى المسجد غربى دار الزكاة عن يسار المار في الشارع من ماله ، ودفن بالجبل . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى

أبو الحسن علي بن سالم

ابن يزبك بن محمد بن مقلد العبادى الشاعر من الحديثة ، قدم بغداد مراراً وامتنح المستظهر وغيره ، وكان فاضلا شاعرا يكثر النزل

أبو يوسف يعقوب بن صابر الحراني

ثم البغدادي المنجنيقي ، كان فاضلاً في فنه ، وشاعراً مطبقاً لطيف الشعر حسن المعاني ، قد أورد له ابن الساعي قطعة صالحة ، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تمزية عظيمة لجميع الناس وهي :

هل لمن يرتجى البقاء خلودٌ * وسوى الله كل شيء يبيدُ
والذي كان من ترابٍ وإن * عاش طويلاً للتراب يعودُ
فصبر الأنام طراً إلى ما * صار فيه آباؤهم والجدودُ
أبن حواء أبن آدم إذا * نهم الخلد والنوى والخلودُ ؟
أبن هابيل أبن قابيل إذ * هذا لهذا معاند وحسودُ ؟
أبن نوح ومن نجاة بالفل * لك والعالون طراً فقيدُ
أسلمته الأيام كالطفل للمو * ت ولم يغب عمره الممدودُ
أبن عاد ؟ بل أبن جنة عاد * أم ترى أبن صالح ونمودُ ؟
أبن إبراهيم الذي شاد يد * ت الله فهو المعظم المقصودُ
حسدوا يوسف أخاهم فكادو * ومات الحاسد والحسودُ
وسليمان في النبوة والملك * قضى مثل ما قضى داودُ
فقدوا بعد ما أطيع لدا الخلا * ق وهذا له أبن الحديدُ
وابن عمران بعد آياته التس * ع وشق الخضم فهو صعيدُ
والمسيح ابن مريم وهو روح الا * ه كادت تقضى عليه اليهودُ
وقضى سيد النبيين والمها * دى إلى الحق أحمد المحمودُ
وبنوه وآله الطاهرو * ن الزهر صلي عليهم المعبودُ
ونجوم السما منتثرات * بعد حين وللهم ركودُ
ولنار الدنيا التي توقد الصخ * ر خود وللهم جودُ
وكذا للثرى غداة يوم الذ * س منها تزلزل وهودُ
هذه الامهات فار وترب * وهواء رطب وماء برودُ
سوف يفتى كما فئنا فلا * يبق من الخلق والد ووليدُ
لا الشقي النوى من نوب الايا * م ينجو ولا السعيد الرشيدُ
ومنى سلت المنايا سيوفاً * فالوالى حصيدها والعييدُ

ومن توفي فيها أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي

الفتية الشافعي ويلقب بشعلب ، اشتغل في المذهب والخلاف ومن شعره قوله :

جسي ممي غير أن الروح عندكم * فالجسم في غربته والروح في وطن
فليجبت الناس مني أن لي بدنًا * لا روح فيه ولي روح بلا بدن

أبو الفضل جبرائيل بن منصور

ابن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها ، أسلم - وكان نصرانيا - فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ، ومن ذلك قوله « خير أوقاتك ساعة صفت لله ، وخلصت من الفسكرة لغيره والرجاء لسواه ، وما دمت في خدمة السلطان فلا تغتر بالزمان ، اكفف كفك واصر طرفك وأكثر صومك وأقلل نومك يؤمنك ، واشكر ربك بحمد أمرك . وقال : زاد المسافر يقدم على رحيله ، فأعد الزاد تبلغ بلعماد المراد وقال : إلى متى تنمدي في النغلة كأنك قد أمنت عواقب المهلة ، عمر الهمومضى وعمر الشبيبة انقضى ، وما حصلت من ربك على ثقة بالرضا ، وقد انتهى بك الأمر إلى سن التخاذل وزمن التكاسل ، وما حظيت بطائل . وقال : وروحك تخضع وعينك لا تسمع ، وقلبك يخشع ونفسك تجشع ، ونظلم نفسك وأنت لها تتوجع ، وتظهر الزهد في الدنيا وفي الحال تطمع ، وتطلب ما ليس لك بحق وما وجب عليك من الحق لا تدفع ، وتروم فضل ربك وللماعون تمنع ، وتعيب نفسك الامارة وهي عن الله لا ترجع ، وتوقف الغافلين بانذارك وتتناوم عن سهمك وتهجع ، وتخص غيرك بخيرك ونفسك الفقيرة لا تنفع ، وتقوم على الحق وأنت بالباطل مولع ، وتتنصر في المضايق وطرق النجاة مبيع ، وتهجم على الذنوب وفي المجرمين تشفع وتظهر القناعة بالقليل والكثير لا تشبع ، وتعمر الدار الفانية ودارك الباقية خراب بلقع ، وتستوطن في منزل رحيل كأنك إلى ربك لا ترجع ، وتظن أنك بلا رقيب وأعمالك إلى المراقب ترفع ، تقدم على الكبار وعن الصغار تتورع ، وتؤمل القرآن وأنت عن الذنوب لا تقلم ، وترى الأحوال محيطة بك وأنت في ميدان الله ترتع ، وتستبجح أفعال الجهال وباب الجهل تقرع ، وقد آن لك أن تأنف من التعنيف وعن الدنيا ترفع ، وقد سار الخفون وتخلقت فإذا تتوقع . »

وقد أورد ابن الساعي له شعراً حسناً منه :

إن سهرت عينك في طاعة * فذاك خير لك من نوم

أمسك قد فأت بملاتك * فاستدرك الفائت في اليوم

وله إن رباً هداك بعد ضلال * سبل الرشد مستحق للعبادة

فتعبد له فنجدر منه عتقاً • واستند فضلُه بطول الزهادة
وله : إذا تعففت عن حرام • عوضت بالطيب الحلال
فاقنع نجدة في الحرام حلاً • فضلاً من الله ذي الجلال

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه ، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط في الماضي وخرّبها وشرّد أهلها ، وحرّبه علاه الدين كيقياد ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده ، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق ، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تبقى من عسكر خلاط ، فكانوا خمسة آلاف مقاتل ، معهم النخبة الكاملة ، والخيول الهائلة ، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان وهو في عشرين ألف مقاتل ، فلم يقدّم لهم ساعة واحدة ، ولا صبر فنفقهقر وانهمز واتبعوه على الأثر ، ولم يزالوا في طلبهم إلى مدينة خوى وعاد الأشرف إلى مدينة خلاط فوجدوها خاوية على عروشها ، فهدّدها [وأطدها] ، ثم تصالح جلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه حرسها الله ^(١) وفيها تسلم الأشرف قلعة بعلبك من الملك الأجدد بهرام شاه بعد حصار طويل ، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل ، ثم سار إلى الأشرف بسبب أن جلال الدين أنخوارزمي استحوذ على بلاد خلاط وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهب أموالاً كثيرة ، فالتقى معه الأشرف واقتتلوا قتالاً عظيماً فهزّمه الأشرف هزيمة منكّرة ، وهلك من أنخوارزمية خلق كثير ، ودقت البشار في البلاد فرحاً بنصرة الأشرف على أنخوارزمية ، فأنهم كانوا لا يفتحون بلاداً إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم ، فكسّرهم الله تعالى . وقد كان الأشرف رأى النبي (ص) في المنام قبل الوقعة وهو يقول له : يا موسى أنت منصور عليهم ولما فرغ من كسرهم عاد إلى بلاد خلاط فرمم شعنها وأصلح ما كان فسد منها . ولم يمحج أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها ، وكذا فيما قبلها أيضاً ، فهذه ثلاث سنين لم يسر من الشام أحد إلى الحج . وفيها أخضعت الفرنج جزيرة سوريّة وقتلوا بها خلقاً وأسروا آخرين ، فقدموا بهم إلى الساحل فاستقبلهم المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج .

ومن توفي فيها من الأعيان زين الأمان الشيخ الصالح

أبو البركات ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمان بن عساكر دمشق الشافعي ، سمع على حميه الحافظ أبي القاسم والصائين وغير واحد ، وعمر وتفرد بالرواية وجاوز الثمانين

بنحو من ثلاث سنين ، وأقعد في آخر عمره فكان يحمل في محفة إلى الجامع وإلى دار الحديث النورية لاسماع الحديث ، وانتفع به الناس مدة طويلة ، ولما توفي حضر الناس جنازته ودفن عند أخيه الشيخ نحر الدين بن عساكر بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى .

الشيخ بيرم المارديني

كان صالحاً منقطعاً محباً للعزلة عن الناس ، وكان مقبلاً بالزاوية الغربية من الجامع ، وهي التي يقال لها الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولى وبزاوية القطب النيسابورى ، وبزاوية الشيخ أبى نصر المقدسى ، قاله الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستائة

استلمت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها باصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمى قد أفسده من بلاده ، وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فماتوا بالفساد يمينا وشمالا ، قتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم خذلهم الله تعالى . وفيها رتب إمام بمشهد أبى بكر من جامع دمشق وصليت فيه الصلوات الخمس . وفيها درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهر زورى الشافعى فى المدرسة الجوانية فى جانب المارستان فى جمادى الأولى منها . وفيها درس الناصر ابن الحنبلى بالصالحية بسفح قاسيون التى أنشأها الخاتون ربيعة خاتون بنت أبوب أخت ست الشام

وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ على الحربرى بقلعة عزتنا . وفيها كان غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية ، فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى [ولنبليكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] وذكر ابن الأثير كلاماً طويلاً مضمونه خروج طائفة من التتار مرة أخرى من بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب قدومهم هذه السنة أن الاسماعيليين كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه وأنه قد عادى جميع الملوك حوله حتى الخليفة ، وأنه قد كسره الأشرف بن العادل مرتين ، وكان جلال الدين قد ظهرت منه أفعال ناقصة تدل على قلة عقله ، وذلك أنه توفي له غلام خصى يقال له قليج ، وكان يحبه ، فوجد عليه وجداً عظيماً بحيث إنه أمر الأمراء أن يشوا بجنازته فمشوا فراسخ ، وأمر أهل البلد أن يخرجوا بحزن وتعداد عليه فتوانى بعضهم فى ذلك فهم يقتلهم حتى تشفع فيهم بعض الأمراء ثم لم يسمح بدفن قليج فكان يحمل معه بمحفة ، وكلما أحضر بين يديه طعام يقول احملوا هذا إلى قليج

فقال له بعضهم : أيها الملك إن قلعج قدمات ، فأمر بقتله قتل ، فكانوا بعد ذلك يقولون : قبله وهو يقبل الأرض ، ويقول هو الآن أصلح مما كان - يعنى أنه مريض وليس بميت - فيجد الملك بذلك راحة من قلة عقله ودينه قبحه الله . فلما جاءت التتار اشتغل بهم وأمر بدفن قلعج وهرب من بين أيديهم وامتلأ قلبه خوفاً منهم ، وكان كلما سار من قطر لحقوه إليه وخربوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وما ردين وآمد ، يفسدون ما قدروا عليه قتلًا ونهبًا وأسرا ، وتمزق شمل جلال الدين وتفرق عنه جيشه ، فصاروا شنر مذر ، وبدلوا بالأمن خوفاً ، وبالمرز دلاً ، وبالاتباع تفرقاً ، فسبحان من بيده الملك لا إله إلا هو . وانقطع خبر جلال الدين فلا يدرى أين سلك ، ولا أين ذهب ، وتمكنت التتار من الناس في سائر البلاد لا يجدون من يمنعهم ولا من يردعهم ، وألقى الله تعالى الوهن والضعف في قلوب الناس منهم ، كانوا كثيراً يقتلون الناس فيقول المسلم : لا بالله ، لا بالله ، فكانوا يلعبون على الخيل ويفنون ويحسون الناس لا بالله لا بالله ، وهذه طامة عظيمة وداهية كبرى ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان ممن حج فيها الشيخ تقي الدين أبو عمر بن الصلاح ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والخوف من التتار والفرنج ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها تكامل بناء المدرسة التي بسوق العجم ببغداد المدسوبة إلى إقبال الشراي ، وحضر الدرس بها ، وكان يوماً مشهوداً ، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتيين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيهاً لهم الجوامك الدارة في كل يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها ، وخلع على المدرس والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم ، وكان وقتاً حسناً تقبل الله تعالى منه . وفيها سار الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرسالة عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ، فأكرم وأعيد معظماً . وفيها دخل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قط ، فتلقاه الموكب وشافه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين ، وكان ذلك شرطاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظماً مكرماً . ومن توفى فيها من الأعيان يحيى بن معطي بن عبد النور

النحوى صاحب الألفية وغيرها من المصنفات النحوية المفيدة ، ويلقب زين الدين ، أخذ عن الكندي وغيره ، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة ، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضاً ، وأنه دفن قريباً من قبر المزي بالقرافة في طريق الشافعي عن يسرة المار رحمه الله .

الدخوار الطيب

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف داره بدرب العميد بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم ، وكانت وفاته بصفر من هذه السنة ، ودفن بسفح قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرق الركنية ، وقد ابتلى بستة أمراض متعاقبة ، منها ريح الاقوة ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة وكان عمره ثلاثا وستين سنة قال ابن الأثير : وفيها توفي .

القاضي أبو غانم بن العديم

الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، من العاملين بملهم ، ولوقال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقا ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فانه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه ، قال : . وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا .

أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي

وهو وأهل بيته مقدموا السنة بحباب ، وكان رجلا ذا مروءة غزيرة ، وخلق حسن ، وحلم وافر ورياسة كثيرة ، يحب إطعام الطعام ، وأحب الناس إليه من أكل من طعامه ويقبل يده ، وكان يلقي أضيافه بوجه منبسط ، ولا يقعد عن إيصال راحة وقضاء حاجة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة . قلت وهذا آخر ما وجد من الكامل في التاريخ للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالى .

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم

ابن أبي السمادات بن كريم الموصل ، أحد الفقهاء الحنفيين ، شرح قطعة كبيرة من القدوري ، وكتب الانشاء لصاحبها بدر الدين أولو ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلا شاعرا ، من شعره :

دعوة كما شاء الفرام يكون * فلست وإن خان اليهود أخون
ولينوا له في قولكم ما استظعنتم * عسى قلبه القاسى على يلين
وبثوا صباباتي اليه وكرروا * حديثي عليه فالحديث شجون
بنفسى الأولى بأنواع العين حصاة * وحبهم في القلب ليس بين
وسلوا على العشاق يوم تحملوا * سيوفاً لها وطف الجفون جفون

المجد البهنسي

وزير الملك الأشرف ثم عزله وصادره ، ولما توفي دفن بتربته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كتبه بها وقفا ، وأجرى عليها أوقافا جيدة دارة رحمه الله تعالى .

جمال الدولة

خليل بن زوزان رئيس قعبر حجاج ، كان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، ودفن بتربته عند مسجد قلوس رحمه الله تعالى .

الملك الأجد

واقف المدرسة الأجدية . وفيها كانت وفاة .

بهرام شاه بن فروخشاہ بن شاهنشاه

ابن أبوب صاحب بعلبك ، لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فلما في سنة ست وعشرين ، فانتزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين ، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه ، فلما كان شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي فقتله ليلا ، وكان قد اتهمه في صاحبة له وحبه ، فغلب عليه في بعض الليالي فقتله وقتل المملوك بعده ، ودفن الأجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرق الشمالي رحمه الله تعالى ، وقد كان شاعرا فاضلا له ديوان شعر ، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائق الغائق ، وترجمته في طبقات الشافعية ، ولم يذكره أبو شامة في الذيل ، وهذا عجيب منه ، ومما أورد له ابن الساعي في شاب رآه يقطع قضبان بان فأنشأ على البديهة :

من لي بأهيفَ قال حينَ عنته • في قطعِ كبرِ قضيبِ بانٍ رائقِ
نحكي شائلةَ الرشاءِ إذا انثنى • ريانَ بينَ جداولٍ وحدائقِ
سرفتْ غصونَ البانِ لينَ شمائلِ • ققطمتها والقطمُ حدُ السارقِ
ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى .

يؤرقني حنينٌ وادكارٌ • وقد خلتِ المرافقُ والديارُ
تنامى الظاعنونَ ولى فؤادٌ • يسيرُ مع المودج حيثُ ساروا
حنينٌ مثلما شاءَ التناثُرُ • وشوقٌ كلما بعدَ المزارُ
وليلٌ بعدُ بينهم طویلٌ • فأينَ مضتْ لياليَ الفصاارُ ؟
وقد حكمَ السهادُ على جفوني • تساوى الليلُ عندي والنهارُ
سهادى بعدُ نأيمُ كثيرٌ • ونوى بعدُ ما رحلوا غرارُ
فنَ ذا يستميرُ لنا عيونا • تنامُ وهل ترى عيناً تعارُ
فلا ليلى له صبحٌ منيرٌ • ولا وجدى يقالُ له عشارُ
وكم من قاتلٍ والحى غداً • يحجبُ ظلمتهُ النقعُ المنارُ

وقوفك في الديار وأنت حي * وقد رحل الخليط عليك عار

وله دوييت :

كم يذهب هذا العمر في الخسران * ما أغفلني فيه وما أنساني

ضيعت زماني كله في لعب * يا عمر هل بعدك عمر ثاني

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال :

كنت من ديني على وجل * زال عني ذلك الوجل

أمنت نفسي بواقها * عشت لمامت لما رجل

رحم الله وعفا عنه . جلال الدين تكش

وقيل محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي ، وم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش جدم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار قهروا أباه حتى شردوه في البلاد فأت في بعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مزقوا عساكره شذرا منفرقا وفتروا عنه أيدي سبا ، وانفرد هو وحده فأتقه فلاح من قرية بأرض ميا فارقين فأنكره لما عليه من الجواهر الذهب ، وعلى فرسه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية - وكانوا قد قتلوا لفلاح أخا - فأنزله وأظهر إكرامه ، فلما قام قتله بغأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى شهاب الدين غازي ابن المعادل صاحب ميافارقين فاستدعى بالفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر ، وأخذ الفرس أيضاً ، وكان الأشرف يقول هو سد ما بيننا وبين التتار ، كما أن السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة

فيها عزل القاضي بدمشق : قمس الخوى وقمس الدين بن سفي الدولة ، وولى قضاء القضاة عباد الدين ابن الخرساني ، ثم عزل في سنة إحدى وثلاثين وأعيد قمس الدين بن سفي الدولة كما سيأتي . وفيها سابع عشر شوالها عزل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي ، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه نغر الدين أحمد بن محمد القمي وأصحابهم وحبسوا ، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار قمس الدين أبا الأزهر ، أحمد بن محمد بن النادر ، وخلع عليه خلعة سنية وفرح الناس بذلك . وفيه أقبلت طائفة من التتار فوصلوا إلى شهزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين ، وأضاف إليه عساكر من عنده ، فساروا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلاتهم مدة شهور ، ثم تعرض مظفر الدين وعاد إلى بلاده إربل ، وتراجعت التتار إلى بلادها .

ومن توفي فيها من الأعيان الحافظ محمد بن عبد الغني

ابن أبي بكر البغدادي ، أبو بكر بن نقطة الحافظ المحدث الفاضل ، صاحب الكتاب النافع المسمى بالتقييد في تراجم رواة الكتب والمشاهير من الحديثين ، وكان أبوه فقيراً فقيراً منقطعاً في بعض مساجد بغداد ، يؤثر أصحابه بما يحصل له ، ونشأ ولده هذا معني بعلم الحديث وسماعه والرحلة فيه إلى الآفاق شرقاً وغرباً ، حتى برز فيه على الأقران ، وفاق أهل ذلك الزمان ، ولد سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي

كان فاضلاً كريماً حياً ، سمع الكثير ، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا ، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل بن العادل ، وهو الذي كفنه ودفن بسفح قاسيون

أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك

ابن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي ثم البغدادي ، كان شيخاً صالحاً حنفياً فاضلاً ذا فتون كثيرة ، ومن ذلك علم الفرائض والعروض ، وله فيه أرجوزة حسنة ، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بينين ، وسرد ذلك في تاريخه .

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل

ابن علي بن موسى السعدي ، فقيه أديب شاعر ، له تصانيف ، وقد شرح المقامات والجل في النحو ، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالى .

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب

ابن عبد الله الأنصاري نحر الدين ابن الشيرجي الدمشقي ، أحد المعدلين بها ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب ، وفوضت إليه أمر أوقافها . قال السبط : وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً . قال وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة ، وكانت وفاة نحر الدين في يوم عيد الاضحى ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وعفا عنه .

حسام بن غزي

ابن يونس عماد الدين أبو المناقب المحلى المصري ، ثم الدمشقي ، كان شيخاً صالحاً فاضلاً فقيهاً شافعيًا حسن المحاضرة وله أشعار حسنة . قال أبو شامة : وله في معجم القوصي ترجمة حسنة ، وذكر أنه توفي عاشر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية . قال السبط : وكان مقبلاً بالمدرسة الأمينية ، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا لسلطان ، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كفه شيء يأكله ، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه ، وحكى عنه قال : خلع على الملك العادل ليلة طليستاً فلما خرجت مشى بين يدي تعاط

بحسبني القاضي ، فلما وصلت باب البريد عند دار سيف خلعت الطيلسان وجعلته في كمي وتباطأت في المشي ، فالتفت فلم ير وراءه أحدا ، فقال لي : أين القاضي ؟ فأشرت إلى ناحية النورية وقلت : ذهب إلى داره ، فلما أمرع إلى ناحية النورية هروا إلى المدرسة الأمينية واسترحت منه . قال ابن الساعي كان مولده سنة ستين وخمسمائة ، وخاف أموالا كثيرة ورثتها عصبته ، قال : وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس ، مع دين وصلاح وورع ، وأورد له ابن الساعي قطعاً من شعره فن ذلك قوله :

قيل لي من هويت قد عبثت لك * مر في خديهِ . قلت ما ذاك عارهُ
حرّة الخلد أحرقت عنبر الخا * ل فن ذاك الدخان عذارهُ
وله شوق إليكم دون أشواقكم * لكن لا بد أن يشرح
لأنني عن قلبكم غائب * وأنتم في القلب لن تبرحوا
أبو عبد الله محمد بن علي

ابن محمد بن الجارود الماراني ، الفقيه الشافعي ، أحد الفضلاء ، ولي القضاء بابل وكان ظريفا خليما ، وكان من محاسن الأيام ، وله أشعار رائقة ومعان فائقة منها قوله :

مشيب أتى وشباب رحل * أحل العناية حيث حل
وذنبك جم ، ألا فارجمي * وعودي فقد حان وقت الأجل
وديني الآله ولا تقصرى * ولا ينجد عنك طول الأمل
أبو الشناء محمود بن رالي

ابن علي بن يحيى الطائي الرقي نزيل إربل ، وولي النظر بها للملك مظفر الدين ، وكان شيعيا أديبا فاضلا ، ومن شعره قوله :

وأهيف ما اخطى إلا قوامه * وما الفصن إلا ما يثنيه لينه
وما الدعص إلا ما تحمل خصره * وما النبل إلا ما تريش جفونه
وما الخمر إلا ما يروق ثفره * وما السحر إلا ما تكن عيونه
وما الحسن إلا كله فن الذي * إذا ما رآه لا يزيد جنونه

ابن معطي النحوي يحمي

ترجمه أبو شامة في السنة الماضية ، وهو أضبط لأنه شهد جنازته بمصر ، وأما ابن الساعي فانه ذكره في هذه السنة ، وقال إنه كان حظيا عند الكامل محمد صاحب مصر ، وإنه كان قد نظم أرجوزة في القراءات السبع ، ونظم ألفاظ الجهرة ، وكان قد عزم على نظم صحاح الجوهري .

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة

فيها باشر خطابة بغداد وثقابة المباسين العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري ،
 وخلع عليه خلة سنية ، وكان فاضلا قد صحب الفقراء والصوفية وتزهد برهة من الزمان ، فلما دعى إلى
 هذا الأمر أجاب سريراً وأقبلت عليه الدنيا بزهرتها ، وخدمه الثلمان الأتراك ، ولبس لباس المترفين
 وقد عاتبه به بعض تلامذته بقصيدة طويلة ، وعنفه على ما صار إليه ، وسردها ابن الساعي بطولها في
 تاريخه . وفيها سار القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج في الرسالة من الخليفة
 إلى الكامل صاحب مصر ، ومعه كتاب هائل فيه تقليده الملك ، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء
 الوزير نصر الدين أحمد بن الناقذ ، سرده ابن الساعي أيضاً بكلامه . وقد كان الكامل مخبياً بظاهر
 آمد من أعمال الجزيرة ، قد افتتحها بعد حصار طويل وهو مسرور بما نال من ملكها . وفيها فتحت
 دارالضيافة ببغداد للحجيج حين قدموا من حجهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوى والصلوات
 وفيها سارت العساكر المستنصرية محبة الأمير سيف الدين أبي الفضائل إقبال الخالص المستنصري
 إلى مدينة إربل وأعمالها ، وذلك لارض مالكة مغافر الدين كوكبرى بن زين الدين ، وأنه ليس له
 من بعده من يملك البلاد ، فحين وصلها الجيش منعه أهل البلاد لخاصروه حتى افتتحوه عنوة في السابع
 عشر من شوال في هذه السنة ، وجاءت البشارة بذلك فغضبت الطبول ببغداد بسبب ذلك ، وفرح
 أهلها ، وكتب التقليد عليها لإقبال المذكور ، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرة جيدة ، وامتدح
 الشعراء هذا الفتح من حيث هو ، وكذلك مدحوا فتحها إقبال ، ومن أحسن ما قال بعضهم في ذلك
 يا يوم سابع عشر شوال الذي • رزق السعادة أولاً وأخيراً
 هنيئاً فيه بفتح إربل مثلاً • هنيئاً فيه وقد جلست وزيراً

يعنى أن الوزير نصير الدين بن العلقمي ، قد كان وزر في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، وفي
 مستهل رمضان من هذه السنة شرع في عمارة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وكانت قبل ذلك داراً
 للأمير قايمار وبها حمام فهدمت وبُنيت عوضها . وقد ذكر السبط في هذه السنة أن في ليلة النصف
 من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلمة دمشق ، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن
 الصلاح الحديث ، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي (ص) . قال وممع الأشرف
 صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي ، قلت : وكذا سمعوا عليه بالدار وبالصلحية . قال : وفيها
 فتح الكامل آمد وحسن كيفاً ووجد عند صاحبها خمسمائة حرة لغراش فعذبه الأشرف عذاباً ألماً .
 وفيها قصد صاحب ماردين وجيش بلاد الروم الجزيرة فقتلوا وسبوا وفعلوا ما لم يفعلوه التتار بالمسلمين .
 ومن توفى فيها من الأعيان في هذه السنة من المشاهير .

أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي

كان شيخاً لطيفاً ظريفاً ، جمع الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة ، ثم ترك ذلك ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الأخبار والنوادر والأشعار ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة . وقد ذكر السبط وفاة .

الوزير صفى الدين بن شكر

في هذه السنة ، وأثنى عليه وعلى محبته لعلم وأهله ، وأن له مصنفات سماه البصائر ، وأنه تفضب عليه العادل ثم ترضاه الكامل وأعادته إلى وزارته وحرمة ، ودفن بمدرسته المشهورة بمصر ، وذكر أن أصله من قرية يقال لها دميرة بمصر . الملك ناصر الدين محمود

ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن حماد الدين بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل ، كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد ألقاه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكته ، ثم حجر عليه فكان لا يصل إلى أحد من الجوارى ولا شيء من السرارى ، حتى لا يعقب ، وضيق عليه في الطعام والشراب ، فلما توفي جده لأنه مظفر الدين كوكبرى صاعب إربل منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاث عشرة يوماً حتى مات كذا وجوعاً وعطشاً رحمه الله ، وكان من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي .

القاضي شرف الدين اسماعيل بن إبراهيم

أحد مشايخ الحنفية ، وله مصنفات في الفرائض وغيرها ، وهو ابن خلة القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الشافعي ، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرساني ، وكان يدرس بالطرخانية . وفيها سكنه ، فلما أرسل إليه المظلم أن يفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الرمان امتنع من ذلك وقال أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك ، والرواية عن أبي حنيفة شاذة ، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك ، ولا الأثر عن عمر أيضاً . فغضب عليه المظلم وعزله عن التدريس وولاه لتلميذته الزين ابن العتال ، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات .

قال أبو شامة : ومات في هذه السنة جماعة من السلاطين منهم المغيث بن المغيث بن العادل ، والعز بن عثمان بن العادل ، ومظفر الدين صاحب إربل . قلت أما صاحب إربل هو :

الملك المظفر أبو سعيد كوكبري

ابن زين الدين علي بن تيبكتكين أحد الاجواد والسادات الكبراء والملوك الإجماد ، له آثار حسنة وقد عمر الجامع المظفرى بسفح قاسيون ، وكان قدم بسياقة الماء إليه من ماء بديرة فمنه المظلم من ذلك ، واعتل بأنه قد يمر على مقابر المسلمين بالسفوح ، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول

و يحتفل به احتفالا هائلا ، وكان مع ذلك شهما شجاعا فاتكا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه . وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير ، فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية ، وقد كان محاصر عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة ، قال السبط : حكى بعض من حضر سباط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السباط خمسة آلاف رأس مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف محن حلوى ، قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سباعا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة ، وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما ، ويتفك من الفرنج في كل سنة خلقا من الأسارى ، حتى قيل إن جملة من استفكه من أيديهم ستون ألف أسير ، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان قد زوجه إياها أخوها صلاح الدين ، لما كان معه على عكا - قالت : كان قبضه لا يساوى خمسة دراهم فماتت به بذلك فقال : لبسى ثوبا بخمسة وأنصديق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مضمنا وأدع الفقير المسكين ، وكان يعرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار . وعلى الحرمين والمياه بدرج الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر ، رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بقلعة إربل ، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد على .

والمملك العزيز بن عثمان بن العادل

وهو شقيق المعظم ، كان صاحب بانياس وتملك الحصون التي هنالك ، وهو الذى بنى المعظمية . وكان عاقلا قليل الكلام مطيعا لأخيه المعظم ، ودفن عنده وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان ببستانه الناعمة من لها رحمه الله وعفا عنه .

أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر

ابن الحسين بن علي بن محمد بن غالب الأنصارى ، المعروف بابن عنين الشاعر . قال ابن السامى أصله من الكوفة وولد بدمشق ونشأ بها ، وسافر عنها سنين ، فجاب الأقطار والبلايا شرقا وغربا ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبغداد ، ومدح أكثر أهل هذه البلاد ، وحصل أموالا جزيلة ، وكان ظريفا شاعرا مطيعا مشهورا ، حسن الاخلاق جميل المعاشرة ، وقد رحل إلى بلاده دمشق فكان بها حتى مات هذه السنة في قول ابن السامى ، وأما السبط وغيره فأرخوا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين ، وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم . والمشهور أن أصله من حوران مدينة زرع ، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبل الجامع ،

وكان هجاء له قدرة على ذلك ، وصنف كتاباً سماه مقراض الأعراض ، مشتمل على نحو من خمسمائة بيت ، قل من سلم من الدماشقة من شره ، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل ، وقد كان بُرْنَ بترك الصلاة المكتوبة فآله أعلم . وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فامسح ملوكها وحصل أهوالاً جزيلة ، وصار إلى الين فيقال إنه وزر لبعض ملوكها ، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ولما ملك المعظم استوزره فأساء السيرة واستقال هو من تلقاء نفسه فعزله ، وكان قد كتب إلى الدماشقة من بلاد الهند :

فعلام أبعدتم أختا تقه * لم يقترف ذنباً ولا سرقة
انفوا المؤذن من بلادكم * إن كان ينفي كل من صدق
وما هجابه الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى :

سلطاننا أعرج وكتبه * ذو عمش ووزيره أحذب
والدولى الخطيب معتكف * وهو على قشر بيضة يثب
ولا ينز باقا وعظ ينش به الذ * أس وعبد اللطيف محتسب
وصاحب الامر خلقه شرم * وعارض الجيش داؤه عجب

وقال في السلطان الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالى وعفاه عنه .

إن سلطاننا الذي نرتجيه * واسع المال ضيق الاتفاق
هو سيف كما يقال ولكن * قاطع للرسوم والأرزاق

وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس ، فجاءت حامية خلفها جراح فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمنجيرة به ، فأنشأ ابن عنين يقول :

جاءت سليمان الزمان حامة * والموت يلع من جناحي خاطف
قرم لواء الجوع حتى ظله * بازائه بقلب واجف
من أعلم الورقاء أن محكم * وأنتك ملجأ للخائف
الشيخ شهاب الدين السهروردي

صاحب عوارف المعارف ، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن هويه ، واسمه عبد الله البكري البغدادي ، شهاب الدين أبو حفص السهروردي ، شيخ الصوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مرارا ، وحصلت له أموال جزيلة ففرقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفي محبته خلق من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكان يعظ الناس

وعليه ثياب البذلة ، قال مرة في ميغاده هذا البيت وكرره :
 ما في الصحابِ أخو وجدٍ تطارحه * إلا محبٌ له في الركبِ محبوبُ
 ققام شاب وكان في المجلس فأنشده :

كأنما يوسف في كلِّ راحلةٍ * وله وفي كلِّ بيتٍ منه يعقوبُ
 فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب ليعتذر إليه فلم يجده ووجد مكانه حفرة فبهامد
 كثير من كثرة ما كان يفحص برجليه عند إنشاد الشيخ البيت . وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة
 من أناشيده وأثنى عليه خيرا ، وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى .

ابن الأثير مصنف اسد الغابة والكامل

هو الامام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري
 الموصل المعروف بابن الأثير مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة ، وكتاب الكامل في التاريخ
 وهو من أحسنها حوادث ، ابتدأه من المبتدأ إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وقد كان يتردد إلى
 بغداد خصيصاً عند ملوك الموصل ، ووزر لبعضهم كما تقدم بيانه ، وأقام بها في آخر عمره موقراً معظماً
 إلى أن توفي بها في شعبان في هذه السنة ، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله . وأما أخوه أبو السعادات
 المبارك فهو مصنف كتاب جامع الأصول وغيره ، وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله
 كان وزيراً للملك الأفضل على بن الناصر فاتح بيت المقدس ، صاحب دمشق كما تقدم ، وجزيرة ابن
 عمر ، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر ، من أهل برقيد ، وقيل بل هي منسوبة
 إلى ابني عمر ، وهما أوس وكامل ابنا عمر بن أوس .

ابن المستوفي الأربلي

مبارك بن أحمد بن مبارك ابن موهوب بن غنية بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات
 الغنوي الأربلي ، كان إماماً في علوم كثيرة للحديث وأسماء الرجال والأدب والحساب ، وله مصنفات
 كثيرة وفضائل غزيرة ، وقد بسط ترجمته القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات ، فأجادوا فاد
 رحمهم الله . ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة

فيها كل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ولم يُبن مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت على المذاهب
 الأربعة من كل طائفة اثنان وستون قعياً ، وأربعة معيدين ، ومدرس لكل مذهب ، وشيخ حديث
 وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للآيتام
 وقدر لجميع من اطلب العلم والحلوى والنقعة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد . ولما كان يوم الخميس
 خامس رجب حضرت الدروس بها وحضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من

الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء ، ولم يتخلف أحد من هؤلاء ، وعمل سباط عظيم بها أكل منه الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع الدولة والفقهاء والمعيدين ، وكان يوماً مشهوداً ، وأنشدت الشعراء الخليفة المدائح الرائقة والقصائد الفاتحة ، وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخه مطولاً مبسوطاً شافياً كافياً ، وقدر لتدريس الشافعية بها الإمام محي الدين أبو عبد الله بن فضالان ، وللحنفية الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني ، وللحنابلة الإمام العالم محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ودرس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابة لنيبته في بعض الرسائل إلى الملوك ، ودرس للمالكية يومئذ الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المغربي المالكي نيابة أيضاً ، حتى يعين شيخ غيره ، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلهما في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها . وكان المتولى لعمارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي الذي وُزر بعد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذاً دار الخلافة ، وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين . ثم عزل مدرس الشافعية في رابع عشر ذي القعدة بقاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل ، مضافاً إلى ما بيده من القضاء ، وذلك بعد وفاة محي الدين بن فضالان ، وقد ولى القضاء مدة ودرس بالنظامية وغيرها ، ثم عزل ثم رضى عنه ثم درس آخر وقت بالمستنصرية كما ذكرنا ، فلما توفى ولها بعده ابن مقبل رحمه الله تعالى .

وفيها عمر الأشرف مسجداً جراح ظاهر باب الصغير . وفيها قدم رسول الأنبر وملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا منها دبّ أبيض شعره مثل شعر الأسد ، وذكروا أنه ينزل إلى البحر فيخرج السمك فيأكله . وفيها طاووس أبيض أيضاً . وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قبل النحاسين ، وحول إليها سوق الصاغة وشرف سوق الأؤلؤ الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين . وفيها جددت الدكاكين التي بالزيادة . قلت وقد جددت شرق هذه الصاغة الجديدة قيسارينان في زماننا ، وسكنها الصباغ وتجار الذهب ، وهما حسنتان وجميعهما وقف الجامع المعمور .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

أبو الحسن علي بن أبي علي

ابن محمد بن سالم الثعلبي ، الشيخ سيف الدين الأمدى ، ثم الحموي ثم الدمشقي ، صاحب المصنفات في الأصولين وغير ذلك ، من ذلك أبحاث الأفكار في الكلام ، ودقائق الحقائق في الحكمة ، وأحكام الأحكام في أصول الفقه ، وكان حنبلي المذهب فصار شافعيًا أصوليًا منطقيًا جدليًا خلافيًا ، وكان حسن الأخلاق سليم الصدر كثير البكاء رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم

بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة ، وقد كانت ملوك بني أيوب كالمعظم والكامل يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيرا ، وقد فوض إليه المعظم تدريس العزيزية ، فلما ولى الأشرف دمشق عزله عنها ونادى بالمدارس أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بعلوم الأوائل نفيت ، فأقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفى بدمشق في هذه السنة في صفر ، ودفن بترابته بسفح قاسيون . وذكر القاضي ابن خلكان أنه اشتغل ببغداد على أبي الفتح نصر بن فتيان بن المنى الحنبلي ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن ابن فضال وغيره ، وحفظ طريقة الخلفاء للشريف وزوائد طريقة أسعد الميهني ، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم العقول ، ثم إلى الديار المصرية فأعاد بمدرسة الشافعية بالقراة الصغرى ، وتصدر بالجامع الظافري ، واشتهر فضله وانتشرت فضائله ، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم بآتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال ، فطلبوا من بعضهم أن يوافقهم فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه • فالقوم أعداء له وخصوم

فانتقل سيف الدين إلى حماه ثم تحول إلى دمشق فدرس بالعزيزية ، ثم عزل عنها ولزم بيته إلى أن مات في هذه السنة ، وله نمانون علما رحمه الله تعالى وعفا عنه .

واقف الركنية الأمير ركن الدين منكورس الفلكي

غلام فلك الدين أخى الملك العادل ، لأنه وقف الفلكية كما تقدم ، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء ، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوافه ويأظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة ، وكان قليل الكلام كثير الصدقات ، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمل عندها تربة ، وحين توفى بقرية حدود حمل إليها رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم رضي الدين

أبو سليمان بن مظفر بن غنم الجبلي الشافعي ، أحد فقهاء بغداد والمفتيين بها والمشغلين للطلبة مدة طويلة ، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلدا ، يحكى فيه الوجوه الغريبة والاقوال المستغربة وكان لطيفا ظريفا ، توفى رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد .

الشيخ طي المصري

أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق ، وكان لطيفا كيسا زاهدا ، يتردد إليه الأكابر ودفن بزاويته المذكورة رحمه الله تعالى .

الشيخ عبدالله الأرمني

أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والوهاد ، واجتمعوا بالأقطاب

والأبدال والأوتاد، وعن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتاب القدوري على مذهب أبي حنيفة، ثم اشتغل بالمعاملات والرياضات، ثم أقام آخر عمره بدمشق حتى مات بها ودفن بسفح قاسيون، وقد حكى عنه أشياء حسنة منها أنه قال اجتزت مرة في السياحة ببلاة فطالبني نفسي بدخولها فأليت أن لا أستطعم منها بطعام، ودخلتها فررت برجل غسال فنظر إلى شرا فخفت منه وخرجت من البلد هاربا، فلحقني ومعه طعام فقال: كل فقد خرجت من البلد، فقلت له وأنت في هذا المقام وتغسل الثياب في الأسواق؟ فقال: لا ترفع رأسك ولا تنظر إلى شيء من عملك، وكن عبداً لله فان استعملك في الحش فارض به، ثم قال رحمه الله.

ولو قيل لي مت قلت ممعاً وطاعة • وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

وقال اجتزت مرة في سيا حتى براهب في صومعة فقال لي: يا مسلم ما أقرب الطرق عندكم إلى الله عز وجل؟ قلت: مخالفة النفس، قال فرد رأسه إلى صومعته، فلما كنت بمكة زمن الحج إذا رجل يسلم على عند الكعبة فقلت من أنت؟ فقال أنا الراهب، قلت: بيم وصلت إلى هاهنا؟ قال بالذي قلت. وفي رواية عرضت الاسلام على نفسي فأبى، فعلت أنه حق فأسلمت وخالفتها، فأفلح وأتبع. وقال بينا أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية الفرنج فأخذوني قيديوني وشدوا وثاقى فكنت عندهم في أضييق حال، فلما كان النهار شربوا وناموا، فبينما أنا موثوق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا فحوم فأنبهتهم فلجأوا إلى مغارة هنالك فسلموا من أولئك المسلمين، فقالوا: كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم؟ فقلت إنكم أطمعنوني فكان من حق الصعبة أن لا أفسحكم، فمروضاعلى شيئاً من متاع الدنيا فأبيت وأطلقوني. وحكى السبط قال: زرت مرة بيت المقدس وكنت قد أكلت سمكا مالحاً، فلما جلست عنده أخذني عطش جداً وإلى جانبه إبريق فيه ماء بارد فجعلت أستحجي منه، فديده إلى الإبريق وقد احمر وجهه وتاولني وقال خذ، كم تكاسر، فشربت. وذكر أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بعد قائماً جديداً على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخرجه المعظم، فوقف لأصحابه يودعهم ونظر إلى السور، وقال: كأني بالمعاول وهي تعمل في هذا السور عما قريب، فقيل له معاول المسلمين أو الفرنج؟ فقال بل معاول المسلمين، فكان كما قال. وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة، ويقال إن أصله أرمني وإنه أسلم على يدى الشيخ عبد الله اليوناني، وقيل بل أصله رومى من قونية، وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليوناني وعليه برنس كبرانس الرهبان، فقال له أسلم فقال أسلمت لرب العالمين. وقد كانت أمه داية امرأة الخليفة، وقد جرت له كائنة غريبة فسلمه الله بسبب ذلك، وعرفه الخليفة فأطلقه.

ثم دخلت سنة إثنين وثلاثين وستمائة

فيها خرب الملك الأشرف بن العادل خان الزنجباري الذي كان بالعقبة فيه خواطئ وخور ومنكرات متعددة ، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سمى جامع التوبة ، تقبل الله تعالى منه .
وفيها توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي ، أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة ، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك ، وقد سمع الكثير وحدث ، والشيخ شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عصرون الحلبي أيضاً ، كان فقيها زاهدا عابداً كانت له نحو من عشرين سرية ، وكان شيخاً يكثر من الجماع ، فاعتزته أمراض مختلفة فأتلفته ومات بدمشق ودفن بقاسيون ، وهو والد قطب الدين وقاج الدين ، والشيخ الامام العالم صائغ الدين أبو محمد عبد العزيز الجبلي الشافعي أحد الفقهاء المفتين بالمدرسة النظامية ببغداد ، وله شرح على التنبيه للشيخ أبي إسحاق ، توفي في ربيع الأول رحمه الله تعالى . والشيخ الامام العالم الخطيب الأديب أبو محمد حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي الدينوري ، الخطيب بها والمفتي لأهلها ، الفقيه الشافعي ، تفقه ببغداد بالنظامية ، ثم عاد إلى بلده المشار إليها ، وقد صنف كتباً . وأنشد عنه ابن الساعي سماعاً منه :

روت لي أحاديث الغرام صباقي * بإسنادها عن بانه العلم الفرد
وحدثني مرّ النسيم عن الحمى * عن الدوح عن وادي النضاع عن ربانجيد
بان غرامي والأسى قد تلازما * فلن يبرحا حتى أوسد في الحدى

وقد أرخ أبو شامة في الذيل وفاة الشهاب السهروردي صاحب عوارف المعارف في هذه السنة ، وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وأنه جاوز التسعين . وأما السبط فأنما أرخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدم .
قاضي القضاة بحلب

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلی الشافعي ، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقرأ ذا وجهة عند الملوك ، أقام بحلب وولى القضاء بها ، وله تصانيف وشعر ، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى .
ابن الفارض

ناظم النائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال ، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه . مات في هذه السنة وقد قارب السبعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

فيها قطع الكامل وأخوه الأشرف الفرات وأصلحهما ما كان أفسده جيش الروم من بلادهما ،
وخرّب الكامل قلعة الرها وأحل بدليس بأساً شديداً ، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأن
الروم أقبلوا بمائة طلب كل طلب بمخمسة مائة فارس ، فرجع الملكان إلى دمشق سريماً وعاد جيش الروم
إلى بلادها بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان ، ورجعت التنازعهم ذلك إلى بلادهم والله تعالى أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير ابن عنين الشاعر وقد تقدمت ترجمته في سنة ثلاثين .

الحاجري الشاعر

صاحب الديوان المشهور ، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خارتكين بن طاشتكين
الأر بلى شاعر مطبق ، ترجمه ابن خلكان وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم
وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يستوحش منه :

اللهُ يعلمُ ما أبقى سوى رمي • منى فراقك يا من قربهُ الأملُ
فابعث كتابك واستودعه تمرية * فرى بما ت شوقاً قبل ما يصل
وذكر له في الخال رحمه الله تعالى .

ومنه من شعره وجبينه • أمسى الوردى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خدم • كل الشقيق بنقطة سوداء
ابن دحية

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن بلال بن
بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلبي الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من
بشر مشيخة دار الحديث الكاملية بها ، قال السبط : وقد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقعة
فيهم ، يتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الكامل مقبلاً عليه ، فلما
انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته ، توفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر ،
وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وللشيخ السخاوي فيه أبيات حسنة . وقال القاضي ابن
خلكان بعد سياق نسبه كما تقدم ، وذكر أنه كتبه من خطه ، قال وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت
أبي عبد الله بن البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلها كان يكتب بخطه ذو النسبين ابن دحية
ابن الحسن والحسين قال ابن خلكان : وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقناً لعلم الحديث
وما يتعاق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم

إلى العراق واجتاز باربل سنة أربع وستائة ، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعنى بالمولد النبوى ، فعمل له كتاب التنوير فى مولد السراج المنير وقرأ عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار ، قال وقد مغمناه على الملك المعظم فى ستة مجالس فى سنة ست وعشرين وستائة . قلت وقد وقعت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة . قال ابن خلكان : وكان مولده فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل ست أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفى فى هذه السنة ، وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث الكاملية بمصر ، وتوفى بعده بسنة . قلت : وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله ، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستائة

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة قتلوا أهلها وسبوا فرار بهم ، وامتنعت عليهم القلعة مدة ، وفيها النائب من جهة الخليفة ، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانشروا إلى بلادهم ، وقيل إن الخليفة جهز لهم جيشاً فانهزم التتار . وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تبقوا من جيش جلال الدين وانفصلوا عن الرومى ، فقوى جأش الصالح أيوب . وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة لتكون قوة له وعلفاً لدوابه إذا جاز الفرات مع أخيه فى البواكير ، فقال الكامل : أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بنى أمية ؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين بن المسيرى إلى الكامل فى ذلك ، فأغظ له الجواب ، وقال : إيش يعمل بالملك ؟ يكفيه عشرته للمغائى وتعلمه لصناعته . فغضب الأشرف لذلك وبدأت الوحشة بينهما ، وأرسل الأشرف إلى حماء وحلب وبلاد الشرق لخالف أولئك الملوك على أخيه الكامل ، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه ، وذلك لكثرة ميل الملوك إليه لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل ، ولكنه أدركته منيته فى أول السنة الداخلة رحمه الله تعالى .

ومن توفى فيها من الأعيان الملك العزيز الظاهر

صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة كريماً غنياً ، توفى وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مدبر دولته الطواشى شهاب الدين ، وكان من الأمراء رحمه الله

تمالى . وظم فى الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

صاحب الروم

كيفية الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم ، كان من أكابر الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوجه العادل ابنته وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة فى وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى رحمهما الله .

الناصر الحنبلى

فى ثالث المحرم توفى الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبى الفرج الشيرازى ، وهم ينتسبون إلى سعد بن عبادة رضى الله عنه ، ولد الناصح سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان يظ فى بعض الأحيان . وقد ذكرنا قبل أنه وعظ فى حياة الشيخ الحافظ عبد الغنى ، وهو أول من درس بالصالحية التى بالجبل ، وله بنيت ، وله مصنفات . وقد اشتمل على ابن المنى البغدادى ، وكان فاضلاً صالحاً ، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله .

الكمال بن المهاجر

التاجر كان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس ، مات فجأة فى جمادى الأولى بدمشق فدفن بقاسيون ، واستحوذ الأشرف على أمواله ، فبلنت التركة قريباً من ثلثمائة ألف دينار ، من ذلك سبعة فيها مائة حبة لؤلؤ ، كل واحدة مثل بيضة الحمامة .

الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية

أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية ، كان قد ولى دار الحديث الكاملية حين عزل أخوه عنها حتى توفى فى عامه هذا ، وكان ندرى صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالى .

الفاضل عبد الرحمن التكريتى

الحاكم بالكرك ، ومدرس مدرسة الزبدانى ، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق ، فكان ينوب بها عن القضاة ، وكان فاضلاً نزهةً دينا رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة

فيها كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل ، أما الأشرف موسى بن العادل باقى دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح ، فإنه توفى فى يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة ، بالقلمة المنصورة ، ودفن بها حتى فجزت تربته التى بنيت له شمالى الكلاسة ، ثم حول إليها رحمه الله تعالى ، فى جمادى الأولى ، وقد كان ابتداء مرضه فى رجب من السنة الماضية ، واختلفت عليه الأدوية حتى كان الجرائم يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل ، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض

واعتراه إسهال مفرط فغارت قوته فشرع في التهيء للقاء الله عز وجل ، فأعنت مائتي غلام وجارية ، ووقف دار فر وخشاه التي يقال لها دار السعادة ، و بستانه بالنيرب على ابنيه ، وتصدق بأموال جزيلة ، وأحضر له كفنا كان قد أعد من ملابس الفقراء والمشايع الذين لقيمهم من الصالحين . وقد كان رحمه الله تعالى شهما شجاعا كريما جوادا لأهل العلم ، لاسيما أهل الحديث ، ومقار بيته الصالحة ، وقد بنى لهم دار حديث بالسفح والمدينة للشافعية أخرى ، وجعل فيها لعمل النبي (ص) الذي ما زال حرصا على طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر ، وقد كان النظام ضنينا به فعزم الأشرف أن يأخذ منه قطعة ، ثم ترك ذلك خوفا من أن يذهب بالكلية ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بمدينة فأوصى الملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتباً سنية نفيسة ، وبنى جامع التوبة بالمقبية ، وقد كان خانا للزنجاري فيه من المنكرات شيء كثير ، وبنى مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير نحر الدين عثمان الزنجاري ، وكان أبوه يحبه ، وكذلك أخوه المظم ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة منها الرها وحران ، ثم اتسمت مملكته حين ملك خلاط ، وكان من أعف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه ومسراريه ، مع أنه قد كان يعاني الشراب ، وهذا من أعجب الأمور . حكى السبط عنه قال : كنت يوما بهذه المنطرة من خلاط إذ دخل الخادم فقال : بالباب امرأة تستأذن ، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبل ، فذكرت أن الحاجب على قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكرى ، وأنها إنما تنقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت بردضيعتها إليها وأمرت لها بدار تسكنها ، وقد كنت قت لها حين دخلت وأجلستها بين يدي وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومهما مجوز ، فحين قضت شغلها قلت لها انهضى على اسم الله تعالى ، فقالت المجوز : ياخوند إنما جاءت لتعطيني بخدمنك هذه اليلة ، قلت : بماذا الله لا يكون هذا ، واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه ، فقامت وهي تقول بالأرمي : سترك لله مثل ما سترتني ، وقلت لها : مهما كن من حاجة فأنهيا إلى أقضها لك ، فدعت لي وانصرفت ، فقالت لي نفسي : في الحلال مندوحة عن الحرام ، فتزوجها ، قلت : لا والله لا كان هذا أبدا ، أين الحياء والكرم والمروءة ؟ قال : ومات مملوك من ممالكي وترك ولدا ليس يكون في الناس بتلك البلاد أحسن شبانا ، ولا أحلى شكلا منه ، فأحببته وقربته ، وكان من لا يفهم أمرى يتهمني به ، فاتفق أنه عدا على إنسان فضربه حتى قتله ، فاشنكى عليه إلى أولياء المقتول ، قلت اثبتوا أنه قتله ، فأثبتوا ذلك فحاجت عنه ممالكي وأرادوا إرضاءهم بعشر ديات فلم يقبلوا ، ووقفوا لي في الطريق وقالوا قد أثبتنا أنه قتله ، قلت

خذوه فقتلوه ، ولو طلبوا منى ملكي فداء له لدفعته إليهم ، ولكن استحييت من الله أن أعارض شرعه بحظ نفسي رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وستمائة نادى مناديه فيها أن لا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفى من البلدة . وكان البلدة في غاية الأمن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات ، كانت القلعة لا تغلق في ليالي رمضان كلها ، وصحون الحلاوات خارجة منها إلى الجامع والخوانق والربط ، والصالحية وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جده وزخرفه بالقلعة ، وكان ميمون النقيبة ما كسرت له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره ، وكان له ميل إلى الحديث وأهله ، ولما توفي رحمه الله رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين ، فقال : ما هذا وقد كنت تمنى الشراب في الدنيا ؟ فقال ذاك البدن الذي كنا نفعل به ذاك عندهم ، وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم ، ولقد صدق رحمه الله ، قال رسول الله (ص) « المرء مع من أحب » وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما توفي أخوه ركب في أبهة الملك ومشى الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحب حمص وعز الدين أيبك المعظمي حامل العاشية على رأسه ، ثم إنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إنهم مع الكامل ، منهم العالم تعاسيف وأولاد ابن مزهر وحبسهم ببصرى ، وأطلق الحريري من قلعة عزاز ، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق ، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك و نابلس والقدس ، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، وقد حصنها الصالح إسماعيل ، وقطع المياه ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا ، وأحرقت العقبة وقصر حجاج ، فافتقر خلق كثير واحترق آخرون ، وجرت خطوط طويلة ، ثم آل الحال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل ، على أن له بملك وبصرى ، وسكن الامر ، وكان الصلح بينهما على يدى القاضي محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسالة من جهة الخليفة إلى دمشق فجزاه الله تعالى خيراً . ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك بن المسيري من سجن الحيات بالقلعة الذي كان أودعه فيه الأشرف ، ونقل الأشرف إلى تربته ، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصلي أحد منهم المغرب سوى الامام الكبير ، لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد ، ولنعم ما فعل رحمه الله . وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح ، اجتمع الناس على قارئ واحد وهو الامام الكبير في الحراب المقدم عند المنبر ، ولم يبق به إمام يومئذ سوى الذي بالحلبية عند مشهد على

ولو ترك لكان حسناً والله أعلم . ذكر وفاة الملك الكامل

محمد بن العادل رحمه الله تعالى . تملك الكامل مدة شهرين ثم أخذه أمراض مختلفة ، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه ، وقرص في رجله ، فاتفق موته في بيت صغير من دار القصبية ، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين ، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته من شدة هيئته ، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالى وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد مردود ، وإليه أوصى العادل لعله بشأته وكال عقله ، وتوفر معرفته ، وقد كان جيد الفهم يحب العلماء ، ويسألهم أسئلة مشككة ، وله كلام جيد على صحيح مسلم ، وكان ذكياً مهيئاً ذا بأس شديد ، عادل منصف له حرمة وافرة ، وسطوة قوية ، ملك مصر ثلاثين سنة ، وكانت الطرقات في زمانه آمنة ، والرعايا متناصفة ، لا يتجاسر أحد أن يظلم أحداً ، شفق جماعة من الأجناد أخذوا شميراً لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذه استعمله ستة أشهر بلا أجرة ، فأحضر الجندی وألبسه قباب الركبدارية ، وألبس الركبداري ثياب الجندی ، وأمر الجندی أن يخدم الركبدار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الركبدار الموكب والخدمة حتى ينقضي الأجل فتأدب الناس بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لعنهم الله ، فராبطهم أربع سنين حتى استنقذه منهم ، وكان يوم أخذه له واسترجاعه إياه يوماً مشهوداً ، كما ذكرنا مفصلاً رحمه الله تعالى . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة ، ودفن بالقلعة حتى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ، وهي السكنية التي عند الحلبية ، نقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من هذه السنة ، ومن شعره يستحث أخاه الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان محاصراً بدمياط :

يا مسمي إن كنت حقاً مسمي * فارحل بغير قيدٍ وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنح * إلا على باب الملك الأشرف
قبل يديه لا عدست وقل له * عني بحسن تعطف وتلطف
إن مات صنوك عن قريب تلقه * ما بين حدٍ مهدي ومنقف
أو تبطل عن إنجاده فلقاؤه * يوم القيامة في عراض الموقف
ذكر ما جرى بعده

كان قد عهد لولده العادل وكان صغيراً بالديار المصرية ، وبالبلاد الدمشقية ، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة ، فأمضى الأمراء ذلك ، فأما دمشق فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن

المعظم، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل، فكان ميل عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد، وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن أخرج من البلد، فركب من دار أسامة والعامه وراه إلى القلعة لايشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة فلما جاوز العمادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لا لالا، فسار حتى نزل القبابون عند وطأة برزة. فمزم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراه فتقدم إلى محجلون فتحصن بها وأمن.

وأما الجواد

فانه ركب في أبهة الملك وأنفق الأموال والخلع على الأمراء. قال السبط: فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلة، وأبطل المكوس والخور، ونفى الخواطي واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من محجلون نحو غزة وبلاد الساحل فاستحوذ عليها، فركب الجواد في طلبه ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرفية كاتبوه وأطعموه، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم، فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس، فقصده الجواد وهو نازل على جيتين، والناصر على سبسطية، فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأثقاله، فاستغذوا بها وافقر بسببها فقراً مدقماً، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب كيفا، وتلك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم ونهبوا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قصص إلى الخليفة، وكان أهل تلك الناحية يكرهون مجاورته لشكبه وقوة سلطوته، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل، فكانت الخوارزمية واستنجد بهم ووعدهم بأشياء كثيرة، فقدموا إليه جرائد لينعموه من البدر لؤلؤ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأثقاله، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً لا يحصى ولا يوصف، ورجع إلى بلده الموصل جريدة خائباً، وسلم الصالح أيوب مما كان فيه من الشدة.

ومن توفي فيها من الأعيان: محمد بن زيد

ابن ياسين الخطيب جمال الدين الدولعي، نسبة إلى قرية بأصل الموصل، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً، وكان مدرساً بالغزالية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الأفتاء، فعاتبه السبط في ذلك، فاعتذر بأن شيوخ بلده هم الذين أشاروا عليه بذلك، لكنرة خطئه في فتاويه، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد أن لا يفارق بيت

الخطابة، ولم يجمع قط مع أنه كانت له أموال جزيلة، وقف مدرسة بجيرون وسبعا في الجامع . ولما توفي ودفن بمدرسته التي بجيرون ولي الخطابة بعده أخ له وكان جاهلا ، ولم يستقر فيها وتولاها الكمال بن عمار أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبى ، وولى تدريس الغزالية الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام محمد بن هبة الله بن جميل

الشيخ أبو نصر بن الشيرازى ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الكثير على الحافظ ابن عساكر وغيره ، واشتغل في الفقه وأفتى ودرس بالشامية البرانية ، وناب في الحكم عدة سنين ، وكان فقيها عالما فاضلا ذكيا حسن الأخلاق عارفا بالأخبار وأيام العرب والأشعار ، كريم الطباع حميد الآثار ، وكانت وفاته يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

القاضي شمس الدين يحيى بن بركات

ابن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضيا بن سنا الدولة ، كان عالما عفيفا فاضلا عادلا منصفًا نزيها كان الملك الأشرف يقول : ما ولى دمشق مثله ، وقد ولى الحكم ببلده المقدس وناب بدمشق عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ، وكانت وفاته يوم الأحد السادس ذى القعدة ، وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى . وتوفي بعده .

الشيخ شمس الدين بن الحوي

القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدى ، عرف بابن الاستاذ الحلبي قاضيا بعد بهاء الدين بن شداد ، وكان رئيسا عالما عارفا فاضلا ، حسن الخلق والسمت ، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالى .

الشيخ الصالح المعمر

أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادى ، ظهر سماعه من أبي الوقت في سنة خمس عشرة وستمئة فانتال الناس عليه يسمون منه ، وتفرد بالرواية عنه في الدنيا بعد الزبيدى وغيره ، توفي ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى .

الأمير الكبير المجاهد المرباط صارم الدين

خطلبا بن عبد الله مملوك شركس ونائبه بعده مع ولده على تنين وتلك الحصون ، وكان كثير الصدقات ، ودفن مع استاذة بقباب شركس ، وهو الذى بناها بعد أستاذة ، وكان خيرا قليل الكلام كثير الغزو ومرباطا مدة سنين رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمئة

فيها قضى الملك الجواد على الصفي بن مرزوق وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وجبسه بقلعة

حس ، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء . وكان ابن مرزوق محسناً إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً . وساطع الجواد خادماً لزوجته يقال له الناصح فصادر الدماشقة وأخذ منهم نحواً من ستمائة ألف دينار ، ومك الأسير عماد الدين بن الشيخ الذي كان سبب تملكه دمشق ، ثم خاف من أخيه نغر الدين بن الشيخ الذي بديار مصر ، وقلق من ملك دمشق ، وقال إيش أعمل بالملك ؟ باز وكاب أحب إلى من هذا . ثم خرج إلى الصيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن السكامل ، فتقايضا من حصن كيفا وسنجار وما تبع ذلك إلى دمشق ، فلك الصالح دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، والجواد بين يديه بالغاشية ، وندم على ما كان منه ، فأراد أن يستدرك الفاتت فلم يتفق له ، وخرج من دمشق والناس يلعنونه بوجهه ، بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات ، وأرسل إليه الصالح أيوب ليرد إلى الناس أموالهم فلم يلتفت إليه ، وسار وبقيت في ذمته . ولما استقر الصالح أيوب في ملك مصر كما سيأتي حبس الناصح الخادم ، فأت في أسوأ حالة ، من القلة والقمل ، جزاء وفاقا [وما ربك بظلام للعبيد] .

وفيهما ركب الصالح أيوب من دمشق في رمضان قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه العادل لعصره ، فنزّل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود ، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ليقدّم عليه ليكون في صحبته إلى الديار المصرية ، وكان قد جاء إليه إلى دمشق لبيايه فجعل يسوف به ويعمل عليه ويحالف الأمراء بدمشق ليكون ملكهم ، ولا يتجاسر أحد من الصالح أيوب لجبروته أن يخبره بذلك ، وانقضت السنة وهو مقيم بنابلس يستدعى إليه وهو بمأطله . ومن توفى فيها من الأعيان جمال الدين الحصري الحنفى

محمود بن أحمد العلامة شيخ الحنفية بدمشق ، ومدرس النورية ، أصله من قرية يقال لها حصير من معاملة بخارى ، تفقه بها وسمع الحديث الكثير ، وصار إلى دمشق فأنهت إليه رئاسة الحنفية بها ، لا سيما في أيام المعظم ، كان يقرأ عليه الجامع الكبير ، وله عليه شرح ، وكان يحترمه ويظمه ويكرمه ، وكان رحمه الله غزير الدعة كثير الصدقات ، عاقلاً نزهة عفيفاً ، توفى يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية بتمهده الله برحمته . توفى وله تسعون سنة ، وأول درسه بالنورية في سنة إحدى عشر وستمائة ، بعد الشرف داود الذي تولاهما بعد البرهان مسعود ، وأول مدرسيها رحمهم الله تعالى الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حمويه ، كان سبباً في ولاية الجواد دمشق ثم صار إلى مصر ولامه صاحبها العادل بن السكامل بن العادل ، فقال الآن أرجع إلى دمشق وآمر الجواد بالسير إليك ، على أن تكون له اسكندرية عوض دمشق ، فان امتنع عزلته عنها وكنت أنا فائبك فيها ، فنهاه أخوه نغر الدين بن الشيخ عن تعاطي ذلك فلم يقبل ، ورجع إلى دمشق فتلقيه

الجواد إلى المصلى وأنزله عنده بالقلمة بدار المسرة ، وخادعه عن نفسه ثم دس إليه من قتله جبهة في صورة مستغيث به ، واستحوذ على أمواله وحواصله ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بقاسيون

الوزير جمال الدين علي بن حديد

وزر للأشرف واستوزره الصالح أيوب أيلماً ، ثم مات عقب ذلك ، كان أصله من الرقة ، وكان له أملاك يسيرة يعيش منها ، ثم آل أمره أن وزر للأشرف بدمشق ، وقد هجاه بعضهم ، وكانت وفاته بالجواليق في جمادى الآخرة ، ودفن بمقابر الصوفية .

جعفر بن علي

ابن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمداني ، راوية السلفي ، قدم إلى دمشق ضحية الناصر داود ، وسمع عليه أهلها ، وكانت وفاته بها ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى ، وله تسعون سنة .

الحافظ الكبير زكي الدين

أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرّز فيه ، وأفاد الطلبة ، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة ، ثم سافر إلى حلب ، فتوفي بجمعه في رابع عشر رمضان من هذه السنة ، وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ذيلت أنا على تاريخه بعون الله تعالى . ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

استهلت هذه السنة وسلطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل مخيم عند نابلس ، يستدعى عمه الصالح إسماعيل ليسير إلى الغيار المصرية ، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل ، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى محبة الصالح أيوب ، فهما ينفقان الأموال في الأمراء ويحلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل ، فلما تم الأمر وتمكن الصالح إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه بعمليك ، ويسير هو إلى خدمته ، فأرسله إليه وهو لا يشعر بشيء مما وقع ، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطبيب وزير الصالح - وهو الأمين واقف أمينية بعمليك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حصص إلى دمشق ، فدخلها بغتة من باب الفراديس ، قتل الصالح إسماعيل بداره من درب الشعارين ، ونزل صاحب حصص بداره ، وجاء نجم الدين بن سلامة فهنا الصالح إسماعيل وركض بين يديه وهو يقول : إلى بينك جئت . وأصبحوا فاحصوا القلعة وبها المفتي عمر بن الصالح نجم الدين ، وحبسوا القلعة من ناحية باب الفرج ، وهدموا حرماتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المفتي في برج هناك . قال أبو شامة : واحترق دار الحديث وما هنالك من الحوانيت

والدور حول القلعة . ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفاً على أهلهم من الصالح إسماعيل ، وبقى الصالح أيوب وحده بماليكه وجاريته أم ولده خليل ، وطمع فيه الفلاحون والفوارنة ، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من أخذه من نابلس مهاتاً على بغلة بلا مهماز ولا مقدمة ، فاعتقله عنده سبعة أشهر ، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب ويعطيه مائة ألف دينار ، فما أجابه إلى ذلك ، بل عكس ماطلب منه باخراج الصالح من سجنه والافراج عنه وإطلاقه من الحبس يركب وينزل ، فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرهما الناصر داود ، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلبيس قاصداً قتل الناصر داود ، فاضطرب الجيش عليه واختلفت الأمراء ، وقيدوا العادل واعتقلوه في خرگاه ، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونهم إليهم ، فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشق وحصن وحلب بلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصف مملكة مصر ، ونصف مافي الخزان من الحواصل والأموال والجواهر . قال الصالح أيوب : فأجبت إلى ذلك مكرهاً ، ولا تقدر على ماشرط جميع ملوك الأرض ، وسرنا فأخذته معي خائفاً أن تكون هذه الكائنة من المصريين مكيدة ، ولم يكن لي به حاجة ، وذكر أنه كان يسكر ويخبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة . فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم ودخل الديار المصرية سالماً مؤيداً منصوراً مظفراً محبوباً مسروراً ، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فردها عليه ولم يقبلها منه . واستقر ملكه بمصر . وأما الملك الجواد فانه أساء السيرة في سنجار وصادر أهلها وعسفهم ، فكاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قاصداً - وقد خرج الجواد للصيد - فأخذ البلد بنير شئ وصار الجواد إلى غانة ، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك .

وفي ربيع الأول درس القاضي الرفيع عبيد العزيز بن عبد الواحد الجيلي بالشامية البرانية . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر ولي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلي خطابة جامع دمشق ، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم ببلد دمشق وغيرها ، لأنه حالفه على الصالح أيوب . قال أبو شامة : وفي حزيران أيام الشمس جاء مطر عظيم هدم كثيراً من الحيطان وغيرها ، وكنت يومئذ بالمرّة .

ومن توفى فيها من الأعيان . صاحب حمص

الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي ، ولاء إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، فكث فيها سبباً وخسب سنة ، وكان من أحسن الملوك سيرة ، طهر بلاده من الخمر والمكوس والمنكرات ، وهي في غاية الأمن والعدل ، لا يتجاسر أحد من الرعي ولا العرب بدخل بلاده إلا أهانه غاية الاهانة ،

وكانت ملوك بني أيوب يتقونه لأنه يرى أنه أحق بالأمر منهم ، لأن جده هو الذي فتح مصر ، وأول من ملك منهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمصر ، وعمل عزاءه بجامع دمشق عما الله عنه .

القاضي الحواري شمس الدين أحمد بن خليل

ابن سمادة بن جعفر الحواري قاضي القضاة بدمشق يومئذ ، وكان عالماً بفنون كثيرة من الأصول والفروع وغير ذلك ، وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر السابع من شعبان ، وله خمس وخمسون سنة بالمدرسة العادلية ، وكان حسن الأخلاق جميل المعاشرة ، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقها ، له مصنفات منها عروض قال فيه أبو شامة :

أحمد بن الخليل أرشده الله • له لما أرشده الخليل بن أحمد

ذلك مستخرج المروضه • لما ظهر السر منه والمواد أحمد

وقد ولي القضاة بعد رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي الحنبلي مع تدريس العادلية ، وكان قاضياً يميل بك . فأحضره إلى دمشق الوزير أمين الدين الذي كان سامرياً فأسلم ، وزر الصالح إسماعيل ، واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل . قال أبو شامة : ظهر منه سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة في الأموال . قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد السكالي بالشباك وهو سكران ، وأن قناني الخمر كانت تكون على بركة العادلية يوم السبت ، وكان يتمدد في التراكات اعتياداً سيئاً جداً ، وقد عامله الله تعالى بنقيض مقصوده ، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته ، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة

فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن سيف أربون لصاحب صيدا الفرنجي ، فاشتد الانكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب البلدة ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية ، فاعتقلها مدة ثم أطلقها وألزمها منازلها ، وولى الخطابة وتدریس الغزالية لعماد الدين داود بن عمرو بن يوسف المقدسي خطيب بيت الأبار ، ثم خرج الشيخان من دمشق فقصده أبو عمرو الناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين المييار المصرية ، فتلقاء صاحبها أيوب بالاحترام والاكرام ، وولاه خطابة القاهرة وقضاة مصر ، واشتغل عليه أهلها فكان ممن أخذ عنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمهما الله تعالى .

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملوك الاسلام يدعوهم إلى طاعته

و يأمرهم بتخريب أسوار بلادهم . وعنوان الكتاب : من فائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان . وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان لطيف الأخلاق ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بما فارقين ، وقد أخبر بمجائب في أرضهم غريبة ، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أعينهم في مناكبهم ، وأنفواهم في صدورهم ، يأكلون السمك وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا . وذكر أن عندهم بزرا يفتت الغنم يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ، ولا يتناسل . ومن ذلك أن بما زنديران عينا يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار فإذا غابت الشمس غابت في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت ، وأن بعض الملوك احتال لمسكوها بدلاسل ربطت فيها ففارت وقطعت تلك السلاسل ، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل وهي إلى الآن كذلك . قال أبو شامة : وفيها قلت المياه من السماء والأرض ، وفسد كثير من الزرع والثمار والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير .

محي الدين بن عربي

صاحب الفصوص وغيره ، محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة ، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً ، فيها ما يعقل وما لا يعقل ، وما ينكر وما لا ينكر ، وما يعرف وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح ، وله كتاب العبادلة ودويان شعر رائق ، وله مصنفات أخر كثيرة جداً ، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته ، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتغال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال . قال أبو شامة : وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل ، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف ، وكانت له جنازة حسنة ، ودفن بمقبرة القاضي محي الدين بن الزكي بقاسيون ، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة . وقال ابن السبط كان يقول إنه يحفظ الأسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ، وكان فاضلاً في علم التصوف ، وله تصانيف كثيرة .

القاضي نجم الدين أبو العباس

أحمد بن محمد بن خاف بن راجح المقدسي الحنبلي الشافعي ، المعروف بابن الحنبلي ، كان شيخاً فاضلاً دينياً بارعاً في علم الخلاف ، ويحفظ الجمع بين الصحيحين للحميدى ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب العلم ثم استقر بدمشق ودرس بالفداوية والصارمية والشامية الجوانية وأم الصالح ، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها ، وهو فائب الرفيع الجليل ، وكانت

وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون .

ياقوت بن عبد الله امين الدين الرولي

منسوب إلى بيت أتابك ، قدم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ . قال ابن الساعي ، اجتمعت به وهو شاب أديب فاضل ، يكتب خطا حسنا في غاية الجودة ، وينظم شعرا جيدا ، ثم روى عنه شيئا من شعره . قال وتوفى في جمادى الآخرة محبوباً .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها قصد الملك الجواد أن يدخل مصر ليكون في خدمة الصالح أيوب ، فلما وصل إلى الرمل نوم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه ، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود ، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف ، وبعث منه جيشاً فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأمره فوجه الناصر داود ثم أطلقه ، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى نوم منه فقيده وأرسله تحت الحوطة إلى بغداد ، فأطلقه بطن من العرب عن قوة فلجأ إلى صاحب دمشق مدة ، ثم انتقل إلى الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بعزتا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي .

وفيها شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر ، وبنى قلعة بالجزيرة هزم عليها شيئا كثيرا من بيت المال ، وأخذ أملاك الناس وخرّب نيفا وثلاثين مسجدا ، وقطع ألف نخلة . ثم أخرجها الترك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه . وفيها ركب الملك المنصور بن إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص ومعه الحلبيون ، فاقتتلوا مع الخوارزمية بأرض حران ، فكسروهم ومزقوا كل ممزق ، وعادوا منصورين إلى بلادهم ، فاصطاح شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين مع الخوارزمية وآوام إلى بلده ليكونوا من حزبه . قال أبو شامة : وفيها كان دخول الشيخ عز الدين إلى الديار المصرية فأكرمه صاحبها وولاه الخطابة بالقاهرة وقضاء القضاة بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين المرقع ثم عزل نفسه مرتين واقطع في بيته رحمه الله تعالى .

قال : وفيها توفى الشمس بن الخباز النحوي الضرب في سابع رجب . والكامل بن يونس النقيب في النصف من شعبان ، وكانا فاضلي بلدهما في قهما . قلت . أما :

الشمس ابن الخباز

فهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي ، الضرب النحوي الموصل المعروف بابن الخباز ، اشتغل بعلم العربية وحفظ المفصل والايضاح والتكلمة والعروض والحساب ، وكان يحفظ الجمل في اللغة وغير ذلك ، وكان شافعي المذهب كثير النوادر والملح ، وله أشعار جيدة ، وكانت وفاته عاشر رجب وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالى . وأما :

الكمال بن يونس

فهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك المقيلى ، أبو الفتح الموصلى شيخ الشافعية بها ، ومدرس بعدة مدارس فيها ، وكانت له معرفة تامة بالاصول والفروع والمقولات والمنطق والحكمة ، ورحل إليه الطلبة من البلدان ، وبلغ ثمانياً وثمانين عاماً ، وله شعر حسن . فن ذلك ما امتنع به البدر لؤلؤ صاحب الموصل وهو قوله :

لئن زينت الدنيا بما لك أمرها * فملكك الدنيا بكم تقشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعك مشكور وحكك ينصف

كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وتوفى للنصف من شعبان هذه السنة ، رحمه الله تعالى قال أبو شامة : وفيها توفى بدمشق :

عبد الواحد الصوفي

الذى كان قساراهباً فى كنيسة مريم سبعين سنة ، أسلم قبل موته بأيام ، ثم توفى شيخاً كبيراً بعد أن أقام بخانقاه السيساطية أياماً ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكانت له جنازة حافلة ، حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله تعالى .

أبو الفضل أحمد بن اسفنديار

ابن الموفق بن أبى على البوسنجى الواعظ ، شيخ رباط الأرجوانية . قال ابن الساعى : كان جميل الصورة حسن الأخلاق كثير التودد والتواضع ، متكلماً متفوهاً منطقياً حسن العبارة جيد الوعظ طيب الانشاد غلب الابرار ، له نظم حسن ، ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر .

أبو بكر محمد بن يحيى

ابن المظفر بن علم بن نعيم المعروف بابن الحسر السلامى ، شيخ عالم فاضل ، كان حنبلياً ثم صار شافئياً ، ودرس بعدة مدارس ببغداد لشافعية ، وكان أحد المعدلين بها ، تولى مباشرات كثيرة ، وكان قبحها أصولياً عالماً بالخلاف ، وتقدم بيلده وعظم كثيراً ، ثم استنابه ابن فضلان بدار الحرير ، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه ببغلة ، وحضر عنده الأعيان ، وما زال بها حتى توفى عن ثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

قاضي القضاة ببغداد

أبو الممالى عبد الرحمن بن مقبل بن على الواسطى الشافعى ، اشتغل ببغداد وحصل وأُعلف فى بعض المدارس ، ثم استنابه قاضى القضاة حماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر فى أيام الخليفة الظاهر بن الناصر ، ثم ولى قضاء القضاة مستقلاً ، ثم ولى تدريس المستنصرية بعد

موت أول من درس بها محي الدين محمد بن فضلان ، ثم عزل عن ذلك كله وعن مشيخة بعض الربط .
ثم كانت وفاته في هذا العام ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ثم دخلت سنة أربعين وستمائة

فيها توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله ، فكانت وفاة الخليفة أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وأربعة أشهر وسبعة أيام ، وكنم موته حتى كان الهداء له على المنابر ذلك اليوم ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة . وكان جميل الصورة حسن السيرة جيد السيرة ، كثير الصدقات والبر والصلات ، محسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه ، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة ، فكان يقف على حافتها ويقول : أترى أعيش حتى أملاًها ، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أنفقها كلها . فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات ، وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء ، لا سيما في شهر رمضان ، وكان يتقصّد الجوارى اللاتي قد بلغن الأربعين فيشتريهن له فيعتنهن ويجهزهن ويزوجهن ، وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف متعددة من الذهب ، تفرق في المحال ببغداد على ذوى الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم ، تقبل الله تعالى منه جزاءه خيراً ، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب ، وجعل لمستحقها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة ما يحتاجون إليه في أوقاته ، ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن الثبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها . ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد ، وقد احترق في أول هذه السنة المشهد الذى بسامرا المنسوب إلى على الهادى والحسن العسكرى ، وقد كان بناء أرسلان البساسيرى في أيام تغلبه على تلك النواحي ، في حدود سنة خمسين وأربعمائة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له ، وصنفوا فيه أخباراً وأنشدوا أشعاراً كثيرة لا معنى لها ، وهو المشهد الذى يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذى لا حقيقة له ، فلا عين ولا أثر ، ولولم يكن لكان أجدر ، وهو الحسن بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن على ابن محمد بن الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بكر بلاه بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وقبح من يفلو فيهم ويبغض إليهم من هو أفضل منهم .

وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس ، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق

بهي المنظر ، عليه نور بيت النبوة رضى الله عنه وأرضاه . وحكى أنه اجتاز راكبا في بعض أزقة بغداد قبل غروب الشمس من رمضان ، فرأى شيخا كبيرا ومعه إناء فيه طعام قد حمله من محلة إلى محلة أخرى . فقال : أيها الشيخ لم لأخذت الطعام من محلتي ؟ أو أنت محتاج تأخذ من المحلتين ؟ فقال لا والله يا سيدى - ولم يعرف أنه الخليفة - ولكنى شيخ كبير ، وقد نزل بي الوقت وأنا أستعجى من أهل محلتى أن أراحهم وقت الطعام ، فيشمت بي من كان يبنضنى ، فأنا أذهب إلى غير محلتى فأخذ الطعام وأتحين وقت كون الناس في صلاة المغرب فأدخل بالطعام إلى منزلى بحيث لا يرانى أحد . فبكى الخليفة رحمه الله وأمر له بألف دينار ، فلما دفعت إليه فرح الشيخ فرحا شديدا حتى قيل إنه انشق قلبه من شدة الفرح ، ولم يش بعد ذلك إلا عشرين يوما ، ثم مات فخلف الألف دينار إلى الخليفة ، لأنه لم يترك وارثا . وقد أفتق منها دينارا واحدا ، فتعجب الخليفة من ذلك وقال : شئ قد خرجنا عنه لا يعود إلينا ، تصدقوا بها على قراء محلته ، فرحمه الله تعالى .

وقد خلف من الاولاد ثلاثة ، اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذى ولى الخلافة بعده وأبو أحمد عبدالله ، والأمير أبو القاسم عبد العزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها . وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعى قطعة صالحة ، ولم يستور أحد بل أقرأها الحسن بن محمد بن محمد القمى على نيابة الوزارة ، ثم كان بعده نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذى كان أستاذ دار الخلافة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

خلافة المستعصم بالله

أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، وهو الخليفة الشهيد الذى قتله التتار بأمر هلاكو ابن تولى ملك التتار بن جنكيزخان لعنهم الله ، فى سنة ست وخمسين وستمائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبى نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستعصم بالله أبى محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أبى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن الخليفة المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس فى ترجمة جده الناصر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم كانوا ولى الخلافة يتلو بعضهم بعضاً ، ولم يتفق هذا لأحد قبل المستعصم ، أن فى نسبه ثمانية نسقا ولوا الخلافة لم يتخللهم أحد ، وهو التاسع رحمه الله تعالى بمنه .

لما توفى أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستمائة استدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبويع بالخلافة ، ولقب بالمستعصم ، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور ، وقد

أَتَقَنَ فِي شَبِيئَتِهِ تَلَاوَةَ الْقُرْآنِ حِفْظًا وَتَجْوِيدًا ، وَأَتَقَنَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْخَطَّ الْحَسَنَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلَى الشَّيْخِ ثَمَسِ الدِّينِ أَبِي الْمُظَفَّرِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ النِّيَارِ أَحَدِ أَعْمَةِ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ ، وَقَدْ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعْمِعُ عَلَى مَا ذَكَرَ كَثِيرَ التَّلَاوَةِ حَسَنَ الْأَدَاءِ طَيِّبَ الصَّوْتِ ، يُظْهِرُ عَلَيْهِ خُشُوعٌ وَإِتَابَةٌ ، وَقَدْ نَظَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ وَحَلَّ الْمَشْكَلَاتِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْخَيْرِ مَشْكُورًا مُقْتَدِيًا بِأَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ جِهْدَهُ وَطَاقَتَهُ ، وَقَدْ مَشَتْ الْأُمُورُ فِي أَيَّامِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الْمُسْتَعْمِئِيَّةِ شَرَفَ الدِّينِ أَبُو الْفَضَائِلِ إِقْبَالَ الْمُسْتَنْصِرِي ، فَبَايَعَهُ أَوْلَادُ بَنُو عَمِّهِ وَأَهْلُهُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَوْلَى الْحُلِّ وَالْمَقْدِ وَالْعَامَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ يَوْمًا شَهِودًا وَمَجْمَعًا مُحَمَّدًا وَرَأْيًا سَمِيدًا ، وَأَمْرًا حَمِيدًا ، وَجَاءَتِ الْبَيْعَةُ مِنْ سَائِرِ الْجِبَاهِ وَالْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ ، وَخُطِبَ لَهُ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ ، وَالْأَقَالِمِ وَالرَّسَائِقِ ، وَعَلَى سَائِرِ الْمَنَابِرِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، بَعْدَ وَقَرَبًا ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ وَأَجْدَادُهُ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ .

وَفِيهَا وَقَعَ مِنَ الْحَوَادِثِ أَنَّهُ كَانَ بِالْعِرَاقِ وَبَاءَ شَدِيدًا فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ وَغَلَا السَّكْرُ وَالْأَدْوِيَّةُ فَتَصَدَّقَ الْخُلَيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَكْرٍ كَثِيرٍ عَلَى الْمَرْضَى ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ . وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعِ عَشَرَ شَعْبَانَ أَذِنَ الْخُلَيفَةُ الْمُسْتَعْمِعُ بِاللَّهِ لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ يَوْسُفَ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ - وَكَانَ شَابًا ظَرِيفًا فَاضِلًا - فِي الْوَعْظِ بِيَابِ الْبِدْرِيَّةِ ، فَتَكَلَّمَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ وَامْتَدَحَ الْخُلَيفَةُ الْمُسْتَعْمِعُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فَصِيحَةٍ ، سَرَدَهَا ابْنُ السَّاعِي بِكَلَامِهِ ، وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، وَالشَّبْلُ فِي الْخُبَرِ مِثْلُ الْأَسَدِ . وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْحَلِيبِيِّينَ وَبَيْنَ الْخَوَارِزْمِيِّينَ ، وَمَعَ الْخَوَارِزْمِيِّ شَهَابِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ مِيَا قَارِقِينَ ، فَكَسَرَهُمُ الْحَلِيبِيُّونَ كَسْرَةً عَظِيمَةً مُنْكَرَةً ، وَغَنَمُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا ، وَنَهَبَتْ نَهْبَيْنِ مَرَّةٍ أُخْرَى ، وَهَذِهِ سَابِعُ عَشَرَ مَرَّةً نَهَبَتْ فِي هَذِهِ السَّنِينَ ، فَأَنَا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَعَادَ الْغَازِي إِلَى مِيَا قَارِقِينَ وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِزْمِيَّةُ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ مَحَبَّةً مُقَدِّمِهِمْ بَرَكَاتِ خَانَ ، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ ، وَقَدِمَ عَلَى الشَّهَابِ غَازِي مَنُشُورٌ بِمَدِينَةِ خِلَاطٍ فَتَقَلَّسَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَوَاصِلِ . وَفِيهَا عَزَمَ الصَّالِحُ أَبُو بَصِيرٍ مَصْرَ عَلَى دُخُولِ الشَّامِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْعَسَاكِرَ مُخْتَلِفَةً فَجَهَزَ عَسَاكِرًا إِلَيْهَا وَأَقَامَ هُوَ بِمَصْرِ يَدِيرُ مَمْلَكَتَهَا .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ .

المستنصر بالله

أمير المؤمنين كما تقدم . والحرمة المصونة الجليلة .

خاتون بنت عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي بن آقسنقر الاتابكية واقفة المدرسة الاتابكية بالصالحية ، وكانت زوجة

السلطان الملك الأشرف رحمه الله وفي ليلة وفاتها كانت وقفت مدرستها وترتبتها بالجبل قاله أبو شامة :
ودفنت بها رحمه الله تعالى وتقبل منها .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستائة

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ،
على أن يرد إليه ولده المغيث عمر بن الصالح أيوب المعتقل في قلعة دمشق ، وتستقر دمشق في يد
الصالح إسماعيل ، فوقع الصلح على ذلك ، وخطب للصالح أيوب بدمشق ، فخاف الوزير أمين الدولة
أبو الحسن غزال المسلماني ، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر ، فقال لخدمته : لا يزد هذا
الغلام لأبيه تخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك للبلاد ، فعند ذلك أبطل ما كان وقع من
الصلح ورد الغلام إلى القلعة ، وقطعت الخطبة للصالح أيوب ، ووقعت الوحشة بين الملكين ، وأرسل
الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فأن الله وإنا إليه راجعون . وكانت الخوارزمية قد
فتحوها في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين ، وكان قليل العقل يلعب
بالكلاب والسباع ، ويسلطها على الناس ، فاتفق أنه عضه سبع فأت فغلبوا على البلاد حينئذ .
وفيها احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجبلي ، وضرب بعضهم بالمقارع ، وصودروا ورسم على
القاضي الرفيع بالمدرسة المقدمة داخل باب الفراديس ، ثم أخرج ليلاً وذهب به فسجن بمغارة ألقه من
نواحي البقاع ، ثم انقطع خبره . وذكر أبو شامة أنه توفي ، ومنهم من قال إنه ألقى من شاهق ، ومنهم
من قال خنق ، وذلك كله بذي الحجة من هذه السنة . وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ
منشور ولاية القضاء بدمشق لحى الدين بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشباك السكالي
من الجامع ، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة . وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة
الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه قد أورد إلى خزانته من
الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى
ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول فأنما أحاقق الوزير ، وكان الصالح لا يخالف الوزير ، فأشار
حينئذ على الصالح فعزله لتبرأ ساحة السلطان من شذاعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان .
وفوض أمر مدرسه إلى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فيخ العادلية للكمال التفليسي ، والعنزاوية
لحى الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمينية لابن عبد الكافي ، والشامية البرانية للثقي
الحموي ، وغيب القاضي الرفيع وأسقط عدالة شهوده ، قال السبط : أرسله الأمين مع جماعة على بغل
بألف لبض النصارى إلى مغارة ألقه في جبل لبنان من ناحية الساحل ، فأقام بها أياماً ثم أرسل
إليه عدلين من بعلبك ليشهدا عليه ببيع أملاكه من أمين الدولة ، فذكرا أنهما شاهداه وعليه

بمخيفة وقندورة ، وأنه استطعما شيئا من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئا ، فأطعماه من زواذتهما وشهدا عليه وانصرفا ، ثم جاءه داود النصراني فقال له قم فقد أمرنا بمحملك إلى بعلبك ، فأيقن بالهلاك حينئذ ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، فقال له قم ، فقام يصلي فأطال الصلاة فرفسه النصراني فألقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي الذي هناك ، فما وصل حتى تقطع ، وحكى أنه تعلق ذيله بسن الجبل فما زال داود يرميه بالحجارة حتى ألقاه إلى أسفل الوادي ، وذلك عند السقيف المطل على نهر إبراهيم . قال السبط : وقد كان فاسد العقيدة دهر يا مستهزأ بأمور الشرع ، يخرج إلى المجلس سكرانا ويحضر إلى الجمعة كذلك ، وكانت داره كالحانات . فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : وأخذ الموفق الواسطي أحد أمنائه - وكان من أكبر البلايا - أخذ لنفسه من أموال الناس ستمائة ألف درهم ، فمقوب عقوبة عظيمة حتى أخذت منه ، وقد كسرت ساقه ومات تحت الضرب ، فألقى في مقابر اليهود والنصارى ، وأكلته الكلاب .

ومن توفي فيها من الأعياء الشيخ شمس الدين أبو الفتوح

أسعد بن المنجي التنوخي المعري الحنبلي ، قاضي حران قديما ، ثم قدم دمشق ودرس بالمسارية وتولى خدما في الدولة المظلمية ، وكانت له رواية عن ابن صابر والقاضيين الشهزوري وابن أبي عصرون ، وكانت وفاته في سابع ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى .

الشيخ الحافظ الصالح

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي ، كان يدرى الحديث وله به معرفة جيدة ، أثنى عليه أبو شامة وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله .

واقف الكروسية

محمد بن عقيل بن كروس ، جمال الدين محتسب دمشق ، كان كيسا متواضعا ، توفي بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسة ، وله دار حديث رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الملك الجواد يونس بن محمود

ابن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد ، وكان أبوه أكبر أولاد العادل ، تقلبت به الأحوال وملك دمشق بعد عمه الكامل محمد بن العادل ، وكان في نفسه جيدا محبا للصالحين ، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه ، فأبغضته العامة وسبوه وأجؤوه إلى أن قاىض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفا ، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده ، ثم آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بمحسن عزنا ، حتى كانت وفاته في هذه السنة ، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون ، وكان عنده ابن يغمور معتقلا فحوله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق ، فلما

ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية وشفقه مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل ، على قلعة القاهرة ، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالى . أما ابن يعفور فإنه عمل عليه حتى حول ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل ، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتقم منهما بهذا ، وهو مذكور بذلك

مسعود بن أحمد بن مسعود

ابن مازة الحاربي أحد الفقهاء الحنفية الفضلاء ، وله علم بالتفسير وعلم الحديث ، ولديه فضل غزير قدم ببغداد صحبة رسول التتار للحج ، فحبس مدة سنين ثم أفرج عنه ، فخرج ثم عاد ، فمات ببغداد في هذه السنة .. رحمه الله تعالى أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن

ابن الحسين بن علي بن محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي ، ثم الواسطي ، ثم البغدادي ، الكاتب الشاعر الشيعي ، فقيه الشيعة ، أقام بدمشق مدة وامتدح كثيرًا من الأمراء والملوك ، منهم الكامل صاحب مصر وغيره ، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظم والنثر ، لكنه مخذول محبوب عن الحق . وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره الدالة على غزارة مادته في العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه

ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وستائة

فيها استوزر الخليفة المستنعم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد الملقى المشؤم على نفسه ، وعلى أهل بغداد ، الذي لم يعصم المستنعم في وزارته ، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضى الطريقة ، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده قبحه الله وإياهم ، وقد كان ابن الملقى قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة ، فلما مات نصر الدين محمد بن الناقدا استوزر ابن الملقى وجعل مكانه في الاستاذارية الشيخ محي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان من خيار الناس ، وهو واقف الجوزية التي بالنشايين بدمشق تقبل الله منه . وفيها جعل الشيخ فحمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد ، وخلع عليه ، ووكّل الخليفة عبد الوهاب ابن المطهر وكالة مطلقة ، وخلع عليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق ، ففرزوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقشنة والعساكر ، فانفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص ، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً ، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكراً فظيمة ، هزمت الفرنج بصلبائها وراياتها العالية ، على رؤس أطلاب المسلمين ، وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنبات كؤوس

المنون عن كوثس الزرجون ، قتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف ، وأسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم ، وخلقا من أمراء المسلمين ، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر ، وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرأ محموداً ، والله الحمد . وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح . وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئا كثيرا ، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها ، فحاصرها الصالح إسماعيل وخرب من حولها رباعا كثيرة ، وكسر جسر باب توما فصار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة ، ففرق جميع ما كان بينهما من العمران ، واقتصر كثير من الناس ، فأن الله وإنا إليه راجعون .
ومن توفى فيها من الأعيان الملك المقيث عمر بن الصالح أيوب

كان الصالح إسماعيل قد أسره وسجنه في برج قلعة دمشق ، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب . فاجتهد أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر ، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني ، واقف المدرسة الأمينية التي يعلبك ، فلم يزل الشاب محبوساً في القلعة من سنة ثمان وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، فأصبح ميتا في محبسه غما وحزنا ، ويقال إنه قتل فأن الله أعلم . وكان من خيار أبناء الملوك ، وأحسنهم شكلا ، وأكملهم عقلا . ودفن عند جده الكامل في تربته شمالي الجامع ، فاشتد حنق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق . ومن توفى فيها شيخ الشيوخ بدمشق :
تاج الدين أبو عبدالله بن هرون حمويه

أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين ، له كتاب في ثمان مجلدات ، ذكر فيه أصول ، وله السياسة الملوكية صنفها للكامل محمد وغير ذلك ، وسمع الحديث وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقيل إنه لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين ، واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام هناك إلى سنة ستائة ، فقدم إلى ديار مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه رحمه الله تعالى .

الوزير نصر الدين أبو الأزهر

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادي وزير المستنصر ثم ابنه المستنصر ، كان من أبناء التجار ، ثم توصل إلى أن وزر لهذين الخليفين ، وكان فاضلا بارعا حافظا للقرآن كثير التلاوة ، نشأ في حشمة باذخة ، ثم كان في وجاهة هائلة ، وقد أقعد في آخر أمره ، وهو مع هذا في غاية الاحترام والاكرام ، وله أشعار حسنة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة ، توفى في هذه السنة وقد جاوز الخمسين رحمه الله تعالى .
نقيب النقباء خطيب الخطباء

وكيل الخلفاء أبو طالب الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن علي

ابن الخليفة المهتدى بالله العباسي ، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين ، وخطباء المؤمنين ، استمرت أحواله على السداد والصلاح ، لم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من هذه السنة ، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه ، فسقط من فمه دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل ، فمات وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى وعفا عنه بمهنة وكرمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة

وهي سنة الخوارزمية ، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين ابن الشيخ ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق ، وحرق قصر حجاج ، وحكر السماق ، وجامع جراح خارج باب الصغير ، ومساجد كثيرة ، ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ، ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضاً ، وترأى الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق وأرسل يقول : اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك ، فأرسل إليه معين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر ، وأرسل يقول له : أما السجادة فأنها تصلح لي ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق ، وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل ، وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها ، وقطعت الأنهار وغلت الأسعار ، وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا ، لم يتم عليها قط ، وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى ، فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن الشيخ شيئا من ملابسه ، فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقميص ومنديل ، فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين ، فاجتمع به بعد العشاء طويلا ، ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب ، فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك ودخل معين الدين ابن الشيخ قنزل في دار أسامة ، فولى وعزل وقطع ووصل ، وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سني الدولة ، وعزل القاضي محي الدين بن الزكي ، واستناب ابن سني الدولة التغلبي الذي تآب لابن الزكي والفرز السنجاري ، وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة غزال ابن المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية .

وأما الخوارزمية فانهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح ، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا قهوبها وساقوا نحو بلاد الشرق ، وكتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ، ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه ، وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق ، وجاء إليهم الصالح

إسماعيل من بعلبك فضايق الحال على الدماشقة ، فقدمت الأموال وغلت الأسعار جداً ، حتى إنه بلغ ثمن الفرارة ألف وسبائة ، وقنطار الدقيق تسبائة ، والخبز كل قيتين إلاربع بدرهم ، ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق ، وأكلت القطاط والكلاب والمينات والجيفات ، وتماوت الناس في الطرقات وهجروا عن النفسيل والتكفين والافبار ، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار ، حتى أنتنت المدينة وضجر للناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذه الأيام توفي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس ، فما أخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ، ودفن بالصوفية رحمه الله

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخور دائرة والفسق ظاهراً ، والمكوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جداً ، وهلك الصعاليك بالطرقات ، كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فاس يشتررون به نخالة يبلونها ويأكلونها ، كاللجأج . قال : وأنا شاهدت ذلك . وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأظعمة وغيرها ، ثم زال هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى والله الحمد .

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل ، كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فاستماله إليه وقوى جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات . ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبين والتركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من غائلة ذلك ، وقالوا دمشق ماتت ، والمصلحة قتاله عند بلده ، فساروا إلى بحيرة حمص ، وأرسل الناصر دواد جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فاضافوا إلى صاحب حمص ، والتفوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص ، وكان يوماً مشهوداً ، قتل فيه عامة الخوارزمية ، وقتل ملكهم بركات خان ، وجيء برأسه على رمح ، فنفق شملهم وتمزقوا شذر مذر ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فقتلها الصالح أيوب ، وجاء إلى دمشق فنزل ببستان سامة خدمة للصالح أيوب ، ثم حدثته نفسه بأخنها فاتفق مرضه ، فمات رحمه الله في السنة الآتية ، ونقل إلى حمص ، فكانت مدة ملكه بعد أبيه عشرين سنين ، وقام من بعده فيها ابنه الملك الأشرف مدة سنتين ، ثم أخذت منه على ماسياني وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى ، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلدياوى إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال ، بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية ، وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب ، فأواها وأكرمه واحترمه ، وقال

الابنك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذ الناصر، وكان شاباً صغيراً : انظر إلى عاقبة الظلم . وأما الخوارزمية فانهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها ، وأحسن إليهم وصاهرهم وأنزلهم بالصلت فأخذوا معها نابلس ، فأرسل إليهم الصالح أيوب جيشاً مع نحر الدين ابن الشيخ فكسروهم على الصلت وأجلام عن تلك البلاد ، وحاصر الناصر بالكرك وأهانته غاية الاهانة ، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أبهة عظيمة ، وأحسن إلى أهلها ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وصار إلى بعلبك وإلى بصرى وإلى صرخد ، فقتلها من صاحبها عز الدين أبيك المعظمي ، وعوضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً . وهذا كله في السنة الآتية . وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله ، فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم ، وهزموا من بين أيديهم ، فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم ، خوفاً من غائلة مكرم وعمل بقوله س . « اتركوا الترك ما تركوكم » . وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان على شق جبل داخله من الابنية الغريبة العجيبة ما يحار فيه الناظر ، وقد قيل إن ذلك من بناء الجن ، وأورد صفته ابن الساعي في تاريخه

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الشيخ تقي الدين أبو الصلاح

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الامام العلامة ، مفتي الشام ومحدثها ، الشهرزوري ثم الدمشقي ، مع الحديث ببلاد الشرق وتفقه هناك بالموصل وحلب وغيرها ، وكان أبوه مدرساً بالأسدية التي بحلب ، وواقفها أسد الدين شيركوه ابن شاذي ، وقدم هو الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار . وأقام بالقدس مدة ودرس بالصلاحية ، ثم تحول منه إلى دمشق ، ودرس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية ، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث ، وهو الذي صنف كتاب وقفها ، ثم بالشامية الجوانية ، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفقه [وله] تعاليق حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي برحل إليها . وكان ديناً زاهداً ورعاً فاسكاً ، على طريق السلف الصالح ، كما هو طريقة متأخرى أكثر المحدثين ، مع الفضيلة النامة في فنون كثيرة ، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وصلى عليه بجامع دمشق وشيعة الناس إلى داخل باب الفرج ، ولم يمكنهم البروز لظاهرة لحصار الخوارزمية ، وما محبسه إلى جبانة الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله وتقدمه برضوانه . وقد أثنى عليه القاضي فحمس الدين بن خلكان ، وكان من شيوخه . قال السبط أنشدني الشيخ تقي الدين من لفظه رحمه الله :

احذر من الواوات أربعة * فمن من الخوف
واو الوصية والوديعة * والوكالة والوقوف

وحكى ابن خلكان عنه أنه قال : ألهمت في المنام هؤلاء الكلمات : ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، والالاح في الطلب يذهب البهاء ، وما أقرب الصنيع من الملهوف ، وربما كان العمر نوعا من آداب الله ، والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة قبل أن تدرك فانك ستناولها في أوانها ، ولا تعجل في حوائجك فتضيق بها ذرعا ، ويفشاك القنوط .

ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير ، سمع الكثير ورحل شرقا وغربا ، ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وشرع في كتابة التاريخ وعمره خمسة عشر سنة ، والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيرا حتى حصل نحوه من ثلاثة آلاف شيخ ، من ذلك نحو من أربعمائة امرأة ، وتغرب ثمانيا وعشرين سنة ، ثم جاء إلى بغداد وقد جمع أشياء كثيرة ، من ذلك القمر المنير في المسند الكبير ، يذكر لكل صحابي ما روى . وكثر الأيام في معرفة السنن والأحكام ، والمختلف والمؤتلف ، والسابق واللاحق ، والمتفق والمفترق ، وكتاب الألقاب ، ونهج الإصابة في معرفة الصحابة ، والكافي في أسماء الرجال ، وغير ذلك مما لم يتم أكثره وله كتاب الذيل على تاريخ مدينة السلام ، في ستة عشر مجلدا كاملا ، وله أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس ، وغرر الفوائد في خمس مجلدات ، وأشياء كثيرة جدا سردها ابن الساعي في ترجمته ، وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الإقامة في المدارس فأبى وقال : معي ما أستغنى به عن ذلك فاشترى جارية وأولدها وأقام برهة ينفق مدة على نفسه من كيسه ، ثم احتاج إلى أن نزل محمدا في جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين وضعت ، ثم مرض شهرين وأوصى إلى ابن الساعي في أمر تركته وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة وصلى عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلق كثير ، وكان ينادى حول جنازته هذا حافظ حديث رسول الله (ص) ، الذي كان ينفي الكذب عنه . ولم يترك وارثا ، وكانت تركته عشرين دينارا وثياب بدنه ، وأوصى أن يتصدق بها ، ووقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار ، فأضفى ذلك الخليفة المستعصم ، وقد أنشئ عليه الناس ورثوه بمرات كثيرة ، سردها ابن الساعي في آخر ترجمته

الحافظ ضياء الدين المقدسي

ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ^(١) سمع الحديث الكثير وكتب كثيرا وطوف وجمع وصنف

وألف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد ، من ذلك كتاب الأحكام ولم يتمه ، وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حديثة ، وهي أجود من مستدرك الحاكم لو كمل ، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه وإطلاعه وتضلعه من علوم الحديث متناً وإسناداً . وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين والفقهاء ، وقد وقفت عليها أوقاف أخرى كثيرة بعد ذلك .

الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي

علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري ، ثم الدمشقي شيخ القراء بدمشق ، ختم عليه ألوف من الناس ، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته ، وله شرح المفصل وله تفاسير وتصانيف كثيرة ، ومدائح في رسول الله (س) ، وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وولى مشيخة الإقراء بترربة أم الصالح ، وبها كان مسكنه وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون . وذكر القاضى ابن خلكان أن مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وذكر من شعره قوله :

قالوا غدا نأثي ديار الحمى * وينزلُ الركبُ بمغناهم
وكل من كان مطيعاً لهم * أصبح مسروراً بلبقائهم
قلتُ فلي ذنبٌ فما حيلتي * بأى وجهٍ ألتقائهم
قالوا أليسَ المفو من شأنهم * لا سيما عن ترجمائهم

ربيعة خاتون بنت أيوب

أخت السلطان صلاح الدين ، زوجها أخوها أولاً بالأمر سمع الدين مسعود بن معين الدين ونزوح هو بأخته عصمة الدين خاتون ، التي كانت زوجة الملك نور الدين واقعة الخاتونية الجوانية ، والخاتونية البرانية ، ثم لما مات الأمير سمع الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل ، فأقامت عنده إربل أزيد من أربعين سنة حتى مات ، ثم قدمت دمشق فسكنت بدار العقيق حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ، ودفنت بقاسيون ، وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة ، ولها تصانيف ، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة ، ووقفت أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرق الرباط الناصري ، ثم لما ماتت الخاتون وقعت العالمة بالمصادرات وجبست مدة ثم أفرح عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص ، وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد ، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة ، تقارب ستمائة ألف درهم ، غير

الأملاك والأوقاف رحما الله تعالى .

معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ

وزير الصالح نجم الدين أيوب ، أرسله إلى دمشق فحاصرها مع الخوارزمية أول مرة حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل ، وأقام بها نائبا من جهة الصالح أيوب ، ثم مالا الخوارزمية مع الصالح إسماعيل عليه فحصره . بدمشق ، ثم كانت وفاته في العشر الآخر من رمضان هذه السنة ، عن ست وخمسين سنة ، فكانت مدة ولايته بدمشق أربعة أشهر ونصف . وصلى عليه بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين . وفيها كانت وفاة واقف القليجية للحنفية . وهو الأمير :

سيف الدين بن قلج

ودفن بتربة التي بمدرسته المذكورة ، التي كانت سكنه بدار فلوس تقبل الله تعالى منه . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر رحمه الله . والسيب أحمد بن عيسى بن الامام موفق الدين بن قدامة . وفيها توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر مسند وقته ، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلا حارحه الله تعالى . والمحدثان الكبيران الحافظان المفيدان شرف الدين أحمد بن الجوهري وتاج الدين عبد الجليل الأبهري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها كسر المنصور الخوارزمية عند بحيرة حمص واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبلبك وبصرى ، ثم في جمادى الآخرة كسر نجر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلت كسرة فرق بقية فتحلم ، ثم حاصر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق . وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسن إلى أهلها وتسلم هذه المدن المذكورة ، وانزع صرخد من يد عز الدين أيبك ، وعوضه عنها ، وأخذ الصلت من الناصر داود بن المعظم وأخذ حصن الصبية من السعيد بن العزيز بن العادل ، وعظم شأنه جدا ، وزار في رجوعه بيت المقدس وتفقد أحواله وأمر بإعادة أسواره أن تعمر كما كانت في الدولة الناصرية ، ففتح القدس ، وأن يصرف الخراج وما يتحصل من غلات بيت المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئا صرفه من عنده . وفيها قدمت الرسل من عند البابا الذي للنصارى تخبر بأنه قد أباح دم الابدور ملك الفرنج لتهاونه في قتال المسلمين ، وأرسل طائفة من عنده ليقتلوه ، فلما انتهوا إليه كان استعدلم وأجلس مملوكا له على السرير فاعتقدوه الملك قتلوه ، فعند ذلك أخذهم الابدور فصلبهم على باب قصره بعد ما ذبحهم وسلخهم وحشى جلودهم تبنّا ، فلما بلغ ذلك البابا أرسل إليه جيشا كثيفا لقتاله فأوقع الله الخلف بينهم بسبب ذلك ، وله الحمد والمنة .

وفيها هبت رياح عاصفة شديدة بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر ، فألقت ستارة

الكعبة المشرفة ، وكانت قد عتقت ، فانها من سنة أربعين لم تجدد لعدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة ، فما سكنت الريح إلا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ، وكان هذا فألا على زوال دولة بني العباس ، ومنذراً بما سيقع بعد هذا من كائنة التنازل عنهم الله تعالى . فاستأذن نائب ابن عمر بن سول شيخ الحرم العفيف بن منعة في أن يكسو الكعبة ، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة ، ولم يكن عنده مال فاقترض ثلثمائة دينار واشترى ثياب قطن وصبغها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسى بها الكعبة ومكثت الكعبة ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة . وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقي بدار الوزارة ، وكانت في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسناً وفي أواخر ذي الحجة طهر الخليفة المستعصم بالله ولديه الأميرين أبا العباس أحمد ، وأبا الفضائل عبد الرحمن ، وعملت ولائم فيها كل أفراح ومسرة ، لا يسمع بمنزلها من أزمان متطاولة ، وكان ذلك وداعاً لمسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان .

وفيها احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن حسكو ، وكان من خيار الأمراء الأجواد ، واصطفى أمواله كلها وسجنه عنده في الكرك ، فشفع فيه فخر الدين ابن الشيخ لما كان محاصره في الكرك فأطلقه ، فخرجت في حلقه جراحة فبطها فمات ودفن عند قبر جعفر والشهداء بمحوته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ملك الخوارزمية قبلا بركات خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حمص كما تقدم ذكره
وفيها توفي الملك المنصور

ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص بدمشق ، بعد أن سلم بعلبك للصالح أيوب ، ونقل إلى حمص ، وكان نزوله أولاً ببستان سامة ، فلما مرض حمل إلى الدهشة ببستان الأشرف بالنيرب فمات فيه . وفيها توفي .

الصائغ محمد بن حسان

ابن رافع العامري الخطيب ، وكان كثير السماع مسنداً ، وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالى .
وفيها توفي الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم

المراعي الحنبلي وكان فاضلاً ذا فنون ، أثنى عليه أبو شامة . قال : صحبته قدماً ولم يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة ، وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

والضياء عبد الرحمن الفخاري

المالكي الذي ولي وظائف الشيخ أبي عمرو ابن الحاجب حين خرج من دمشق سنة ثمان

وثلاثين وجلس في حلقة ودرس مكانه بزاوية المالكية والفقيه تاج الدين إسماعيل بن جميل بحلب ، وكان فاضلاً ديناً سليم الصدر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها كان عود السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية ، وزار في طريقه بيت المقدس وفرق في أهله أموالاً كثيرة ، وأمر بإعادة سورة كما كان في أيام عم أبيه الملك الناصر فاتح القدس . ونزل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبرية في عاشر صفر وفتحت عسقلان في أواخر جمادى الآخرة ، وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الأبار عن الخطابة بجامع الأموى ، وتدرّس الفزالية ، وولى ذلك للقاضي عماد الدين بن عبد الكريم بن الحرساني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح . وفيها أرسل الصالح أيوب يطلب جماعة من أعيان الدمشقة اتهموا بملاأة الصالح إسماعيل ، منهم القاضي محيي الدين بن الزكي ، وبنو بصرى وابن العماد الكاتب ، والحلي مملوك الصالح إسماعيل ، والشهاب غازي والي بصرى ، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شيء من العقوبات والاهانة ، بل خلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين .

ومن توفي فيها من الأعيان . **الحسين بن الحسين بن علي**

ابن حمزة العلوي الحسني ، أبو عبد الله الأفسسي النقيب قطب الدين ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد ، وولى النقابة ، ثم اعتقل بالكوفة ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مطبقاً ، وأورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة رحمه الله .

الشلوبين النحوي

هو عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، أبو علي الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بالشلوبين . وهو بلغة الأندلسيين الأبيض الأشقر . قال ابن خلكان : ختم به أئمة النحو ، وكان فيه تفنن ، وذكر له شعراً ومصنفات ، منها شرح الجزولية وكتاب التوطئة . وأرخ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الشيخ علي المعروف بالحريري

أصله من قرية بسر شرقي ذراع ، وأقام بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل القمير على يد الشيخ علي المغربي ، وابتغى له زاوية على الشرف القبلي ، وبادرت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حبس في قلعة عز نامدة سنين ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ، فلزم بلده بسر مدة حتى كانت وفاته في

هذه السنة ، قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل : وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ على المعروف بالحري المقيم بقرية بسر في زاويتيه ، وكان يتردد إلى دمشق ، وتبعه طائفة من الفقهاء وهم المعروفون بأصحاب الحري أصحاب المناق للشريعة ، وباطنهم شر من ظاهرهم ، إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون فيها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كهراء دمشق وصاروا على زى أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ، يجمع مجلسه الغنا الدائم والرقص والمردان ، وترك الانكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات وكثرت النفقات ، فأضل خلقا كثيرا وأفسد جما ففيرا ، ولقد أفتى في قتله مرارا جماعة من علماء الشريعة ، ثم أراح الله تعالى منه . هذا لفظه بجر وفه .

واقف العزيزة الأمير عز الدين أيوب

أستاذ دار المعظم ، كان من العقلاء الأجواد الأجداد ، استنابه المعظم على صرخد وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد ، ووقف العزيزتين الجوانية والبرانية ، ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى عليه بأنه يكاتب الصالح إسماعيل فاحتيط عليه وعلى أمواله وحواصله فرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هذا آخر عهدي . ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحمه الله تعالى ، ثم نقل إلى تربته التي فوق الوراق . وإنما أرخ السبط وفاته في سنة سبع وأربعين فآله أعلم .

الشهاب غازي بن العادل

صاحب ميافارقين وخلط وغيرهما من البلدان ، كان من عقلاء بني أيوب وفضلاتهم ، وأهل الديانة منهم ، وما أنشد قوله :

ومن عجب الأيام أنك جالس * على الأرض في الدنيا وأنت تسير
فسيرك يا هذا كبير سفينة * يقوم جلوس والقلوع تطير

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين من الديار المصرية إلى دمشق وجهاز الجيوش والمجانيق إلى حمص ، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف بن موسى بن المنصور بن أسد الدين قد قاىض بها إلى تل باشر لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز ، ولما علمت الحلبيون بخروج الدماشقة برزوا أيضاً في جعل عظيم ليمنعوا حمص منهم ، واتفق الشيخ نجم الدين البادزاي مدرس النظامية ببغداد في رسالة فأصلح بين الفريقين ، ورد كلا من الفتنين إلى مستقرها والله الحمد . وفيها قتل مملوك تركي شاب صبي لسيده على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة ، فصلب الغلام مسمرا ، وكان شابا حسنا جدا فتأسف الناس له لكونه صغيرا ومظلوما وحسنا ، ونظفوا فيه قصائد ، ومن نظم فيه الشيخ شهاب

الدين أبو شامة في الذيل ، وقد أطل قصته جدا . وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق من دمشق ، عند قصر أم حكيم ، قهسدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين ، وكان سقوطها نهارا . وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية فأحرق جميع حشوها ، وكانت سلامها سقالات من خشب ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها ، وسلم الله الجامع وله الحمد . وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت ، قلت : ثم احترقت وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبع مائة وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت والله الحمد . وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى عليه السلام عليها ، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضاً في محفة إلى الديار المصرية وهو تقبل مدنف ، شغل ما هو فيه عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه ، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر ، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بمخنقه نخق بتربة شمس الدولة ، فاعمر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حال ، وأشد مرض ، فسبحان من له الخلق والأمر .

وفيها كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية .

فضل الدين الخونجي

الحكيم المنطقي البارع في ذلك ، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه قال أبو شامة : أثنى عليه .

غير واحد . علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن المحرمي

كان شاباً فاضلاً أديباً شاعراً ماهراً ، صنف كتاباً مختصراً وجيزاً جامعاً لفنون كثيرة في الرياضة والعقل وذم الهوى ، ومما نتاج الأفكار . قال فيه من الكلام المستفادة الحكيمية : السلطان إمام متبوع ، ودين مشروع ، فإن ظلم جارت الأحكام اظلمه ، وإن عدل لم يجر أحد في حكمه ، من مكنته الله في أرضه وبلاده وأثمنه على خلقه وعباده ، وبسط يده وسلطانه ، ورفع محله ومكانه ، فحقيق عليه أن يؤدي الأمانة ، ويخلص الديانة ، ويجمل السريرة ، ويحسن السيرة ، ويجعل العدل دأبه الممهود ، والأجر غرضه المقصود ، فالظلم يزل القدم ، ويزيل النعم ، ويجلب الفقر ، ويهلك الأمم . وقال أيضاً : معارضة الطبيب توجب التعذيب ، رب حيلة أنفع من قبيلة ، سمين الغضب مهزول ، وإلى الغدر مهزول ، قلوب الحكماء تستشف الأسرار من لحاح الأبصار ، أرض من أخيك في ولايته بعشر ما كنت تعده في مودته ، التواضع من مصائد الشرف ، ما أحسن حسن الظن لولا أن فيه العجز . ما أقبح سوء الظن لولا أن فيه الحزم . وذكر في غضون كلامه أن خادماً لعبد الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال : يا سيدي أما لك ذنب تخلف من الله فيه ؟ قال بلى ،

قال بالذى أمهلك لما أمهلتنى ، ثم أذنب العبد ثانياً فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك فمعا عنه ، ثم أذنب الثالثة فعاقبه وهو لا يتكلم فقال له ابن عمر : مالك لم تقل مثل ما قلت فى الأولتين ؟ فقال : يا سيدى حياء من حلمك مع تكرار جرمى . فبكى ابن عمر وقال : أنا أحق بالحياء من ربى ، أنت حر لوجه الله تعالى . ومن شعره يمدح الخليفة .

يا مَنْ إذا بخلَ السحابُ بمائمه * هطلت يداؤه على البرية عسجدا
جورت كسرى يا مبخل حاتم * ففدت بنو الآمالِ نحرَكَ سجدا
وقد أورد له ابن الساعى أشعارا كثيرة حسنة رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو عمرو بن الحاجب

المالكي عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس الروينى ثم المصرى ، العلامة أبو عمرو وشيخ المالكية كان أبوه صاحباً للأمر عز الدين موسك الصلاحى ، واشتغل هو بالعلم قرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً ، وتفقه وساد أهل عصره ، ثم كان رأساً فى علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك . وقد كان استوطن دمشق فى سنة سبع عشرة وستائة ، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى سنة ثمان وثلاثين ، فصاروا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبى عمرو فى هذه السنة بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التى بين المنارة والبلد . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وكان من أذكى الأئمة قريجة ، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ، فاشترأ له محملاً للأذى صبورا على البلوى ، قدم دمشق مرارا آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مدرساً للمالكية وشيخاً لاستفيد بن عليه فى علمى القراءات والعربية ، وكان ركنا من أركان الدين فى العلم والعمل ، بارعا فى العلوم متقنا لمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى . وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر أنه جاء إليه فى أداء شهادة حين كان نائبا فى الحكم بمصر وسأله عن مسألة اعترض الشرط على الشرط ، إذا قال إن أكلت إن شربت فأنت طالق ، لم كان يقع الطلاق حين شربت أولا ؟ وذكر أنه أجاب عن ذلك فى نزدة وسكون . قلت ومختصره فى الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاش ، ومختصره فى أصول الفقه ، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآملى ، وقد من الله تعالى على بحفظه وجمعت كرارىس فى الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، والله الحمد . وله شرح المفصل والآمالى فى العربية والمقدمة المشهورة فى النحو ، اختصر فيها مفصل الزخشرى وشرحها ، وقد شرحها غيره أيضاً ، وله التصريف وشرحه ، وله عروض على وزن الشاطبية رحمه الله ورضى عنه .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه توران شاه وتولية المعز الدين أيك التركماني .
وفي رابع المحرم يوم الاثنين توجه الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية في محفة . قال ابن السبط .
وكان قد نادى في دمشق : من له عندنا شيء فليأت ، فاجتمع خلق كثير بالقلمة ، فدفعت إليهم أموالهم
وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فنزل
بدر الشمارين داخل باب الجابية ، وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثه
وسطباب البريد ، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الخياطين القبلي والشامي ،
وما في الوسط بهم . قال أبو شامة : وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور ، والمرجو
استمراره على هذه الصفة . وفيها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى
نائبه بدمشق جمال الدين بن يغمور بخراب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق ، وبستانه الذي
بالقابون ، وهو استان القصر ، وأن تقاع أشجاره ويحرب القصر ، وتسلم الصالح أيوب الكرك من
الأبجد حسن بن الناصر ، وأخرج من كان بها من بيت المعظم ، واستحوذ على حواصلها وأموالها ،
فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار ، وأقطع الصالح الأبجد هذا إقطاعاً جيداً . وفيها طغى الماء
ببغداد حتى أتلّف شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة ، وتعدّرت الجمع في أكثر الجوامع بسبب
ذلك سوى ثلاث جوامع ، ونقلت توابيت جماعة من الخلفاء إلى التراب من الرصافة خوفاً عليهم من
أن تفرق محالهم ، منهم المقتصد بن الأمير أبي أحمد المتوكل ، وذلك بعد دفنه بذيّف وخمسين سنة
وثلاثمائة سنة ، وكذا نقل ولده المكتفى وكذا المكتفى بن المقتدر بالله رحمهم الله تعالى . وفيها هجمت
الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها من الجند والعامّة واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً
من المسلمين ، وذلك في ربيع الأول منها ، فنصب السلطان الخيم فجاه العدو بجميع الجيش ، وشنق
خلقاً ممن هرب من الفرنج ، ولامهم على ترك المصاهرة قليلاً ليرهبوا عدو الله وعدوم ، وقوى المرض
وتزايد بالسلطان جداً ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفي إلى رحمة الله تعالى بالمنصورة ،
فأخفت جاريته أم خليل المدعوة شجرة الدر موته ، وأظهرت أنه مريض مدنف لا يوصل إليه ،
وبقيت تعلم عنه بعلامته سواء . وأعلنت إلى أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم تورانشاه
وهو بمحصن كيفا ، فأقدموه إليهم سرّياً ، وذلك بأشارة أكابر الأمراء منهم نخر الدين ابن الشيخ ،
فلما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايعوه أجمعين ، فركب في عصائب الملك وقاتل الفرنج فكسروهم
وقتل منهم ثلاثين ألفاً والله الحمد . وذلك في أول السنة الداخلة . ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه ،
ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيك التركماني ، فضربه في يده فقطع بعض أصابعه فهرب إلى

قصر من خشب في الخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه ، فخرج من بابه مستجيراً برسول الخليفة فلم يقبلوا منه ، فهرب إلى النيل فانغمر فيه ثم خرج قتل سرياً شر قتلة وداسوه بأرجلهم ودفن كالجيفة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكان فيمن ضربه البندقداري على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر وهو يستغيث فلا يثا .

ومن قتل في هذه السنة فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه

وكان فاضلاً ديناً مهيباً وقوراً خليفاً بالملك ، كانت الأمراء تعظمه جداً ، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح لما اختلف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يرى ذلك حياً لجانب بني أيوب ، قتلته الداوية من الفرنج شهيداً قبل قدوم المعظم توران شاه إلى مصر ، في ذى القعدة ، ونهبت أمواله وحواسله وخيوله ، وخربت داره ولم يتركوا شيئاً من الأفعال الشنيعة البشعة إلا صنعوه به ، مع أن الذين تعاطوا ذلك من الأمراء كانوا معظمين له غاية التعظيم . ومن شعره :

عصيتُ هوى نفسى صغيراً فعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعتُ الهوى عكس القضية ليقنى * خلقتُ كبيراً ثم عدتُ إلى الصغر

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستائة

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط ، فقتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مائة ألف ، وغنموا شيئاً كثيراً والله الحمد . ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا ، وكان فيمن أسر ملك الفرنسي وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الأفرنسيس إلى دمشق فلبسها ثيابها في يوم الموكب ، وكانت من سقر لاط تحنها فر وسنجاب ، فأنشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع ، ودخل الفقراء كنيسة مريم فأقاموا بها فرحاً لما نصر الله تعالى على النصاري ، وكادوا أن يخرّبوها وكانت النصاري يبعابك فرحوا حين أخذت النصاري دمياط ، فلما كانت هذه الكسرة عليهم سخموا وجوه العصور ، فأرسل نائب البلد فجنهم وأمر اليهود فصفعهم ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم توران شاه ، ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الأخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

المعز عز الدين أيبك التركماني يملك مصر بعد بني أيوب

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحية ابن أستاذهم المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن السكامل بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب ، وكان ملكه بعد أبيه بشهرين كما تقدم بيانه ، ولما انفصل أمره بالقتل نادوا فيما بينهم لا بأس لا بأس ، واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيبك التركماني ، فملكوه عليهم وبايعوه ولقبوه بالملك المعز ، وركبوا إلى القاهرة ، ثم بعد خمسة أيام أقاموا

لهم صبيّاً من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن المسعود إقسيس بن الكامل ، وجعلوا المعز أتابكة فكانت السكة والخطبة بينهما ، وكانوا أمراء الشام بذلك ، فاتم لهم الأمر بالشام ، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة إلا على الديار المصرية ، وكل ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حفيّة الصالح أيوب ، فتزوجت بالمعز ، وكانت الخطبة والسكة لها ، يدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها ، وكذا تضرب السكة باسمها أم خليل ، والعلامة على المناشير والتواقيع بخطها واسمها ، مدة ثلاثة أشهر قبل المعز ، ثم آل أمرها إلى ماسنذكره من الهوان والقتل .

الناصر بن العزيز بن الظاهر صاحب حلب يملك دمشق

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم توران شاه بن الصالح أيوب ركب الجلبليون معهم ابن أستاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس ، ومن كان عندهم من ملوك بني أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وكان أحق الموجودين بالملك ، من حيث السن والتعدد والحرمة والرياسة ، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل ، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، الذي كان صاحب حمص وغديرهم ، فجاؤا إلى دمشق فحاصروها فملكوها سرّياً ، ونهبت دارا بن يغمور وحبس في القلعة وتسلموا ما حولها كعملبك وبصري والصلت وصرخد ، وامتنعت عليهم الكرك والشوبك بالملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل ، كان قد تغلب عليهما في هذه الفتنة حين قتل المعظم توران شاه ، فطلبه المصريون ليملكوه عليهم بخاف مما حل بابني عمه ، فلم يذهب إليهم ولما استقرت يد الحلبيين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيب قلوب الناس ، ثم ركبوا إلى غزة ليتسلموا الديار المصرية ، فبرز إليهم الجيش المعري فاقتلوا معهم أشد القتال ، فكسر المصريون أولاً بحيث إنه خطب للناصر في ذلك بها ، ثم كانت الدائرة على الشاميين فانهزموا وأسروا من أعيانهم خلقاً كثيراً ، وعدم من الجيش الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى ، وقد أنشد هنا الشيخ أبو شامة لبعضهم :

ضَيِّعَ إسماعيلُ أموالنا * وخربَ المغيثُ بلا معنى

وراحَ من جلقَ هذا جزاء * من أقَرَّ الناسَ وما استغنى

شيء من ترجمة الصالح إسماعيل واقف تربة الصالح

وقد كان الصالح رحمه الله ملكاً عاقلاً حازماً تتقلب به الأحوال أطواراً كثيرة ، وقد كان الأشرف أوصى له بدمشق من بعده ، فملكها شهوراً ثم انتزعها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد الصالح أيوب خديمة ومكراً ، فاستمر فيها أزيد من أربع سنين ، ثم استعادها منه الصالح أيوب

عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين ، واستقرت بيده بلاد بعلبك وبصرى ، ثم أخذنا منه كما ذكرنا ، ولم يبق له بلد يأوى إليه ، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحبها ، فلما كان في هذه السنة ما ذكرنا عدم باليار المصرية في المعركة فلا يدرى ما فعل به والله تعالى أعلم . وهو واقف القرية والمدرسة ودار الحديث والافراء بدمشق رحمه الله بكرمه .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

الملك المعظم توران شاه بن الصالح أيوب

ابن الكامل ابن العادل ، كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه ، وكان أبوه يستدعيه في أيامه فلا يجيبه ، فلما توفى أبوه كما ذكرنا استندعه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فلكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذكرنا ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم ، وقد قيل إنه كان متخلفا لا يصلح للملك ، وقد روى أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول :

قتلوه شر قتله • صار للعالم مثله
لم يراعوا فيه إلا • لاولا من كان قبله
سترام عن قريب • لأقل الناس أكلة

فكان كما ذكرنا من اقتتل المصريين والشاميين . وعن عدم فيما بين الصفيين من أعيان الأمراء والمسلمين فنهزم الشمس لؤلؤ مدبر ممالك الحلبيين ، وكان من خيار عباد الله الصالحين الآمرين بالمعروف وعن المنكر فاهين . وفيها كانت وفاة .

الحاتون ارغوانية

الحافظية مميت الحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ ، صاحب قلعة جبر ، وكانت امرأة عاقلة مدبرة عرت دهرها ولها أموال جزيلة عظيمة ، وهي التي كانت تصلح الأطلعة للمغيث عمر بن الصالح أيوب ، فصادرها الصالح إسماعيل فأخذ منها أربع مائة صندوق من المال ، وقد وقفت دارها بدمشق على خدامها ، واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي ، وجعلت فيه تربة ومسجدا ، ووقفت فيه عليها أوقافا كثيرة جيدة رحمه الله .
واقف الأمانة التي بعلبك . امين الدولة أبو الحسن غزال المتطبيب

وزير الصالح إسماعيل أبي الجيش الذي كان مشؤما على نفسه ، وعلى سلطانه ، وسببا في زوال النعمة عنه وعن مخدمه ، وهذا هو وزير السوء ، وقد اتهمه السبط بأنه كان مستهترا بالدين ، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين ، فأراح الله تعالى منه عامة المسلمين ، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بديار مصر ، عمد من عمد من الأمراء إليه وإلى ابن يغمور فشنقوها وصلبوها على القلعة

بمصر متناوحين . وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والنحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار ، وعشرة آلاف مجلد بخط مذهب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفائقة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدمت عساكر المصريين فحكروا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة ، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردوهم حتى ردوهم إلى الديار المصرية ، وقصروهم عليها ، وتزوجت في هذه السنة أم خليل شجرة الدر بالملك المنصور الدين أيبك التركاني ، مملوك زوجها الصالح أبوب . وفيها نقل تابوت الصالح أبوب إلى تربته بمدرسته ، ولبست الأتراك ثياب العزاء ، وتصدقن أم خليل عنه بأموال جزيلة . وفيها خربت الترك دمياط وقتلوا الأهالي إلى مصر وأخلوا الجزيرة أيضاً خوفاً من عود الفرنج . وفيها كل شرح الكتاب المسمى بنهج البلاغة في عشرين مجلداً مما ألفه عبد الحميد بن داود بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني ، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، فأطلق له الوزير مائة دينار وخلمة وفرسا ، وامتدحه عبد الحميد بقصيدة ، لانه كان شيعياً معتزلياً . وفي رمضان استدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة النهرقي مدرس النظامية ببغداد فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور ، وخلع عليه . وفي شعبان ولى تاج الدين عبد الكريم بن الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حسبة ببغداد بعد أخيه عبيد الله الذي تركها تزهداً عنها ، وخلع عليه بطرحة ، ووضع على رأسه غاشية ، وركب الحجاب في خدمته . وفي هذه السنة صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر ، وهذا اتفاق غريب . وفيها وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن صلاح الدين بن يوسف بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادعى الخلافة ، وأنه أنفذ إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنما وهرب هو بنفسه في شرذمة ممن بقي من أصحابه . وفيها أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد وفيها كانت وفاة .

بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الحميري

خطيب القاهرة ، رحل في صغره إلى العراق فسمع بها وغيرها ، وكان فاضلاً قد اتقن معرفة مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير البر ، قل أن يقدم عليه أحد إلا أطعمه شيئاً ، وقد جمع الكثير على السلفي وغيره ، وأجمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته ، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة ، وله تسمون سنة ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

القاضي أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام

ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم العماني الحنفي من بيت العلم والقضاء ، درس بمشهد أبي حنيفة وقاب عن قاضي القضاة ابن فضلان الشافعي ، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن

عبدالرزاق الحنبلي ، ثم عن قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، ثم بعد وفاته في سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضي عبد الرحمن المعاني بولاية الحكم ببغداد ، ولقب أقضى القضاة ، ولم يخاطب بقاضى القضاة ، ودرس للحنفية بالمستنصرية في سنة خمس وثلاثين ، وكان مشكور السيرة في أحكامه ونقضه وإبرامه . ولما توفى تولى بعده قضاء القضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النهر قلى رجهما الله تعالى ونجأوز عنهما عنه وكرمه آمين .

ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية

فيها وصلت النار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما إلى هذه البلاد ، قتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعوا بسنجار يسرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية ، وستمائة ألف دينار ، وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرة آلاف قتيل ، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال السبط : وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر . وفيها وقع حريق يحلب احترق بسببه ستمائة دار ، ويقال إن الفرنج لعنهم الله ألقوه فيه قصدا . وفيها أعاد قاضى القضاة عمر بن على النهر قلى أمر المدرسة الناجية التى كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالقيسارية يتناعون فيها مدة طويلة ، وهى مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية ، وقد كان بانها يقال له تاج الملك ، وزير ملك شاه السلجوقى ، وأول من درس بها الشيخ أبو بكر الشافى .

وفيها كانت وفاة جمال الدين بن مطروح

وقد كان فاضلاً رئيساً كيساً شاعراً من كبار المتعممين ، ثم استنابه الملك الصالح أيوب فى وقت على دمشق فلبس لبس الجند . قال السبط : وكان لا يليق فى ذلك . ومن شعره فى الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفرنج حين سلمت إليهم فى سنة ست وثلاثين فى الدولة الكاملية فقال هذا الشاعر ، وهو ابن مطروح رحمه الله :

المسجد الأقصى له عادة * سارت فصارت مثلاً سائراً

إذا غدا للكفر مستوطناً * أن يبعث الله له ناصراً

فناصر طهره أولاً * وناصر طهره آخراً

ولما عزله الصالح من النيابة أقام خاملاً وكان كثير البر بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر وفيها توفى . شمس الدين محمد بن سعد المقدسي

الكاتب الحسن الخط ، كان كثير الأدب ، وسمع الحديث كثيراً ، وخدم السلطان الصالح

إسماعيل والناصر داود ، وكان ديننا فاضلا شاعرا له قصيدة ينصح فيها السلطان الصالح إسماعيل وما يلقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما ، من حواشيه .

ومن توفي فيها من الأعيان . عبد العزيز بن علي

ابن عبد الجبار المغربي ، أبوه ولد ببغداد ، وسمع بها الحديث ، وعنى بطلب العلم وصنف كتابا في مجلدات على حروف المعجم في الحديث ، وحرر فيه حكاية مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو عبدالله محمد بن غانم بن كريم

الأصبهاني ، قدم بغداد وكان شابا فاضلا ، فتلمذ للشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير ، وله تفسير على طريقة التصوف ، وفيه لطافة ، ومن كلامه في الوعظ : العالم كالندرة في فضاء عظمته ، والندرة كالعالم في كتاب حكمته ، الأصول فروع إذا تجلى جمال أوليته ، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفي الوسائط شمس آخريته ، أستار الليل مسدولة ، وشمس الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة ما هذه الوقعة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوفى بأكناف المقيوق عقوق • إذا لم أرذ والدمع فيه عقيق

• وإذا لم أمت شوقا إلى ساكن الحى • فما أنا فيما أدمع صدوق

أيأربع ليلي ما المحبون في الهوى • سواء ، ولا كل الشراب رحيق

ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه • ولا كل من يحنو إليك مشوق

تكاثر الدعوى على الحب فاستوى • أسير صبايات الهوى وطلق

أيها الأمنون ، هل فيكم من يصعد إلى السماء ؟ أيها المحبوسون في مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سلم في الفهم يفهم رموز الوحوش والأطيار ؟ هل فيكم موسى الشوق يقول بلسان شوقه أرني أنظر إليك ، فقد طال الانتظار ؟ ولما استسقى الناس قال بعد الاستسقاء : لما صعدت إلى الله عز وجل نفس المشتاق بكت آمناق الآفاق ، وجادت بالدر مرضعة السحاب ، وامتنص لبن الرحمة رضيع التراب وخرج من أخلاف الغمام نطاف الماء النخير ، فاهتزت به الهامدة ، وقرت عيون المسر ، وتزينت الرياض بالسندس الأخضر ، فخر الصبغ حبرها أحسن تحبير ، وانفلق بأنملة الصبا أكام الأنوار ، وانشقت بنفحات أنفاسه جيوب الأزهار ، ونطقت أجزاء الكائنات بلغات صفاتها ، وعادات عبرها : أيها النائمون تيقظوا ، أيها المبهدون تعرضوا [فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يجي الأرض بعد موتها إن ذلك لحي الموتى إنه على كل شئ قدير] .

أبو الفتح نصر الله بن هبة الله

ابن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن صائقة الفغاري الكنتاني المصري ثم الدمشقي كان من أخصاء الملك المعظم ، وولده الناصر داود ، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكان أديبا مليح المحاضرة رحمه الله تعالى . ومن شعره قوله :

ولما أبيتم سادتي عن زيارتي * وعوضتموني بالبعد عن القرب
ولم تسمحوا بالوصل في حال يقظتي * ولم يصطبر عنكم لرفق قلبي
نصبت لصيد الطيف جفني حباله * فأدركت خفض العيش بالنوم والنصب

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة

فبها دخل الشيخ نجم الدين البادرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام ، وأصلح بين الجيشين ، وكانوا قد اشتد الحرب بينهم ونشبت ، وقد مالا الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية ، منهم أولاد الصالح إسماعيل ، وبثت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم ، جزاء الله خيرا . وفيها فيما ذكر ابن الساعي كان رجل ببغداد على رأسه زبادى قابسى فزاق فتكسرت ووقف يبكي ، فنألم الناس له لفقده وحاجته ، وأنه لم يكن يملك غيرها ، فأعطاه رجل من الحاضرين دينارا ، فلما أخذه نظر فيه طويلا ثم قال : والله هذا الدينار أعرفه ، وقد ذهب منى في جملة دفانير عام أول ، فشتمه بعض الحاضرين فقال له ذلك الرجل : فما علامة ما قلت ؟ قال زنة هذا كذا وكذا ، وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا ، فوزنوه فوجدوه كما ذكر ، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين دينارا ، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه ، فتمعجب الناس لذلك . قال : ويقرب من هذا أن رجلا مكا نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من عضده دملجا زنته خمسون مثقالا فوضعه مع ثيابه ، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسى الدملج ومضى ، وصار إلى بغداد وبقى مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه ، ولم يبق معه شيء إلا يسير فاشترى به زجاجا وقوارير ليبيعهما ويتكسب بها ، فبينما هو يطوف بها إذ زاق فسقطت القوارير فتكسرت فوقف يبكي واجتمع الناس عليه يتألمون له ، فقال في جملة كلامه والله يا جماعة لقد ذهب منى من مدة سنتين دملج من ذهب زنته خمسون دينارا ، ما باليت لفقده كما باليت لتكسير هذه القوارير ، وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك ، فقال له رجل من الجماعة : فأنا والله لقيت ذلك الدملج ، وأخرجه من عضده فتمعجب الناس والحاضرون . والله أعلم بالصواب

ومن توفى فيها من الأعيان ^(١) .

ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وستمائة

قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان : فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار ، فاشكوا أنها النار التي ذكر النبي (ص) أنها تظهر في آخر الزمان ، فتأب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد ، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات . وفيها قدم الفارس أقطاي من الصميد ونهب أموال المسلمين وأسر بعضهم ، ومعه جماعة من البحرية المفسدين في الأرض ، وقد بنوا وطفوا وتجبروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المزمز أيبك التركاني ، ولا إلى زوجته شجرة الدر . فتشاور المزمز زوجته الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلمة المنصورة بمصر ، فاستراح المسلمون من شره . وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين . وفيها قدمت بنت ملك الروم في نجل عظيم وإقامات هائلة إلى دمشق زوجة لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، وجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها .

ومن توفى فيها من المشاهير عبد الحميد بن عيسى

الشيخ شمس الدين بن الخسر وشاهي ، أحد مشاهير المتكلمين ، ومن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها ، ثم قدم الشام فأنزله الملك الناصر داود بن المعظم وحظي عنده . قال أبو شامة : وكان شيخاً مهيباً فاضلاً متواضعاً حسن الظاهر رحمه الله تعالى . قال السبط : وكان متواضعاً كيساً محضراً خبيراً ، لم ينقل عنه أنه آذى أحداً فإن قدر على نفع وإلا سكت ، توفى بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالى .

الشيخ مجد الدين بن تيمية صاحب الأحكام [عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن علي بن تيمية الحراي الحنبلي ، جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفقّه في صغره على عمه الخطيب نضر الدين ، ومعهم الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس وأقوى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بمران] ^(٢) .

(١) بياض بجميع الأصول وقال الذهبي . وفيها توفى أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلبى الخياط في الحرم . وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم المكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الاسكندراني في شوال عن إحدى وعشرين سنة . وأبو محمد بن جميل البندنجي البواب : آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي .

(٢) بياض بأصل التركية والمصرية . وكلت الترجمة من النجوم الزاهرة .

الشيخ كال الدين بن طلحة

الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الفولعي ، ثم عزل وصار إلى الجزيرة فولى قضاء نصيبين ، ثم صار إلى حلب فتوفي بها في هذه السنة . قال أبو شامة : وكان فاضلاً علماً طلب أن يلى الوزارة فامتنع من ذلك ، وكان هذا من التأييد رحمه الله تعالى .

السيد بن علان

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر معلماً بدمشق .

الناصح فرج بن عبد الله الحبشي

كان كثير السماع مسنداً خيراً صالحاً مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية بدمشق رحمه الله .

النصرة بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب

توفي بحلب في هذه السنة . وآخرون رحمهم الله أجمعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستائة

قال السبط فيها عاد الناصر داود من الأنبار إلى دمشق ، ثم عاد وحج من العراق وأصلح بين العراقيين ، وأهل مكة ، ثم عاد معهم إلى الحلة . قال أبو شامة : وفيها في ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفي بحلب الشيخ الفقيه .

ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم

وكان فاضلاً دينياً ، ومن شعره قوله : رحمه الله تعالى .

من ادعى أن له حالة * تخرجه عن منهج الشرع

فلا تكون له صاحباً * فانه ضير بلا نفع

وهو واقف القوصية . أبو العز^(١) إسماعيل بن حامد

ابن عبد الرحمن الأنصاري القوصي ، واقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره ، وكان مدرساً بحلقة جمال الاسلام نجاة البدارة^(٢) ، فعرفت به ، وكان ظريفاً مطبوعاً حسن المحاضرة ، وقد جمع له معجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة . قال أبو شامة : وقد طالعت بخطه فرأيت فيه أغاليط وأوهاماً في أسماء الرجال وغيرها ، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادة ابن دلم فقال سعد بن عبادة بن الصامت وهذا غلط ، وقال في شدة خرقه التصوف فغلط ومصححاً حياً أبا محمد حسينا . قال أبو شامة : رأيت ذلك بخطه ، توفي يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول من

(١) في « نسخة أبو المزم » (٢) في « نسخة البرادة »

هذه السنة رحمه الله . وقد توفي الشريف المرتضى تقيب الأشراف بحلب ، وكانت وفاته بها ، رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستائة

فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الابل ببصرى ، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه ، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الامام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسى في كتابه الذيل وشرحه ، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معانية ، وكيفية خروجها وأمرها ، وهذا محرر في كتاب : دلائل النبوة من السيرة النبوية ، في أوائل هذا الكتاب والله الحمد والمنة . وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال : وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكتبت الكتب في خامس رجب ، والنار بجبالها ، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستائة كتب من مدينة رسول الله (س) ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله (س) : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بقاء على ضوءها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكان في دار كل واحد منا سراج ، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل » . قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها .

« لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة ظهر بالمدينة النبوية دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات ، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء ، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل ، والله لقد طلعتنا جماعة نبصرها فاذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشقنا أن نجىء إلينا ، ورجعت تسيل في الشرق تخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه [إنها نرى بشر كالتصغر كأنه جملة صفر] وقد أكلت الأرض ، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستائة والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد علقت إلى الحرار في قريظة طريق

عبر الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج .
وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حر ، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند
قريفة ، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أى شئ يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ،
فما أقدر أصف هذه النار .

قال أبو شامة : « وفي كتاب آخر يظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة
ووقع في شرق المدينة المشرقة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم : انفجرت من الأرض
وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ، ولاندرى ماذا نفعل ،
وقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم
تعالى ، وهذه دلائل القيامة » .

قال « وفي كتاب آخر : لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستمائة
وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة ، أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت ليلة
الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذى كنا نسمعه زلازل ، فلما كان يوم الجمعة خامس
الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله (ص) ، وهي برأى
العين من المدينة ، نشاهدها وهي ترمى بشرر كالقصر ، كما قال الله تعالى ، وهي بموضع يقال له أجيلين^(١)
وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة
ونصف ، وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمها دوجبال صغار ، وتسير على وجه الأرض
وهو صخر يندوب حتى يبقى مثل الآتك . فاذا جدد صار أسود ، وقبل الجود لونه أحمر ، وقد حصل
بسبب هذه النار إقلاص عن الماصى ، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، وخرج أمير المدينة عن
مظالم كثيرة إلى أهلها » .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، « ومن كتاب فحس الدين بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة
الحسيني قاضى المدينة إلى بعض أصحابه : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث
بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشقنا منها ، وباتت باقى تلك الليلة تزلزل كل يوم
وليلة قدر عشر نوبات ، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله (ص) ، اضطرب لها المنبر
إلى أن أوجسنا منه [إذ سمعنا] صوتاً للحديد الذى فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، وتمت
الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ، ولما دوى مثل دوى الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة
(١) « في النسخة المصرية الراجلين » وفي النجوم الزهرة « أجيلين » وبها مشه : في تاريخ

مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة « أجيلين » .

في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة ، وما بان لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير كلته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، أرجع إلى الله تعالى ، فأعق كل ممالكه ورد على جماعة أموالهم ، فلما فعل ذلك قلت اهبط الساعة معنا إلى النبي (س) ، فهبط وبقنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقي أحدنا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي (س) ، ثم سال منها نهر من نار ، وأخذ في وادي أجيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاج وهو بحر ناري يجري ، وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادي وادي الشظا ، وما عاد يجرى في الوادي سبل قط لأنها حضرته نحو قاتنين وثلاث علوها ، والله يا أخى إن عيشتنا اليوم مكدره والمدينة قد تاب جميع أهلها ، ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب ، وتمت النار تسيل إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج ، وجاء في الوادي إلينا منها يسير^(١) وخفنا أنه يبيئنا فاجتمع الناس ودخلوا على النبي (س) وقابوا عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قتيورها الذي مما يلينا فقد طفي بقدره الله وأنها إلى الساعة وما نقصت إلا ترى مثل الجمال حجارة ولها دوى ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب ، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأهوال ، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها ، وما صبح يقدر يصفها من عظمها ، وكتب الكتاب يوم خامس رجب ، وهي على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطلعان إلا كاسفين ، فنسأل الله العافية .

قال أبو شامة : وبأن عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان ، وكنا حيارى من ذلك إيش هو ؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار .

قالت : وكان أبو شامة قد أرخ قبل مجيء الكتب بأمر هذه النار ، فقال : وفيها في ليلة الاثنين السامس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديد الحرة ثم انفجلى ، وكسفت الشمس ، وفي غده احمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون ضعيفة النور ، والله على كل شيء قدير ، ثم قال : واتضح بذلك ما صورده الشافعي من اجتماع الكسوف والعيبد ، واستبعده أهل النجامة .

ثم قال أبو شامة : «ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفق الماء من أعلى أسوار بغداد إليها ، وغرق كثير منها ، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد ، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً ، وانهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس

على الملاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة ، ونفترق أزقة بغداد . قال وأما نحن فانه جرى عندنا أمر عظيم : لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين ، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد ، فانزعج لها الناس كلهم ، وانقبهوا من مرافقهم وضج الناس بالاستغفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة ، وصبح يوم الجمعة ارتجت الأرض رجّة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بمضه بيمض ، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم ، وأشفق الناس من ذنوبهم ، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض ، فارتفع لها الناس روعة عظيمة ، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينمقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة ، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت والصبيان ، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله ، وغطت حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر ، وبقيت السماء كالعقّة ، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مصل وقال للقرآن وراكم وساجد ، وداع إلى الله عز وجل ، ومننصل من ذنوبه ومستغفر وتائب ، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهبها ، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعبيده ، ورد علينا كل ما لنا تحت يده ، وعلى غيرنا ، وبقيت تلك النار على حالها تلهب التهاباً ، وهي كالجبل العظيم [ارتفاعاً] كالمدينة عرضاً ، يخرج منها حصي يصعد في السماء ويهوى فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمى كالرعد . وبقيت كذلك أياماً ثم سالت سيلاناً إلى وادي أجلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا ، حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج ، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنت ووقفت أياماً ، ثم عادت ترمى بحجارة خلفها وأمامها ، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً ، ثم إنها عظمت وسناهها إلى الآن ، وهي تتقد كأعظم ما يكون ، ولما كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على السكال ، وإنما هذا طرف يكفي . والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن . وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر . وقد قال فيها بعضهم أحياناً :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا • لقد أحاطت بنا يارب بأساء
 نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها • حملاً ونحن بها حقاً أحقاء
 زلازل تخشع العمم الصلاب لها • وكيف يقوى على الزلازل شقاء
 أقام سبعاً برج الأرض فأنصدعت • عن منظرٍ منه عين الشمس عشواء
 بحر من النار تجرى فوقه سفن • من المضارب لها في الأرض أرساء
 كأنما فوقه الأجيال طافية • موج عليه لفرط البهج وعشاء
 نرمي لها شرراً كالتصير طائشة • كأنها ديمة تنصب هطلاء
 تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت • رعباً وترعد مثل السفف أضواء
 منها تكاثف في الجو الدخان إلى • أن عادت الشمس منه وهي دهاء
 قد أثرت سفة في البدر لفتحها • فليلة التم بعد النور ليلاء
 تحدث النيرات السبع أسنفا • بما يلقى بها تحت الترى الماء
 وقد أحاط لظاها بالبروج إلى • أن كاذ يلحقها بالأرض إهواء
 فيالها آية من معجزات رسو • ل الله يعقلها القوم الألباء
 فباصمك الأعظم المكنون إن عظمت • منا الذنوب وساء القلب أسواء
 فاصمح وهب وتفضل وامح واعف وجد • واصفح فكل لفرط الجهل خطاء
 قوم بونس لما آمنوا كشف ال • مذاب عنهم وعم القوم نعماء
 ونحن أمة هذا المصطفى ولنا • منه إلى عفوك المرجو دعاء
 هذا الرسول الذي لولاه ماسلكت • محبة في سبيل الله بيضاء
 فارحم وصل على المختار ما خطبت • على علا منبر الأوراق ورقاء

قلت : والحديث الوارد في أمر هذه النار مخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن
 المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز
 تضيء أعناق الأبل ببصرى » وهذا لفظ البخاري .

وقد وقع هذا في هذه السنة - أعني سنة أربع وخمسين وسبعمائة - كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضي القضاة
 صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي الحنفي الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة ، وجرى ذكر
 هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الأعراب يخبر والدي
 ببصرى في تلك الليالي أنهم رأوا أعناق الأبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز .

قلت : وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكان والده مدرساً للحنفية ببصرى وكذلك

كان جده ، وهو قد درس بها أيضاً ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالمعدية ، ثم ولى قضاء القضاة الحنفية ، وكان مشكور السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثنتا عشرة سنة ، ومنه ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي ، وصلوات الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
ومما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وغرق بغداد قوله :

سبحان من أصبحت مشيئته • جارية في الوري بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما • أحرقت أرض الحجاز بالنار
قال أبو شامة : والصواب أن يقال :

في سنة أغرق العراق وقد • أحرقت أرض الحجاز بالنار

وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وسبعمائة : في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول (س) ، صحبة قاصد يعرف بقياز العلوي الحسني المدني ، فتأوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول (س) زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى أرتج القبر الشريف النبوي ، وسمع صرير الحديد ، وتحركت السلاسل ، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة ، وكانت ترمي بزبد كأنه رؤس الجبال ، ودامت خمسة عشر يوماً . قال القاصد : وجئت ولم تنقطع بعد ، بل كانت على حالها ، وسأله إلى أي الجهات ترمي ؟ فقال : إلى جهة الشرق ، واجتزت عليها أنا ونجاسة اليمن ورمينا فيها سبعة فلم تحرقها ، بل كانت تحرق الحجارة وتذيقها . وأخرج قياز المذكور شيئاً من الصخر المحترق وهو كالفحم لونا وخفة . قال وذكر في الكتاب وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤسهم واستغفروا وأن نائب المدينة أعتق جميع مماليكه ، وخرج من جميع المظالم ، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة ، إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع . وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوماً وإلى الآن . قال ابن الساعي : وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، يقول : إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة ، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة ، فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الموت ، وتدارك أمره باصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت . وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبات ، وهي تأكل بعضها بعضاً إن لم نجد ما تأكله ، وهي تحرق الحجارة وتذيقها ، حتى تمود كالطين المبول ، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذي يخرج من الكبر ، والله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين ، بمحمد وآله الطاهرين .

التي خرجت
من المدينة

قال أبو شامة : وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة على ما كنه أفضل الصلاة والسلام ، ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القوم إلى خزانة ثم ومعه نار فعلقت في الأبواب ثم ، واتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبّت في السقف ، وأخذت قبلة فأهملت الناس عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقف المسجد أجمع ، ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها ، وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق سقف الحجرة النبوية ووقع ما وقع منه في الحجرة ، وبقي على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وأصبح الناس فزعوا موضعاً للصلاة ، وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات ، وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سند كره . هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة . وقد قال أبو شامة : في الذي وقع في هذه السنة وما يمهدها شعرا وهو قوله :

بعد ست من المئين والخمسة * ينلدى أربع جرى في العام
فأرض الحجاز مع حرق المس * جدر معه تفريق دار السلام
ثم أخذ التتار بغداد في أو * ل عام ، من بعد ذلك وعام
لم يمن أهلها والكفر أعوا * ن عليهم ، ياضعة الاسلام
واقضت دولة الخلافة منها * صار مستعصم بغير اعتصام
فحنانا على الحجاز ومصر * وسلاماً على بلاد الشام
رب سلم وصن وعاف بقايا * المدن ، إذا الجلال والاكرام

وفي هذه السنة كانت المدرسة الناصرية الجوانية داخل باب الفراديس ، وحضر فيها الدرس واقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فأنح بيت المقدس ، ودرس فيها قاضي البلد صدر الدين ابن سناء الدولة ، وحضر عنده الأمراء والدولة والدماء وجمهور أهل الحل والعقد بمشقة . وفيها أمر بممارة الرباط الناصري بسفح قاسيون .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن النحاس

ترك الخلائق وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع بمسجده بسفح قاسيون نحو من ثلاثين سنة ، وكان من خيار الناس . ولما توفي دفن عند مسجده بقرية مشهورة به ، وحام ينسب إليه في مساريق الصالحية ، وقد أنشئ عليه السبط ، وأرخوا وفاته كما ذكر .

يوسف بن الأمير حسام الدين

قرأ على بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي رحمه الله تعالى . الشيخ
شمس الدين .

أبو المظفر الحنفي البغدادى ثم الدمشقي ، سبط ابن الجوزي ، أمه رابعة بنت الشيخ جمال
الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ ، وقد كان حسن الصورة طيب الصوت حسن الوعظ كثير
الفضائل والمصنفات ، وله مرآة الزمان في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ ، نظم فيه المنتظم لجدّه
وزاد عليه وذيل إلى زمانه ، وهو من أبهج التواريخ ، قدم دمشق في حدود السهائة وحظي عند
ملوك بني أيوب ، وقدموه وأحسنوا إليه ، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية
التي تقوم عندها الوعظ اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين ، وقد كان الناس يبيتون
ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في الصيف حتى يسموا ميعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم
فيتذاكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن ، على طريقة جده . وقد كان الشيخ تاج الدين
الكندي ، وغيره من المشايخ ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد ، التي عند باب المشهد ، ويستحسنون
ما يقول . ودرس بالعزية البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيوب المعظم ، أستاذ دار المعظم ، وهو
واقف العزية الجوانية التي بالكشك أيضاً ، وكانت قديماً تعرف بدور ابن منقذ . ودرس السبط
أيضاً بالشبلية التي بالجبل عند جسر كحيل ، وفوض إليه البدرية التي قبالتها ، فكانت سكنه ، وبها
توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد
الناصر ابن العزيز فن دونه . وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبوشامة في علومه وفضائله ورياسته
وحسن وعظه وطيب صوته ونضارة وجهه ، وتواضعه وزهده وتودده ، لكنه قال : وقد كنت مريضاً
ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ، ورأيت في حالة منكرة ، ورآه غيري أيضاً ، فساءل
الله العافية . ولم أقدر على حضور جنازته ، وكانت جنازته حافلة حضره السلطان والناس ، ودفن
هناك . وقد كان فاضلاً عالماً نظيفاً منقطعاً منكراً على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات ،
وقد كان مقتصدًا في لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، منصفاً لأهل العلم
والفضل ، مبيناً لأولى الجبل ، وتأق الملوكة وأرباب المناصب إليه زائرين وقاصدين ، وربى في طول
زمانه في حياة طيبة وجاء عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطرباً ،
وصوته فيما يورده حسناً طيباً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه . وقد سئل في يوم عاشوراء زمن الملك الناصر
صاحب حلب أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم
وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً ثم أنشأ يقول وهو يبكي :

ويل لمن شفاؤه خصاؤه • والصور في نشر الخلائق ينفع
لا بد أن ترد القيامة فاطم • وقيصها بدم الحسين ملطخ
ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله .

واقف مرستان الصالحية

الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف ابن أبي الفوارس بن موسك القيمري الكردي ،
أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان
الذي بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفنه بالسفح في القبة التي تجاه المارستان المذكور ، وكان ذا مال
كثير وثروة رحمه الله .

نجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب

دفن عند والده بتربة العادلية .

الأمير مظفر الدين إبراهيم

ابن صاحب صرخد عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم واقف المزيّتين [البرانية والجوانية] على
الحنفية ، ودفن عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقه رحمه الله تعالى .

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح

المقدسي الفقيه الشافعي مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين ابن الصلاح ، ودفن بالصوفية
أيضا ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله .

قال أبو شامة : وكثر في هذه السنة موت الفجأة . فمات خلق كثير بسبب ذلك ، ومن توفي فيها
زكي الدين أبو القورية ^(١) أحد المعدلين بدمشق . و بدر الدين بن السني أحد رؤسائها . وعز الدين
عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار الثعلبي أبي الحسين ، وهو سبط القاضي جمال الدين بن
الحرساني ، رحمه الله تعالى وعفا عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك بداره ميتا وقد ولي الملك بعد أستاذه
الصلاح نجم الدين أيوب بـشهور . كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح ، ثم خلفته شجرة الدر
أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو في الملك ، ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس
ابن الكامل مدة ، ثم استقل بالملك بلا منازعة ، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل
الفارس إقطاي في سنة ثنتين وخمسين ، وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ، ثم تزوج بشجرة

الدر أم خليل. وكان كريماً شجاعاً حياً ديناً، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة الممزية بمصر ومجازها من أحسن الأشياء، وهي من داخل ليست بتلك الفائقة. وقد قال بعضهم: هذه مجاز لا حقيقة له. ولما قتل رحمه الله قاتلهم مماليك زوجته أم خليل شجرة الدر به، وقد كان عزم على تزوج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جواربها أن يسكنه لها فزال تضر به ببقايتها والجواري يركن في معاربه حتى مات وهو كذلك، ولما سمعوا مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز، فقتلوه وألقوها على مزبلة غير مستورة المورة، بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع، وقد علمت على المناشير والنواقيع، وخطب الخطباء باسمها، وضربت السكة برسمها، فذهبت فلا تعرف بمد ذلك بعينها ولا رسمها [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير] وأقامت الأتراك بعد استاذم عز الدين أيبك التركماني، بإشارة أكبر مماليكه الأمير سيف الدين قطز، ولده نور الدين علياً ولقبوه الملك المنصور، وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وجرت الأمور على ما يختاره برأيه ورسمه.

وفيهما كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، قهت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرايات الوزير ابن الملقى، وكان ذلك من أقوى الأسباب في مما لآته للتنازع. وفيها دخلت الفقراء الحيدرية الشام، ومن شعارهم لبس الراحي والطرايطر ويقصون لحام ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، تركوها لمتابعة شيخهم حيدر حين أسره الملاحدة فقصوا لحينه وتركوا شواربه، فاقصدوا به في ذلك، وهو معذور مأجور. وقد نهى رسول الله (ص) عن ذلك، وليس لهم في شيخهم قدوة. وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العونية. وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة المباركة عمل عزاء واقف البادرانية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادراني البغدادي مدرس النظامية، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال المدلومة، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً، وقد ابقي بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة، وشرط على المقيم بها المزوبة وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس، وإنما أراد بذلك توفر خاطر الفقيه وجمعه على طلب العلم، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشر لبعضهم كبير وقد كان شيخنا الامام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مدرس هذه المدرسة وابن مدرسا، يذكر أنه لما حضر الواقف في أول يوم درس بها وحضر عنده السلطان الناصري، قرأ كتاب الوقف وفيه ولا تدخلها امرأة. فقال السلطان ولا صبي؟ فقال الواقف: يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بمصاتين. فاذا ذكر هذه الحكاية تبسم

عندها رحمه الله تعالى . وكان هو أول من درس بها ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويده ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر فيه بعض الأوقات القاضي شمس الدين ابن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف البادراني على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافعة ، وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولى بها قضاء القضاة كرها منه ، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة . ودفن بالشونيزية رحمه الله تعالى .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادراني بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة للملكم هولاءكو بن تولى بن جنكيزخان عليهم إيمان الرحمن ، وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية على ماسيائي بيانه وتفصيله - وبالله المستعان .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان البادراني واقف البادرانية التي بدمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى .

والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم

البلداني بها في ثامن ربيع الأول ودفن فيها ، وكان شيخاً صالحاً مشغلاً بالحديث سماعاً وكتابة وإسماعاً ، إلى أن توفي وله نحو مائة سنة . قلت : وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكلاسة ، وقد رأى في المنام رسول الله (ص) ، فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد ، رحمه الله وأكرم مثواه .

الشيخ شرف الدين

محمد بن أبي الفضل المرسى ، وكان شيخاً فاضلاً متقناً محققاً للبحث كثير الحج ، له مكانة عند الأكابر ، وقد اقتنى كتباً كثيرة ، وكان أكثر مقامه بالحجاز ، وحيث حل عظمه رؤساء تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره ، وكانت وفاته رحمه الله بالذقة بين العريش والداروم في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله .

المشد الشاعر الأمير سيف الدين

علي بن عمر بن قزل مشد الديوان بدمشق ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأشده :

نقلتُ إلى رمسِ القبورِ وضيقها * وخوفى ذنوبى أنها بي تمرُّ
فصادفتُ رحماناً رءوفاً وأنما * حباي بها سقياً لما كنتُ أحذرُ
ومن كان حسنُ الظنِّ في حالِ موته * جميلاً بعفورِ الله فالعفورُ أجدرُ

بشاره بن عبدالله

الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب مولى شبل الدولة المعظمي ، جمع الكندي وغيره ، وكان يكتب خطا جيدا ، وأسند إليه مولاه النظار في أوقافه وجمعه في ذريته ، فهم إلى الآن ينظرون في انشيلتين ، وكانت وفاته في النصف من رمضان من هذه السنة .

القاضي تاج الدين

أبو عبدالله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين المصري نائب عن أبيه ودرس بالشامية ، وله شعر فنه قوله :

صيرتُ في لغيري بالتمّ لثامٌ • عمداً ورشفتُ من ثناية مدام
فازور وقال أنت في الفقه إمامٌ • ريق خمرٍ وعندك الخمر حرام
الملك الناصر

داود بن المعظم عيسى بن العادل ، ملك دمشق بعد أبيه ، ثم انتزعت من يده وأخذها عمه الأشرف واقتصر على الكرك و نابلس ، ثم تنقلت به الأحوال وجرت له خطوط طوال حتى لم يبق معه شيء من المال ، وأودع وديعة تقارب مائة ألف دينار عند الخليفة المستنصر فأنكره إياها ولم يردها عليه ، وقد كان له فصاحة وشعر جيد ، ولديه فضائل جمّة ، واشتغل في علم الكلام على الشمس الخسر وشاهي تليد الفخر الرازي ، وكان يعرف علوم الأوائل جدا ، وحكوا عنه أشياء تدل إن صححت على سوء عقيدته فأنه أعلم . وذكر أنه حضر أول درس ذكر بالمستنصرية في سنة ثنتين وثلاثين وستائة ، وأن الشعراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة ، فقال بعضهم في جملة قصيدة له :

لو كنتُ في يوم السقيفة شاهداً • كنتُ المقدم والامام الأعظم

قال الناصر داود للشاعر : اسكت فقد أخطأت ، قد كان جده أمير المؤمنين العباس شاهدا يومئذ ، ولم يكن المقدم ، وما الامام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال الخليفة : صدقت فكان هذا من أحسن ما نقل عنه رحمه الله تعالى ، وقد تقاصر أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويضا لعمه مجد الدين يعقوب حتى توفي بها في هذه السنة ، فاجتمع الناس بمجنازته ، وحمل منها فضلى عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون .

الملك المعز

عز الدين أيبك التركاني ، أول ملوك الأتراك ، كان من أكبر ممالك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل ، وكان دينا صينا عفيفا كريما ، مكث في الملك نحو من سبع سنين ثم قتلته زوجته شجرة الدر أم خليل ، وقام في الملك من بعده ولده نور الدين علي ، ولقب بالملك المنصور ، وكان مديرا

مملكته مملوك أبيه سيف الدين قطز ، ثم عزله واستقل بالملك بعده نحواً من سنة وتلقب بالظفر ، فقدّر الله كسرة التتار على يديه بعين جالوت . وقد بسطنا هذا كله في الحوادث فما تقدم وما سيأتي .
شجرة الدر بنت عبد الله

أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولدها منه خليل من أحسن الصور ، فمات صغيراً ، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضراً ولا سفراً من شدة محبته لها وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه ، فكان يخطب لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة أشهر ، ثم تملك المعز كما ذكرنا ، ثم تزوجها بعد تملكه الديار المصرية بسنوات ، ثم غارت عليه لما بلغها أنه يريد أن يتزوج بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فعملت عليه حتى قتلته كما تقدم ذكره ، قتلها عليها مماليكه المعزية فقتلها وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام ، ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله تعالى ، وكانت قوية النفس ، لما علمت أنه قد أحبط بها أتلقت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة والآلئ المشتمة ، كسرتة في الهاون لاهما ولا لغيرها ، وكان وزيرها في دولتها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليمان المعروف بابن خلدوهو أول مناصبه .

شرف الدين الفارسي خدمته قديماً الملك الفارسي سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل ، وكان نصرانياً فأسلم ، وكان كثير الصدقات والبر والصلات ، استوزره المعز وكان حظياً عنده جداً ، لا يفعل شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته ، وكان قبله في الوزارة القاضي^(١) تاج الدين ابن بنت الأعرز ، وقبله القاضي بدر الدين السنجاري ، ثم صارت بعد ذلك كله إلى هذا الشيخ الأسعد المسلماني ، وقد كان الفارسي يكتبه المعز بالملوك ، ثم لما قتل المعز أهين الأسعد حتى صار شقياً ، وأخذ الأمير سيف الدين قطز خطه بمائة ألف دينار ، وقد هجاه بهاء الدين زهير بن علي ، فقال :

لَمَنْ اللهُ صَاعِدًا * وَأَبَاهُ ، فصاعداً

وبنيه فنازلاً * واحداً ثم واحداً

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالقرافة ، وقد رثاه القاضي ناصر الدين ابن المنير ، وله فيه مدائح وأشعار حسنة فصيحة رائعة . ابن أبي الحديد الشاعر العراقي

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني ، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي ، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، ولد بالمداين سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفة ، وكان

حظياً عند الوزير ابن الملقمى ، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشاكلة في التشيع والأدب والفضيلة ، وقد أورد له ابن الساعى أشياء كثيرة من مدائمه وأشعاره الفائقة الرائعة ، وكان أكثر فضيلة وأدبا من أخيه أبى المعالى موفق الدين بن هبة الله ، وإن كان الآخر فاضلاً بارعاً أيضاً ، وقد ماتا في هذه السنة رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة

[فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بنى العباس منها] (١)
استهلكت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهم على البغادرة وميرته وهداياه وتحفه ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى ، وقد سترت بغداد وانصبت فيها المجانيق والمرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئاً ، كما ورد في الأثر : « إن يغنى حذر عن قدر » ، وكما قال تعالى [إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر] وقال تعالى [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال [وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلبس بين يدي الخليفة وتضحك ، وكانت من جملة حظاياها ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشباب فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فاذا عليه مكتوب إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول عقولهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة - وكان قدوم هلاكو خان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتى ألف مقاتل - إلى بغداد في ثمانى عشر الحرم من هذه السنة ، وهو شديد الخلق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه ، وهو أن هلاكو خان كان أول برونه من همدان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن الملقمى على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنوية ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بلادهم فغفل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أريك وغيره ، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلاكو خان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ولا بالابه حتى أزعج قدومه ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الفاشقة ، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فاحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش

(١) زيادة من بعض النسخ التركية .

بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم وبقية الجيش ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعهم حتى استعطي كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويمجزون على الاسلام وأهله ، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى النار هو ، نخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتنع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن يخرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مرابهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدي هلاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الاهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي ، والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملا من الرافضة وغيرهم من المناققين على هولاكو أن لا يصلح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، والمولى نصير الدين الطوسي ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموت ، وانزعها من أيدي الاسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي . وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو ونهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، وهو في جوالق لثلا يقع على الأرض شئ من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قبل لهم ، وقيل بل خنق ، ويقال بل أغرق فآله أعلم ، فبأوه بائمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والمقد ببلادهم - وستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات - ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدره . عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأما كن الحشوش ، وفقى الوسخ ، وكنوا كذلك أياماً لا يظهرون ،

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويفلتون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأماكن فيقتلونهم بالأسلحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فانا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمى قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الدبوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملك الأكبر الأكرس، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطعمهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشاً للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلى الكبير رب الأرض والسماء.

وقد جرى على بنى إسرائيل بيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز، حيث يقول [وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجازوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً] الآيات. وقد قتل من بنى إسرائيل خلق من الصالحين وأسر جماعة من أولاد الأنبياء، وخرب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد والزهاد والأحبار والأنبياء، فصار خاويًا على عروشه واهي البناء.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة. فقليل ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتل ألفي ألف نفس، فانا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر الحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر ودفن قبره، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت

أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم ، وأسر من دار الخلافة من الأبطال ما يقارب ألف بكر فيما قبل والله أعلم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان عند الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيك ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد . وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بنى العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الحلال ، تجاء المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه . وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة ، وحمل القرآن ، وتمطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن الملقم قبحه الله ولعمري أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض ، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة يفسرون علمهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده فاجتمعوا والله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعمون يوماً بقيت ببغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الدلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقبور والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بمضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد فنفثوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الترى بأمر الذي يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلط هولا كوخان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنة بها وإلى الوزير ابن الملقم فلم يمهله الله ولا أهله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة ، وكان عنده فضيلة في الانشاء ولديه فضيلة في الأدب ، ولكنه كان شيعياً جلداً رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً وغماً وحزناً ونداماً ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فألفقه الله بأبيه في بقية هذا العام ، والله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتل ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فله أعلم .

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن المعادل الكبير ، وكان في حبسه جماعة من أمراء البحرية ، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري ، فكسروهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال ، وأسروا جماعة من رؤوس الأمراء قتلوا صبرا ، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنع ، وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد ، فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبث جيشا ليكفهم عن ذلك ، فكسروهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بأشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حرب وخطوب يطول بسطها وبالله المستعان .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان .

خليفة الوقت المستعصم بالله

أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالمرق رحمه الله ، وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستنصر أبي جعفر بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي ، مولده سنة تسع وستائة ، وبويع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخمسين وستائة ، فيكون عمره يوم قتل سبعا وأربعين سنة رحمه الله تعالى . وقد كان حسن الصورة جيد السريرة ، صحيح العقيدة مقتديا بأبيه المستنصر في المعدلة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد ، وقد استجاز له الحافظ ابن النجار من جماعة من مشايخ خراسان منهم المؤيد الطوسي ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد المروزي وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيار ، وأجاز هو للإمام محيي الدين ابن الجوزي ، ولشيخ نجم الدين البادراني ، وحدثا عنه بهذه الاجازة . وقد كان رحمه الله سنيا على طريقة السلف واعتقاد

الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ومحبة للمال وجمعه ، ومن جملة ذلك أنه استحل الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المعظم وكانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، كما قال الله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) . قتلته التتار مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر سنة وأربعون سنة وأربعة أشهر . وكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وعمانية أشهر وأياماً ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، وبل بالرأفة نراه . وقد قتل بعده ولده وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه ، وشغل منصب الخلافة بعده ، ولم يبق في بني العباس من سد مسده ، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكم بالعدل بين الناس ، ومن يرتجي منهم النوال ويخشى العباس ، وختموا بعبد الله المستعصم كما فتحوا بعبد الله السفاح ، بويغ له بالخلافة وظهر ملكه وأمره في سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم وقد زال ملكه وانقضت خلافته في هذا العام ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، وزال ملكهم عن العراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام البساسيري بعد الحسين وأربعمائة ، ثم عادت كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله والله الحمد .

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، فانه خرج عن بني العباس بلاد المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعض بني أمية من بقي منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعددهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن بني العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب ، وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة [وكنذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر ، وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق ، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات] (١)

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية القدسية ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً متخلفاً ، ومدة ملكهم بحرياً من سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة ، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله (ص) كانت ثلاثين سنة كما نطق بها

الحديث الصحيح ، فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي ستة شهور حتى كملت الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا فكان أول ملوك الاسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية ابن يزيد بن معاوية ، واقترض هذا البطن المفتوح بمعاوية المختتم بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد قيس بن عبد مناف بن قصي ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضا ، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحرار ، وكان آخرهم ، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان ، ثم اقترضوا من أولهم إلى خاتمهم . وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم عبد الله المستعصم . وكذلك أول خلفاء الفاطميين فالأول اسمه عبد الله العاضد ، وآخرهم عبد الله العاضد ، وهذا اتفاق غريب جدا قل من يتنبه له ، والله سبحانه أعلم . وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء ذكر فيها جميع الخلفاء :

الحمد لله العظيم عرشه * القاهرة الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والدهور * وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد * على النبي المصطفى محمد
 وآله وصحبه الكرام * السادة الأئمة الأعلام
وبعد فإن هذه أرجوزة * نظمها لطيفة وجيزة
نظمت فيها الراشدين الخلفاء * من قام بعد النبي المصطفى
ومن تلامه وهم جرا * جعلتها تبصرة وذكرى
ليعلم العاقل ذو النصور * كيف جرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة وملك * معرضون للفناء والهلك
وفي اختلاف الليل والنهار * تبصرة لكل ذي اعتبار
والملك الجبار في بلاده * يورثه من شاء من عباد
وكل مخلوق فللنساء * وكل ملك فالى انتهاء
ولا يدوم غير ملك الباري * سبحانه من ملك قهار
منفرد بالعرز والبقاء * وما سواه فالى انقضاء
أول من بويع بالخلافة * بعد النبي ابن أبي قحافة

أعنى الامام الهادى الصديقا * ثم ارتضى من بعده الفاروقا
 ففتح البلادَ والأمصارا * واستأصلت سيوفه الكفاروا
 وقام بالعدل قياماً يرضى * بذلك جبار السما والأرض
 ورضى الناس بندى النورين * ثم على والد السبطين
 ثم أنت كتائب مع الحسن * كادوا بأن يجددوا بها الفتن
 فأصلح الله على يديه * كما عزا نبينا إليه
 وجمع الناس على معاوية * ونقل القصة كل راوية
 فهذه الملك كما يريد * وقام فيه بعده يزيد
 ثم ابنة وكان براً راشداً * أعنى أبا ليلى وكان زاهداً
 فترك الامر لا عن غلبة * ولم يكن إليها منه طلبه
 وابن الزبير بالحجاز يد أب * في طلب الملك وفيه ينصب
 وبالشام بايعوا مروانا * بحكم من يقول كن فكاما
 ولم يدم في الملك غير عام * وعافضته أسهم الحام
 واستوثق الملك لعبد الملك * ونار نجم سعدة في الفلك
 وكل من فازعه في الملك * خر صريعاً بسيف الهلك
 وقتل المصعب بالمراق * وسير الحجاج ذا الشقاق
 إلى الحجاز بسيف النقم * وابن الزبير لائذ بالحرم
 فجاء بعد قتل بصلبه * ولم يخف في أمره من ربه
 وعند ما صفت له الأمور * تقلبت بجسمه الدهور
 ثم أتى من بعده الوليد * ثم سليمان الفقى الرشيد
 ثم استفاض في الوردى عدل عمر * تابع أمر ربه كما أمره
 وكان يدعى بأشج القوم * وذى الصلاة والتقى والصوم
 فجاء بالعدل والاحسان * وكف أهل الظلم والطغيان
 مقتدياً بسنة الرسول * والراشدين من ذوى العقول
 فخرج الاسلام كأمس قديم * ولم يروا مثلاً له من بعده
 ثم يزيد بعده هشام * ثم الوليد فت منه الهام
 ثم يزيد وهو يدعى الناقصا * فجاءه حمامة معافصا

ولم تطل مدة إبراهيم * وكان كل أمر سقيا
 وأسند الملك إلى مروانا * فكان من أموره ما كانا
 وانقرض الملك على يديه * وحادث الدهر سطا عليه
 وقتله قد كان بالصعيد * ولم تغد كثرة العديد
 وكان فيه حنف آل الحكم * واستنزع عنهم ضروب النعم
 ثم أتى ملك بني العباس * لازال فينا ثابت الأساس
 وجاءت البيعة من أرض المعجم * وقلدت بيعة منهم كل الأمم
 وكل من نازعهم من أمم * خر صريعا للدين والقم
 وقد ذكرت من تولى منهم * حين تولى القائم المستعصم
 أولهم ينعت بالسفاح * وبعده المنصور ذو الجناح
 ثم أتى من بعده المهدي * يتلو موسى الهادي الصفي
 وجاء هارون الرشيد بعده * ثم الأمين حين ذاق قده
 وقام بعده قتله المأمون * وبعده المعتصم المكين
 واستخلف الواثق بعد المعتصم * ثم أخوه جعفر موفى الذم
 وأخلص النية في المتوكل * فهدى العرش القديم الأول
 فأدحض البدعة في زمانه * وقامت السنة في أوانه
 ولم يبق فيها بدعة مضلة * وألبس المعتزلى ثوب ذلة
 فرحمه الله عليه أبدا * ما غار نجم في السماء أبدا
 وبعده استولى وقام المعتز * ومهد الملك وساس المقصد
 وعندما استشهد قام المنتصر * والمستعين بعده كما ذكره
 وجاء بعده موتر المعتز * والمهتدي الملتزم الأعز
 والمكتفي في صحف العلاء سطر * وبعده ساس الأمور المقتدر
 واستوثق الملك بعز القاهرة * وبعده الراضى أخو المفاخر
 والمتقي من بعد ذا المستكفي * ثم المطيع مابره من خلف
 والطائع الطائع ثم القادر * والقائم الزاهد وهو الشاكر
 والمقتدى من بعده المستظهر * ثم أتى المسترشد الموقر
 وبعده الراشد ثم المقتفي * وحين مات استنجدوا بيوסף

المستنقى العادل في أفعاله * الصادق الصدوق في أقواله
 والناصر الشهم الشديد الباس * ودام طول مكثه في الناس
 ثم تلاه الظاهر الكريم * وعدله كل بهر علم
 ولم تطل أيامه في المملكة * غير شهور واعترة الهللكة
 وعهده كان إلى المستنصر * العادل البر الكريم العنصر
 دام يسوس الناس سبع عشرة * وأشهرأ بعزمت برم
 ثم توفي عام أربعينا * وفي جمادى صادق المنونا
 وبايع الخلائق المستعصا * صلى عليه ربنا وسلمنا
 فأرسل الرسل إلى الآفاق * يقضون بالبيعة والوفاق
 وشرفوا بذكر المنابر * ونشروا في جوده المفاخر
 وسار في الآفاق حسن سيرته * وعدله الزائد في رعيته
 قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم قلت أنا بعد ذلك أبياتا :

ثم ابتلاه الله بالتناثر * أتباع جنكيزخان الجبار
 صحبته ابن ابنه هولاكو * فلم يكن من أمره فكلك
 فزقوا جنوده وشمله * وقتلوه نفسه وأهله
 ودمروا بغداد والبلادا * وقتلوا الأحفاد والأجدادا
 واتهبوا المال مع الحرير * ولم يخافوا سطوة العظيم
 وغرموا إنظاره وحلمه * وما اقتضاه عدله وحكمه
 وشغرت من بعده الخلافة * ولم يورخ مثلها من آفة
 ثم أقام الملك أعني الظاهر * خليفة أعني به المستنصر
 ثم ولي من بعده ذاك الحاكم * مسيم يبرس الامام العالم
 ثم ابنه الخليفة المستنكى * وبعض هذا للبيب يكفى
 ثم ولي من بعده جماعة * ما عندهم علم ولا بضاعة
 ثم تولى وقتنا المعتضد * ولا يكاد الدهر مثله يجود
 في حسن خلق واعتقاد وحلى * وكيف لا وهو من السيم الأولى
 سادوا البلاد والعباد فضلا * وملأوا الأقطار حكما وعدلا
 أولاد عم المصطفى محمد * وأفضل الخلق بلا تردد

صلى عليه الله ذو الجلال * ما دامت الأيام والليالي

فضيلة

والفاطميون قليلوا العدة * لكنهم مد لهم في المدة
فلكوا بضعا وستين سنة * من بعدهم مائتين وكان كالسنة
والعدة أربع عشرة المهدى * والقائم المنصور المعدي
أعنى به المعز بنى القاهرة * ثم العزيز الحاكم الكوافة
والظاهر المستنصر المستعلي * فالأمر الحافظ عنه سوء الفعل
والظاهر الفائز ثم العاضد * آخرهم وما لهذا جاحد
أهلك بمد البضع والسفينة * من قبلها خمسمائة سفينة
وأصلهم يهود ليسوا شرفا * بذلك أفتى السادة الأئمة
* أنصار دين الله من ذى الأئمة *

فضيلة

وهكذا خلفاء بنى أمية * عدتهم كعدة الرافضية
ولكن المدة كانت ناقصة * عن مائة من السنين خالصة
وكلمهم قد كان ناصبيا * إلا الامام عمر النقيب
معاوية ثم ابنه يزيد * وابن ابنه معاوية السديدي
مروان ثم ابن له عبد الملك * منابذ لابن الزبير حتى هلك
ثم استقل بعده بالملك * في سائر الأرض بغير شك
ثم الوليد النجل بنى الجامع * وليس مثله بشك من جامع
ثم سليمان الجواد وعمر * ثم يزيد وهشام وغدر
أمر في الوليد بن يزيد الفاسقا * ثم يزيد بن الوليد فاقا
يلقب الناقص وهو كامل * ثم إبراهيم وهو عاقل
ثم مروان الحمار الجمدي * آخرهم فاطمة بنى من عندي
والحمد لله على التمام * كذلك نحمد على الانعام
ثم الصلاة مع تمام العبد * على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الأخيار * في سائر الأوقات والأعصار
وهذه الأبيات نظم الكاتب * ثمانية تمة المناقب

ومن قتل مع الخليفة واقف الجوزية بدمشق أستاذ دار الخلافة محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي النيسابوري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي ، ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة ، ونشأ شاباً حسناً ، وحين توفي أبوه وعظ في موضعه فأحسن وأجاد وأفاد ، ثم لم يزل متقدماً في مناصب الدنيا ، فولى حبة بغداد مع الوعظ الفائق والأشعار الحسنة ، ثم ولى تدريس الخبابة بالمستنصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكانت له تداريس أخر ، ولى أستاذ دار الخلافة ، وكان رسولا للملوك من بني أبوب وغيرهم من جهة الخلفاء ، وانتصب ابنه عبد الرحمن مكانه للحسبة والوعظ ، ثم كانت الحسبة تنقل في بنه الثلاثة عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الكريم . وقد قتلوا معه في هذه السنة رحمهم الله . ولحيي الدين هذا مصنف في مذهب أحمد ، وقد ذكر له ابن الساعي أشعاراً حسنة يهني بها الخليفة في المواسم والأعياد ، تدل على فضيلة وفصاحة ، وقد وقف الجوزية بدمشق وهي من أحسن المدارس ، تقبل الله منه .

الصرصري المادح رحمه الله

بمحيي بن يوسف بن بمحيي بن منصور بن المعمر عبد السلام الشيخ الامام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم ، جمال الدين أبو زكريا الصرصري ، الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي ، معظم شعره في مدح رسول الله (س) ، وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر ، ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهرى بتمامه في اللفظة . وصحب الشيخ علي بن إدريس تلميذ الشيخ عبد القادر ، وكان ذكياً يتوقد نوراً ، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة ، وقد نظم الكافي الذي ألفه موفق الدين بن قدامة ، ومختصر الخرقى ، وأما مدائحه في رسول الله (س) ، فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً ، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من الخلق من بني آدم إلا الأنبياء ، ولما دخل التتار إلى بغداد دعى إلى ذاربتها كرمون بن هلاكو فأبى أن يجيب إليه ، وأعد في داره حجارة فخين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة ، فلما خلصوا إليه قتل بمكازه أعدم ، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى ، وله من العمر ثمان وستون سنة . وقد أورد له قطب الدين اليونيني من ديوانه قطعة صالحة في ترجمته في الذيل ، استوعب حروف المعجم ، وذكر غير ذلك قصائد طوالا كثيرة حسنة .

البهاء زهير صاحب الديوان

وهو زهير بن محمد بن علي بن بمحيي بن الحسين بن جعفر المهلبى العتكي المصري ، ولد بمكة ونشأ بقوص ، وأقام بالقاهرة ، الشاعر المطبق الجواد في حسن الخط له ديوان مشهور ، وقدم على السلطان

الصالح أيوب ، وكان غزير المروءة حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس ، ودفع الشر عنهم ، وقد أثنى عليه ابن خلكان وقال أجازلى رواية ديوانه ، وقد بسط ترجمته القطب اليوناني .

الحافظ زكي الدين المنذري

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد ، الامام العلامة محمد أبو زكي الدين المنذري الشافعي المصري ، أصله من الشام وولد بمصر ، وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة ، إليه الوفاة والرحلة من سنين متطاولة ، وقيل إنه ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وعنى بهذا الشأن ، حتى فاق أهل زمانه فيه ، وصنف وخرج ، واختصر صحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وهو أحسن اختصاراً من الأول ، وله اليد الطولى في اللغة والفقه والتاريخ ، وكان ثقة حجة متحرراً زاهداً ، توفي يوم السبت رابع ذي القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر . ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

النور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز

ابن عبد الرحيم بن رستم الأشعري الشاعر المشهور الخليل ، كان القاضي صدر الدين بن سناء الدولة قد أجلسه مع الشهود تحت الساعات ، ثم استدعاه الناصر صاحب البلاد فجعله من جلسائه وندمائه ، وخلع عليه خلع الاجناد ، فانسلك من هذا الفن إلى غيره ، وجمع كتاباً سماه « الزرجون في الخلاعة والمجون » وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلاعة ، ومن شعره الذي لا يحمد :

لذة العبر خمسة فاقنيها * من خليع غدا أديباً قبها

في نديم وقينة وجيب * ومدام وسب من لام فيها

الوزير - بن العلقمي الرافضي قبحه الله

محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ، الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي ، وزير المستعصم البغدادي ، وخدمه في زمان المستعصم أستاذ دار الخلافة مدة طويلة ، ثم صار وزير المستعصم وزيراً سوعلى نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه من الفضلاء في الانشاء والأدب ، وكان رافضياً خبيثاً ردى الطوية على الاسلام وأهله ، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لنبيه من الوزراء ، ثم مالاً على الاسلام وأهله الكفار هولا كوخان ، حتى فعل ما فعل بالاسلام وأهله مما تقدم ذكره ، ثم حصل له بعد ذلك من الاهانة والذل على أيدي التتار الذين املأهم زوال عنه ستر الله ، وذاق الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وقد رآته امرأة وهو في الذل والهوان وهو راكب في أيام التتار برذونا وهو مرسم عليه ، وسائق يسوق به ويضرب فرسه ، فوفقت إلى جانبه وقالت له : يا ابن العلقمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك ؟ فوفقت كلنهما

في قلبه وانقطع في داره إلى أن مات كذا وغيبته وضيقا ، وقلة وذلة ، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ودفن في قبور الروافض ، وقد سمع بأذنيه ، ورأى بعينه من الاهانة من التتار والمسلمين مالا يحمد ولا يوصف . وتولى بعده ولده الخبيث الوزارة ، ثم أخذه الله أخذ القري وهي ظالمة سريعا ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه :

يا فرقة الاسلام نوحوا وانذبوا * أسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصا لابن العلقمي

محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة

فتح الدين أبو عبد الله بن العدل محتسب دمشق ، كان مشكورا حسن الطريقة ، وجده العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرة ، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني في سنة تسعين وخمسمائة تقبل الله منه وجزاه خيرا .

القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث المدرس بالاسكندرية ، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر الصحيحين ، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة رحمه الله .

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان

أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخ محيي الدين النووي وغيره ، وكان مدرسا بالرواحية ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

العماد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كامل

أبو المعالي وأبوسليمان الزبيدي المقدسي ثم الدمشقي خطيب بيت الأبار ، وقد خطب بالأموى ست سنين بعد ابن عبد السلام ، ودرس بالفرزية ، ثم عاد إلى بيت الأبار فمات بها .

علي بن محمد بن الحسين صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان أولا مؤدبا للامام المستعصم ، فلما صارت الخلافة إليه برهة من الدهور رفعه وعظمه وصارت له وجاهة عنده ، وانضمت إليه أزمة الأمور ، ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما تذبح الشاة على أيدي التتار .

الشيخ علي العابد الخباز

كان له أصحاب وأتباع ببغداد ، وله زاوية يزار فيها ، قتلته التتار وألقى على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب من لحمه ، ويقال إنه أخبر بذلك عن نفسه في حال حياته .

محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفرج أبو عبد الله المقدسي

خطيب براد ، سمع الكثير ، وعاش تسعين سنة ، ولد في سنة ثلاث وخمسين فسمع الناس

عليه الكثير بدمشق ، ثم عاد فأت ببلده برادا في هذه السنة ، رحمه الله .

البدر لؤلؤ صاحب الموصل

الملقب بالملك الرحيم ، توفي في شعبان عن مائة سنة ^(١) وقد ملك الموصل نجحوا من خسين سنة ، وكان ذاعقل ودهاء ومكر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذة حتى أبادهم ، وأزال الدولة الاتابكية عن الموصل ، ولما انفصل هولا كوخان عن بغداد - بعد الوقعة الفظيعة العظيمة - سار إلى خدمته طاعة له ، ومعه الهدايا والتحف ، فأكرمه واحترمه ، ورجع من عنده فكث بالموصل أياماً يسيرة ، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية ، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة معدلته ، وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازة عليه وأحسن إليه ، وكان يعطى لبعض الشعراء ألف دينار . وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل . زقد كان بدر الدين لؤلؤ هنظأرمنيا اشتراه رجل خياط ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ابن آقسنقر الاتابكي صاحب الموصل ، وكان مليح الصورة ، فخطى عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه ، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه . ثم إنه قتل أولاد أستاذة غيلة واحدا بعد واحد إلى أن لم يبق معه أحد منهم ، فاستقل هو بالملك ، وصفت له الأمور ، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد على قنديل ذهباً زنته ألف دينار ، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة ، وكان شاباً حسن الشباب من نضارة وجهه ، وحسن شكله ، وكانت العامة تلقبه قضيب الذهب ، وكان ذا همة عالية ودهاية شديد المكر بعيد الغور ، وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه توالله أعلم .

الملك الناصر داود المعظم

ترجمه الشيخ قطب الدين اليونيني في تذييله على المرأة في هذه السنة ، وبسط ترجمته جدا وما جرى له من أول أمره إلى آخره . وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث ، وأنه أودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديمة قيمتها مائة ألف دينار فجحدتها الخليفة ، فكرر وفوده إليه ، ونوسله بالناس في ردها إليه ، فلم يقد من ذلك شيئاً ، وتقدم أنه قال لذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله

لو كنت في يوم السقيفة حاضراً * كنت المقدم والامام الاورعا

فقال له الناصر داود : أخطأت فقد كان جد أمير المؤمنين العباس حاضراً يوم السقيفة ولم يكن المقدم ، وهو أفضل من أمير المؤمنين ، وإنما كان المقدم أبو بكر الصديق ، فقال الخليفة صدق وخلع عليه ، ونفى ذلك الشاعر - وهو الوجيه الفزارى - إلى مصر ، وكانت وفاة الناصر داود بقرية البويضا مرسماً عليه وشهد جنازته صاحب دمشق .

(١) في المصرية : عن ثمانين سنة .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة

استهلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين ، وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أيبك التركاني ولقبوه بالناصر ، وقد أرسل الملك الفاضل هولاكوخان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستدعيه إليه ، فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة ونحف ، فلم يحتفل به هولاكوخان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه ، وأخذ ابنه وقال أنا أسير إلى بلاده بنفسى ، فانزعج الناصر لذلك ، وبعث بمرجه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا ، ولا سيما لما بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات ، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء ، فمات ناس كثير منهم ونهبوا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وأقبل هولاكوخان فقصده الشام بمجنوده وعساكره ، وقد امتنعت عليه ميا طارقين مدة سنة ونصف ، فأرسل إليها ولده أقموط فافتتحها قسرا وأنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض ممالك الأشراف ، وطيف برأس الكامل في البلاد ، ودخلوا رأسه إلى دمشق ، فنصب على باب الفراديس البراني ، ثم دفن بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الجواني ، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده ، وشبهه بالحسين في قتله مظلوما ، ودفن رأسه عند رأسه .

وفيها عمل الخواجه نصير [الدين الطوسي] الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم واليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم . وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جراحة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار ، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام ، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وغيرها ، وقد جاز أقموط بن هولاكوخان الفرات وقرب من حلب ، فعند ذلك عقدوا مجلسا بين يدي المنصور بن المعز التركاني ، وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وتفاوضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند ، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام ، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقت أموال الخوائض المذهبة وغيرها من الفضة والزينة ، وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال

الناس في دفع الاعداء عنهم ، لأنه إذا دم العدو البلاد ، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم .
ولاية الملك المظفر قطز

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين على الملعب بالنصور ، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من ممالك أبيه وغيرهم في الصيد ، فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وأخوته إلى بلاد الأشكرى ، وتسلمن هو وصمى نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين ، فان الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وبأن عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم ، فانه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء ، برز في جعافل كثيرة من الجيش والمتطوعة والأعراب وغيرهم ، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول أرفض ذلك الجمع ، ولم يسر لا هو ولا هم ، فاما لله وإنا إليه راجعون .
وفيها توفي من الأعيان .

واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل

التنوخى المغربى ثم الدمشقى الحنبلى أحد المعدلين ، ذوى الأموال ، والمروءات والصدقات الدارة البارة ، وقف مدرسة للحنابلة ، وقبره بها إلى جانب تربة القاضى المصرى فى رأس درب الریحان من ناحية الجامع الأموى ، وقد ولى نظر الجامع مدة ، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلى الجامع ، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن ، وقد كانت قبل ذلك فى الصاغة العتيقة ، وجدد الدكاكين التى بين أعمدة الزيارة ، ونمر الجامع أموالاً جزيلة ، وكانت له صدقات كثيرة ، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صح معه عمل الفضة ، وعندى أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم .

الشيخ يوسف الاقيمى

كان يعرف بالأقيني لأنه كان يسكن قين حمام نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثياباً طوالاً نحف على الأرض ، ويبول فى ثيابه ، ورأسه مكشوفة ، ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالرهبان وغيرهم ، وكذلك جال وابن صياد وغيرهم ، فان الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الانسى ، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكشف ، ومن لم يوافق فليس

رجل صالح سواء كاشف أم لا . قال الشافعي : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تفترؤا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . ولما مات هذا الرجل دفن بتربة بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقي^(١) الرواحية ، وهي مزخرفة قداعتي بها بعض العوام من كان يمتدده ، فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البدع ، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة ، وكان الشيخ إبراهيم بن سيعد جيعانة لا يتجامر فيها يزعم أن يدخل البلد والقميني حي ، فيوم مات الاقبيني دخلها ، وكانت العوام معه فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد ، وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، قليل لجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رايضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن الشافور ، وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال العباد . الشمس علي بن الشبي المحدث

ناب في الحسبة عن الصمد البكري ، وقرأ الكثير بنفسه ، وجمع وأجمع ، وكتب بخطه كثيراً .

أبو عبدالله الفاسي شارح الشاطبية

اشهر بالكنية ، وقيل إن اسمه القاسم ، مات بحلب ، وكان علماً فاضلاً في العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد في شرحه للشاطبية وأفاد ، واستحسنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة شلوحها أيضاً . النجم أخو البدر مفضل

وكان شيخ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازة من السلفي خطيب العقبة بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ودفن بباب الصغير على جده ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

سعد الدين محمد بن الشيخ محي الدين بن عربي

ذكره أبو شامة وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره ، هنا إن لم يكن من أتباع أبيه ، وقد ذكر أبو شامة وفاة الناصر داود في هذه السنة .

سيف الدين بن صبرة

متولى شرطة دمشق ، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حية فنهشت أنفذه ، وقيل : إنها التفت في أ. كفانه ، وأعجب الناس دفعها . قال وقيل : إنه كان نصيرياً رافضياً خبيثاً مدمناً خمر ، نسأل الله السر والمغفرة النجيب بن شعيشعة الدمشقي

أحد الشهود بها ، له سماع حديث ووقف داره بدرب البانياسي دار حديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزني قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرية ، قال أبو شامة وكان ابن شعيشعة

(١) في النسخة المصرية : تربة أبي عمرو المقدسي .

وهو النجيب أبو الفتح نصر الله بن أبي طالب الشيباني، مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك ، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ، ولم يكن بأهل أن يؤخذ عنه ، قال وقد أجلسه أحمد بن يحيى الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق ، فأشدد فيه بعض الشراء :

جلس الشميشة الشقي ليشهدا * تبالكم ، ماذا عدا فيما بدا ؟
هل زلزل الزلزال ؟ أم قد خرج الد * جال أم عدم الرجال ذوو الهدى ؟
محياً لمحاول العقيدة جاهل * بالشرع قد أذنوا له أن يقعدا

قال أبو شامة : في سنة سبع وخمسين وستمائة مات شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل ، وكان يسكن مدارس المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان المشتغلين فيما بلغنى ، وكان أبوه يزعم أنه من تلامذة ابن خطيب الرى الرازى صاحب المصنفات حية ولد حية .
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة

استهلّت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة ، وملك المراقين وخراسان وغيرها من بلاد المشرق للسلطان هولاكو خان ملك التتار ، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز ، وملوك المزمز أيبك التركاني ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر ، وبلاد الكرك والشوبك للملك المغنيث بن العادل بن الكامل بن العادل أبي بكر بن أبوب ، وهو حرب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين ، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ مصر منهم . وبينما الناس على هذه الحال وقد توارثت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام إذ دخل جيش المغول محبة ملكهم هولاكو خان وجازوا الفرات على جسور عملوها ، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة ، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال ، وسبوا النساء والأطفال ، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد ، فحاصروا خلال الديار وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وامتنت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها بالأمان ، وخرب أسوار البلاد وأسوار القلعة وبقيت حلب كأنها حار أجرب ، وكان نائبها الملك المظفر توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً حازماً ، لكنه لم يواقع الجيش على القتال ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وقد كان أرسل هولاكو يقول لأهل حلب : نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق ، فاجعلوا لنا عندكم شعنة ، فإن كانت النصره لنا فالبلاد كلها في حكمنا ، وإن كانت علينا فإن شتم قبلتم الشعنة وإن شتم أطلقتموه . فأجابوه مالك عندنا إلا السيف ، فتمعجب من ضعفهم وجوابهم ، فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد ، وكان ما كان بقدر الله سبحانه . ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إلى هولاكو ، فاستتاب عليها

رجلا من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسر وشاه ، غرّب أسوارها كدبنة حلب
صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم عنها سريعا

أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغاوين ، فوردوا
دمشق في آخر صفر فأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافع ، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة ،
وقد كتب هولاكو أمانا لأهل البلد ، قرىء بالمليدان الأخضر ونودي به في البلد ، فأمن الناس على وجل
من الفدر ، كما فعل بأهل حلب ، هذا والقلة ممتنعة مستورة ، وفي أعاليها للجانيق منصوبة والحال
شديدة ، فاحضرت التتار منجنيقا يحمل على عجل والخيول تجرها ، وهم راكبون على الخيل وأسلمتهم
على أبقار كثيرة ، فنصب المنجانيق على القلعة من غربها ، وخرّبوا حيطانا كثيرة وأخذوا حجارها
ورموا بها القلعة رميا متواترا كالطير المتدارك ، فهدموا كثيرا من أعاليها وشرافاتها وتداعت للسقوط
فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ، ففتحوها وخرّبوا كل بدنة فيها ، وأعلى بروجها ، وذلك
في نصف جمادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا المتولى بها بدر الدين بن قراجا ، وبقية جمال الدين
ابن الصير في الحلي ، وسلبوا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له ابل سيان ، وكان لعنه الله معظم الدين
النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فغضبهم جدا ، وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصوله
بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعه
أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعه صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس ، وهم
ينادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . ويندمون دين الاسلام وأهله ، ومعه
أواني فيها خمر لا يمرّون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمر ، وقاقم ملائكة خمر يرشون منها على
وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرّون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليهم ، ودخلوا
من درب الحجر فوقوا عند رباط الشيخ أبي البيان ، ورشوا عنده خمر ، وكذلك على باب مسجد
درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه ، فتكاثروا
عليهم المسلمون فردّهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين
النصارى وذم دين الاسلام وأهله ، فآثقه وإنا إليه راجعون . ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم
وكانت عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها والله الحمد . وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرأة
أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فآثقه أعلم .

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخرّبوا كثيرا
من المساجد وغيرها ، ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة
يشكون هذا الحال إلى مقلدها ابل سيان فأهينوا وطرّدوا ، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فآثقه

وإنا إليه راجعون . وهذا كان في أول هذه السنة وسلطان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزة ، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم ، وكان في جملة من معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية ، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة ، لما يريد الله عز وجل . وقد عازمت طائفة من الأمراء على خلع الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على ، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة وتفرقت العساكر شذروا وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة ، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه ، وأقطعته قليوب ، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه ، وإنما كان حنقه على يديه .

وقعت عين جالوت

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة ، فامضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة ، وقد عزموا على الدخول إلى مصر ، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر ، وليته فعل ، وكان في صحبتته الملك المنصور صاحب حماء وخلق من الأمراء وأبناء الملوك ، وقد وصل إلى قطية وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماء ووعد به بلده ووفاه له ، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعاً إلى ناحية تيه بنى إسرائيل ، ودخل عامة من كان معه إلى مصر ، ولو دخل كان يسر عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فمدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها ، ولكنه قلق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب ، فقصده التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخرّبوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً وسبوا من نسلهم ونسائهم ، وقد اقتص منهم العرب بعد ذلك ، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأمرها ، فسأقت وراهم التتار فلم يدركوا لهم الغبار ولا استردوا منهم فرساً ولا حماراً ، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزى وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكوخان وهو نازل على حلب ، فزالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنده . والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام ، بادروا قبل أن يبادروهم وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغاوين ، وكان إذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو

فأبى إلا أن يناجزه سريعاً ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، فكانت النصر لله الحمد للإسلام وأهله ، فبهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغاوين وجماعة من بيته ، وقد قيل إن الذي قتل كتبغاوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسى ، واتبعهم الجيش الاسلامى يقتلونهم فى كل موضع ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماء مع الملك المظفر قتالاً شديداً ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ، وكان أتابك العسكر ، وقد أسر من جماعة كتبغاوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأنى الأشراف صاحب حمص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاء كوخان نائباً على الشام كله ، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص ، وكذلك رد حماء إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها ، وأطلق سلمية للامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب ، واتبع الامير بيبرس البندقدارى وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم فى كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان ، فبهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة لله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاءت بها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً ، وأيد الله الاسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون ، فنبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التى خرج منها الصليب فانهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيها حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصارى ، وملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا ، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة ، وهمت طائفة بنهب اليهود ، فقيل لهم إنه لم يكن منهم من الطفيلان كما كان من عبدة الصليبان ، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانفاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجى ، كان خبيث الطوية مشرقياً مماثلنا لهم على أموال المسلمين قبحه الله ، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقد كان هولاء كواًرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع الدائن : الشام ، الجزيرة ، الموصل ، وماردين ، والأكراد وغير ذلك ، للقاضى كمال الدين عمر بن بدار التفليسى . وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سنى الدولة من مدة خمس عشرة سنة ، فحين وصل التقليد فى سادس عشرين ربيع الأول ، قرى بالمليدان الأخضر فاستقل بالحكم فى دمشق وقد كان فاضلاً ، فسار القاضيان المعز ولان صدر الدين بن سنى الدولة ومحمي الدين بن الزكى إلى خدمة هولاء كوخان إلى حلب ، فغصم ابن الزكى لابن سنى الدولة وبذل أموالاً جزيلة ، وتولى القضاء بدمشق ورجعا ، فأت ابن سنى الدولة ببعليك ، وقدم ابن الزكى على القضاء ومعه تقييده وخلعة مذهبة فلبسها وجلس فى خدمة ابل سنان تحت قبة النسر عند الباب

الكبير ، و بينهما الخاتون زوجة ابل سنان حاضرة عن وجهها ، وقرىء التقليد هناك والحالة كذلك ،
وحين ذكر اسم هولاء كو نثر الذهب والفضة فوق رؤس الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، قبح الله
ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان . وذكر أبو شامة أن ابن الزكي استحوذ على مدارس كثيرة
في مدته هذه القصيرة ، فانه عزل قبل رأس الحول ، فأخذ في هذه المدة المدرسية والسلطانية
والفلكية والركنية والقيصرية والعزبية مع المدرستين اللتين كانتا بيده التقوية والعزبية ، وأخذ لولده
عيسى تدريس الامينية ومشيغة الشيوخ ، وأخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو الهاد المصري ،
وأخذ الشامية البرانية لصاحب له ، واستناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبيش
في القضاء وولاء الرواحية والشامية البرانية . قال أبو شامة : مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينها وبين
غيرها . ولما رجعت دمشق وغيرها إلى المسلمين ، سعى في القضاء وبذل أموالا ليستغفره وفيما يديه
من المدراس ، فلم يستمر بل عزل بالقاضي نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن سني الدولة ، فقرأ
توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادي والعشرين من ذي القعدة عند الشباك الكمال من مشهد
عثمان من جامع دمشق . ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراهم ودخل
دمشق في أمة عظيمة وفرح به الناس فرحاً شديداً ودعوا له دعاء كثيراً ، وأقر صاحب حمص الملك
الأشرف عليها هو كذلك المنصور صاحب حماه ، واسترد حلب من يد هولاء ، وعاد الحق إلى نصابه
ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار عن
حلب ويتسلمها ووعدته بقبائنها ، فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها
غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل ، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما
واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً ، والله الأمر من قبل ومن بعد . فلما فرغ المظفر من الشام عزم
على الرجوع إلى مصر واستناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير والأمير مجير الدين
ابن الحسين بن آقشمر ، وعزل القاضي ابن الزكي عن قضاء دمشق ، وولى ابن سني الدولة ثم رجع
إلى الديار المصرية والعساكر الإسلامية في خدمته ، وعيون الأعيان تنظر إليه شزراً من شدة هيئته
ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري

وهو الأسد الضاري ، وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد قاصداً مصر ، وصل إلى
ما بين الغزالي والصالحية ، عدا عليه الأمراء قتلوه هناك ، وقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة في
الجماعة ، ولا يتماطى المسكر ولا شيئاً مما يتعاطاه الملوك ، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذ
المنصور على بن المعز التركاني إلى هذه المدة ، وهي أواخر ذي القعدة نحواً من سنة ، رحمه الله وجزاه عن
الاسلام وأهله خيراً . وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء

على قتله ، فلما وصل إلى هذه المنزلة ضرب دهلجته وساق خلف أرنب ، وساق معه أولئك الأمراء فشفع عنده ركن الدين بيبرس في شيء فشفعه ، فأخذ يده ليقبلها فأمسكها وحمل عليه أولئك الأمراء بالسيوف فضربوه بها ، وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتلوه رحمه الله ، ثم كروا راجعين إلى الحميم وبأيديهم السيوف مصلنة ، فأخبروا من هناك بالخبر ، فقال بعضهم من قتله ؟ فقالوا : ركن الدين بيبرس ، فقالوا أنت قتلتها ؟ فقال نعم ، فقالوا أنت الملك إذا ، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم فيمن يولون الملك ، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك ، وأن يصيبه ما أصاب غيره سريعاً ، فانفقت كلمتهم على أن يابعوا بيبرس البندقداري ، ولم يكن هو من أكابر المقدمين ، ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ، ولقبوه الملك الظاهر ، فجلس على سرير المملكة وحكمه ، ودقت البشائر وضربت الطبول والبوقات وصفرت الشفابة ، وزعقت الشاوشية بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً وتوكل على الله واستعان به ، ثم دخل مصر والمساكر في خدمته ، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها ، فحكم وعدل وقطع ووصل وولى وعزل ، وكان شهياً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير ، وكان أولاً لقب نفسه بالملك القاهر ، فقال له الوزير : إن هذا اللقب لا يفلح من يلقب به . تلقب به القاهر بن المعتمد فلم تطل أيامه حتى خلع ومحلت عيناه ، ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم فأت ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر ، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك . وقد كان هولاء كوخان لما بلغه ماجرى على جيشه من المسلمين بعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثير بن يستعبدوا الشام من أيدي المسلمين ، فخيل بينهم وبين ما يشتهون فرجعوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم المهزبر الكاسر والسيوف الباتر الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل المساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمعازل بالأسلحة ، فلم يقدر التنازع على الدنوا إليه ، ووجدوا الدولة قد تغيرت ، والسواعد قد شمعت ، وعناية الله بالشام وأهله قد حصلت ، ورحمته بهم قد نزلت ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين القهقري ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وقد كان الملك المظفر قطز رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي أحد الأتراك ، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا لنفسه وتسمى بالملك المجاهد ، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر ثانياً وضربت السكة باسمهما معا ، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين كما سيأتي .

وقد اتفق في هذا العام أمور عجيبة ، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر ابن العزيز ، ثم في النصف من صفر صارت لهولاء كوماتك التنازع ، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قطز

ثم في أواخر العقدة صارت للظاهر بيبرس ، وقد شرکه في دمشق الملك المجاهد سنجر ، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لابن سني الدولة صدر الدين ، ثم صار للكمال عمر التنفليسي من جهة هولاكو ثم لابن الزكي ثم لنجم الدين ابن سني الدولة . وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني من سنين متطاولة ، فزحل في شوال منها بالعماد الاسعدي ، وكان صينا قارئا مجيدا ، ثم أعيد العماد الحرستاني في أول ذي القعدة منها . فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وفيها توفي من الأعيان .

قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة

أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة بن الخياط ، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة التنفليسي الشافعي ، وسني الدولة الحسين بن يحيى المذكور كان قاضيا لبعض ملوك دمشق في حدود الخمائة ، وله أوقاف على ذريته . وابن الخياط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التنفليسي هو عم سني الدولة . ولد سني الدولة سنة تسع وخمسين وخمائة ، وسمع الخشوعي وابن طبرزد ، والكندي وغيرهم ، وحدث ودرس في عدة مدارس وأفتى ، وكان عارفا بالمذاهب مشكورا للسيرة ، ولكن أبو شامة ينال منه ويذمه فآله أعلم .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى مدة السنة وسافر حين عزل بالكمال التنفليسي هو والقاضي يحيى الدين ابن الزكي ، وقد سافر هو وابن الزكي إلى هولاكو لما أخذ حلب فولى ابن الزكي القضاء ، واختار ابن سني الدولة بعلمك قدما وهو متمرص فمات بها ودفن عند الشيخ عبد الله اليونيني ، وقد كان الملك الناصر يثق عليه كما كان الملك الأشرف يثق على والده شمس الدين . ولما استقر الملك الظاهر بيبرس ولي القضاء ولده نجم الدين ابن سني الدولة وهو الذي حدث في زمن الممش بطلالة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السهم ، فكان يشق عليه مفارقة الممش ، والنزول إلى المدارس ، فبطل الناس هذه الأيام واتبعوه في ذلك ، والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الفواكه وكثرة الشهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة .

الملك السعيد صاحب ماردين

وفيها توفي

نجم الدين بن ايل غازي بن المنصور أرتق بن أرسلان بن ايل غازي بن السني بن تمرقاش ابن ايل غازي بن اريثي وكان شجاعا ملك يوما ، وقد وقع في قلعة توران شاه بن الملك صلاح الدين كان نائباً للملك الظاهر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر صاحب دمشق على حلب ، وقد حصن

حلب من أيدي المغول مدة شهر ، ثم تسلمها بعد محاصرة شديدة صلحا . كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدهليز داره . وفيها قتل :

الملك السعيد حسن بن عبد العزيز

ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، كان صاحب الصببية وبانياس بعد أبيه ، ثم أخذنا منه وحبس بقلعة المنيرة ، فلما جاءت التتار كان معهم وردوا عليه بلاده ، فلما كانت وقعة عين جالوت أتى به أسيرا إلى بين يدي المظفر قطز فضرب عنقه ، لأنه كان قد لبس سرقوج التتار وناصحهم على المسلمين .

عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر

ابن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، شرف الدين بن المعجمي الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها ، توفي حين دخلت التتار حلب في صفر ، فعذبوه وصبوا عليه ماء باردا في الشتاء فتشنج حتى مات رحمه الله تعالى .

الملك المظفر قطز بن عبد الله

سيف الدين التركي ، أخص ممالك المعز التركاني ، أحد ممالك الصالح أيوب بن الكامل . لما قتل أستاذه المعز قام في تولية ولده نور الدين المنصور على ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف السكامة لصفر ابن أستاذه فعزله ودعا إلى نفسه ، فبويع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستائة كما تقدم ، ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرة الاسلام كما ذكرنا ، وقد كان شجاعا بطالا كثير الخير فصححا للاسلام وأهله ، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرا . ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحدا في الساعة الراهنة من الوشاقية الذين معهم الجنائب ، ففرجل وبقى واقفا على الأرض ثابتا ، والقتال عمال في المعركة ، وهو في موضع السلطان من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبها فامتنع وقال لذلك الأمير : ما كنت لأحرم المسلمين نفعتك . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخليل فركب ، فلامه بعض الأمراء وقال : ياخوند لم لا ركبت فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الاسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الاسلام فله رب لا يضيعه ، قد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقا من الملوك ، فأقام للاسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيع الاسلام . رحمه الله وكان حين سار من مصر في خدمته خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم ، ومعه المنصور صاحب حماه وجماعة من أبناء الملوك . فأرسل إلى صاحب حماه يقول له لا تتعنى في مسد سباط في هذه الأيام ، وليكن مع الجندي لحمة يأكلها ، والمعدل المعدل ، وكان اجتماعه مع عدوه كما ذكرنا في المشر الأخير من رمضان يوم الجمعة ، وهذه بشارة عظيمة ، فان وقعة بدر كانت يوم الجمعة في رمضان ، وكان

فيها نصر الاسلام . ولما قدم دمشق في شوال أقام بها العدل ورتب الأمور ، وأرسل بيبرس خلف التتار ليخرجهم ويطردهم عن حلب ، ووعد بنياتها فلم يف له لما رآه من المصلحة ، فوقعت الوحشة بينهما بسبب ذلك ، فلما عاد إلى مصر تملاً عليه الأمراء مع بيبرس قتلوه بين القرابى والصالحية ودفن بالقصر ، وكان قبره يزار ، فلما تمكن الظاهر من الملك بعث إلى قبره فغيبه عن الناس ، وكان لا يعرف بعد ذلك ، قتل يوم السبت سادس عشر من ذى القعدة رحمه الله .

وحكى الشيخ قطب الدين اليوناني في الذيل على المرأة عن الشيخ علاء الدين بن غانم عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير كاتب السر في أيام الناصر صاحب دمشق ، قال : لما كنا مع الناصر بوطاه برزه جاءت البريدية بخبر أن قطز قد تولى الملك بمصر ، فقرأت ذلك على السلطان ، فقال : اذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا ، قال فلما خرجت عنه لقيني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من مصر بأن قطز قد تملك ؟ فقلت : ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا ؟ فقال بلى والله سبلى المملكة ويكسر التتار ، فقلت من أين تعلم هذا ؟ فقال : كنت أخدمه وهو صغير وكان عليه قل كثير فكنت أفليه وأهينه وأذمه ، فقال لي يوما : ويحك إيش تريد أعطيك إذا ملكت الديار المصرية ؟ فقلت له أنت مجنون ؟ فقال لقد رأيت رسول الله (ص) في المنام وقال لي أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار ، وقول رسول الله (ص) حق لاشك فيه ، فقلت له حينئذ - وكان صادقاً - أريد منك إمرة خمسين فارساً ، فقال نعم أبشر . قال ابن الأثير : فلما قال لي هذا قلت له هذه كتب المصريين بأنه قد تولى السلطنة ، فقال والله ليكسر التتار ، وكان كذلك ، ولما رجع الناصر إلى ناحية الديار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحاكى في جملة من دخلها ، فأعطاه المظفر إمرة خمسين فارساً ، ووفى له بالوعد ، وهو الأمير جمال الدين التركمانى . قال ابن الأثير : فلقيني بمصر بعد أن تأمر فذكرني بما كان أخبرني عن المظفر ، فذكرته ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسروهم وطردوهم عن البلاد ، وقد روى عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوا حتى تزول الشمس وتفي الظلال ونهب الرياح ، ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم ، رحمه الله تعالى .

وفيها هلك كتبغاوين نائب هولاء على بلاد الشام لعنه الله ، ومعنى نوبن يعني أمير عشرة آلاف ، وكان هذا الخبيث قد فتح لأستاذه هولاء كو من أقصى بلاد المعجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيزخان جد هولاء ، وكان كتبغا هذا يعتمد في حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤثروا هؤلاء إليهم ، فان فعلوا حصل مقصوده في تضيق الأطمعة والأشربة عليهم ، فتقصر مدة الحصار

عليه لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فان حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى يقضى تلك المقاتلة ، فان حصل الفتح وإلا قاتلهم بجنده وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضعفهم حتى يفتحهم سريراً . وكان يبعث إلى الحصن يقول : إن ماءكم قد قل فخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فابقاؤكم بعد ذهاب مائكم ، فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء . فيقول لأصدق حتى أبث من عندي من يشرف عليه فان كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون : أبث من يشرف عليه ، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رماح بحوفة محشوة سماً ، فإذا دخلوا الحصن الذي قد أعياه ساطوا ذلك الماء بتلك الرماح على أنهم يفتشونه ويدفون قدره ، فيفتتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لعنة الله لعنة تدخل معه قبره . وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه الخروج من حكم جنكيزخان في الياساق .

قال الشيخ قطب الدين اليوناني : وقد رأيته ببعلبك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد خضرها مثل الدبوق ، وقارة يملقها من خلفه باذنه ، وكان مهيباً شديد السطوة ، قال وقد دخل الجامع فصعد المنارة لينأمل القلعة منها ، ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً قففى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة ، فلما فرغ من حاجته مسح بعض أصحابه بقطان ملبد مسحة واحدة . قال ولما بلغه خروج المظفر بالمسافر من مصر تلوم في أمره وحار ماذا يفعل ، ثم حماته نفسه الآية على لقائه ، وظن أنه منصور على جاري عاداته ، فحمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة فحملوا حملة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تجبر أبداً ، وقتل أميرهم كتبغاوين في المعركة وأسرا ابنه ، وكان شاباً حسناً ، فأحضر بين يدي المظفر قطز فقال له أهرب أبوك ؟ قال إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى ، فلما رآه ابنه صرخ وبكى ، فلما تحققه المظفر سجد لله تعالى ثم قال : أنام طيباً . كان هذا سعادة التتار وبقته ذهب سعدهم ، وهكذا كان كما قال ولم يفلحوا بعده أبداً ، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وكان الذي قتله الأمير آقوش الشمسى رحمه الله .

الشيخ محمد الفقيه اليوناني

الحنبلي البعلبكي الحافظ ، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي ابن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق ، كذا نقل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليوناني من خط أخيه الأكبر أبي الحسين علي وأخبره أن والده قال له نحن من سلالة

جعفر الصادق ، قال وإنما قال له هذا عند الموت ليتخرج من قبول الصدقات .

أبو عبد الله بن أبي الحسين اليونيني الحنبلي تقي الدين الفقيه الحنبلي الحافظ المفيد البارع العابد الناسك ، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع الخشوعي وحبلا والكندي والحافظ عبد الغني وكان يثنى عليه ، وتفق على الموفق ، ولزم الشيخ عبد الله اليونيني فانتفع به ، وكان الشيخ عبد الله يثنى عليه ويقدمه ويقتدى به في الفتاوى ، وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطائحي ، وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو ، وحفظ قطعة صالحة من مسند أحمد ، وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي ، وكتب مديحاً حسناً ، وكان الناس ينتفعون بفنونه الكثيرة ، ويأخذون عنه الطرق الحسنة ، وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك ، توفوا مرة عند الملك الأشرف بالقلمة حال سماع البخاري على الزبيدي ، فلما فرغ من الوضوء نفذ السلطان تخفيفته وبسطها على الأرض ليطأ عليها ، وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطأ برجليه عليها ففعل ذلك . وقدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق فأنزله القلمة وتحويل الأشرف لدار السعادة وجعل يذكركم الكامل محاسن الشيخ الفقيه ، فقال الكامل : أحب أن أراه ، فأرسل إليه إلى بعلبك ببطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة ، فنزل الكامل إليه وتجادوا وتذاكرا شيئاً من العلم ، فخرجت مسألة القتل بالمتقل ، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله (ص) بقتله ، فقال الكامل : إنه لم يدترف . فقال الشيخ الفقيه في صحيح مسلم « فاعترف » ، فقال الكامل أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجدها فيه ، فأرسل الكامل فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم ، فأخذ الكامل مجلداً والأشرف آخر وعماد الدين بن موسك آخر وأخذ الشيخ الفقيه مجلداً فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه ، فتمعجب الكامل من استحضاره وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف مريضاً إلى بعلبك ، وقال للكامل : إنه لا يؤثر ببعلمك شيئاً ، فأرسل له الكامل ذهباً كثيراً ، قال ولده قطب الدين : كان والدي يقبل بر الملوك ويقول أنا في بيت المال أكثر من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه ، ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل الذبرك والاستشفاء .

وذكر أنه كثرة ماله وأثرى ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر له أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية يونين وأعطاه لحجي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة ، فلما شعر والدي بذلك أخذ الكتاب ومزقه وقال : أنا في غنية عن ذلك ، قال وكان والدي لا يقبل شيئاً من الصدقة ويزعم أنه من ذرية علي بن أبي طالب من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن

على بن أبي طالب ، قال وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شيء له ، وكان للشيخ عبد الله زوجة ولها ابنة جميلة ، وكان الشيخ يقول لها : زوجيها من الشيخ محمد ، فنقول إنه فقير وأنا أحب أن تكون ابنتي سعيدة ، فيقول الشيخ عبد الله كافي أنظر إليهما إياه وإياها في دار فيها بركة وله رزق كثير والملوك يترددون إلى زيارته ، فزوجتها منه فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى .

وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه ويحيثون إلى مدينته ، بنو العادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحاجب ، والحصري ، وشمس الدين بن سفي الدولة ، وابن الجوزي ، وغيرهم يعظمونه ويرجعون إلى قوله لعلهم وعمله وديانته وأمانته . وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله ، وزعم بعضهم أنه قطب منذ ثنتي عشرة سنة فأنه أعلم . وذكر الشيخ الفقيه قال عزمت مرة على الرحلة إلى حران ، وكان قد بلغني أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً ، فلما كانت الليلة التي أريد أن أسافر في صبيحتها جاءني رسالة الشيخ عبد الله اليوناني يعزمني على إلى القدس الشريف ، وكأني كرهت ذلك وفتحت المصحف فطلع قوله [اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون] فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحراني بالقدس الشريف ، فأخذت عنه علم الفرائض حتى خيل لي أنني صرت أبرع فيه منه . وقال الشيخ أبو شامة كان الشيخ الفقيه رجلاً ضحياً ، وحصل له قبول من الأمراء وغيرهم ، وكان يلبس قبة صوفه إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليوناني ، قال وقد صنف شيئاً في المراج فرددت عليه في كتاب سميته الواضح الجلي في الرد على الحنبلي ، وذكر ولده قطب الدين أنه مات في التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر

أبو عبد الله البيطار الأكال ، أصله من جبل بني هلال ، وولد بقصر حجاج ، وكان مقبلاً بالشاغور وكان فيه صلاح ودين وإيثار للفقراء والمحاويج والمهاييس ، وكانت له حال غريبة لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة ، وكان أهل البلد يترامون عليه ليأكل لهم الأشياء المفخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة ، وكلما امتنع من ذلك حلى عند الناس وأحبوه ومالوا إليه ويأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك فيرد عليهم عوض ذلك أجرة جيدة مع ذلك ، وهذا غريب جداً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه بمنه وكرمه آمين .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة

استهلت بيوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول ، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو نعيم بن أبي سعيد بن علي بن قنادة الحسني ، وعمه إدريس بن علي شريكه ، وصاحب المدينة

الأمير عز الدين جاز بن شيبه الحسيني، وصاحب مصر والشام السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وشريكه في دمشق وبعلبك والصبيبة وبانياس الأمير علم الدين سنجر الملقب بالملك المجاهد، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاشين الجوكنداري العزيزي، والكرك والشوبك للملك المنيث فتح الدين عمر بن العادل بن سيف الدين أبي بكر الكامل محمد بن العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب. وحصن جهيون وبازريا في يد الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين مكورس، وصاحب حمه الملك المنصور بن تقي الدين محمود، وصاحب حمص الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر، وصاحب الموصل الملك الصالح بن البدر لؤلؤ، وأخوه الملك المجاهد صاحب جزيرة ابن عمر، وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين أيل غازي بن أرتق، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قلع أرسلان بن كيخسرو السلجوقي، وشريكه في الملك أخوه كيكاوس والبلاد بينهما نصفين، وسائر بلاد المشرق بأيدي التتار أصحاب هولوكو، وبلاد اليمن تملكها غير واحد من الملوك، وكذلك بلاد الجوكندى المغرب في كل قطر منها ملك.

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب فلقبهم صاحبها حسام الدين العزيزي، والمنصور صاحب حمه، والأشرف صاحب حمص، وكانت الوقعة شمالى حمص قريبا من قبر خالد بن الوليد، والتتار في ستة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة فهزمهم الله عز وجل، وقتل المسلمون أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحاصروها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأقوات، وقتلوا من الغرباء خلقا صبرا، فانا لله وإنا إليه راجعون، والجيوش الذين كسروهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى مصر، فتلقاهم الملك الظاهر في أبهة السلطنة وأحسن إليهم، وبقيت حلب محاصرة لا ناصر لها في هذه المدة ولكن سلم الله سبحانه وتعالى.

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبهة الملك ومشى الأمراء والاجناد بين يديه، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة.

وفي سابع عشر صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر فقاتلوه فهزموه، فدخل القلعة فحاصروها فيها فهرب منها إلى قلعة بعلبك، وتسلم قلعة دمشق الأمير علم الدين أيديكين البندقداري، وكان مملوكا لجمال الدين يعمور ثم للصالح أيوب بن الكامل وإليه ينسب الملك الظاهر، فأرسله الظاهر ليتسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر، فأخذها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر، ثم حاصروا الحلبي ببعلبك حتى أخذوه فأرسلوه إلى الظاهر على بفل إلى مصر، فدخل عليه ليلا فعاتبه ثم أطلق له أشياء وأكرمه.

وفي يوم الاثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا

وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوئوب عليه وفيه أرسل إلى الشوبك فقتلهما من أيدي نواب المغيث صاحب الكرك ، وفيها جهز الظاهر جيشاً إلى حلب ليطردوا التتار عنها ، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب الفرنج إلى التتار ينذرونهم ، فرحلوا عنها مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليهم الجيش الظاهري فأزالوا ذلك كله ، وصادروا أهلها بألف ألف وستمائة ألف ، ثم قدم الأمير شمس الدين آقوش التركي من جهة الظاهر فاستلم البلد فقطع ووصل وحكم وعمل .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى باشر القضاء بمصر تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين بن أبي التناء محمود بن بدر العلائي ، وذلك بعد شروط ذكرها لظاهر شديدة ، فدخل تحتها الملك الظاهر وعزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري ورسم عليه أياماً ، ثم أفرج عنه .

البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر

وكان معتقلاً ببغداد فأطلق ، وكان مع جماعة الأعراب بأرض العراق ، ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة ، منهم الأمير ناصر الدين منها في ثامن رجب ، فخرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فنلقوه وكان يوماً مشهوداً ، وخرج أهل التوراة بتوراتهم ، والنصارى بأنجيلهم ، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالايوان بقلمة الجبل ، والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم ، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الأعز ، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية ، وعم المستنصر ، بويغ بالخلافة بمصر بإيمه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء ، وركب في دست الخلافة بديار مصر والأمراء بين يديه والناس حوله ، وشق القاهرة في ثالث عشر رجب ، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً ، وكان أول من بإيمه القاضي تاج الدين لما ثبت نسبه ، ثم السلطان ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الأمراء والدولة ، وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكان منصب الخلافة قد شغل منذ ثلاث سنين ونصفاً ، لأن المستنصر قتل في أول سنة ست وخمسين وستمائة ، وبويغ هذا في يوم الاثنين في ثالث عشر رجب من هذه السنة - أعني سنة تسع وخمسين وستمائة - وكان أمير وسياً شديداً القوي على المهمة له شجاعة وإقدام ، وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخاه باني المدرسة ، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر ، ولي الخلافة أخوين كهذين السفاح وأخوه المنصور ، وكذا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والهادي

والرشيد ، والمسترشد والمقتنى ولدا المستظهر ، وأما ثلاثة فلا مئتين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد ،
والمنتصر والمعتز والطيع أولاد المقتدر ، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد
وهشام . وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً ، أقصر مدة من جميع
خلفاء بني العباس ، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً ،
وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً ، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر . وكانت مدة خلافة
الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً . وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر
وعشرة أيام ، وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المنوكل ستة أشهر ،
والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً ، وقد أنزل الخليفة هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه ،
فلما كان يوم سابع رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلمة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر
فيها شرف بني العباس ، ثم استفتح قرأ صدرًا من سورة الأنعام ثم صلى على النبي (س) .
ثم ترضى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر ، ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه ، وكان
وقتنا حسناً ويوما مشهوداً .

تولية الخلافة المستنصر بالله للملك الظاهر السلطنة

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل
الحل والمقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فجلسوا فيها ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلة
سوداء ، وطوقا في عنقه ، وقيدا في رجليه وهما من ذهب ، وصعد نحر الدين إبراهيم بن لقمان وهو
رئيس الكتاب منبرا فقرأ على الناس تقليد السلطان ، وهو من إنشائه وبخط نفسه ، ثم ركب
السلطان بهذه الأبهة والقييد في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد
والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة وقد زينت له ، وكان يوما مشهوداً ،
وقد ذكر الشيخ قطب الدين هذا التقليد بتمامه ، وهو مطول والله أعلم .

ذهاب الخليفة إلى بغداد

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يجهزه إلى بغداد ، فرتب السلطان له جنداً هائلة وأقام له
من كل ما ينبغي للخلفاء والملوك . ثم سار السلطان صحبته قاصدين دمشق ، وكان سبب خروج
السلطان من مصر إلى الشام ، أن التركي كما تقدم كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الأمير
علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد تغلب على دمشق فطرده عن حلب وتسلمها ، وأقام بها نائباً
عن السلطان ، ثم لم يزل التركي حتى استعاده منها وأخرجه منها هارباً ، فاستتاب الظاهر على مصر
عز الدين أيد مر الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنا ، وأخذ ولده نحر الدين

معه وزيراً وجعل تدبير العساكر والجيش إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، ثم ساروا فدخلوا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً، وصلى الجمعة بجامع دمشق، وكان دخول الخليفة من باب البريد، ودخل السلطان من باب الزيارة. وكان يوماً مشهوداً أيضاً، ثم جهز السلطان الخليفة إلى بغداد ومعه أولاد صاحب الموصل، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقدر الله من الذهب العین ألف ألف دينار، وأطلق له وزاده فجزاه الله خيراً، وقدم إليه صاحب حمص الملك الأشرف نخلع عليه وأطلق له وزاده تل باشر، وقدم صاحب حماه المنصور نخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً بيلاده، ثم جهز جيشاً صحبة الأمير علاء الدين البندقداری إلى حلب لمحاربة التركي المتغلب عليها المفسد فيها. وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً ثم دخلت سنة ستين وستمائة

في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر، وكان قتله بأرض العراق بعد ما هزم من كان معه من الجنود فانا لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التركي فانه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هناك. وفي اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خلع السلطان الملك الظاهر بيلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز وعزل عنها برهان الدين السنجاري، وفي أواخر المحرم أعرض الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على بنت الأمير أوّل صاحب الموصل، واحتفل الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالغاً قال ابن خلكان: وفي هذه السنة اصطاد بعض أمراء الظاهر بمحدود حماة حمار وحش فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود، ثم افتقدوا جلده فاذا هو مرسوم على أذنه بهرام جور، قال: وقد أحضروه إلى فقراته كذلك، وهو يقتضي أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمائة سنة، فان بهرام جور كان قبل المبعث بمدة متطاولة، وحمر الوحش تعيش دهرًا طويلاً، قلت: يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأمجد، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطیاد هذه المدة الطويلة، ويكون الكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه فكتب بهرام جور فحصل اللبس من هذا والله أعلم.

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القُبُي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق ومحبيه جماعة من رؤوس تلك البلاد، وقد شهد الوقعة صحبة المستنصر، وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم، فلما كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر

السرو وله والاحتقال به ، وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل ، وأجريت عليه الأرزاق الدارة والاحسان . وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجبي عن استداريته واستبدل به غيره . وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتي .

وفي يوم الثلاثاء تاسع رجب حضر السلطان الظاهر إلى دار العدل في محكمة في بئر إلى بيت القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز فقام الناس إلا القاضي فإنه أشار عليه أن لا يقوم . وتداعيا وكان الحق مع السلطان وله بينة عادلة ، فانزعجت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء .

وفي شوال استناب الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابي وحينئذ انحاز عسكر سيس على القلعة من أرض حلب فركب إليهم الشهابي فكسرم وأسر منهم جماعة فبعثهم إلى مصر فقتلوا . وفيها استناب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجبي ، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طبريس الوزري وحمل إلى القاهرة .

وفي ذي القعدة خرج مرسوم السلطان إلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن يستناب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستناب من الحنفية صدر الدين سليمان الحنفي ، ومن الحنابلة شمس الدين محمد بن الشيخ العماد ، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي المالكي .

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأنسين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لهم رواتب كافية .

وفيها أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا ، وضاعت بها الأقوات .

وفيها أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى التركي يستنجده فقدم عليه فهزمت التتار ثم ثبتوا والنقوا منه ، وإنما كان معه سبعمائة مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البيرة وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية ، ثم دخل هو إلى الملك الظاهر فأنعم عليه وأحسن إليه وأقطعهم سبعين فارساً ، وأما التتار فأنهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح إليهم وفادوا في البلد بالأمان حتى اطمأن الناس ثم مالوا عليهم فقتلهم تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين وخرّبوا أسوار البلد وتركوها بلاقع ثم كروا راجعين قبهم الله .

وفيها وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة خان ابن عمه ، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذ من الأموال والأسرار ، على ما جرت به عادة ملوكهم ، فقتل رسوله فاشتد غضب بركة ، وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو .

وفيها وقع غلاء شديد بالشام فبيع القمح الفقرة بأربعمائة والشعير بمائتين وخمسين ، والحم

الرطل بستة أو سبعة . وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التتار فتجهز كثير من الناس إلى مصر ، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء ، ورسم أولياء الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى بلاد مصر ، ووقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم ، ويقال إنه حصل لبلاد التتار خوف شديد أيضاً ، فسبحان الفعال لما يريد ويبدع الأمر . وكان الأمر لأهل دمشق بالتحول منها إلى مصر فأتوها الأمير علاء الدين طبرس الوزيري ، فأرسل السلطان إليه في ذى القعدة فأمسكه وعزله واستناب عليها بهاء الدين النجبي ، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة . وفيها نزل ابن خلدكان عن تدريس الركنية لأبي شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول مختصر المزني .

وفيها توفي من الأعيان الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر الله العباسي الذي بايمه الظاهر بمصر كما ذكرنا ، وكان قتله في ثالث المحرم من هذه السنة ، وكان شهماً شجاعاً بطلاً فاتكاً ، وقد أنفق الظاهر عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد ، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل ، وكان الملك الصالح إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر فأرسله محبة الخليفة ، فلما كانت الوقعة فقد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده فجاءته التتار فحاصروه كما ذكرنا ، وقتلوه وخرّبوا بلاده وقتلوا أهلها ، فثأر الله وإنا إليه راجعون .

العز الضير النحوي اللغوي

واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجما من أهل نصيبين ونشأ بأربل فاشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل ، وكان يشتغل عليه أهل الأدمة وغيرهم ، ونسب إلى الانحلال وقلة الدين ، وترك الصلوات ، وكان ذكياً ، وليس بذكي ، عالم اللسان جاهل القلب ، ذكي القول خبيث الفعل ، وله شعر أورد منه الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته ، وهو شبيه بأبي العلاء الممرى قبهما الله .

ابن عبد السلام

عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المذهب ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلي البمشقي الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله ، وله مصنفات حسان ، منها التفسير ، واختصار النهاية ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلية وغير ذلك . ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع كثيراً واشتغل على نضر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب ، وجمع علوماً كثيرة ، وأفاد الطلبة ودرس بمدة مدارس بدمشق ، وولى خطابها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالاشعار ، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح

إسماعيل تسليمه صفد والتقيف إلى الفرنج ، وواقه الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، فأخرجهما من بلده فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه ، وسار ابن عبد السلام إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ثم انتزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية ، فلما حضره الموت أوصى بها للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ، وتوفي في عاشر جمادى الاولى وقد نيف على الثمانين ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى .

كمال الدين بن العديم الحنفى

عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عاصر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الحنفى أبو القاسم بن العديم ، الأمير الوزير الرئيس الكبير ، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، سمع الحديث وحدث وتفقّه وأفتى ودرس وصنف ، وكان إماماً في فنون كثيرة ، وقد ترسل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة ، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة ، وصنف حلب تاريخاً مفيداً قريباً في أربعين مجلداً ، وكان جيد المعرفة بالحديث ، حسن الظن بالقرء والصالحين كثير الاحسان إليهم ، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة ، توفي بمصر ودفن بسفح المقطم بعد ابن عبد السلام بعشرة أيام ، وقد أورد له قطب الدين أشعاراً حسنة .

يوسف بن يوسف بن سلامة

ابن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد القافى الزينبي بن إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، محي الدين أبو المعز ، ويقال أبو الحسن الهاشمي العباسي الحوصلى المعروف بابن زبلاق الشاعر ، قتلته التتار لما أخذوا الموصل في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ، ومن شعره قوله :

بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنا • سهاد يزود الكرى أن يالف الجفنا
وأبصر جسمي حسن خصرك فاحلاً • فحالة لكن زاد في دقة المعنى
وأبرزت وجهاً أخجل الصبح طالماً • وملت بقدر علم الهيف الغصن اللدنا
حكيت أخاك البدر ليلة تمه • سناً وسناء إذ تشابهتما سنا

وقال أيضاً وقد دعى إلى موضع ، فبعث يعتذر بهذين البيتين :

أنا في منزلى وقد وهب الـ • له نديماً وقينة وعقار
فأبسطوا المنذر في التأخر عنكم • شغل الخلى أهل بأن يمارا

قال أبو شامة وفيها في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي .

البدر المراغي الخلابي

المعروف بالطويل، وكان قليل الدين تاركا للصلاة مغتبطا بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين، راضيا بما لا يفيد .

وفيها توفي محمد بن داود بن ياقوت الصارمي

المحدث . كتب كثيرا الطبقات وغيرها، وكان ديننا خيرا يعير كتبه ويدوم على الاشتغال بسماع الحديث رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة

استهلت وسلطان البلاد الشامية والمصرية الظاهر بيبرس، وعلى الشام نائبه آقوش النجيبى، وقاضى دمشق ابن خالكان والوزير بها عز الدين بن وداعة، وليس للناس خليفة، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذى قتل .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبي العباس

أحمد بن الأمير أبي على التقي ابن الأمير على بن بكر بن الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن الامام المستظهر بالله أحمد العباسى الهاشمى . لما كان ثاني المحرم وهو يوم الخميس، جالس السلطان الظاهر والأمراء فى الايوان الكبير بقلمة الجبل، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكبا حتى نزل عند الايوان، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه، ثم قرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه الظاهر بيبرس فبايعه وبايعه الناس بعده، وكان يوما مشهودا . فلما كان يوم الجمعة ثانيه خطب الخليفة بالناس فقال فى خطبته «الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركنا ظهيرا، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، أحده على السراء والضراء، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النماء، وأستنصره على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء، لاسيما الأربعة، وعلى العباس كاشف غمه أبى السادة الخلفاء وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، أيها الناس أعلّموا أن الامامة فرض من فروض الاسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سيبت الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم، فلو شاهدتم أعداء الاسلام لما دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والأطفال، وسبوا الصبيان والبنات، وأيتموم من الآباء والأمهات، وهتكوا حرم الخلقة والحريم، وعلت الصبيحات من هول ذلك اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته

بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه ، فشرعوا عباد الله عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد واتقوا الله ما استطعتم (واسمعوا وأطيعوا وأفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فلم يبق ممدرة في القعود عن أعداء الدين ، والحاماة عن المسلمين ، وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الأمانة عند قلة الأنصار ، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأصبحت البيعة بهيمته منتظمة القعود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيابكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تغفروا ، ولا يروكم ما جرى فالجرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدمر يومان والأجر للمؤمنين ، جمع الله على الهدى أمركم ، وأعز بالآيمان نصركم ، وأستغفر الله لى ولسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم . ثم خطب الثانية ونزل فصلى ،

وكتب بيعته إلى الآفاق ليخطب له وضربت السكة باسمه . قال أبو شامة : فخطب له بمجامع دمشق وسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة . وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ولم يل الخلافة من بني العباس من ليس والده وجده خليفة بعد السفاح والمنصور سوى هذا ، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم المستعين أحمد بن محمد ابن المعتصم ، والمعتضد بن طائفة بن المتوكل ، والقادر بن إسحاق بن المقتدر ، والمقتدى بن الذخيرة ابن القائم بأمر الله .

ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها

ركب الظاهر من مصر في العساكر المنصورة قاصدا ناحية بلاد الكرك ، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل ، فلما قدم عليه بعد جهده أرسله إلى مصر منتقلا فكان آخر العهد به ، وذلك أنه كاتب هولاكو وحشه على القدوم إلى الشام مرة أخرى ، وجاءته كتب التنازل بالثبات ونيابة البلاد ، وأنهم قادمون عليه عشرون ألفا لفتح الديار المصرية ، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان ، وكان قد استدعاه من دمشق ، وعلى جماعة من الأمراء ، ثم سار فقتل الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أبهة الملك ، ثم عاد إلى مصر مؤيدا منصورا .

وفىها قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له : قد علمت محبتي للإسلام ، وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين ، فأركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطلمه أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد ، فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرهم . وفىها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها ، وفى رمضان جيز الظاهر صناعات وأخشابا وآلات كثيرة لمارة مسجد رسول الله (ص) ، بعد حريقه فطيف بتلك الأخشاب والآلات

بمصر فرحة وتمطيا لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية ، وفي شوال سار الظاهر إلى الاسكندرية فنظر في أحوالها وأمورها ، وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير وولى غيره .

وفيها التقى بركة خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقنتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة عظيمة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقى وهرب هو في شردمة يسيرة والله الحمد . ولما نظر بركة خان كثرة القتل قال يزعلى أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنسكيزخان ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر عدايا عظيمة إلى بركة خان ، وقد أقام التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم ، فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفقا على المصالحة وإنفاذ الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه والله الحمد ، ولكن خرج عليهما طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقاً ممن كان معهما ، وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب . وقد كان المستنصر هذا فتح بلدانا كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ، ولما قاتله بهادر على شحنة بغداد كسره المستنصر وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التتار فجمدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك فقتل أكثرهم وقعد هومن بينهم ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكانت الوقعة في أول الحرم من سنة ستين وستائة ، وهذا هو الذى أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تستهد له الأمور ويصفو الحال ، ولكن قدر الله وما شاء فعل . وجهز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين ، وطلبت الفرنج منه المصالحة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها ، وكان قد عزل في شوال قاضى مصر تاج الدين ابن بنت الأعز وولى عليها برهان الدين الخضر بن الحسين السنجارى ، وعزل قاضى دمشق نجم الدين أبا بكر بن صدر الدين أحمد ابن شمس الدين بن هبة الله بن سنى الدولة ، وولى عليها شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلصكان ، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجارى ، وأضاف إليه مع القضاء نظر الأوقاف ، والجامع والمدرستان ، وتدريس سبع مدارس ، العادلية والناصرية والفندراوية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية ، وقرىء تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك السكالى من جامع دمشق ، وسافر القاضى المعزول مرصاً عليه . وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة وذكر أنه خان في وديعة ذهب جعلها فلوساً لله أعلم ، وكانت مدة ولايته سنة وأشهر . وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان إلى مصر ، وقد كان رسول الاسماعيلية قدم على السلطان بدمشق يتهمدونه ويتوعدونه ، ويطلبون منه إقطاعات كثيرة ، فلم يزل السلطان يوقع بينهم حتى استأصل شأقتهم واستولى على بلادهم .

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول عمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس وكان عمل هذا العزاء بقلعة الجبل بمصر ، بأمر السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغهم أن هولا كوك ملك التتار قتله ، وقد كان في قبضته منذ مدة ، فلما بلغ هولا كوك أن أصحابه قد كسروا بعين جالوت طلبه إلى بين يديه وقال له : أنت أرسلت إلى الجيوش بمصر حتى جاؤا فاقنتلوا مع المغول فكسروهم ثم أمر بقتله ، ويقال إنه اعتذر إليه وذكر له أن المصريين كانوا أعداءه وبينه وبينهم شنان ، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مكرما في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك مصر استنابه في الشام فلما كانت وقعة حصف في هذه السنة وقتل فيها أصحاب هولا كوك مع مقدمهم ببيدة غضب وقال له أصحابك في العزيزية أمراء أبيك ، والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا ، ثم أمر بقتله . وذكروا في كيفية قتله أنه رماه بالنشاب وهو واقف بين يديه يسأله العفو فلم يعف عنه حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الظاهر عليا ، وأطلق ولديهما العزيز محمد بن الناصر وزبالة بن الظاهر ، وكافا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم . فلما العزيز فاته مات هناك في أمر التتار ، وأما زبالة فانه سار إلى مصر وكان أحسن من بها ، وكانت أمه أم ولد يقال لها وجه القمر ، فتزوجها بعض الأمراء بعد أستاذها ، ويقال إن هولا كوك لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات بعضها عن بعض ، فجمعت روسها بجبال ثم ربط الناصر في الأربعة بأربعته ثم أطلقت الجبال فرجعت كل واحدة إلى مركزها بمضو من أعضائه رحمه الله . وقد قيل إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال في سنة ثمان وخمسين ، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب . ولما توفي أبوه سنة أربع وثلاثين ببيع بالسلطنة بحلب وعمره سبع سنين ، وقام بتدبير مملكته جماعة من محاليك أبيه ، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم خاتون بنت العادل أبي بكر بن أيوب ، فلما توفيت في سنة أربعين وستائة استقل الناصر بالملك ، وكان جيد السيرة في الرعية محبا إليهم ، كثير النفقات ، ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وبلبك وحران وطائفة كبيرة من بلاد الجزيرة ، فيقال إن سماطه كان كل يوم يشتمل أربعمائة رأس غنم سوى الدجاج والأوز وأنواع الطير ، مطبوخا بأنواع الأطعمة والقلاويات غير المشوى والمقلي ، وكان مجموع ما يفرم على السماط في كل يوم عشرين ألفا وطامته يخرج من يديه كما هو كانه لم يؤكل منه شيء ، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيرا من أرباب البيوت كانوا لا يطبخون في بيوتهم شيئا من الطرف والأطعمة بل يشترون برخص مالا يقدر على مثله إلا بكلفة ونفقة كثيرة ، فيشتري أحدهم بنصف درهم أو بدرهم مالا يقدر عليه إلا بخسارة كثيرة ، ولعله لا يقدر على مثله ، وكانت الأرزاق كثيرة دارة في زمانه وأيامه ، وقد كان خليعا ظريفا حسن

الشكل أديباً يقول الشعر المتوسط القوى بالنسبة إليه ، وقد أورد له الشيخ قطب الدين في الذيل قطعة صالحة من شعره وهي رائعة لا تفتق . قتل ببلاد المشرق ودفن هناك ، وقد كان أعدله تربة برباطه الذي بناه بسفح قاسيون فلم يقدر دفنه بها ، والناصرية البرانية بالسفح من أغرب الأبنية وأحسنها بنيانا من الموكد المحكم قبل جامع الافرم ، وقد بنى بعدها عدة طويلة ، وكذلك الناصرية الجوانية التي بناها داخل باب الفراديس هي من أحسن المدارس ، وبنى الخان الكبير فجاء الزنجاري وحوات إليه دار الطعم ، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم رحمه الله .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر اليعمرى الأندلسي الحافظ ولد سنة سبع وتسعين وخمسة مائة وسمع الكثير ، وحصل كتباً عظيمة ، وصنف أشياء حسنة ، وختم به الحفاظ في تلك البلاد ، توفي بمدينة تونس في سابع عشرين رجب من هذه السنة .

ومن توفي فيها أيضا عبد الرزاق بن عبد الله

ابن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسمي المحدث المفسر ، سمع الكثير ، وحدث وكان من الفضلاء والأدباء ، له مكانة عند البدر لؤي صاحب الموصل ، وكان له منزلة أيضا عند صاحب سنجار ، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، ومن شعره :

نعبُ الغرابِ فدلنا بنعيمه * أن الحبيبَ دنا أو أن مفنيه

ياسائلُ عن طيبِ عيشي بدمع * جدلي بعيش ثم صل عن طيبه

محمد بن أحمد بن عنتر السامي الدمشقي

محبسها ، ومن عدولها وأعيانها ، وله بها أملاك وأوقاف ، توفي بالقاهرة ودفن بالقطم .

علم الدين أبو القاسم بن أحمد

ابن الموفق بن جعفر الرمسي البورقي القنوي النحوي المقرئ ، شرح الشاطبية شرحا مختصرا ، وشرح المفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها ، وكان ذا فنون عديدة حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وبرزة وجمال ، وقد سمع الكندي وغيره .

الشيخ أبو بكر الدينوري

وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكان له فيها جماعة مریدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة رحمه الله مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام

قال الشيخ فحمس الدين الذهبي : وفي هذه السنة ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم بن تيمية الحارثي بمران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستائة .

الأمير الكبير مجير الدين

أبو الهيجاء عيسى بن حثير الازكشي الكردي الأموي ، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر التتار ، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الوقعة جعله مع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائباً على دمشق مستشاراً ومشاركاً في الرأي والمراسم والتدبير ، وكان يجلس معه في دار العدل وله الاقطاع الكامل والرزق الواسع ، إلى أن توفي في هذه السنة . قال أبو شامة : ووالده الأمير حسام الدين توفي في جيش الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب . قلت ووالده الأمير عز الدين تولى هذه المدينة أعنى دمشق مدة ، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب ابن سنون بالصاغة المتيقة ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء لأنه كان يسكنه وكان يعمل الولاية فيه ففرف به ، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قدمنا من حوران وأنا صغير فغمت فيه القرآن ، والله الحمد .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، والسلطان الظاهر بيبرس ، ونائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجبي وقاضيه ابن خلكان .

وفها في أولها كملت المدرسة الظاهرية التي بين القصرين ، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ، ولتدريس الحنفية مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر ابن المديم ، ولمشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الديبالي . وفيها عمر الظاهر بالقدس خاتماً ووقف عليه أوقافاً للنازليين به من إصلاح فمالهم وأكلهم وغير ذلك ، وبني به طاحونا وفرنا .

وفها قدمت رسل بركة خان إلى الملك الظاهر ومعهما الأشرف ابن الشهاب غازي بن العادل ، ومعهما من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاكو وأهله .

وفي جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي بدار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة عماد الدين بن الحرساني ، وحضر عنده القاضي ابن خلكان وجماعة من القضاة والأعيان ، وذكر خطبة كتابه المبعث ، وأورد الحديث بسنده ومثله وذكر فوائد كثيرة مستحسنة ، يقال إنه لم يراجع شيئاً حتى ولا درسه ومثله لا يستكثر ذلك عليه والله أعلم . وفيها قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة هولاكو ، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحوّلها إلى رصده التي بناه بمراغة ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة .

الملك الأشرف

وفيهما كانت وفاة

موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كانوا ملوك حمص كبرا عن كابر إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء الموصوفين ، وكبراء الدماشقة المترفين ، معتنيا بالملأكل والمشرّب والملابس والمرآكب وقضاء الشهوات والمآرب وكثرة التّنعّم بالمغاني والحبائب ، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضعاف أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وطاره . ولما توفى وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وصار ملكه إلى الدولة الظاهرية ، وتوفى معه في هذه السنة الأمير حسام الدين الجوكندار نائب حلب .

وفيهما كانت كسرة التنازع على حمص وقتل مقدمهم بيدرة بقضاء الله وقدره الحسن الجميل .
وفيهما توفى الرشيد المطار المحدث بمصر . والذي حضر مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل والتاجر المشهور الحاج نصر بن دس وكان ملازما للصلوات بالجامع ، وكان من ذوى اليسار والخير .
الخطيب عماد الدين بن الحرستاني

عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني ، كان خطيباً بدمشق ونائب في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية ، بعد ابن الصلاح إلى أن توفى في دار الخطابة في تاسع عشرين جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن عند أبيه بقاسيون ، وكانت جنازته حافلة ، وقد جاوز الثمانين بخمس سنين ، وتولى بعده الخطابة والغزالية ولده محمد الدين ، هو باشر مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة .

محمي الدين محمد بن أحمد بن محمد

ابن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الحافظ المحدث الانصارى الشاطبي أبو بكر المغربي ، عالم فاضل دين أقام بحلب مدة ، ثم اجتاز بدمشق قاصداً مصر . وقد تولى دار الحديث الكاملة بعد زكي الدين عبد العظيم المنذرى ، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد ، وقد جاوز السبعين .

الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القبارى الاسكندراني

كان مقبلاً بفيط له يقتات منه ويعمل فيه ويبدّره ، ويتورّع جداً ويطعم الناس من ثماره . توفى في سادس شعبان بالاسكندرية وله خمس وسبعون سنة ، وكان يأمر بالمروءة وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسمعون منه ويطيعونه لزمه ، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راضون منه بذلك ، ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل ، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها فقال : يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندي شيئاً ،

فنظر إليه الشيخ فقال له : ماذا تعانى من الاسباب ؟ فقال رطاص عند الوالى ، فقال له إن دابقتنا لا تأكل الحرام ، ودخل منزله فأعطاه دراهم ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز ، فاشترى الناس من الرطاص كل درهم بثلاثة لأجل البركة ، وأخذ ابنته ، ولما توفى ترك من الأساس ما يساوى خمسين درهما فبيع بمبلغ عشرين ألفا . قال أبو شامة : وفى الرابع والعشرين من ربيع الآخر توفى

محيي الدين عبد الله بن صفى الدين

إبراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى . قلت داره هذه هى التى جمعت مدرسة للشافعية وقفها الأمير جمال الدين آقوش النجيبى التى يقال لها النجيبية تقبل الله منه . وبها إقامتنا جعلها الله داراً تمقها دار القرار فى الفوز العظيم . وقد كان أبو جمال الدين النجيبى وهو ص - فى الدين وزير الملك الأشرف ، وملك من الذهب ستمائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والأثاث والبضائع ، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين ، ودفن بتربته عند المقطم . قال أبو شامة : وجاء الخبر من مصر بوفاة الفخر عثمان المصرى المعروف بعين غين .

وفى ثامن عشر ذى الحجة توفى الشمس الوبارى الموصلى ، وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب ، وخطب بجامع المزة مدة . فأنشدنى لنفسه فى الشيب وخضابه قوله :

وكنْتُ وإياها مذ اختطَّ عارضى * كروحين فى جسم وما نقضت عهدا

فلما أتانى الشيبَ يقطعُ بيننا * توهمتُ سيقاً فألبستهُ غمدا

وفىها استنحضر الملك هولاكو خان الزين الحافظى وهوسليمان بن عامر المقربانى المعروف بالزین الحافظى ، وقال له قد ثبت عندى خيانتك ، وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها ملاً على المسلمين وآذاهم ودل على عوراتهم ، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والمثلثات [وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً] ومن أعان ظالماً سلط عليه ، فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم من الظالمين جميعاً ، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة

ففىها جهز السلطان الظاهر عسكراً جماً كثيفاً إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة ، فلما سمعوا بالعساكر قد أقبلت ولوا مدبرين ، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة ، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد والخوف ، فعمرت وأمنت .

وفىها خرج الملك الظاهر فى عساكره قصد بلاد الساحل لقتال الفرنج ففتح قيسارية فى ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى يوم نزوله عليها ، وتسلم قلعته فى يوم الخميس الآخر خامس عشره فهدمها وانتقل إلى غيرها ، ثم جاء الخبر بأنه فتح مدينة أرسوف وقتل من بها من

٢٤٥
الفرنج وجاءت البريدية بذلك . فدقت البشار في بلاد المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً . وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألفاً ، وأسر وعشرة آلاف ، واسترجعوا منهم ثنتين وأربعين بلدة منها برنس واشبيلية وقرطبة ومرسية ، وكانت النصره في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثنتين وستين .

وفي رمضان من هذه السنة شرع في تبليط باب ابريد من باب الجامع إلى القناة التي عند الدرج وعمل في الصف القيلي منها بركة وشاذروان . وكان في مكانها قناة من القنوات يفتفع الناس بها عند انقطاع نهر ماناس فغيرت وعمل الشاذروان ، ثم غيرت وعمل مكانها دكاكين .

وفيها استنبحي الظاهر نائبه على دمشق الأمير آقوش ، فسار إليه سامعاً مطيعاً ، وناب عنه الأمير علم الدين الحصني حتى عاد مكرماً معزوزاً .

وفيها ولي الظاهر قضاة من بقية المذاهب في مصر مستقلين بالحكم يولون من جهتهم في البلدان أيضاً كما يولي الشافعي ، فتولى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بدت الأعز ، والحنفية شمس الدين سليمان ، والمالكية شمس الدين السبكي ، والحنابلة شمس الدين محمد المقدسي ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل ، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي ابن بنت الأعز في أمور تخالف مذهب الشافعي ، وتوافق غيره من المذاهب ، فأشار الأمير جمال الدين أيد غدي العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه ، فأجابته إلى ذلك ، وكان يحبر رأيه ومشورته ، وبعث بأخشاب ورماس وآلات كثيرة لهارة مسجد رسول الله (ص) ، وأرسل منبراً فنصب هناك .

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتهم النصارى فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة . وفيها جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هولاكو هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة ، ودفن بقلمة تلا وبنيته عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبنا ، فقصده الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ، وفرح الملك الظاهر بذلك ، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الاقطاعات .

وفيها في ثاني عشر شوال سلطان الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشى الأمراء بين يديه ، وحمل والده الظاهر الناشية بنفسه والأمير بدر الدين بيسرى حامل الخبز ، والقاضي تاج الدين والوزير بهاء الدين ابن حنارا كبان وبين يديه ، وأعيان الأمراء ركبان وبقيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كئيبون .

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء

وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما توفي

خالد بن يوسف بن سعد النابلسي

الشيخ زين الدين ابن الحافظ شيخ دار الحديث النورية بدمشق ، كان عالماً بصناعة الحديث حافظاً لأسماء الرجال ، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النواوي وغيره ، وتولى بعده مشيخة دار الحديث النورية الشيخ تاج الدين الفزاري ، كان الشيخ زين الدين حسن الأخلاق فكه النفس كثير المزاح على طريقة المحدثين ، رحل إلى بغداد واشتغل بها ، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة ، وكانت جنازته حافلة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ أبو القاسم الحواري

هو أبو القاسم يوسف ابن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحواري ، توفي ببغداد ، وكان خيراً صالحاً له أتباع وأصحاب يحبونه ، وله مريدون كثير من قرايا حوران في الحل والنبية وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف بل بالكف ، وهم أمثل من غيرهم .

القاضي بدر الدين الكردي السنجاري

الذي باشر القضاء بمصر مراراً توفي بالقاهرة . قال أبو شامة : سيرته معروفة في أخذ الرشا من قضاة الاطراف والمتحاكين إليه ، إلا أنه كان جواداً كريماً صودر هو وأهله .

ثم دخلت سنة أربع وستين وستائة

استلمت والخليفة الحاكم الملبسي والسلطان الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة . وفيها جمل بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول ، ونائب الشام آقوش النجبي ، وكان قاضي قضاة الشافعية ابن خلكان ، والحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا ، والحنابلة فحس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر ، والمالكية عبد السلام بن الزواوي ، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها قبل بشرط أن لا يباشر أوقافاً ولا يأخذ جامكية على أحكامه ، وقال : نحن في كفاية فأعفى من ذلك أيضاً رحمهم الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال .

وفيهما كل عمارة الخوض الذي شرقي قناة باب البريد وعمل له شاذروان وقبة وأبواب يجرى منها الماء إلى جانب الدرج الشمالية .

وفيهما نازل الظاهر صفد واستدعى بالمجانيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى افتتحها ، ونزل أهلها على حكمه ، فسلم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال ، وقتل المقاتلة وسوى القدية ، وقد افتتحها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في شوال أيضاً في أربع وعشرين وخمسة ، ثم استعادها الفرنج فانتزعها الظاهر منهم قهراً في هذه السنة والله الحمد ، وكان السلطان الظاهر في نفسه منهم شيء .

كثير ، فلما توجه إلى فتحها طلبوا الأمان ، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري ، وجاءت رسلهم تخلموه وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم اليهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة ، فلما خرجت الاستنارية والداوية من القلعة وقد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل القبيحة ، فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم ، وجاءت البريكية إلى البلاد بذلك ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، ثم بث السرايا يمينا وشمالا في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصنا ، وأسروا قريبا من ألف أسير ما بين امرأة وصبي ، وغنموا شيئا كثيرا .

وفيها قدم ولد الخليفة المستنصر بن المستنصر من الأسر واسمه علي ، فأكرم وأنزل بالدار الأسدية نجاة العزيزية ، وقد كان أسيرا في أيدي التتار ، فلما كسره بركة خان فخلص من أيديهم وسار إلى دمشق ، ولما فتح السلطان صفدا أخبره بعض من كان فيها من أسرى المسلمين أن سبب أسرهم أن أهل قرية فأرا كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم ، فعند ذلك ركب السلطان قاصدا فأرا فأوقع بهم بأسا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسره من أبنائهم ونسائهم أخذا بنار المسلمين جزاء الله خيرا ، ثم أرسل السلطان جيشا هائلا إلى بلاد سبسي ، فجاسوا خلال الديار وفتحوا سبسي عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهبوها ، وقتلوا أهلها وأخذوا بنار الاسلام وأهله منهم ، وذلك أنهم كانوا أضرموا على المسلمين زمن التتار ، لما أخذوا مدينة حلب وغيرها أسروا من نساء المسلمين وأطفالهم خلقا كثيرا ، ثم كانوا بعد ذلك يغيرون على بلاد المسلمين في زمن هولاكو فكبته الله وأهانته على يدي أنصار الاسلام ، هو وأميره كنبغا ، وكان أخذ سبسي يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة ، وجاءت الأخبار بذلك إلى البلاد وضربت البشائر ، وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان وبين يديه ابن صاحب سبسي وجماعة من ملوك الأرمن أسارى أذلاء صفرة ، والمساكر محبته وكان يوما مشهودا . ثم سار إلى مصر مؤبدا منصورا ، وطلب صاحب سبسي أن يفادي ولده ، فقال السلطان لا تفاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له سنقر الأشقر ، فذهب صاحب سبسي إلى ملك التتار فنذله له وتمسكن وخضع له ، حتى أطلقه له ، فلما وصل سنقر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سبسي .

وفيها عمر الظاهر الجسر المشهور بين قرارا ودامية ، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن بهادر و بدر الدين محمد بن رجال وإلى نابلس والأغوار ، ولما تم بناؤه اضطرب بعض أركانه فقلق السلطان من ذلك وأمر بتأكيده فلم يستطيعوا من قوة جرى الماء حينئذ ، فاتفق باذن الله أن انسلت على التهرأكة من تلك الناحية ، فسكن الماء بمقدار أن أصلحوا ما يريدون ، ثم عاد الماء كما كان

وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة .

وفيهما توفي من الأعيان أيد غدي بن عبد الله

الأمير جمال الدين العزيزي ، كان من أكابر الأمراء وأحظام عند الملك الظاهر ، لا يكاد الظاهر يخرج عن رأيه ، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاض على سبيل الاستقلال وكان متواضعا لا يلبس محرما ، كريما وقورا رئيسا معظما في الدولة ، أصابته جراحة في حصار صغد فلم يزل مريضا منها حتى مات ليلة عرفة ، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون من صلاحية دمشق رحمه الله .
هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان

ملك التتار ، وهو والد بلوكم ، والعمامة يقولون هولاوون مثل قلاوون ، وقد كان هولاكو ملكا جبارا فاجرا كفارا لعنه الله ، قتل من المسلمين شرقا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شر الجزاء ، كان لا يتقيس بدين من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق ، وكان هو يتراعى على محبة المعقولات ، ولا يتصور منها شيئا ، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة ، وإنما كانت همهته في تدبير مملكته وتلك البلاد شيئا فشيئا ، حتى أباده الله في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، ودفن في مدينة نلا ، لارحمه الله ، وقام في الملك من بعده ولده أبغا خان وكان أبنا أحد إخوة عشرة ذكور . والله سبحانه أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم دخلت سنة خمس وستين وستائة

في يوم الأحد ثاني المحرم توجه الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية ومحجته المسافر المنصورة ، وقد استولت الدولة الإسلامية على بلاد سييس بكالها ، وعلى كثير من معقل الفرنج في هذه السنة ، وقد أرسل النصارى بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها ، فلما كان عند بركة زيزى تصيد هناك فسقط عن فرسه فانكسرت فخذه ، فأقام هناك أياما يتداوى حتى أمكنه أن يركب في الحفة ، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس . ودخل القاهرة في أبهة عظيمة ، وتجميل هائل ، وقد زينت البلد ، واحتفل الناس له احتفالا عظيما ، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحا كثيرا ، ثم في رجب منها رجع من القاهرة إلى صغد ، وحفر خندقا حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمراؤه وجيشه وأغار على ناحية عكا ، قتل وأسروا غنم وسلم وضربت لذلك البشارة بدمشق . وفي ثاني عشر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم يكن تقام به الجمعة من زمن المبيدين إلى هذا الحين ، مع أنه أول مسجد بني بالقاهرة ، بناء جوهر القائد وأقام فيه الجمعة ، فلما بنى الحاكم جامعهم حول الجمعة منه إليه ، وترك الأزهر لاجمة فيه

فصار في حكم بقية المساجد وشعث حاله وتغيرت أحواله ، فأمر السلطان بيمارته وبياضه وإقامة الجمعة وأمر بعمارة جامع الحسينية وكل في سنة سبع وستين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .
وفيها أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر باخراج الخزانين منه ، والمقاصير التي كانت فيه ، فكانت قرياً من ثلاثمائة ، ووجدوا فيها قوارير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة ، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين .

وفيها أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلمتها ، وأن يكتب عليها [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون] [أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون] .
وفيها التقى أبنا ومنكو تمر الذي قام مقام بركة خان فكسره أبنا وغنم منه شيئاً كثيراً .

وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال : بلغنا أن رجلاً يدعى أباً سلامة ^(١) من ناحية بعري ، كان فيه مجون واستهتار ، فدكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاك إلا في المخرج - يعني دبره - فأخذوا كما فوضعه في مخرجه ثم أخرجه ، فكث بعدة نسعة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج] ^(٢) فوضع ولداً على صفة الجرذان له أربعة قوائم ، ورأسه كرأس السمكة ، [وله أربعة أنياب بارزة ، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع] ^(٣) وله دبر كدبر الأرنب . ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، قامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات ، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث ، وكان يقول هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً ، ومنهم من رآه بعد موته . ومن توفى فيها من الأعيان .

السلطان بركة خان بن تولي بن جنكيزخان

وهو ابن عم هولاكو ، وقد أسلم بركة خان هذا ، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريق جنوده ، وكان ينصح الملك الظاهر ويمظمه ويكرم رسله إليه ، ويطلق لهم شيئاً كثيراً ، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكو تمر بن طغان بن بابو بن تولي بن جنكيزخان ، وكان على طريقته ومنواله والله الحمد .

قاضي القضاة بالديار المصرية

تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر بن بنت الاعز الشافعي ، كان ديناً عفيفاً نزهاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يقبل شفاعة أحد ، وجمع له قضاء الديار المصرية بكاملها ، والخطابة ، والحسبة

(١) في شذرات الذهب : قرية يقال لها دبر أبي سلامة . كان بها رجل من العربان فيه استهتار الخ

(٢) الزيادة من شذرات الذهب .

ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأجيال ، وتدرّس الشافعي والصاحبة وإمامة الجامع ، وكان بيده خمسة عشر وظيفة ، ويأمر الوزارة في بعض الأوقات ، وكان السلطان يعظمه ، والوزير ابن حنا يخاف منه كثيرا ، وكان يحب أن ينكبه عند السلطان ويضعه فلا يستطيع ذلك ، وكان يشتهي أن يأتي داره ولوعائدا ، فرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائدا ، فقام إلى تلقيه لوسط الدار ، فقال له أقاضي : إنما جئتكم لبيادتك فإذا أنت سوى صحيح ، سلام عليكم ، فرجع ولم يجلس عنده . وكان مولده في سنة أربع وستائة ، وتولى بعده القضاء تقي الدين ابن رزين

واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين

أبو الممالى الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي ، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب ، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مأذنة فيروز ، وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثلها ، ولا عمل على شاكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم .

الشيخ شهاب الدين أبو شامة

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المورخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات المدينة المفيدة ، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة ، وله شرح الشاطبية ، وله الرد إلى الأمر الأول ، وله في المبحث وفي الأسراء ، وكتاب الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية ، وله الذيل على ذلك ، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والغرائب التي هي كالمعيان . ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وذكر نفسه ترجمة في هذه السنة في الذيل ، وذكر مرماه ومفشاء ، وطلبه العلم ، وسامعه الحديث ، وتقفه على الفخر بن عساكر وابن عبد السلام ، والسيف الأمدى ، والشيخ موفق الدين بن قدامة ، وما رآه له من المنامات الحسنة . وكان ذا فنون كثيرة ، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري ، أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وقد كان ينظم أشعارا في أوقات ، فيها ما هو مستحلى ، ومنها مالا يستحلى ، فآله يفرلنا وله . وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته ، وعفته وأمانته ، وكانت وفاته بسبب محنة أبوا عليه ، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزله بطواحين الأشنان ، وقد كان اتهم برأى ، الظاهر براءته منه ، وقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما ، ولم يزل يكتب في التاريخ حتى وصل إلى رجب من هذه السنة ، فذكر أنه أصيب بمحنة في منزله بطواحين الأشنان ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل فضر به لموت فلم يمض ، قليله : ألا تشكي عليهم ، فلم يفعل وأنشأ يقول :

قلتُ لمن قالُ ألا تشنكى • ما قد جرى فهو عظيمٌ جليلٌ
يقضُ اللهُ تعالى لنا • من يأخذ الحقَّ ويشقى الغليلَ
إذا توكلنا عليه كفى • فحسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ

وكانهم عادوا إليه مرة ثانية وهو في المنزل المذكور قتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان رحمه الله . ودفن من يومه بمقابر دار الفرائس ، وبأشر بعده مشيخة دار الحديث الأشرفية الشيخ محي الدين النووي . وفي هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ، وقد ذيل على تاريخ أبي شامة لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه وسلك نحوه ، ورتب تربيته وهذب تهذيبه . وهذا أيضاً ممن ينشد في ترجمته .

مازلتُ تكتبُ في التاريخ مجتهداً • حتى رأيتك في التاريخ مکتوباً
ويناسب أن ينشد هنا :

إذا سيدنا خلا قام سيدٌ • قوّل لما قال الكرامُ قولُ

ثم دخلت سنة ست وستين وستائة

استهلّت هذه السنة والحاكم العباسي خليفة، وسلطان البلاد الملك الظاهر، وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان من الديار المصرية بالمساكر المنصورة، فنزل على مدينة يافا بفترة فأخذها عنوة، وسلم إليه أهلها قلعتهما صلحاً، فأجلام منها إلى عكا وخرب القلعة والمدينة وسار منها في رجب قاصداً حصن الشقيف، وفي بعض الطريق أخذ من بعض بريديّة الفرنج كتاباً من أهل عكا إلى أهل الشقيف يعلمونهم قدوم السلطان عليهم، ويأمرهم بتحسين البلد والمبادرة إلى إصلاح أحوالهم ما كان يخشى على البلد منها. ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين تؤكل الكتف، واستدعى من فوره رجلاً من الفرنج فأمره أن يكتب بدله كتاباً على أسننتهم إلى أهل الشقيف، يحذر الملك من الوزير، والوزير من الملك، ويرمى الخلف بين الدولة. فوصل إليهم فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته، وجاء السلطان لغاصرم ورمام بالمنجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلام إلى صور، وبعث بالأفقال إلى دمشق، ثم ركب جريدة فيمن نشط من الجيش فشن الغارة على طرابلس وأعمالها، فتهب وقتل وأرعب وكر راجعاً مؤيداً منصوراً، فنزل على حصن الأكراد لحبته في المرج، فحمل إليه أهله من الفرنج الاقامات فأبى أن يقبلها وقال أنتم قتلتم جندياً من جيشي وأريد ديتة مائة ألف دينار، ثم سار فنزل على حصن، ثم منها إلى حماة، ثم إلى قامية ثم سار منزلة أخرى، ثم سار ليلاً وتقدم المسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية .

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخور، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بروجها مائة وستة

وثلاثون رجاء وعدد شرافتها أربعة وعشرون ألف شرافة ، كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، فخرج اليه أهلها يطلبون منه الأمان ، وشرطوا شروطا لم عليهم فأبى أن يجيبهم ووردهم خائبين وصمم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره ، وغنم منها شيئا كثيرا ، وأطلق للأمراء أموالا جزيلة ، ووجد من أسارى المسلمين من الحبليين فيها خلقا كثيرا ، كل هذا في مقدار أربعة أيام . وقد كان الأفريس صاحبها وصاحب طرابلس ، من أشد الناس أذية للمسلمين ، حين ملك التتار حلب وفر الناس منها ، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام ناصرا وللصليب دافعا كاسرا ، والله الحمد والمنة ، وجاءت البشارة بذلك مع البريدية ، فجاءتها البشائر من القلمة المنصورة ، وأرسل أهل بفراس حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يتسلمها ، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقستغر الفارقاتي في ثالث عشر رمضان فتسلمها ، وتسلموا حصونا كبيرة وقلاعا كثيرة ، وعاد السلطان مؤيدا منصورا ، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أبهة عظيمة وهيبة هائلة ، وقد زينت له البلد ودقت له البشائر فرحا بنصرة الاسلام على الكفرة الطغام ، لكنه كان قد عزم على أخذ أراضى كثيرة من القرى والبساتين التي بأيدي ملاكها بزعم أنه قد كانت التتار استحوذوا عليها ثم استنفذها منهم ، وقد أفناه بعض الفقهاء من الخفية تفرغا على أن الكفار إذا أخذوا شيئا من أموال المسلمين ملكوها ، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها ، وهذه المسألة مشهورة ولئناس فيها قولان (أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث العضية ناقة رسول الله (ص) ، حين استرجعها رسول الله (ص) ، وقد كان أخذها المشركون ، استدلوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفة ، وقال بعض العلماء إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموا وهي في أيديهم استقرت على أملاكهم ، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «وهل ترك لنا عقيل من ربيع» وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهي في يده ، فلم تنتزع من يده ، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل ، فانها ترد إلى أربابها لحديث العضية ، والمقصود أن الظاهر عقد مجلسا اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا في ذلك وصمم السلطان على ذلك اعتمادا على ما بيده من الفتاوى ، وخاف الناس من غائلة ذلك فتوسط صاحب نغر الدين بن الوزير بهاء الدين بن احنا ، وكان قد درس بالشافعي بعد ابن بنت الأعرز ، فقال ياخوند أهل البلد يصلحونك عن ذلك كله بألف ألف درهم ، تقسط كل سنة مائتي ألف درهم ، فأبى إلا أن تكون معجلة بعد أيام ، وخرج متوجها إلى الديار المصرية ، وقد أجاب إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة بذلك ، ورسم أن يعجلوا من ذلك أربع مائة ألف درهم ، وأن تعاد إليه الفلوات التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسم والتمار ، وكانت هذه الفعلة مما شعنت خواطر الناس على السلطان ولما استقر أمر أبنا على التتار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسي ، واستناب على بلاد الروم

البرواناه وارتفع قدره عنده جدا واستقل بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها .
وفيهما كتب صاحب اليمن إلى الظاهر بالخضوع والالتواء إلى جانبه وأن يخطب له ميلاد اليمن ،
وأرسل إليه هدايا وتحفا كثيرة ، فأرسل إليه السلطان هدايا وعلما وسنجقا وتقليدا .

وفيهما رافع ضياء الدين بن الفقاعي للصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن
الحنا ، فسلمه الظاهر إليه ، فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخاص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه
قبل أن يموت سبعة عشر ألف مفرقة وسبعائة فلوله أعلم .

وفيهما عمل البرواناه (١) على قتل الملك علاء الدين صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين مكانه
وهو ابن عشر سنين وتمكن البرواناه في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم .

وفيهما قتل الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ابن الخشكري النعماني الشاعر ، وذلك
أنه اشتهر عنه أشياء عظيمة ، منها أنه يعتقد فضل شعره على القرآن المجيد ، واتفق أن الصاحب
انحدر إلى واسط فلما كان بالنعمانية حضر ابن الخشكري عنده وأنشده قصيدة قد قالها فيه ، فبينما هو
ينشدها بين يديه إذ أذن المؤذن فاستنصته الصاحب ، فقال ابن الخشكري : يا مولانا اسمع شيئا
جديدا ، وأعرض عن شيء له سنين ، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه ، ثم باسطه وأظهر
أنه لا ينكر عليه شيئا مما قال حتى استسلم ما عنده ، فإذا هو زنديق ، فلما ركب قال لانسان معه
استفرد في أثناء الطريق واقتله ، فسأله ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه : أنزلوه
عن فرسه كالداعب له ، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم ، ثم قال انزعوا عنه ثيابه فسلبوها وهو
يخاصمهم ، ويقول إنكم أجلاف ، وإن هذا لعب بارد ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فتقدم إليه أحدكم
فضربه بسيفه فأبان رأسه ،

وفيهما توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال

شيخ رباط المربانية ، كن صالحا ورعا زاهدا حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغني ما وقع
من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار ، فأنتكرت في قلمي وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن
لا ذنب له ؟ فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات فيها الانكار

على . **دع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم في حركات الفلك**

ولا تسأل الله عن فعله * فن خاض لجة بمرهك

إليه تصير أمور العباد * دُع الاعتراض فما أجلك

(١) كلمة فارسية معناها في الاصل الحاجب . ثم أطلق في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى

على الوزير الاكبر .

ومن توفي فيها من الأعيان الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله
ابن عمر المعروف بابن قاضي البين ، عن ثمان وستين سنة ، ودفن بالشرف الأعلى ، وكان قد
تفرد بروايات جيدة وانتفع الناس به . وفيها ولد الشيخ شرف الدين عبد الله بن تيمية أخو الشيخ
تقي الدين ابن تيمية ، والخطيب القزويني .

ثم دخلت سنة سبع وستين وستائه

في صفر منها جدد السلطان الظاهر البيبة لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأحضر
الامراء كلهم والقضاة والاعيان وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان تقليدا هائلا بالملك من
بعد أبيه ، وأن يحكم عنه أيضا في حال حياته ، ثم ركب السلطان في عساكره في جمادى الآخرة
قاصدا الشام ، فلما دخل دمشق جاءت رسل من أبناء ملك التتار معهم مكاتبات ومشافهات ، فن جملة
المشافهات : أنت مملوك بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ واعلم أنك لو
صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني فاعمل لنفسك على مصلحة السلطان إبننا . فلم
يلتفت إلى ذلك ولا عنه شيئا بل أجاب عنه أنهم جواب ، وقال لرسله : أعلوه أنى من ورائه بالمطالبة
ولا أزال حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استعوز عليها من بلاد الخليفة ، وسائر أقطار الأرض .
وفي جمادى الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر باراقة الخور وتبديل المفسدات والخطاى
بالبلاد كلها ، قهبت الخطاى وسلبن جميع ما كان معهن حتى يتزوجن ، وكتب إلى جميع البلاد
بذلك ، وأسقط المكوس التي كانت مرتبة على ذلك ، وعوض من كان محالا على ذلك بتبرها والله
الحد والمنة . ثم عاد السلطان بمساكره إلى مصر ، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة اللصوص
تعرضت له امرأة فذكرت له أن ولدها دخل مدينة صور ، وأن صاحبها الفرنجى غدر به وقتله وأخذ
ماله ، فركب السلطان وشن الغارة على صور فأخذ منها شيئا كثيرا ، وقتل خلقا ، فأرسل إليه ملكها
ما سبب هذا ؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ثم قال السلطان لمقدم الجيوش : أوم الناس أنى مريض
وأنى بالحفة وأحضر الأطباء واستوصف لى منهم ما يصلح لمريض به كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك
فأحضر الأشربة إلى الحفة وأنتم سائرون . ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعا فكشف
أحوال ولده وكيف الامر بالذيار المصرية بعده ، ثم عاد مسرعا إلى الجيش فجلس في الحفة وأظروا
عافيته وتباشروا بذلك . وهذه جراءة عظيمة ، وإقدام هائل .

وفيها حج السلطان الملك الظاهر وفي صحبته الأمير بدر الدين الخزندار ، وقاضى القضاة صدر
الدين سليمان الحنفى ، ونفر الدين بن لقمان ، وتاج الدين بن الأمير ونحو من ثلاثمائة مملوك ، وأجناد
من الخلقة المنصورة ، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالهم منها إلى المدينة النبوية ، فأحسن
إلى أهلها ونظر في أحوالها ، ثم منها إلى مكة فتصق على المجاورين ثم وقف بمرقة وطاق طواف

الافاضة وفتحت له الكعبة ففسلها بماء الورد وطيبها بيده ، ثم وقف بباب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم ، ثم رجع فرمى الجرات ثم تعجل التفرق فماد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومحابته الكرام أجمعين إلى يوم الدين . ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والمشرين من ذي الحجة ، وأرسل البشير إلى دمشق بقدمه سالماً ، فخرج الأمير جمال الدين آقوش النجيبى نائبها ليلتاقى البشير في ثاقى المحرم ، فاذا هو السلطان نفسه يسير في الميدان الأخضر ، وقد سبق الجميع ، فتمعجب الناس من سرعة سيره وصبره وجلده ، ثم ساق من فوره حتى دخل حلب في سادس المحرم ليتفقد أحوالها ، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله .

وفي أواخر ذي الحجة هبت ريح شديدة أغرقت مائتي مركب في النيل ، وهلك فيها خلق كثير ، ووقع هناك مطر شديد جداً ، وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت الثمار ، فاق الله وإنا إليه راجعون . وفيها أوقع الله تعالى الخلف بين التتار من أصحاب إيفنا وأصحاب ابن منكوتمرا بن عمه وتفرقوا واشتغلوا بيهضهم بعضاً ، والله الحمد . وفيها خرج أهل حران منها وقسموا الشام ، وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية صيحة أبيه وعمره ست سنين ، وأخوه زين الدين عبدالرحمن وشرف الدين عبد الله ، وهما أصغر منه .

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله الحلبي الصالحى ، كان من أكابر الأمراء وأحظام عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يستنبيه إذا غلب ، فلما كانت هذه السنة أخذه معه وكانت وفاته بقلعة دمشق ، ودفن بقرنته بالقرب من البيغورية ، وخلف أموالاً جزيلة ، وأوصى إلى السلطان في أولاده ، وحضر السلطان عزاءه بجامع دمشق .

شرف الدين أبو الظاهر محمد بن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية المصرى ، ولد سنة عشر وستمائة وسمع أباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية مدة ، وحدث وكان فاضلاً .

القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن وثاب بن رافع البجلي الحنفى ، درس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام على مساطب الحمام فجأة ودفن بقاسيون .

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبي شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرس الدخارية عن وصية واقفها بذلك وله التقدمة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه ، ومن شعره قوله :

يساقُ بنو الدنيا إلى الخنفِ عنوةً * ولا يشعرُ الباقي بحالةٍ من يمضَى
كانهمُ الأنعامُ في جهلٍ بعضها * بما تم من سفكِ الدماءِ على بعض

[الشيخ نصير الدين

المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبي البركات بن الصباغ الشافعي ، العلامة في الفقه والحديث ،
درس وأفتى وصنف وانتفع به ، وعمر ثمانين سنة ، وكانت وفاته في حادى عشرة جمادى الأولى
من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو الحسن

على بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المقرئ النحوى الملقب بسبيويه ، وكان فاضلا بارعا في صناعة
النحو ، توفي بمارستان القاهرة في هذه السنة عن سبع وستين سنة رحمه الله . ومن شعره :

هذبت قلبي بهجر منك متصل * يا من هواه ضميرٌ غير منفصل
فأزادني غير تأكيد صدك لى * فاعدوك من عطف إلى بدل^(١)

وفيهما ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن على الأنصارى بن الزملى كانى شيخ الشافعية .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستائة

في ثاقى المحرم منها دخل السلطان من الحجاز على المهجن فلم يرع الناس إلا وهو في الميدان
الاخضر يسير ، ففرح الناس بذلك ، وأراح الناس من تلقيه بالهدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ،
وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلو همته ، ثم سار إلى حلب ، ثم سار إلى مصر فدخلها في
سادس الشهر مع الركب المصرى ، وكانت زوجته أم الملك السعيد في الحجاز هذه السنة ، ثم خرج
في ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الاسكندرية فتصيد هناك ، وأطلق للأمراء الأموال
الكثيرة والخلع ، ورجع مؤيدا منصورا .

وفي المحرم منها قتل صاحب مرا كش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب
بالواثق ، قتله بنو مُزَيْن في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مرا كش . وفي ثالث عشر ربيع
الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيشه ، وقد لقوا في الطريق مشقة كثيرة من
البرد والوحل ، فغيم على الزنبقية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصد جيش المسلمين ،
فركب إليه سريعا فوجده قريبا من عكا فدخلها خوفا منه . وفي رجب تسلم نواب السلطان مصياف
من الاسماعيلية ، وهرب منها أميرم الصارم مبارك بن الرضى ، فتحيل عليه صاحب حماه حتى أسره
وأرسله إلى السلطان فحبسه في بعض الابرجة في القاهرة . وفيها أرسل السلطان الدرازينات إلى الحجرة

(١) زيادة من المصرية .

النبوية ، وأمر أن تقام حول القبر صيانة له ، وعمل لها أبواباً تفتح وتغلق من الديار المصرية ، فركب ذلك عليها . وفيها استفاضت الاخبار بقصد الفرنج بلاد الشام ، فجهز السلطان المساكين لقتالهم ، وهو مع ذلك مهتم بالاسكندرية خوفاً عليها ، وقد حصنها وعمل جسورة إليها إن دهمها العدو ، وأمر بقتل السكّاب منها . وفيها انقضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب ، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن يوسف صاحب مراکش ، قتله بنو مرين في هذه السنة .
ومن توفى فيها من الأعيان .

الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الله الرفيع

ابن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيرى كان فاضلاً رئيساً ، وزر لملك المظفر قطز ثم لظاهر بيبرس في أول دولته ، ثم عزله وولى بهاء الدين ابن الحنا ، فلزم منزله حتى أدرسته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ، وله نظم جيد .
الشيخ موفق الدين

أحمد بن القاسم بن خليفة الخزر جى الطبيب ، المعروف بابن أبي أصيبعة ، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات اطاف ، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموى ، توفى بصرخد وقد جاوز التسعين .

الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم

ابن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، أبو العباس المقدسى النابلسى ، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، ولد سنة خمس وسبعين وخسمائة ، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلاً يكتب سريعاً ، حكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الخرقى في ليلة واحدة ، وخطه حسن قوى ، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين ، واختصره لنفسه أيضاً ، وأضر في آخر عمره أربع سنين ، وله شعر أورد منه قطب الدين في تذييله ، توفى بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين رحمه الله .

القاضي محيي الدين ابن الزكي

أبو الفضل محيي بن قاضى القضاء بهاء الدين أبي المعالى محمد بن على بن محمد بن محيي بن على بن عبد العزيز بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد ابن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشى الأموى بن الزكى ، تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباءه من قبله ، كل قد وليها ، وقد سمع الحديث من حنبل وابن طبرزد والكندى وابن الحرستافى وجماعة ، وحدث ودرس في مدارس كثيرة ، وقد ولي قضاء الشام في الخلاوة^(١) فلم يحمده على ما ذكره أبو شامة ، توفى بمصر في الرابع عشر من رجب ، ودفن بالمقطم وقد جاوز السبعين . وله

(١) في شذرات الذهب : ولاءه هولا كوقضاء الشام .

شعر جيسد قوى ، وحكى الشيخ قطب الدين فى ذلك بعد ما نسبته كما ذكرنا عن والده القاضى بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل على على عثمان موافقة لشيخه محى الدين ابن عربى ، ولنام زآه بجامع دمشق مرضاً عنه بسبب ما كان من بنى أمية إليه فى أيام صفين ، فأصبح فنظم فى ذلك قصيدة يذكر فيها ميله إلى على ، وإن كان هو أموى :

أدينُ بما دان الوصى ولا أرى * سواءُ وإن كانت أميةُ محندى
ولو شهدت صفين خيلى لاعذرت * وشاء بنى حربٍ هناك مشهدى
لكننتُ أسنُ البيض عنهم تراضياً * وأمنعهم نيلُ الخلافة باليد
ومن شعره :

قالوا ما فى جلقى نزهة * تسليك عن أنت بهر مغرا
يا عاذلى دونك فى لحظة * سهماً وقد عارضه سطرأ

الصاحب فخر الدين

محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن الحنا المصرى ، كان وزير الصعبة ، وقد كان فاضلاً ، بنى رباطاً بالقراة الكبرى ، ودرس بمدرسة والده بمصر ، وبالشافعى بعد ابن بنت الأعز توفى بشعبان ودفن بسفح المقطم ، وفوض السلطان وزارة الصعبة لولده تاج الدين .

الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن

ابن الخراز الصوفى البغدادى الشاعر ، له ديوان حسن ، وكان جميل المعاشرة حسن المذاكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشده قوله :

نهض القلبُ حين أقبلت * إجلالاً لما فيه من صحيح الودادِ
ونهوضُ القلوبِ بالودِ أولى * من نهوض الأجسادِ للأجسادِ
ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة

فى مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية فى طائفة من العسكر إلى عسقلان فهدم ما بقى من سورها مما كان أهل فى الدولة الصلاحية ، ووجد فيها هدم كوزين فيها ألفا دينار ففرقهما على الأمراء . وجاءته البشارة وهو هناك بأن منكومر كسر جيش أبغا ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة . وفى ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب من فى أيديهم من أسرى المسلمين صبرا بظاهر عكا ، فأمر بمن كان فى يده من أسرى أهل عكا فضربت رقابهم فى صبيحة واحدة ، وكانوا قريباً من مائتى أسير . وفيها كل جامع المنشية ^(١) وأقيمت فيه الجمعة فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر . وفيها جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج ، ثم تصالحوا بعد ذلك

(١) كذا فى المصرية . وفى التركية المرة .

على الهدنة ووضع الحرب ، بعد ما قتل من الفريقين خلق لا يحصون .

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهر دمشق وفي صحبته ولده الملك السعيد وابن الحنا الوزير وجهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالساحل ليشنوا الغارة على جبلة واللاذقية ومرقب وعرقا وما هنالك من البلاد ، فلما اجتمعوا فتحوا صافينا والمجمل ، ثم ساروا فتنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء فاسع عشر رجب ، وله ثلاثة أسوار ، فنصبوا المنجنيقات ففتحها قسرا يوم نصف شعبان ، فدخل الجيش ، وكان الذي يحاصره ولد السلطان الملك السعيد ، فأطلق السلطان أهله ومن عليهم وأجلاهم إلى طرابلس ، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح ، فأجلى أهلها أيضاً وجعل كنيسة البلد جامعاً ، وأقام فيه الجمعة ، وولى فيها نائباً وقاضياً وأمر بعمارة البلد ، وبعث صاحب طرسوس بمناجيع بلده يطلب منه الصلح على أن يكون نصف مغل بلاده للسلطان ، وأن يكون له بها نائباً فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه أيضاً على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين . وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان ، فأراد السلطان أن يقتنم هذه الفرصة فبعث جيشاً كثيفاً في اثني عشرة شبين ليأخذوا جزيرة قبرص في غيبة صاحبها عنها ، فسارت المراكب بسرعة فلما قاربت المدينة جاءت هاريج قاصف فصد بمعضها بعضاً فانكسر فيها أربعة عشر مركباً باذن الله ففرق خلق وأمر الفرنج من الصناعات والرجال قريبا من ألف وثمانمائة إنسان ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . ثم سار السلطان فنصب المجانيق على حصن عكا فسأله أهلها الأمان على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ، ودخل البلد يوم عيد الفطر فتسلمه ، وكان الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهو واد بين جبلين ، ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مراد السلطان في هذه الأرض ؟ فقال جئت لأرعى زروعكم وأخرب بلادكم ، ثم أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إليه الاسماعيلية يستعطفونه على والدم ، وكان مسجوناً بالقاهرة ، فقال : سلموا إلى العليقة وانزلوا فخذوا إقطاعات بالقاهرة ، وتسلموا أباكم . فلما نزلوا أمر بحبسهم بالقاهرة واستناب بحصن العليقة .

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئا كثيرا ، وغرق بسببه ناس كثير ، لا سيما الحجاج من الروم الذين كانوا نزولا بين النهرين ، أخذهم السيل وجأهم وأحالمهم ، فهلكوا وغلقت أبواب البلد ، ودخل الماء إلى البلد من مراقي السور ، ومن باب الفرديس ففرق خان ابن المقدم وأتلف شيئا كثيرا ، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام المشمش ، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء الخامس عشر شوال فعرزل القاضي ابن خلكان ، وكان له في القضاء

عشر سنين ، وولى القاضى عز الدين بن الصائغ ، وخلع عليه ، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا ، فسار ابن خلكان فى ذى القعدة إلى مصر . وفى ثانى عشر شوال دخل حصن الكردى شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصلوا فيها وأزالوا ما فيها من شعار اليهود ، ومدوا فيها سباطا وعملوا سماعا ، وبقوا على ذلك أياما ، ثم أعيدت إلى اليهود ، ثم خرج السلطان إلى السواحل فافتتح بعضها وأشرف على عكا وتأملها ثم سار إلى الديار المصرية ، وكان مقدار غرمه فى هذه المدة وفى الغزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار ، وأخلفها الله عليه ، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة . وفى اليوم السابع عشر من وصوله أمسك على جماعة من الأمراء منهم الحلبي وغيره بلفه أنهم أرادوا مسكه على الشقيف .

وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة أمر بارقة الخور من سائر بلادهم وتهدد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك ، وكان ذلك بالقاهرة وحدها كل يوم ضمانه ألف دينار ، ثم سارت البرد بذلك إلى الآفاق . وفيها قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب البكر ، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته .
ومن توفى فيها من الأعيان .

الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل

أبى بكر بن أيوب بن شادى ، وهو آخر من بقى من أولاد العادل ، وقد سمع الحديث من الكندى وابن الحرستاني ، وكان محترما عند الملوك لا يرفع عليه أحد فى المجالس والمواكب ، وكان لبن الأخلاق حسن العشرة ، لا تمل مجالسته . توفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة بدررب الريحان ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص

عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكي المالكي ، ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث وتفقه وأفتى بالصلاحية ، وولى حسبة القاهرة ثم ولى القضاء سنة ثلاث وستين ، لما ولوا من كل مذهب قاضيا ، وقد امتنع أشد الامتناع ثم أجاب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، روى عنه القاضى بدر الدين ابن جماعة وغيره . توفى لخمس بقين من ذى القعدة .

الطواشي شجاع الدين مرشد المظفري الحموي

كان شجاعا بطلا من الأبطال الشجعان ، وكان له رأى سديد ، كان أستاذه لا يخالفه ، وكذلك الملك الظاهر ، توفى بحماه ودفن بتربته بالقرب من مدرسته بحماه .

ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد

ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي ، نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولاه من ذلك نوع من الاحاد ، وصنف فيه ، وكان يعرف السيميا ، وكان يلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء ، ويزعم أنه حال من أحوال القوم ، وله من المصنفات كتاب البدو ، وكتاب الهو ، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن مسمى ، وجاور في بعض الأوقات بفار حراء يرتجى فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحى كما أتى النبي (ص) ، ، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فأنه يحكم فيه وفي أمثاله . وقد نقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة .

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان الاسلام الملك الظاهر . وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لالتقاء الشواني التي عملت عوضا عما غرق بجزيرة قبرص ، وهي أربعمون شيفيا ، فركب في شينى منها ومعه الأمير بدر الدين ، فالت بهم فسقط الخزندار في البحر ففاص في الماء فألقى إنسان نفسه وراءه فأخذ بشعره وأتقده من الفرق ، نفاع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه . وفي أواخر المحرم ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية ، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك ، واستصحب نائبها معه إلى دمشق ، فدخلها في ثاني عشر صفر ، ومعه الأمير عز الدين أيمن نائب الكرك ، فولاه نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيبى في رابع عشر صفر ، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام . وفي ربيع الأول وصلت الجفال من حلب وحماة وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار ، وجفل خلق كثير من أهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت المساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر ، فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ، ثم سار إلى حلب نعيم بالميدان الأخضر بها ، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمعوا نحو من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فأغاروا على عين قاب ، ووصلوا إلى نسطون ووقفوا على طائفة من التتركان بين حارم وإطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه المساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين ، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد ققون^(١) ونهبوا طائفة من التتركان ، فقبض على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتموا بحفظ البلاد وعادوا إلى الديار المصرية .

(١) حصن بفلسطين ، قرب الرملة .

وفي ثالث شعبان أمسك السلطان قاضي الحنابلة بمصر فممس الدين أحمد بن العماد المقدسي ، وأخذ ما عنده من الودائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أربابها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكن الذي وثق به رجل من أهل حران يقال له شبيب ، ثم تبين للسلطان نزاهة القاضي وبراءته فأعادته إلى منصبه في سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضى عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة فأجابته إلى ذلك فهادنه عشرة سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات ، وعاد إلى دمشق فقرأ بدارالسعادة كتاب الصلح ، واستمر الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الاسماعيلية فأخذ عامتها . قال قطب الدين : وفي جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل ، وأرضعت من بقرة . قال وهذا شيء لم يعهده مثله .

وفيها توفي الشيخ كمال الدين

سلاّر بن حسن بن عمر بن سعيد الأربلي الشافعي ، أحد مشايخ المذهب ، وقد اشتغل عليه الشيخ محيي الدين النووي ، وقد اختصر البحر للروائي في مجلدات عديدة هي عندي بخط يده وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق ، توفي في عشر السبعين ، ودفن بباب الصغير ، وكان مفيداً بالبادرائية من أيام الواقف ، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة .

وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب

ابن سويد التكريتي التاجر الكبير بين التجار بن سويد ذو الأموال الكثيرة ، وكان معظماً عند الدولة ، ولا سيما عند الملك الظاهر ، كان يحله ويكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جيلافاً حال إمرته قبل أن يلى السلطنة ، ودفن برباطه وترتبته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت ، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك ، حتى ملوك الفرنج في السواحل . وفي أيام التتار في أيام هولاكو ، وكان كثير الصدقات والبر .

نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي

واقف اللبودية التي عند حمام الفلك المبرر على الأطباء ، ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق ، ودفن بترتبته عند اللبودية .

الشيخ علي البكاء

صاحب الزاوية بالقرب من بلاد الخليل عليه السلام ، كان مشهوراً بالصلاح والعبادة والاطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثني عليه ويقول : اجتمعت به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقعت جميعها ، ومن جملتها أنه سيملك . نقل ذلك قطب الدين اليونيني ، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه محب رجلاً كانت له أحوال وكرامات ، وأنه خرج معه من بغداد

فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له إني ساموت في الوقت الثاني ، فأشهدني في ذلك الوقت في البلد الثاني . قال : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق ، وقد استندار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستندار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال : لا تتعب فاني لا أموت إلا على هذه الجهة ، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فحسنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم ، فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة ، فلما كان اليوم مات على الاسلام ، فقلنا لهم : خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا ، قال فوليناه فمسلناه وكفنناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين ، وولواهم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى ، نسأل الله حسن الخاتمة . مات الشيخ على في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستائة

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها ، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر ، وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب فذهب تجارها وقتل خلقاً من أهلها ، منهم الوالى والقاضى ، فسار إليه الأمير علاء الدين أيد غدى الخزنदार فقتل خلقاً من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد ، وأخذ بالتأروقه الحمد والمنة .

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ، ودفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة ، وتسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له ، فلما حضر أقطعه خيزراً وبعث إلى البلدين نواباً من جهته .

وفي خامس جمادى الآخرة وصل السلطان بمسكركه إلى الفرات لانه بلغه أن طائفة من التتار هنالك تغاض إليهم الفرات بنفسه وجنده ، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقاً كثيراً ، وكان أول من اقتحم الفرات يومئذ الأمير سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وتبعهما السلطان ، ثم فعل بالتتار ما فعل ، ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ، ودخل السلطان إلى البيرة في أهبة عظيمة وفرق في أهلها أموالاً كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى . وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية ، وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً . ومما قاله القاضى شهاب الدين محمود الكاتب ، وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود ، في خوض السلطان الفرات بالجيش :

مر حيث شئت لك المهيمن جار • واحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبقَ للدين الذي أظهرته * ياركنه عند الأعدى نار
لما تراقصت الرؤس تحركت * من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات بعسكر أفضى به * موج الفرات كما أتى الأتار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرًا سواك تقله الأنهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها * إذ ذاك إلا جيشك الجراز

وقال بعض من شاهد ذلك :

ولما نراه بنا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقنا والصوارم
ولجنا فاقف التيار عن جريانه * إلى حين عدنا بالغنى والغنائم
وقال آخر ولا بأس به :

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالأموال والأهل
اقتحم الماء ليطاق به * حرارة القلب من المغل

وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب خلع على جميع الأمراء من حاشيته ومقدمي الحلقة وأرباب الدولة وأعلى كل إنسان ما يليق به من الخيل والذهب والحواصي ، وكان مبلغ ما أنفق بذلك نحو ثلثمائة ألف دينار . وفي شعبان أرسل السلطان إلى منكوتمر هدايا عظيمة ، وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردي إلى بين يديه إلى القلعة وحوق على أشياء كثيرة ارتكبها ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحبسه ، ثم أمر باغتياله وكان آخر العهد به . وفي ذى القعدة سلمت الامماعيلية ما كان بقي بأيديهم من الحصون وهي الكهف والقدموس والمنطقة ، وعرضوا عن ذلك باقطاعات ، ولم يبق بالشام شيء لهم من القلاع ، واستناب السلطان فيها . وفيها أمر السلطان بعمارة جسورة في السواحل ، وغرم عليها مالا كثيرا ، وحصل للناس بذلك رفق كبير . وعن توفى فيها من الأعيان الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد

ابن حمزة بن علي بن هبة الله بن الحوي ، النغلبي الدمشقي ، كان من أعيان أهل دمشق ، ولى نظار الأيتام والحسبة ، ثم وكالة بيت المال ، وسمع الكثير وخرج له ابن بليان مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفراري بالجامع ، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله .

الخطيب فخر الدين أبو محمد

عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرائي الخطيب بها ، وبيته معروف بالعلم والخطابة والرياسة ، ودفن بمقبرة الصوفية وقد قارب الستين رحمه الله . وقد سمع الحديث من جده نحر الدين صاحب ديوان الخطب المشهورة ، توفى بخانقاه القصر ظاهر دمشق .

الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي

شيخ الملك الظاهر بيبرس ، كان حظيا عنده مكرما لديه ، له عنده المكانة الرفيعة ، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبني له عندها جامعا يخطب فيه للجمعة ، وكان يعطيه مالا كثيرا ، ويطلق له ما أراد ، ووقف على زاويته شيئا كثيرا جدا ، وكان معظما عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتمظيمه له ، وكان يمازحه إذا جلس عنده ، وكان فيه خير ودين وصلاح ، وقد كشف السلطان بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالقدس فذبح قسيسها بيده ، ووهب مافيها لأصحابه ، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالاسكندرية وهي من أعظم كنائسهم ، نهبا وحولها مسجدا ومدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال ، وسماها المدرسة الخفراء ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق ، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة ، ومد فيها سماطا ، واتخذها مسجدا مدة ثم سعوا إليه في ردها إليهم وإبقائها عليهم ، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أنكرت عليه وحقق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه ، ثم أمر بأعدامه وهلاكه ^(١) وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بزاويته ساعه الله ، وقد كان السلطان يحبه محبة عظيمة حتى إنه سمى بعض أولاده خضرا مواقة لاسمه ، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غربى الربرة التي يقال لها قبة الشيخ خضر .

مصنف التعجيز

العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصل ، من بيت الفقه والرياسة والتدريس ، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع واشتغل وحصل وصنف واختصر الوجيز من كتابه التعجيز ، واختصر المحصول ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطائوسي ، وكان جده عماد الدين بن يونس شيخ المذهب في وقته كما تقدم .

ثم دخلت سنة إثننتين وسبعين وستمائة

في صفر منها قدم الظاهر إلى دمشق وقد بانفه أن أبنا وصل إلى بغداد فتصيد بتلك الناحية ، فأرسل إلى المسكر المصرية أن يتأهبوا للحضور ، واستند السلطان لذلك . وفي جمادى الآخرة أحضر ملك الكرخ ليين يديه بدمشق ، وكان قد جاء متنكرا لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فحمل إلى بين يديه فسجنه بالقلمة . وفيها كل بناء جامع دير العاين ظاهر القاهرة ، وصلى فيه الجمعة . وفيها سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب . وفي أواخر رمضان دخل الملك السعيد ابن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش ، فأقام بها شهرا ثم عاد . وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان ولده خضرا

(١) في شذرات الذهب : أنه حبسه في القلمة وأجرى عليه المآكل المفتخرة حتى مات في محرم

سنة ٦٧٦ وكذلك في النجوم الزاهرة . وفيها أن حبسه كان في شوال سنة ٦٧١

الذى سماه باسم شيخه ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء ، وكان وقتها هائلا . وفيها فوض ملك التتار إلى علاء الدين صاحب الديوان ببغداد النظر في تسير وأعمالها ، فسار إليها لينصفح أحوالها فوجد بها شابا من أولاد التجار يقال له « دلي » قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه والاشارات لابن سينا ، ونظر في النجوم ، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدق على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك فرآه ذكيا ، إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر به قتل بين يديه جزاء الله خيرا ، وأمر العوام قهبوا أمتعه وأمتعة العوام ممن كان اتبعه . ومن توفى فيها من الأعيان .

مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس

أسعد بن غالب المظفرى ابن الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي ابن القلانسي ، جاوز القسمين وكان رئيسا كبيرا واسع النعمة ، لا ينفل أن يباشر شيئا من الوظائف وقد أزموه بهد ابن سويد بمباشرة مصالح السلطان فباشرها بلا جامكية ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم . والد الصدر عز الدين حمزة رئيس البلدين دمشق والقاهرة ، وخدم مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير كان وزيرا لملك الأفضل علي بن الناصر فاتح القدس ، كان رئيسا فاضلا له كتاب الوصية في الأخلاق المرضية وغير ذلك ، وكانت له يد جيدة في النظم ، فمن ذلك قوله :

يا رب جئلى إذا ما ضمى جدى • برحمة منك تنجى من النار
أحسن جوارى إذا أمسيت جاركى • لحدى فانك قد أوصيت بالجار

وأما والد حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد ، وكان يكتب جيدا وصنف تاريخا فيما بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته في خمس وخمسمائة .

الأمير الكبير فارس الدين أقطاي

المستمر في أنابك الديار المصرية ، كان أولا مملوكا لابن يمن ، ثم صار مملوكا لصلاح أيوب فأمره ، ثم عظم شأنه في دولة المظفر وصار أنابك المساركة ، فلما قتل امتدت أطماع الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فبعمه الجيش على ذلك ، وكان الظاهر يعرفها له ولا يفساها ، ثم قبل وفاته بقليل انهزم عند الظاهر ، ومات في هذه السنة بالقاهرة .

الشيخ عبد الله بن غانم

ابن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسى ، له زاوية بنابلس ، وله أشعار رائقة ، وكلام قوى في علم التصوف ، وقد طول اليوناني ترجمته وأورد من أشعاره شيئا كثيرا .

قاضي القضاة كمال الدين

أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي التفليسي الشافعي ، ولد بتفليس سنة إحدى وستائة ، وكان فاضلاً أصولياً مناظراً ، ولى نيابة الحكم مدة ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون - هولاكو - وكان عفيفاً نزهة لم يرد منصباً ولا تدريساً مع كثرة عياله وقلة ماله ، ولما انقضت أيامهم تفضب عليه بعض الناس ثم أُلزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله

التنوخى ، وتنوخ من قضاة ، كان صدراً كبيراً ، وكتب الانشاء للناصر داود بن المعظم ، وتولى نظر المارستان النورى وغيره ، وكان مشكور السيرة ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وقد جاوز الثمانين ، ومن شعره قوله :

خَابَ رَجَاءُ امْرِئٍ لَهُ أَمَلٌ • بغيرِ ربِّ السَّما قد وصله
أَيُّننى غيرُهُ أخو ثقةٍ • وهو يبطنُ الأحشام قد كفلته
وله أيضاً : خرمَ اللسانُ وكلَّ عن • أوصافكم ماذا يقول وأنتم ما أنتم
الأمرُ أعظمُ من مقالة قاتلٍ • قد قام عقلٌ أن يعبرَ عنكم
المجزُ والتقصيرُ وصفى دائماً • والبرُّ والاحسانُ يعرفُ منكم

ابن مالك صاحب الالفية

الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائى الحياثى النحوى ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة ، منها الكافية الشافية وشرحها ، والتسهيل وشرحه ، والالفية التى شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً . ولد ببحيان سنة ستائة وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق . وكان كثير الاجتماع بابن خلكان وأثنى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة ، وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالى . توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء الثانى عشر رمضان ، ودفن بتربة القاضي عز الدين بن الصائغ بقاسيون .

النصير الطوسي

محمد بن عبد الله الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخوaja نصير الدين ، اشتغل في شبيبته وحصل علم الأوائل جيداً ، وصنف في ذلك في علم الكلام ، وشرح الاشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الأموت من الاسماعيلية ، ثم وزر لهولاكو ، وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة بالله أعلم ، وعندى أن هذا لا يصدر

من عاقل ولا فاضل . وقد ذكره بعض البغاددة فأننى عليه ، وقال : كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله ، وهو الذى كان قد بنى الرصد بمراغة ، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة ، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفى في بغداد في ثمانى عشر ذى الحجة من هذه السنة ، وله خمس وسبعون سنة ، وله شعر جيد قوى وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن على المصرى المعتزلى المتشيع ، فترع فيه عروق كثيرة منه ، حتى أفسد اعتقاده .

الشيخ سالم البرقي

صاحب الرباط بالقرافة الصغرى ، كان صالحاً متعبداً يقصد للزيارة والتبرك بدعائه ، وله اليوم أصحاب معروفون على طريقه .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها اطاع السلطان على ثلاثة عشر أميراً منهم قعقار الحموى . وقد كانوا كاتبوا التتر يدعونهم إلى بلاد المسلمين ، وأنهم معهم على السلطان ، فأخذوا فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريدية وكان آخر العهد بهم . وفيها أقبل السلطان بالعساكر فدخل بلاد سيمس يوم الاثنين الحادى والعشرين من رمضان ، فقتلوا خلقاً لا يملهم إلا الله وغنموا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأثقال والدواب والأنعام ، نبيع ذلك بأرخص ثمن ، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً في شهر ذى الحجة فأقام بها حتى دخلت السنة . وفيها فار على أهل الموصل رمل حتى عم الأفق وخرجوا من دورهم يبتلون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم ، والله تعالى أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ابن عطاء الحنفى

قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرى الحنفى ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، جمع الحديث وتفقه على مذهب أبى حنيفة ، وناب في الحكم عن الشافعى مدة ، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما ولى القضاة من المذاهب الأربعة ، ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم بها بمقتضى مذهبه ، فغضب من ذلك فقال : هذه أملاك بيد أصحابها ، وما يحل لمسلم أن يتعرض لها ثم نهض من المجلس فذهب ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سكن غضبه فكان يثنى عليه بعد ذلك ويمدحه ، ويقول : لا تثبتوا كتباً إلا عنه . كان ابن عطاء من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا ، روى عنه ابن جماعة وأجاز للبرزالى . توفى يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

بيمند بن بيمند بن بيمند

ابن طرابلس الفرجي ، كان جده نائبا لبنت صيحل الذي تملك طرابلس من ابن عمار في حدود الخمائة ، وكانت يقيمة تسكن بهض جزائر البحر ، فتغلب هذا على البلد لبعدها عنه ، ثم استقل بها ولده ثم حفيده هذا ، وكان شكلا مليحا . قال قطب الدين اليونيني : رأيته في بملك في سنة ثمان وخمسين وستمائة حين جاء مسلما على كتيفانوين ، ورام أن يطلب منه بملك ، فشق ذلك على المسلمين . ولما توفي دفن في كنيسة طرابلس ، ولما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمائة نبش الناس قبره وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابل للكلاب .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل ، خمسة عشر ألفا من المغول ، وخمسة عشر ألفا من الروم ، والمقدم على الجميع البرواناه بأسر أبنا ملك التتار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردن والأكراد ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقا ، فخرج أهل البيرة في الليل فكبسوا عسكر التتار وأحرقوا المنجنقات ونهبوا شيئا كثيرا ، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين ، فأقام عليها الجيش مدة إلى قاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا . ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة أنفق في الجيش ستائة ألف دينار ، ثم ركب سريعا وفي صحبته ولده السعيد ، فلما كان في أثناء الطريق باغوه رحيل التتار عنها فعاد إلى دمشق ، ثم ركب في رجب إلى القاهرة فدخلها في ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولا من جهة ملوك الأرض ينتظرونه فتلقوه وحدثوه وقبلوا الأرض بين يديه ودخل القلعة في أبهة عظيمة . ولما عاد البرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود ابنا الخطايري ، وأميرين الدين ميكائيل ، وحسام الدين ميجار ، وولده بهاء الدين ، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر وينابذوا أبنا ، فلفوا له على ذلك ، وكتب إلى الظاهر بذلك ، وأن يرسل إليه جيشا ويحمل له ما كان يحمله إلى التتار ، ويكون غياث الدين كنجري على ما هو عليه ، يجلس على تحت مملكة الروم .

وفي هذه السنة استسقى أهل بغداد ثلاثة أيام فلم يسقوا . وفيها في رمضان منها وجد رجل وامرأة في نهار رمضان على فاحشة الزنا ، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرجما ، ولم يرجم ببغداد قبلهما قط أحد منذ بنيت . وهذا غريب جدا . وفيها استسقى أهل دمشق أيضا مرتين . في أواخر رجب وأوائل شعبان . وكان ذلك في آخر كانون الثاني . فلم يسقوا أيضا . وفيها أرسل السلطان جيشا إلى دنقلة فكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقا وأسروا شيئا كثيرا من السودان

بمئث بيع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم ، ورهب ملكهم داوداء إلى صاحب النوبة فأرسله إلى الملك الظاهر محتاطا عليه ، وقرر الملك الظاهر على أهل دنقلة جزية تحمل إليه في كل سنة . كل ذلك كان في شعبان من هذه السنة .

وفيها عقد عقد الملك السعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي ، في الإيوان بمحضرة السلطان والدولة على صداق خمسة آلاف دينار ، تمجل منها ألفا دينار ، وكان الذي كتبه وقرأه محي الدين بن عبد الظاهر ، فأعطى مائة دينار ، وخلع عليه . ثم ركب السلطان مسرا فوصل إلى حصن الكرك فجمع القيمرية الذين به فاذا هم ستمائة نفر ، فأمر بشنقهم فشنع فيهم عنده فأطلقهم وأجلام منه إلى مصر ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل من فيه ويقبضوا ملكا عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي فتمس الدين رضوان السهيلي ، ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر . وفيها كانت زلزلة بأخلاق واتصلت ببلاد بكر .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الامام العلامة

الأديب تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي ، كان مشهورا بالفقه والأدب ، والعفة والصلاح ، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق . ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وروى ، ودفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها ، وله ست وتسعون سنة رحمه الله .

الشيخ الامام عماد الدين عبد العزيز بن محمد

ابن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مقلد الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن الصائغ ، كان مدرسا بالمندراوية وشاهدا بالخزانة بالقلمة يعرف الحساب جيدا ، وله سماع ورواية ، ودفن بقاسيون . ابن الساعي المؤرخ

تاج الدين بن المحتسب المعروف بابن الساعي البغدادي ، ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ ، وجمع وصنف ، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن . وقد أوصى إليه ابن النجار حين توفي ، وله تاريخ كبير عندي أكثره ، ومصنفات آخر مفيدة ، وآخر ما صنف كتاب في الزهاد ، كتب في حاشيته زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب :

ما زال تاج الدين طول المدى * من عمره يعتق في السير
في طلب العلم وتدوينه * وفعله نفع بلا ضير
علا على تصانيفه * وهذه خاتمة الخير

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستائة

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق العساكر إلى بلاد حلب ، فلما توافت إليه أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الاتابكي بألف فارس إلى البلستين ، فصادف بها جماعة من عسكر الروم فركبوا إليه وحملوا إليه الاقامات ، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الاسلام فأذن لهم ، فدخل طائفة منهم بيجار وابن الخطير ، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد ، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر .

وفي خامس جمادى الأولى عمل السلطان عرس ولده الملك السعيد على بنت قلاوون ، واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم على بعض ، ثم خاض على الأمراء وأرباب المناصب ، وكان مبلغ ما خلع ألف وثلثمائة خلعة بمصر ، وجاءت براسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومد السلطان سباطا عظيما حضره الخالص والعام ، والشارد والوارد ، وحبس فيه رسل التتار ورسول الفرنج وعليهم كلهم الخلع المائلة ، وكان وقتا مشهودا ، وحمل صاحب حماء هدايا عظيمة وركب إلى مصر لانهنثة . وفي حادى عشر شوال طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوما مشهودا .

وقعة البلستين وفتح قيسارية

ركب السلطان من مصر في العساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار حتى دخل حلب في مستهل ذى القعدة ، فأقام بها يوما ورسم لنائب حلب أن يقيم بعسكر حاب على الفرات لحفظ المنائر ، وسار السلطان فقطع الدرب بند في نصف يوم ، ووقع سنقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس تاسع ذى القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطاة البلستين فرأوا التتار قد رتبوا عسكرهم وكانوا أحد عشر ألف مقاتل ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم ، فلما تراى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدمت سناجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها ، وسافت إلى الميمنة ، فلما رأى السلطان ذلك أردف المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تتحطم فأمر جماعة من الأمراء بادرادها ، ثم حمل العسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، وصبر المسلمون صبرا عظيما ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، فأحاطت بالتتار العساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقتل من المسلمين أيضا جماعة ، وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير ، وسيف الدين قيباز ، وسيف الدين بنجو الجاشنكير ، وعز الدين أيك التتقي ، وأسروا جماعة من أمراء المغول ، ومن أمراء

ومن أمراء الروم ، وهرب الرواناه فنجاً بنفسه ، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين ، وأشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها وأخلوها ، فدخلها الملك الظاهر وصلى بها الجمعة سابع ذي القعدة ، وخطب له بها ، ثم كر راجعاً مؤيداً منصوراً . وسارت البشار إلى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله . ولما بلغ خبر هذه الوقعة أبغوا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه ، وشاهد مكان المعركة ومن فيها من قتل المغول ، ففاظه ذلك وأعظمه وحنق على الرواناه إذ لم يعلمه بجيلة الحال ، وكان يظن أمر الملك الظاهر دون هذا كله ، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك الناحية ، فقتل منهم قريبا من مائتي ألف ، وقيل قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزن الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان .

الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد بن عبد الخالق الدمشقي
ودفن بالقرب من الشيخ أرسلان . قال الشيخ علم الدين : وكان يذكر أن مولده كان سنة
أربع وستين وخمسمائة . الطواشي يمن الحبشي

شيخ الخدم بالحرم الشريف ، كان ديناً قاطلاً عدلاً صادقاً للهجة ، مات في عشر السبعين رحمه الله
[الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس
أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصل ، ثم الدمشقي الصوفي ، سمع الكثير وكتب الكتب
الكبار بخط رفيع جيد واضح ، جاوز السبعين] ^(١) ودفن بباب الفرايس .
الشاعر شهاب الدين أبو المكارم

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني التلمغري ، صاحب ديوان
الشعر ، جاوز الثمانين ، مات بحمة ، وكان الشعراء مقرين له معترفين بفضله وتقده في هذا الفن .
ومن شعره قوله :

لسأى طرئى منك يا غايه المنى * ومن ولمى أنى خطيب وشاعر
فهذا لمعنى حسن وجهك فاعظم * وهذا لدمعى فى تجنيك ناشر

القاضي شمس الدين

على بن محمود بن على بن عاصم الشهزورى الدمشقي ، مدرس القيمرية بشرط واقفها له ولقريته
من بعده التدريس من تاهل منهم ، فدرس بها إلى أن توفي في هذه السنة ، ودرس بعده ولده

صلاح الدين ، ثم ابن ابنه بعد ابن جماعة ، وطالت مدة حفيده . وقد ولى خمس الدين على نيابة ابن خلكان فى الولاية الأولى ، وكان قتيها جيداً نقلاً للمذهب ، رحمه الله . وقد سافر مع ابن المديم لبغداد فسمع بها ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح .

الشيخ الصالح العالم الزاهد

أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن سنجر الكنتاني الحموي له معرفة بالفقه والحديث ، ولد سنة ست وتسعين بحماة ، وتوفى بالقدس الشريف ودفن بمأملأ ، وسمع من الفخر ابن عساكر ، وروى عنه ولده قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة .

الشيخ الصالح جندل بن محمد المنيني

كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة ، وكان الناس يترددون إلى زيارته بمنين ، وكان يتكلم بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بألفاظ غريبة ، وحكى عنه الشيخ تاج الدين أنه سمعه يقول : ما تقرب أحد إلى الله بمثل الذل له والتضرع إليه ، وسمعه يقول : المولى منى من طريق الله يمتد أنه واصل ولو علم أنه منى رجع عما هو فيه ، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : السماع وظيفة أهل البطالة . قال الشيخ تاج الدين : وكان الشيخ جندل من أهل الطريق وعلماء التحقيق . قال : وأخبرنى فى سنة إحدى وستين وسبعمائة أنه قد بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة . قلت : على هذا فيكون قد جاوز المائة ، لأنه توفى فى رمضان من هذه السنة ، ودفن فى زاويته المشهورة بقرية منين ، وتردد الناس لقبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها أياماً كثيرة رحمه الله .

محمد بن عبد الرحمن بن محمد

الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن النورية السلمى الحنفى ، اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء وفى النحو على ابن مالك ، وحصل وبرع ونظم ونثر ، ودرس فى الشبلية والقصاعين ، وطلب لنيابة القضاء فامتنع ، وكتب الكتابة المنسوبة . رآه بعض أصحابه فى المنام بعد وفاته فقال : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول :

ما كان لى من شافع عنده * غير اعتقادى أنه واحد

وكانت وفاته فى جمادى الآخرة ودفن بظاهر دمشق رحمه الله .

محمد بن عبد الوهاب بن منصور

خمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلى تلميذ الشيخ محمد الدين ابن تيمية ، وهو أول من

حكم بالديار المصرية من الخنابلة نيابة عن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز، ثم ولى قمس الدين ابن الشيخ العماد القضاء مستقلاً فاستناب به، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشتمل ويفتى إلى أن توفى وقد نيف على الستين رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستائة

فيها كانت وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة خان الملقب السعيد من بعده، ووفاة الشيخ محيي الدين النووي إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها، ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البلستين، ورجع مؤيداً منصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غربي دمشق بين الميدانين الأخضرين، وتواترت الأخبار إليه بأن أبقا جاء إلى المعركة ونظر إليها وتأسف على من قتل من المغول وأمر بقتل الروافه وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام، فأمر السلطان بجمع الأمراء وضرب مشورة فانفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان، وتقدم بضرب الدهليز على القصر، ثم جاء الخبر بأن أبقا قد رجع إلى بلاده فأمر برد الدهليز وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أسرحال، وأنعم بال . وأما أبقا فانه أمر بقتل الروافه - وكان نائبه على بلاد الروم - وكان اسمه معين الدين سليمان ابن علي بن محمد بن حسن، وإيماء قتله لأنه اتهمه بمالائه للملك الظاهر، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول بلاد الروم، وكان الروافه شجاعاً حازماً كريماً جواداً، وله ميل إلى الملك الظاهر، وكان قد جاوز الخمسين لما قتل .

ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان العظيم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، عن أربع وستين سنة، وكان رجلاً جيداً سليم الصدر كريم الأخلاق، لبن الكلمة كثير التواضع، يمانى ملابس العرب ومراكبهم، وكان معظماً في الدولة شجاعاً مقداماً، وقد روى عن ابن الليثي وأجاز لبرزالي . قال البرزالي ويقال إنه سم، وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر سمه في كأس خمر فاوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفق ثم عاد وأخذ الساقى الكأس من يد القاهر فلاءه وناوله السلطان الظاهر والساقى لا يشعر بشيء مما جرى، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس، أوطن أنه غيره لأمر يريد الله ويقضيه، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم، فشرب الظاهر مافي الكأس ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته، ووجد الوهج والحرق الشديد من فوره، وأما القاهر فانه حمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته . وتعرض الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر

في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأَباق ، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيمن وكبار الأمراء والدولة ، فصلوا عليه سرا وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من السور وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته ، وهي دار المقيتي تجاه العادلية الكبيرة ، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة ، وكنتم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول ، وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وترحموا عليه ترحماً كثيراً ، وجدت البيعة أيضاً بدمشق وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيمن نائبها .

وقد كان الملك الظاهر شهياً شجاعاً على الهمة بعيد النور مقدماً جسوراً معنياً بأمر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، منحلياً بالملك ، له قصد صالح في نصرة الاسلام وأهله ، وإقامة شعار الملك ، واستمرت أيامه من يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين إلى هذا الحين ، ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية وأرسون وإبنا والشقيف وإنطاكية وبمراض وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عكا والفرين وصافينا وغير ذلك من الحصون المنيعات التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الاسماعيليين شيئاً من الحصون ، وناصف الفرنج على المرقب ، وبانياس وبلاط أنطرسوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال وفتح قيسارية من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمنول على البلستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلاداً كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بملك وبصرى ومرخد وحمص ومجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكاملها من بلاد السودان ، وانتزع بلاداً من التتار كثيرة ، منها شيرزور والبيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ، وعمر شيئاً كثيراً من الحصون والمعقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب بقلعة الجبل ، وبنى قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصيته وأشكالهم ، وحفر أنهاراً كثيرة وخلجاناً ببلاد مصر ، منها نهر السرداس ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد رسول الله (ص) ، حين احترق ، ووضع الدرازينات حول الحجرة الشريفة ، وعمل فيه منبراً وسقفه بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلي أريحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وغيرها ، وبنى بالقدس خاناً هائلاً بما ملأ ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحونا وفرا

وبسنا ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم رحمه الله . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عمتنا مشهدا ، ووقف عليه أشياء للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفت وجامعها ، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بحلب داراً هائلة ، ودمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وضرب الدرهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله .

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يكن في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب ، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله واستخدم من الجيوش شيئا كثيرا ، ورد إليه نحو من ثلاثة آلاف من المنازل فأقطعهم وأمر كثيرا منهم ، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه ، وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد دورها ، وبنى الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين ، وهو الذي أقام من كل مذهب قاضيا مستقلا قاضى قضاة . وكان رحمه الله متيقظا شهيا شجاعا لا يفر عن الأعداء ليلا ولا نهارا ، بل هو مناجز لأعداء الاسلام وأهله ، ولم شعثه واجتاع شمله . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عونا ونصرا للاسلام وأهله ، وشجاء في حلوق المارقين من الفرنج والتتار ، والمشركين . وأبطل الخوارج والفاسق من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بمجده وطاقته . وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طويته وسربرته ، وقد جمع له كاتبه ابن عبدالظاهر سيرة مطولة ، وكذلك ابن شداد أيضا . وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبعة إناث ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين ، وله أوقاف وصلات وصدقات ، تقبل الله منه الحسنات ، ونجاؤه عن السيئات والله سبحانه أعلم .

وقام في الملك بعده ولده السعيد بمبايعة أبيه له في حال حياته ، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة ، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال ، وفي صفر وصلت الهدايا من الفرس مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا السلطان قد مات ، وقد أقيم الملك السعيد ولده مكانه والدولة لم تتغير ، والمعرفة بعده ما تنكرت ، ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل أسدتها وأشدّها ، بل الذي بلغ أشدها ، وإذا انفتحت ثغرة من سور الاسلام سدّها ، وكلما انحلت عقدة من عرى الزمان شدّها ، وكلما رامت فرقة مارقة من طوائف الطغام أن تاج إلى حومة الاسلام سدّها وردّها ، فسأحه الله ، وبل بالرحمة نراه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

وكانت المساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومعهم محفة يظهر أن السلطان بها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجدّوا البيعة للسعيد بعد ما أظهر وموت الملك السعيد الذي هو

إن شاء الله شهيد . وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية
 للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر واستهلّت عيناه بالدموع . وفي منتصف ربيع الأول
 ركب الملك السعيد بالمصائب على عادته وبين يديه الجيش بكامله المصري والشامي ، حتى وصل
 إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبه الملك
 ورياسة السلطنة . وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير قمس الدين آقسنقر
 الفارثاني بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبي حنيفة . وعمل فيها مشيخة حديث وقارئ .
 وبعده يوم عقد عقد ابن الخليفة المستمسك بالله ابن الحاكم بأمر الله ، على ابنة الخليفة المستنصر ابن
 الظاهر ، وحضر والده والساطان وجوه الناس . وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع في بناء
 الدار التي تعرف بدار العقبي ، تجاه العادلية ، لتجمل مدرسة وتربة لملك الظاهر ، ولم تكن قبل
 ذلك إلا داراً للعقبي ، وهي المجاورة لحمام العقبي ، وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة
 وأسست المدرسة أيضاً .

وفي رمضان طامت سحابة عظيمة بمدينة صفت مع منها برق شديد ، وسطع منها لسان نار ، وسمع منها
 صوت شديد هائل ، ووقع منها على منارة صفت صاعقة شقتها من أعلاها إلى أسفلها شقايدخل الكف فيه
 ومن توفي فيها من الأعيان البرواتة في العشر الأول من المحرم . والملك الظاهر في العشر
 الأخير منه ، وقد تقدم شيء من ترجمتهما .

الأمير الكبير بدر الدين يلبك بن عبد الله

الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر ، كان جواداً ممدحاً له إمام ومعرفة بأيام الناس ،
 والتواريخ ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية ، ويقال إنه سم فات ، فلما مات انتقض
 بعده جبل الملك السعيد ، واضطربت أموره .

قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي

محمد ابن الشيخ العماد أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، أول من
 ولي قضاء قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، سمع الحديث خصوصاً على ابن طبرزد وغيره ، ورحل إلى
 بغداد واشتغل بالفقه ، وتفنن في علوم كثيرة ، وولى مشيخة سعيد السعداء ، وكان شيخاً مهيباً حسن
 الشبهة كثير التواضع والبر والصدقة ، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامكية
 ليقوم في الناس بالحق في حكمه ، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع
 التي كانت عنده ، ثم أطلقه بعد سنتين فلزم منزله واستقر بتدريس الصالحية إلى أن توفي في أواخر
 المحرم ، ودفن عند عم الحافظ عبد الغني بسفح جبل القطم ، وقد أجاز للرزالي .

قال الحافظ البرزالي : وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت ستة أمراء من الديار المصرية : سنقر البغمدادي ، وبسطا البلدي النكري ، وبدر الدين الوزيري ، وسنقر الرومي ، وآق سنقر الفاروقي رحمهم الله .

الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر

خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي النهرواني العدوي ، ويقال إن أصله من قرية الحمديّة من جزيرة ابن عمر ، كان ينسب إليه أحوال ومكاشفات ، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء ، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير إنه سبى الملك ، فلهذا كان الملك الظاهر يعتمده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة ، ويعظمه تعظيماً زائداً ، وينزل عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين ، ويستعجبه معه في كثير من أسفاره ، ويلزمه ويحترمه ويستشير به فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة ، إما رحمانية أو شيطانية ، أو حال أو سعادة ، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء ، وكان لا يحتجبن منه ، فوقع في الفتنة . وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الأصحاب ، فلا يسلم العبد ألبنة منهن . فلما وقع ما وقع فيه حوَّق عند السلطان وتيسرى وقلادون والفراس إقطاي الأتابك ، فاعترف ، فهم بقتله فقال له : إنما بيني وبينك أيام قلائل ، فأمر بسجنه فسجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين ، وقد هدم بالقدس كنيسة وذبح قسيسها وعملها زاوية وقد قدمنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم ، ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة ، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدفن في تربة أنشأها في زاويته . مات وهو في عشر السنين ، وقد كان يكشف السلطان في أشياء ، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غربى الربوة ، وله زاوية بالقدس الشريف [(١)]

الشيخ محيي الدين النووي

محيي بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم ، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي الالمام شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستائة ، ونوى قرية من قرى حوران ، وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين ، وقد حفظ القرآن فشرح في قراءة التنبيه ، فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ أربع العبادات من المذهب في بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ، ثم اعتنى بالتصنيف فجعل شيئاً كثيراً ، منها ما أكله ومنها ما لم يكله ، فما كل شرح لمسلم والروضة والمتهاج

(١) سقط من النسخة المصرية وقد قدمت هذه الترجمة في حوادث سنة ٦٧٢ .

والرياض والأذكار والنبيان ، ومحرر التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك . وما لم يتممه ولو كل لم يكن له نظير في باب : شرح المذهب الذي سماه المجموع ، وصل فيه إلى كتاب الربا ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره ، وحرر الحديث على ما ينبغي ، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه ، وقد جمعه نخبة على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه ، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزداد فيه وتضاف إليه ، وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحرى والانجراح عن الناس على جانب كبير ، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره ، وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين ، وكان غالب قوته بما جمعه إليه أبوه من نوى ، وقد باشر تدريس الاقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك ناب في الفلكية والركنية ، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للسلوك وغيره . توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه .

علي بن علي بن أسفنديار

نجم الدين الواعظ بجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخائفة المجاهدية وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلاً بارعاً ، وكان جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر ، وأصلهم من بوشنج . ومن شعر نجم الدين هذا قوله :

إذا زارَ الجَنانَ غيـرى فانتـى * أزورُ مع الساعاتِ ربكـَ بالقلبِ
وما كل ناءٍ عن ديارِ بنـازحٍ * ولا كل داني في الحقيقةِ ذو قربِ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد شاماً ومصرًا وحلباً الملك السعيد . وفي أوائل المحرم اشهر دمشق ولاية ابن خلكان قضاء دمشق عوداً على بدء في أواخر ذي الحجة ، بعد عزل سبع سنين ، فامتنع القاضي عز الدين بن الصائغ من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتأقي ابن خلكان ، فتمهم من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، فخرج نائب السلطنة عز الدين أيمن بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه ، وفرح الناس بذلك ، ومدحه الشعراء ، وأنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعفر :

لما تولى قضاء الشام حاكمه * قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداير قال خادمه * ذا العام فيه يفاث الناس بالنعيم

وقال سعد الله بن مروان الفارقي :

أَذَقْتُ الشَّامَ سَبْعَ سِنِينَ جَدْباً * غَدَاةَ هِجْرَتِهِ هِجْراً جَمِيلاً
فَلَمَّا زَرَّتُهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ * مَدَدْتُ عَلَيْهِ مِنْ كَفْيِكَ نَيْلاً

وقال آخر :

رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ طَرّاً * مَا فِيهِمْ قَطُّ غَيْرُ رَاضٍ
فَالْهَمُ الْخَيْرُ بَعْدَ شَرِّ * فَالْوَقْتُ بَسْطُ بِلَا انْقِبَاضٍ
وَعُوضُوا فَرَحَةً بِحُزْنٍ * قَدْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي التَّقَاضِي
وَمَرَّ بِمَعْدٍ طَوِيلٍ غَمٌ * بِدَوْرِ قَاضِي وَعَزَلٍ قَاضِي
وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ وَشَاكٍ * بِحَالٍ مُسْتَقْبَلٍ وَمَاضٍ

قال اليوناني : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر الدرس بالظاهرة وحضر نائب السلطنة أيدمر الظاهري وكان درسا حافلا حضره القضاة ، وكان مدرسا الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود ابن الفارقي ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي ، ولم يكن بناء المدرسة كل . وفي جمادى الاولى باشر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عوضا عن محمد الدين ابن العديم ، بحكم وفاته ، ثم توفي صدر الدين سليمان المذكور في رمضان وتولى بعده القضاء حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي ، الذي كان قاضيا بملطية قبل ذلك . وفي العشر الأول من ذي القعدة فتحت المدرسة النجيبية وحضر تدريسها ابن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى ، وفتحت خانقاه النجيبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحيلة إلى الآن .

وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زينت له وعملت له قباب ظاهرة وخرج أهل البلد لتلقيه وفرحوا به فرحا عظيما لحبهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان ، وعمل العيد بالقلمة المنصورة ، واستوزر بدمشق صاحب فتح الدين عبدالله بن القيسرائي ، وبالديار المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب برهان الدين بن الحضرة بن الحسن السنجاري ، وفي العشر الأخير من ذي الحجة جهز السلطان الساكرا إلى بلاد سيحس محبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى ، وأقام السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والخاصية والخواص ، وجعل يكثر التردد إلى الزنقية وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة جلس السلطان بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان حده والده على بساتين أهل دمشق ، فتضاعفت له منهم الأدعية وأحبوه لذلك حبا شديدا ، فانه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وود كثير منهم لو تخلص من ملكه جملة بسبب ما عليه . وفيها طلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار ضرت أجرة على أملاكهم مدة شهرين ، وجبيت منهم على القهر والعسف .

ومن توفي فيها من الأعيان .

آقوش بن عبدالله الأمير الكبير جمال الدين النجيبى
أبو سعيد الصالحى ، أعتقه الملك نجم الدين أيوب الكامل ، وجعله من أكابر الأمراء ، وولاه
أستاذ داريته ، وكان يثق إليه ويعتمد عليه ، وكان مولده فى سنة تسع أو عشر وستائة ، وولاه
الملك الظاهر أيضاً أستاذاً داريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين ، فأتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف
عليها أوقافاً دارة واسعة ، لكن لم يقرر للمستحقين قدرًا يناسب ماوقفه عليهم ، ثم عزله السلطان
واستدعاه لمصر فأقام بها مدة بطلا ، ثم مرض بالفالج أربع سنين ، وقد عاده فى بعضها الملك الظاهر
ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدير الملوخية ، ودفن
يوم الجمعة قبل الصلاة بترابته التى أنشأها بالترافة الصغرى ، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية ،
وفتح لها شباكين إلى الطريق ، فلم يقدر دفنه بها . وكان كثير الصدقة محبا للمعلماء محسنا إليهم ، حسن
الاعتقاد . شافى المذهب ، متغاليا فى السنة ومحبة الصحابة وبنض الروافض ، ومن جملة أوقافه
الحسان البستان والاراضى التى أوقفها على الجسورة التى قبلى جامع كريم الدين اليوم ، وعلى ذلك
أوقف كثيرة ، وجعل النظر فى أوقافه لابن خلكان .

أيدكين بن عبد الله

الامير الكبير علاء الدين الشهابى ، واقف الخانقاه الشهابية ، داخل باب الفرج . كان من كبار
الأمراء بدمشق ، وقد ولاه الظاهر بحلب مدة ، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم ، وله حسن ظن
بالفقراء والاحسان إليهم ، ودفن بتربة الشيخ عمار الرومى بسفح قاسيون ، فى خامس عشر ربيع
الأول ، وهو فى عشر الحسين ، وخانقاه داخل باب الفرج ، وكان لها شباك إلى الطريق . والشهابى
نسبة إلى الطواشى شهاب الدين رشيد الكبير الصالحى .

قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز

ابن وهيب أبو الربيع الحنفى شيخ الحنفية فى زمانه ، وعالمهم شرقا وغربا ، أقام بدمشق مدة يفتى
ويدرس ، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية ، وولى
القضاة بعد مجد الدين بن العديم ثلاثة أشهر ، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن فى
الغد بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، ومن لطيف شعره فى مملوك تزوج
جارية للملك المعظم .

بإصاحي قتالى وانظرا عجبا • أنى به الدهرُ فينا من عجائبه
البدرُ أصبح فوق الشمس منزلة • وما الصلو عليها من مراتبه

أضحى بمائلها حسناً وشاركها • كفوا وسار إليها في مواكبها

فأشكَلُ الفرقَ لولا وشى نعمة • بصدغه واخضرار فوق شاربه

طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهمداني

الأربلي الشافعي، كان أديبا فاضلا شاعرا، له قدرة في تصنيف الروايات، وقد أقام بالقاهرة حتى توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب، فجمل يتكلم في علم النجوم فأثبته على البديهة هذين البيتين :

دع النجوم لطرق يمش بها • وبالزئمة فانهض أيها الملك

إن النبي وأصحاب النبي نهوا • عن النجوم وقد أبصرت ممالكها

وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يستزيه بعد رمد أصابه فبرأ منه :

يقول لي الكحال عينك قد هدت • فلا تشغلن قلباً وطب بها نفسا

ولى مدة يا شمس لم أركم هنا • وآية برو العين أن تبصر الشمس

عبد الرحمن بن عبد الله

ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عفان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين البادرائي البغدادى ثم الدمشقي، درس بمدرسة أبيه من بعده حتى حبس وفاته يوم الأربعاء سادس رجب، وودن بسفح قاسيون، وكان رئيسا حسن الأخلاق جاوز خمسين سنة.

قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين

هر بن أحمد بن المديم، الحلبي، ثم الدمشقي الحنفي، ولى قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق، وكان رئيسا ابن رئيس، له إحسان وكرم أخلاق، وقد ولى الخطابة بجامع القاهرة الكبير، وهو أول حنفي ولىه، توفي بمجوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بالقرب التي أنشأها عند زاوية الحربرى على الشرف القبلى غربى الزيتون

الوزير ابن الحنا

على بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصرى، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلخ ذى القعدة، وهو جد جه، وكان ذا رأى وعزم وتدبير ذا تمكن في الدولة الظاهرية، لا تمنى الأمور إلا عن رأيه وأمره، وله مكالم على الأمراء وغيرهم، وقد امتدحه الشعراء، وكان ابنه تاج الدين وزير الصعبة، وقد صودر في الدولة السعيدية.

الشيخ محمد ابن الظهير اللغوي

محمد بن أحمد بن هر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الأربلي الحنفي المعروف بابن

الظهير ، ولد باربل سنة ثنتين وستائة ، ثم أقام بدمشق ودرس بالقامازية وأقام بها حتى توفى بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان بارعا في النحو واللغة ، وكانت له يد طويلة في النظم وله ديوان مشهور ، وشعر رائق ، فن شعره قوله :

كل حي إلى المات مآبه * ومدى عمره سريع ذهابه
يخرب الدار وهي دار بقاء * ثم يبنى ما عما قريب خرابه
عجبا وهو في التراب غريق * كيف يلبيه طيبه وعلا به
كل يوم يزيد قصا وإن عم * ر حلت أوصاله أوصابه
والورى في مراحل الدهر ركب * دائم السير لا يرجى إيا به
قزود إن النقى خير زاد * وانصيب اليبس منه لبابه
وأخوال العقل من يقضى بصدق * شيبته في صلاحه وشبابه
وأخوال الجهل يستلذ هوى النف * س فيغدو شهداً لديه مصابه

وهي طويلة جداً قريبة من مائة وخمسين بيتاً ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئاً كثيراً من شعره الحسن الفائق الرائق . ابن إسرائيل الحريري

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الأخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي ، ولد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستائة ، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور اليسري الحريري ، في سنة ثمان عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات ، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق ، وكان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر ، بارعاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع الحلول والاتحاد على طريقة ابن عربي وابن الفارض وشيخه الحريري ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمره . توفى بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة ، عن أربع وسبعين سنة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان معه داخل القببة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ علي المغربي الذي تخرج على يديه الشيخ علي الحريري شيخ ابن إسرائيل ، فن شعره قوله :

لقد عاذني من لا عج الشوق عائد * فهل عهد ذات الخلال بالسفح عائد ؟
وهل فارها بالأجرع الفرد تمنى * لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد ؟
ندي من سمعى أدبراً حديثها * فذكرى هواها والمدامة واحد ؟
منعمة الأطراف رقت محاسناً * حل لي في حبها ما أكابد ؟

وله :
 قلبدبر ما لانت عليه خاها • وللشمس ملجالت عليه القلائد
 أيها المتناض بالنوم السر • ذاهلاً يسبح في بحر الفكر
 سلم الأمر إلى مالكو • واصطبر فالصبر عقباه الظفر
 لا تكونن آيساً من فرج • إنما الأيام تأتي بالعز
 كدر يحدث في وقت الصفا • وصفي يحدث في وقت الكدر
 وإذا ما ساء دهر مرة • سز أهليه ومهما ساء سر
 فارض عن ربك في أقداره • إنما أنت أسير لقدر

وله قصيدة في مدح النبي (س) طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني وأصحابه
 على الشيخ أحمد الاعنف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعاراً كثيرة . فمنها قصيدته
 الدالية المطولة التي أولها :

وافي لي من أهواه جهرًا لم وعدى • وأرغم عذالي عليه وحسدى
 وزار على شطر المزار مطولاً • على مغرم بالوصل لم يتعود
 فيا حسن ما أهدى لميني جماله • ويا برذما أهدى إلى قلبي الصدى
 ويا صدق أحلامي ببشرى وصاله • ويانيل آمالي ويا فبح مقصدي
 نجلى وجودي إذ نجلى لباطني • بجدي سميد أو بسعد مجدي
 لقد حق لي عشق الوجود وأهله • وقد علفت كفاي جمعاً بوجودي
 ثم تنزل فأطال إلى أن قال :

فلما نجلى لي على كل شاهد • وسامني بالرمز في كل مشهد
 تجنبت تقييد الجلال ترفعاً • وطالمت أسرار الجلال المبد
 وصار محامي مطلقاً منه بدوه • وحاشي لمثلي من مماع مقيد
 ففي كل مشهود لقلبي شاهد • وفي كل مسموع له لحن مقيد
 ثم قال :

أراه بأوصاف الجلال جميعها • بغير اعتقاد للحلول المبد
 في كل هيفام المعاطف عادة • وفي كل مصقول السوالف أغيد
 وفي كل بدر لآخ في ليل شعره • على كل غصن مائس العطف أملد
 وعند اعتناق كل قد مهفف • ورشني رضاباً كالرحيق المبرد
 وفي الدر والياقوت والطيب والحلا • على كل ساجي الطرف لن المقلد

وفي حلل الأتواب راقى لناظري * بزرجها من منهب ومورد
 وفي الراح والريحان والسمع والقنا * وفي سجع ترجيع الحمام المفرد
 وفي الدوح والأنهار والزهر والندى * وفي كل بستان وقصر مشيد
 وفي الروضة الفيحاء تحت سماها * يضاحك نور الشمس نوارها الندى
 وفي صفو رفاق الغدير إذا حكي * وقد جمعت الریح صفحة مبرد
 وفي القهوج والافراح والنفلة التي * تمكن أهل الفرق من كل مقصد
 وعند انتشار الشرب في كل مجلس * بهيج بأنواع الثمار المنضد
 وعند اجتماع الناس في كل جمعة * وعيد وإظهار الرياش المجدد
 وفي لمعان المشرفيات بالوغى * وفي ميل أعطاف القنا المتأود
 المظاهر العلوية

وفي الاعوجيات العتاق إذا انبرت * تسابق وفد الریح في كل مطرد
 وفي الشمس تحكي وهي في برج نورها * لدى الأفق الشرقى مرآة عسجد
 وفي البدر يبدو الأفق ليلة تمه * جلته سماء مثل صرح ممرد
 وفي أنجم زانت دجاها كأنها * تثار لآل في بساط زبرجد
 وفي الغيث روى الأرض بعد مودها * قبال نداء منهم بعد منجد
 وفي البرق يبدو موهناً في سحابه * كباسم ثغر أو حسام مجرد
 وفي حسن تميم الخطاب وسرعة الج * واب في الخطر الأنيق المجود
 المظاهر المعنوية
 ثم قال :

وفي رقة الاشعار راقى لسامع * بدائنها من مقصر ومقصد
 وفي عود عيد الوصل من بعد جفوة * وفي أمن أحشاء الطريق المشرّد
 وفي رحمة المشوق شكوى محبه * وفي رقة الألفاظ عند التودد
 وفي أريجيات الكريم إلى الندى * وفي عاطفات العفو من كل سيد
 وحالة بسط العارفين وأنسهم * وتحريكهم عند السماع المقيد
 وفي لطف آيات الكتاب التي بها * تنسم روح الوعد بعد التواعد
 المظاهر الجلالية
 ثم قال :

كذلك أوصاف الجلال مظاهر * أشاهده فيها بغير تردد
 ففي سطوة القاضي الجليل ومحتة * وفي سطوة الملك الشديد المرد

وفي حدة النضبان حالة طيشه * وفي نخوة القرم المهبب المسود
 وفي صولة الصهباء جاز مديرها * وفي يؤس أخلاق النديم المربد
 وفي الحر والبرد الذين تقسم الزمان * وفي إيلام كل محسد
 وفي سر تسليط النفوس بشرها * على وتحسين التعدي لمعتدى
 وفي عسر المعادات يشمر بالقضا * وتكحيل عين الشمس منه بأعمد
 وعند اصطدام الخيل في كل موقف * يمتز فيه بالوشيج المنضد
 وفي شدة الليث الصؤول وبأسه * وشدة عيش بالسقام منكدر
 وفي جفوة المحبوب بعد وصاله * وفي غدره من بعد وعده مؤكد
 وفي روعة البين المسمى وموقفه * وداع لحران الجوانح مكدر
 وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم * وفي كل تشتيت وشمل مبدد
 وفي كل دار أقفرت بعد أنساها * وفي طلل بالي ودارس معمد
 وفي هول أمواج البحار ووحشة الـ * قفار وسيل بالزاييب مزبد
 وعند قيامي بالفرائض كلها * وحالة تسليم لسر التعبد
 وعند خشوعي في الصلاة لمزة الـ * مناجي وفي الاطراق عند التهجد
 وحالة إهلال الحجيج بحجهم * وأعمالهم للعيش في كل فدفد
 وفي عسر تخايص الحلال وفترة الـ * حلال لقلب الناسك المتعبد

المظاهر الكالية

وفي ذكريات العذاب وظلمة الـ * حجاب وقبض الناسك المتزهده
 ويبدو بأوصاف الكمال فلا أرى * برؤيته شيئاً قبيحاً ولا ردى
 فكل مسوء لي إلى كحسين * وكل مفضل لي إلى كرشد
 فلا فرق عندي بين أنس ووحشة * ونور وإظلام ومدن ومبعد
 وسبان إفطاري وصومي وفترتي * وجهدي ونومي وادعاه تهجدي
 أرى تارة في حانة الخمر خالماً * عذارى وطوراً في حنية مسجد
 فجلى لسرى بالحقيقة مشرب * فوقتي ممزوج بكشف مسرمد
 تعمرت الاوطان بي وتحققت * مظاهرها عندي بعيني ومشهدي
 وقلبي على الاشياء أجمع قلب * وشربي مقسوم على كل مورد
 فهبكل أوثان وديرت لراهب * وبيت لنيران وقبله معبد

ومسرحُ غرلانٍ وحانةُ قهوةٍ * وروضةُ أزهارٍ ومطلعُ أسعدٍ
 وأسرارٍ عرفانٍ ومفتاحُ حكمةٍ * وأنفاسُ وجدانٍ وفيضُ تبلدٍ
 وجيشُ لضرغامٍ وخدوُ لكاعبٍ * وظلمةُ جيرانٍ ونورٌ لمهتدي
 تقابلتُ الاضدادُ عندي جميعها * لمحنةٍ مجهودٍ ومنحةٍ مجتدي
 وأحكمتُ تقريزُ المراتبِ صورةً * ومعنى ومن عينِ التفردِ موردٍ
 فما موطنٌ إلا ولي فيه موقفٌ * على قدمٍ قامت بحقِ التفردِ
 فلا غرو إن فتِ الانامُ جميعهم * وقد علتُ بحجلٍ من حبالِ محمدٍ
 عليه صلاةُ الله تشفعُ دائما * بروحِ نحياتِ السلامِ المردِ
 ابن العود الرافضي

أبو القاسم الحسين بن العود نجيب الدين الأسدي الحلي ، شيخ الشيعة وإمامهم وعالمهم في
 أنفسهم ، كانت له فضيلة ومشاركة في علوم كثيرة ، وكان حسن المحاضرة والمعاشرة ، لطيف النادرة ،
 وكان كثير التعمد بالليل ، وله شعر جيد . ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وتوفي في رمضان من هذه
 السنة عن ست وتسعين سنة ، والله أعلم بأحوال عبادته وسرائرهم ونياتهم .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستائة

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها ، وقد اتفق في هذه السنة
 أمور عجيبة ، وذلك أنه وقع الخلف بين الممالك كلها ، اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق
 كثير ، واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضا ، وكذلك الفرنج
 الذين في داخل البحور وجزائرها ، فاختلفوا واقتتلوا ، وقتلت قبائل الأعراب بعضها في بعض
 قتالا شديداً ، وكذلك وقع الخلف بين المشير من الحوارة وقامت الحرب بينهم على ساق ، وكذلك
 وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بمث الجيش
 إلى سيس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللهو واللعب والانبساط مع الخالصكية ، وتمكنوا من الأمور ،
 وبعد عنه الأمراء الكبار ، فضضبت طائفة منهم وفابذوه وفارقوه وأقاموا بطريق المساكر الذين توجهوا
 إلى سيس وغيرهم ، فرجعت المساكر إليهم فلما اجتمعوا شعثوا قلوبهم على الملك السعيد ، ووحشوا
 خواطر الجيش عليه ، وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو ، وإتاهمة الملوك في العدل ومصالح
 المسلمين والذب عن حوزتهم ، كما كان أبوه . وصدقوا فيما قالوا ، فان لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل
 على زوال النعم وخراب الملك ، وفساد الرعية . ثم راسله الجيش في إبعاد الخالصكية عنه ودنو ذوى
 الاحلام والنهي إليه كما كان أبوه ، فلم يفعل ، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخالصكية

وكثرهم ، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر ، ولم يمكنهم العبور على دمشق بل أخذوا من شرقها ، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل السلطان أمه إليهم فتلقوها وقبلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم وتصلح الأمور ، فأجابوها واشترطوا شروطاً على ولدها السلطان ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنها لخاصكية من ذلك ، فسارت المساكر إلى الديار المصرية ، فساق السلطان خلفهم ليتلافى الأمور قبل تفاقمها وانفراطها ، فلم ياحقهم وسبقوه إلى القاهرة ، وقد كان أرسل أولاده وأهله ونقله إلى الكرك فحصنهم فيها ، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا معه والخاصكية إلى الديار المصرية ، فلما اقترب منها صدوه عنها وقاتلوه فقتل من الفريقين نفر يسير ، فأخذ به بعض الأمراء فشق به الصفوف وأدخله قلعة الجبل ليسكن الأمر ، فزادهم ذلك إلا نفوراً ، فحاصروا حينئذ القلعة وقطعوا عنها الماء ، وجرت خطوط طويلة وأحوال صعبة . ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الأتني الصالحى - وهو المشار إليه حينئذ - أن يترك الملك السعيد الملك ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون في صحبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه .

خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامش

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر ، وهو ربيع الآخر ، وحضر القضاة والدولة من أولى الحل والعقد ، فخلع السعيد نفسه من السلطنة وأشهدم على نفسه بذلك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل ، وعمره يومئذ سبع سنين ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الأتني الصالحى ، وخطب له الخطباء ورحمت السكة باسماهما ، وجعل لأخيه الكرك ولأخيه خضر الشوبك ، وكتبت بذلك مكاتيب ، ووضع القضاة والمفتيون خطوطهم بذلك ، وجاءت البريدية إلى الشام بالتحليف لهم على ما حلف عليه المصريون . ومسك الأمير أيمنر نائب الشام الظاهرى واعتقل بالقلعة عند نائبها ، وكان نائبها إذ ذاك علم الدين سنجر الدوادارى ، وأحيط على أموال نائب الشام وحواصله ، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى أبهة عظيمة ، وتحكم مكين ، فنزل بدار السعادة وعظمه الناس وعاملوه معاملة الملوك ، وعزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافى والحنفى والمالكى ، ولولا القضاء صدر الدين هرب بن القاضى تاج الدين بن بنت الاعز عوضا عن الشافى ، وهو تقي الدين بن رزين وكانهم إنما عزلوه لانه توقف فى خلع الملك السعيد والله أعلم .

بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى

لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلصوا

الملك العادل سلاش ابن الظاهر ، وأخرجوه من البين ، وإنما كانوا قد بايعوه صورة ليسكن الشر عند حلع الملك السعيد ، ثم اتفقوا على بيعه الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولقبوه الملك المنصور ، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق الأمراء وحلفوا ، وذكر أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع ، وكأنه داخله حسد من المنصور ، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر . وخطب للمنصور على المنابر في الديار المصرية والشامية ، وضربت السكة باسمه ، وجرت الأمور بمقتضى رأيه فمزل وولى ونفذت مراسيمه في سائر البلاد بذلك ، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجارى وولى مكانه نحر الدين ابن اتمان كاتب السر ، وصاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية .

وفي يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة من هذه السنة توفى الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك وسيأتى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وفيها حمل الأمير أيدمر الذى كان نائب الشام في محفة لمرض لحقه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر ذى القعدة ، واعتقل بقلعة مصر .

سلطنة سنقر الأشقر بدمشق

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى القعدة ركب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من دار السعادة بعد صلاة العصر وبين يديه جماعة من الامراء والجند مشاة ، وقصد باب القلعة الذى بلى المدينة ، فهجم منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه على السلطنة ، ولقب بالملك الكامل ، وأقام بالقلعة وفادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاء والعلماء والاعيان ورؤساء البسلد إلى مسجد أبى الدرداء بالقلعة ، وحلفهم وحلف له بقية الامراء والعسكر ، وأرسل العساكر إلى غزة لحفظ الأطراف وأخذ الغلات ، وأرسل الملك المنصور إلى الشوبك فتسلها فوابه ولم يمانعهم نجم الدين خضر . وفيها جددت أربع أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية . وفيها عزل فتح الدين بن القيسرانى من الوزارة بدمشق وولها تقي الدين بن توبة التكريتى . ومن توفى فيها من الأعيان .

عز الدين بن غانم الواعظ

عبد السلام بن أحمد بن غانم بن على بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أحمد الأنصارى المقدسى ، الواعظ المطبق الملقب الشاعر الفصيح ، الذى نسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله ، وقد أورد له قطب الدين أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، تكلم مرة تجاه الكعبة المعظمة ، وكان في الحضرة الشيخ تاج الدين بن الفزارى والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وابن المعجل من اليمن وغيرهم من العلماء والعباد ، فأجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن . قل هذا المجلس الشيخ تاج الدين بن الفزارى ، وأنه كان في سنة خمس وسبعين .

الملك السعيد بن الملك الظاهر

بركة خان ناصر الدين محمد بن بركة خان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر . ركن الدين بيبرس البندقداري ، بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفي أبوه بويع له بالملك وله تسع عشرة سنة ، ومشيت له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخاصية فحمل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فربما جاءت الثوبة عليه فينزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، ويحمل نفسه كأحدكم ، فرأسوه في ذلك ليرجع عما هو عليه فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ، يقال إنه سم فاقه أعلم ، وقد دفن أولا عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بموته ، ثم نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستائة ، وتلك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر وتلقب بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستائة

كان أولها يوم الخميس ثالث إيار ، والخليفة الحاكم بأمر الله وملك مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى ، و بعض بلاد الشام أيضا ، وأما دمشق وأعمالها فقد سلمها سنقر الأشقر ، وصاحب الكرك الملك المسعود بن الظاهر ، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود ، والعراق و بلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر و خلاط وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار ، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضا ، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين ، ولاحكم له سوى الاسم ، وصاحب اليمن الملك المظفر فخر الدين يوسف بن عمر ، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبي نعيم الحسنى ، وصاحب المدينة عز الدين جواز بن شيبه الحسيفى .

ففى مستهل السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان وبين يديه الأمراء ومقدموا الحلقة الفاشية ، وعليهم الخلع والقضاة والاعيان ركاب معه ، فسير فى الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملك العرب ، فقبل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السباط ، وقام له الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الاعراب بالحجاز ، وأمر الكامل سنقر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضى فخر الدين بن خلكان ، وولاه تدريس الأمينية وانتزعها من ابن سنى الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سنقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشا كثيفا فهزموا عسكر سنقر الأشقر حتى كان قد أرسله إلى غزة ، وساقوم بين أيديهم حتى وصل جيش

المصريين إلى قريـب دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يضرب دهلـيزه بالجسورة ، وذلك في يوم الاربعاء ثاني عشر صفر ، ونهض بنفسه وبعن معه قتل هنالك واستخدم خلقا كثيرا وأنفق أموالا جزيلة ، وانضاف إليه عرب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، وشهاب الدين أحمد بن حجي ، وجاءته نجدة حلب ونجدة حماة ورجال كثيرة من رجال بعلبك ، فلما كان يوم الأحد السادس عشر من صفر أقبل الجيش المصري صحبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، فلما تراء الجمعان وتقابل الفريقان تقانلوا إلى الرابعة في النهار ، قتل نفر كثير وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتا جيدا ، ولكن خامر عليه الجيش فنهـم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه ، وتفرق عنه أصحابه فلم يسمه إلا الانهزام على طريق المرح في طائفة يسيرة ، في صحبة عيسى بن مهنا ، فسار بهم إلى برية الرجة فأنزلهم في بيوت من شعر ، وأقام بهم وبدوا بهم مدة مقامهم عنده ، ثم بعث الأمراء الذين انهزموا عنه فأخذوا لهم أمانا من الأمير سنجر ، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلوقة ، فراسل نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلد فدخلها المنصور وأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس المعجمي المعروف بالخاقي ، والأمير لاجين حسام الدين المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سنقر الأشقر ، وأرسل سنجر البريدية إلى الملك المنصور يملونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .

وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليسلم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو الخانقاه النجيدية ، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجم الدين بن سني الدولة بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور قلاوون بالعتب على طوائف الناس ، والعفو عنه كلهم ، فتضاضعت له الادعية ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين الساجداري المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرتبه في دار السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحول من المدرسة المادلية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سني الدولة ، وألح عليه في ذلك ، فاستدعى جمالا لينقل أهله وثقله عليها إلى الصالحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، ومعه خلة سنية له فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموا وعظموه ، وفرح الناس به وبما وقع من الصفح عنه .

وأما سنقر الأشقر فانه لما خرجت المساكر في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا وسار إلى السواحل فاستحوذ منها على حصون كثيرة ، منها صهيون ، وقد كان بها أولاده وحواسله ، وحصن بلاطس وبرزية وعكا وجبله واللاذقية ، والشفر بكاس وشيزر واستناب فيها الأمير عز الدين ازدمر الحاج . فأرسل السلطان المنصور لحصار شيزر طائفة من الجيش ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت

التنار لما معموا بتفريق كلمة المسلمين ، فانجفل الناس من بين أيديهم من سائر البلاد إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر ، فوصلت التنار إلى حلب قتلوا خلقا كثيرا ، ونهبوا جيشا كبيرا ، وظنوا أن جيش سنقر الأشقر يكون معهم على المنصور ، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر الأشقر . إن التنار قد أقبلوا إلى المسلمين ، والمصلحة أن تتفق عليهم لتلايهلك المسلمون بيننا وبينهم ، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدا . فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه نغم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب ، ونزلت نوابه من حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التنار ، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر جمادى الآخرة ومعه العساكر . وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد إلى ولده علي ، ولقب بالملك الصالح ، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجع التنار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ، وفرح المسلمون بذلك والله الحمد ، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة ، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان . وفي جمادى الآخرة أعيد برهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر ورجع نحر الدين بن لقمان إلى كتابة الانشاء . وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين وعزل ابن بنت الأعرز ، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي ، ومعين الدين الحنفي ، وتولى قضاء الخناقلة هز الدين المقدسي . وفي دى الحجة جاء تقليد ابن خلكان باضافة المعاملة الحلبية إليه يستنصب فيها من شاء من نوابه . وفي مستهل ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصداً الشام ، واستناب على مصر ولده الملك الصالح علي بن المنصور إلى حين رجوعه ، قال الشيخ قطب الدين : وفي يوم عرفة وقع بمصر برد كبير أتاها شينا كثيراً من الغلات ، ووقعت صاعقة بالاسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها ، فأخذ ذلك الحديد فسبك فخرج منه أواق بالرطل المصري . وجاء السلطان فنزل بمساكره نجاء عكا ، تخافت الفرنج منه خوفا شديدا وراسلوه في طلب تجميد الهدنة ، وجاء الأمير عيسى بن منها من بلاد العراق إلى خدمة المنصور ، وهو بهذه المنزلة فنلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وعامله بالصفح والعفو والاحسان ومن توفى فيها من الأعيان .

الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسي

أحد أمراء الاسلام ، وهو الذي باشر قتل كتبتاتوين أحد مقدمي التنار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذي مسك عر الدين أيدير الظاهري في حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

الشيخ الصالح داود بن حاتم

ابن عمر الحبال ، كان حنبلي المذهب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حران ، وكانت إقامته ببعلبك ، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه البيهقي

الأمير الكبير

نور الدين علي بن عمر أبو الحسن الطوسي ، كان من أكابر الأمراء ، وقد نيف على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصاف سنقر الأشقر تحت سنابك الخيل فكث بعد ذلك منمرضاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون .

الجزار الشاعر

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري ، الشاعر المالح ، المعروف بالجزار . مدح الملوك والوزراء والأمراء ، وكان ماجناً ظريفاً حلوا المناظرة ، ولد في حدود ستائة بعدها بسنة أو سنتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة . ومن شعره :

أدركوني في من البرد رمي * ليس يفسى وفي حشاي التهاب
ألبستني الأطماع وهماً فها * جسمي عاري ولى فرى وثياب
كلما أزرقت لون جسمي من الـ * برد تحيلت أنه سنجاب

وقال وقد تزوج أبوه بعجوزة

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
كانها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
وقال لي كم سنها * قلت ليس في فيها سن
لو أسرت غربها في الدجى * ما جسرت تبصرها الجن

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة من الهجرة

استلمت والخليفة الحاكم وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون . وفي عاشر المحرم انقضت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان ، وكان نازلاً على الروحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان معه ، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سنقر الأشقر ، ودخل المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم فنزل القلعة وقد زينت له البلد ، وفي التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ وعزل ابن خلكان . وفي أول صفر باشر قضاء الحنابلة نجم الدين ابن الشيخ فحمس بن أبي عمر ، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء ، وتولى

قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين بجي بن محمد بن إسماعيل الكردي ، وجلس الملك المنصور في دار المدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من الظالم ، وقدم عليه صاحب حماة فتلناه المنصور بنفسه في موكبته ، ونزل بداره بباب الفراديس . وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور فلاحون وبين سنقر الأشقر الملك الكامل على أن يسلم للسلطان شيزر ويعوضه عنها بانطاكية وكفر طاب وشفر بكلس وغير ذلك ، وعلى أن يقيم على ما بيده سنائة فارس ، وتحالفوا على ذلك ، ودقت البشائر لذلك ، وكذلك تصالح صاحب الكرك والملك المنصور خضر بن الظاهر على تقرير ما بيده ونودي بذلك في البلاد . وفي العشر الأول من هذا الشهر ضمن الحجر والزنا بدمشق ، وجعل عليه ديوان ومشد ، فقام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصالحاء والعباد ، فأبطل بعد عشرين يوماً ، وأريق الخور وأقيمت الحدود والله الحمد والمنة .

وفي تاسع عشر ربيع الأول وصلت الخاتون بركة خان زوجة الملك الظاهر ومعهما ولدها السعيد قد نقلته من قرية المساجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالتربة الظاهرية ، فرفع بحبال من السور ودفن عند والده الظاهر ، ونزلت أمه بدار صاحب حمص ، وهيئت لها الاقامات ، وعمل عزاء ولدها يوم الحادى والعشرين من ربيع الآخر بالتربة المذكورة ، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ .

وفي أواخر ربيع الآخر عزل النقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق وباشرها بعمه تاج الدين السهنورى ، وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعى الجيوش لأجل اقتراب مجيئ التتار ، فدخل أحمد بن حنبل ومعه بشر كثير من الأعراب ، وجاء صاحب الكرك الملك المسعود فنجدة للسلطان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الآخرة ، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان ، وجاءته التتركان والأعراب وغيرهم ، وكثرت الأراجيف بدمشق ، وكثرت المساكر بها وجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي ، وتركوا الثلث والاموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار ، ووصلت التتر صعبة منسكوتهم بن هولاً كوا إلى عنتاب ، وصارت المساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً ، ونازلت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخرة جماعة من الأعراب ، وكان فيهم ملك التتار إيفانغ خنيا ينظر ماذا يفعل أصحابه ، وكيف يقاتلون أعداءه ، ثم خرج المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر جمادى وقتت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد في الصلوات وغيرها وجاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل الزمة من الدواوين والكتبة . ومن لا يسلم يصلب ، فأسلموا كرها ، وكانوا يقولون آمناً وحكم الحاكم بأسلامنا بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخليل ، وجعلت الجبال في أعناقهم ، فأجابوا والحالة هذه ، ولما انتهى الملك المنصور إلى حمص كتب

إلى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه إليه نجدة فجاء إلى خدمته فأكرمه السلطان واحترمه ورتب له الاقامات ، وتكاملت الجيوش كلها في محبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لاحالة مخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بعد خروج الملك في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم ، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالى في نصرته الاسلام وأهله على الاعداء ، وخرجوا كذلك والمصحف على رؤسهم إلى المصلى يدعون ويبتهلون ويبكون ، وأقبلت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة أحرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن ، والسلطان المنصور مخيم بمحمص في عساكر من الأتراك والتركان وغيرهم جعل كثير جداً ، وأقبلت التتار في مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، فاما الله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقعة حصص

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان وتواجه الحصان عند طلوع الشمس وعسكر التتار في مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن ، فاقتتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من أعصار متطاولة ، فاستظهر التتار أول النهار ، وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة أيضاً والله المستعان . وكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان ثباتا عظيما جداً في جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتتار في آثارهم حتى وصلوا وراهم إلى بحيرة حصص ووصلوا حصص وهي مغلقة الأبواب ، فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم ، وأشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تأمروا فيما بينهم مثل سنقر الأشقر وبيسرى وطبرس الوزيري وبدر الدين أمير سلاح وابنميش السعدي وحسام الدين لاجين وحسام الدين طرناي والدو يداري وأمثالهم ، لما رأوا ثبات السلطان ردوا إلى السلطان وحلوا حملات متعددة صادقة ، ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتار ، وجرح منكوتمر ، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا من ناحية العرض فصدم التتار فاضربت الجيوش لصدمته ، وتمت الهزيمة والله الحمد ، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة جداً ، ورجعت من التتار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق ، والكوسات تضرب خلفه وما معه إلا ألف فارس ، فطمعوا فيه فقاتلوه فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلاحقهم قتل أكثرهم ، وكان ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبل الغروب ، وافترقوا فرقتين أخذت فرقة منهم إلى ناحية سلبية والبرية ، والأخرى إلى ناحية حلب والفرات ، فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فدقت البشائر وزينت

البلد ، وأوقعت الشموع وفرح الناس . فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المهزمين منهم بيليك الناصري والخالق وغيرهم ، فأخبروا الناس بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر ، ولم يكونوا شاهدوا بعد ذلك ، فبقي الناس في قلق عظيم ، وخوف شديد ، ونهباً فاس كثير للهرب ، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخره ، فتراجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم دخل السلطان إلى دمشق الثاني والعشرين من رجب ، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شقف رؤس القتلى ، وكان يوماً مشهوداً ، ومع السلطان طائفة من أصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين الدويدارى ، فنزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوراً ، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر ودع السلطان من حصص ورجع إلى صهيون ، وأما التتر فانهم انهزموا في أسوأ حال وأنعسه ينخطفون من كل جانب ، ويقتلون من كل فج ، حتى وصلوا إلى الفرات ففرق أكثرهم ، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا آخرين ، والجيش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس .

وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدمر جمدار ، وهو الذى جرح ملك التتار بمشد منكوتير ، فانه خاطر بنفسه وأوم أنه مقفز إليه وقلب رحمه حتى وصل إليه فطعنه فجرحه فقتلوه رحمه الله ، ودفن بالقرب من مشهد خالد .

وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الاحد ثاني شعبان والناس يدهون له ، وخرج معه علم الدين الدويدارى ، ثم عاد من غزة وقد ولاء المشد في الشام والنظر في المصالح ، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان . وفي سلخ شعبان ولى قضاء مصر والقاهرة للقاضى وجيه الدين البهنسى الشافعى ، وفي يوم الأحد سابع رمضان فتحت المدرسة الجهرية بدمشق في حياة منشئها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبى المكارم التميمى الجهرى ، ودرس بها قاضى الخنفية حسام الدين الرازى . وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقعت مأذنة مدرسة أبى عمر بقاسيون على المسجد العتيق فأت شخص واحد ، وسلم الله تعالى بقية الجماعة . وفي عاشر رمضان وقع بدمشق تلج عظيم وبرد كثير مع هواء شديد ، بحيث إنه ارتفع عن الأرض نحواً من ذراع ، وفست الخضر اوات ، وتعطل على الناس معاش كثيرة . وفي شوال وصل صاحب سنجار إلى دمشق مقفراً من التتار داخلاً في طاعة السلطان بأهله وماله ، فلقاه نائب البلد وأكرمه وسيره إلى مصر منزلاً مكرماً .

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل الامة من الكتاب الذين كانوا قد أسلموا كرها وقد كتب

لهم جماعة من المفتنين بأنهم كانوا مكرهين فلمهم الرجوع إلى دينهم ، وأثبت الاكراه بين يدي القاضي جمال الدين ابن أبي يعقوب المالكي ، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا ، سود الله وجوههم - يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . وقيل : إنهم غرموا مالا جزيلا جملة مستكثرة على ذلك ، قبحهم الله .

وفي ذى القعدة قبض السلطان على أيتش السعدى وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بابان الهارونى وسجنه بقاعتها . وفي بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذى القعدة ، وهو العاشر من أذار ، استسقى الناس بالمصلى بدمشق فسقوا بعد عشرة أيام . وفي هذه السنة أخرج الملك المنصور جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخدام من الديار المصرية إلى الكرك ليكونوا في كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر

ومن توفى فيها من الأعيان . أبغا ملك التتار بن هولاكوخان

ابن تولى بن جنكيزخان ، كان على إلمة بعيد الفور له رأى وتدبير ، وبلغ من العمر خمسين سنة ، وودة ملكه ثمانى عشرة سنة ، ولم يكن بعد والده في التدبير والحزم مثله ، ولم تكن وقعة حص هذه برأيه ولا عن مشورته ، ولكن أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه . ورأيت في بعض تاريخ البغادة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سنقر الاشقر إليه فأنه أعلم . وقد جاء إلفا هذا بنفسه فنزل قريبا من الفرات ليرى ماذا يكون من الأمر ، فلما جرى عليهم ما جرى ساء ذلك ومات غما وحزنا . توفى بين العيدين من هذه السنة ، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد . وفيها توفى .

قاضي القضاة

نجم الدين أبو بكر بن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي الشافعي ابن سفي الدولة ، ولد سنة ست عشرة وستائة ، وسمع الحديث وبرع في المذهب ، وناب عن أبيه فشكرت سيرته ، واستقل بالقضاء في الدولة المظفرية فحمد أيضا ، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه ، وقال البرزالي : كان شديدا في الأحكام متحريرا ، وقد أزم بالمقام بمصر فدرس بجامع مصر ، ثم غاد إلى دمشق فدرس بالأمينية والركنية ، وباش قضاء حلب ، وعاد إلى دمشق ، وولاه سنجر قضاء دمشق ، ثم عزل بابن خلكان كما تقدم ، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء من المحرم ، ودفن من القديوم فاسوعا بقرية جده بقاسيون . وفي عاشر المحرم توفى

قاضي القضاة صدو الدين عمر

ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم الغلابي ابن بنت الأعز المصري ، كان فاضلا بارعا عارفا بالمذهب ، متحررا في الأحكام كأبيه ، ودفن بالقرافة .

الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري

المولود المعروف بالجميعانة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه . توفي يوم الأحد سابع جمادى الأولى ودفن بتربة المولدين بسفح قاسيون عند الشيخ يوسف القيمي ، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة ، وكان الشيخ يوسف يسكن إقبن حمام نور الدين الشهيد بالزورين ، وكان يجلس على النجاسات والقذر ، وكان يلبس ثياباً بداوية نجس على النجاسات في الأزقة ، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة ، وكان العوام يغالون في محبته واعتقاده ، وكان لا يصلح ولا يتقى نجاسة ، ومن جاءه زائراً جلس عند باب الأقيين على النجاسة ، وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهديان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولدين . ولما مات الشيخ يوسف القيمي خرج خلق في جنازته من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاؤا به إلى تربة المولدين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سقفاً مقرنصاً باللحان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مغالة زائدة ، ومكث هو وجماعة مجاورون عنده مدة في قراءة وتهليل ، ويطبخ لهم الطبخ فيأكلون ويشربون هناك . والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجميعانة لما مات الشيخ يوسف الأقيين جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في صراخ وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد أذن لنا في دخول البلد ، يكررون ذلك ، فقبل له في ذلك فقال : لي عشرون سنة ما دخلت داخل سور دمشق ، لأنني كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجسد هذا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع الدخول خوفاً منه ، فلما مات أذن لنا في الدخول ، وهذا كله ترويج على العوام من الهمج الرعاع ، الذين هم أتباع كل فاعق . وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجميعانة مما يأتيه من الفتوح والله سبحانه أعلم بأحوال العباد ، وإليه المنقلب والمآب ، وعليه الحساب .

وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدمر السلحداري عن نحو من ستين سنة ، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية ينبغي أن ينال بها مكاتبة عالياً في الجنة

قاضي القضاة

تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي ، ولد سنة ثلاث وستائة ، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأم بدار الحديث مدة ،

ودرس بالشامية ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ثم سار إلى مصر فدرس بها بمدة مدارس ،
 وولى الحكم بها ، وكان مشكوراً ، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها ، ودفن بالمقطم .
 وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة توفي .

ألملك الأشرف

مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محي الدين داود المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن الناصر
 ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى ابن صاحب حمص ، ودفن بقرية بقرتهم بقاسيون .

وفي ذى القعدة توفي الشيخ جمال الدين الأسكندري

الحاسب بدمشق ، وكان له مكتب تحت منارة كبروز ، وقد انتفع به خلق كثير ، وكان شيخ
 الحساب في وقته رحمه الله الشيخ علم الدين أبو الحسن

محمد بن الامام أبي علي الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق الرضى المالكي المصري ،
 ودفن بالقرافة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقد كان قعيها مفتياً ، سمع الحديث وبلغ خمسين سنة .
 وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة توفي .

الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم

محمد بن المسلم مكي بن خاف بن غيلان ، القيسي الدمشقي ، مولده سنة أربع وتسعين ، وكان
 من الرؤساء الكبار ، وأهل البيوتات ، وقد ولى نظر الدواوين بدمشق وغير ذلك ، ثم ترك ذلك
 كله وأقبل على العبادة وكتابة الحديث ، وكان يكتب سريعاً يكتب في اليوم الواحد ثلاث كراريس
 وقد أجمع مسند الامام أحمد ثلاث مرات ، وحدث صحيح مسلم وجامع الترمذي وغير ذلك ،
 وسمع منه البرزالي والمري وابن تيمية ، ودفن من يومه بسفح قاسيون عن ست وثمانين سنة رحمه
 الله جميعاً الشيخ صفى الدين

أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التيمي الحنفي ، شيخ الحنفية ببصرى ، ومدرس الأئمة
 بها مدة سنين كثيرة ، كان بارعاً فاضلاً عالماً عابداً منقطعاً عن الناس ، وهو والد قاضى القضاة صدر
 الدين على ، وقد عمر دهرًا طويلاً ، فانه ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي ليلة نصف
 شعبان من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله والسلطان الملك المنصور قلاوون . وفيها أرسل ملك التتار
 أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم ، وجاء في الرسالة الشيخ قطب
 الدين الشيرازي أحد تلامذة النصير الطوسي ، فأجاب المنصور إلى ذلك وكتب المكاتبات إلى ملك

التتر بذلك . وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين يسرى السعدى ، وعلى الأمير علاء الدين السعدى الشمسى أيضاً .

وفيها درس القاضى بدر الدين بن جماعة بالقيصرية ، والشيخ فحمس الدين ابن الصفى الحريرى بالمرحانية ، وعلاء الدين بن الزملكاني بالأمينية . وفي يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان وقع حريق بالبادين عظيم ، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الأمراء ، وكانت ليلة هائلة جداً وفى الله شرها ، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضى نجم الدين بن النحاس ناظر الجامع ، فأصبح الأمر وسد وأعاد البناء أحسن مما كان والله الحمد والمنة .
ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الصالح بقية السلف

برهان الدين أبو إسحاق ابن الشيخ صفى الدين أبى الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى ابن الرضى الحنفى إمام المعزية بالكشك . وأسمع من جماعة منهم الكندى ابن الحرساني ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته ، وقد أجاز له أبو نصر الصيدلانى وعفيفة الفارقانية وابن الميدانى ، وكان رجلاً صالحاً محباً لسماع الحديث ، كثير البر بالطلبة له ، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزى معجم الطبراني الكبير ، وسمعه منه بقراءة الحافظ البرزالي وجماعة كثيرون . وكان مولده فى سنة تسع وتسعين [وخمسمائة] وتوفى يوم الأحد سابع صفر ، وهو اليوم الذى قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز ، وكان هو معهم فمات بعد استقراره بدمشق .

القاضى امين الدين الأشتري

أبو العباس أحمد بن فحمس الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشتري الشافى ، المحدث ، سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرفية وكان الشيخ محى الدين النووى يبنى عليه ويرسل إليه الصبيان ليقرأوا عليه فى بيته لأمانته عنده ، وصيافته وديانته .
الشيخ برهان الدين أبو الشناء

محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغى الشافى ، مدرس الفلكية ، كان فاضلاً بارعاً ، عرض عليه القضاء فلم يقبل ، توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسمع الحديث وأسمعه ، ودرس بعده بالفلكية القاضى بهاء الدين بن الزكى .

القاضى الامام العلامة شيخ القراء زين الدين

أبو محمد بن عبد السلام بن على بن عمر الزواوى المالكي ، قاضى قضاة المالكية بدمشق ، وهو أول من باشر القضاء بها ، وعزل نفسه عنها تورعاً وزهادة ، واستمر بلا ولاية ثمان سنين ، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سمع الحديث واشتغل على السنجارى

وابن الحاجب . الشيخ صلاح الدين

محمد بن القاضي فحمس الدين علي بن محمود بن علي الشهر زوري ، مدرس القيمرية وابن مدرسا ، توفي في أواخر رجب ، وتوفي أخوه شرف الدين بعده بشهر ، ودرس بالقيمرية بعد صلاح المذكور القاضي بدر الدين ابن جماعة .

ابن خلكان قاضي القضاة

فحمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء ، وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب ، فاشتغلوا بالأحكام بعد ما كانوا نواباله ، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولا يمزل هذا قارة ويولى هذا ، ويمزل هذا ويولى هذا ، وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره ، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الامينية ، ويبدأ ابنه كمال الدين موسى النجيبية . توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بابوائها يوم السبت آخر النهار ، في السادس والعشرين من رجب ، ودفن من القدر بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة . وقد كان ينظم نظما حسنا رائعا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن ، وله التاريخ المفيد الذي رسم بوفيات الاعيان من أبداع المصنفات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة

فيها قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أبهة عظيمة ، وكان يوما مشهودا وفيها ولى الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضا عن محي الدين ابن الحرستاني الذي توفي فيها كما سيأتي ، وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتبط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلعة وأثبت ابن الحمصري نائب الخنفي محضرا يتضمن أن عنده وديعة بمقدار ثمانية آلاف دينار ، من جهة ابن الاسكاف ، وكان الذي أثار ذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجاري ، وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محي الدين ابن الزكي ، وحكم يوم الاحد ثالث وعشرين رجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ ، وسمى بمحضر آخر أن عنده وديعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار لصالح إسماعيل بن أسد الدين ، وقام في ذلك ابن الشاكري والجمال بن الجوى وآخرون ، وتكلموا في قضية فائنة ، ثم عقد له مجلس قاله فيه شدة شديدة ، وتصبوا عليه ثم أعيد إلى اعتقاله ، وقام في صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين ، وجماعة من الامراء ، فكلموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله ، وجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان ، وانتقل من

العادلية إلى داره بدرب النقاشة ، وكان عامة جلوسه في المسجد نجاه داره .

وفي رجب باشر حسبة دمشق جمال الدين بن مصرى . وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين ابن عبد الكافي بالغزالية عوضاً عن الخطيب ابن الحرساني ، وأخذ منه الدولية لجمال الدين بن النجار ، الذي كان وكيل بيت المال ، ثم أخذ فتمس الدين الاربلي تدريس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور . وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي أحد أئمة الفضلاء ، وسادات العلماء المصنفين . ولما توفي أخوه فتمس الدين محمد في شوال ولى مكانه تدريس الشامية البرانية ، وأخذت منه العادلية الصغيرة ، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن مصرى النعالي في ذى القعدة ، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين البيهقي نائب الحكم رحمهم الله أجمعين .
ومن توفي فيها من الأعيان .

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل

محمد بن القاضي فتمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، صاحب الطريقة المنسوبة في الكتابة ، سمع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفي في صفر منها .

شيخ الجبل الشيخ العلامة شيخ الاسلام

فتمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الخنبلي ، أول من ولى قضاء الخنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين ، وتدرّس الاشرفية بالجبل ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره ، مع هدى وصمت صالح حسن ، وخشوع ووقار . توفي ليلة الثلاثاء سابع ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة والده رحمهم الله

ابن أبي جفوان

العلامة فتمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس بن أبي جفوان الانصاري الدمشقي المحدث الفقيه الشافعي البارع في النحو واللغة ، سمعت شيخنا آقاي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول كل منهما للآخر : هذا الرجل قرأ مسند الامام أحمد وهما يسميان فلم يضبط عليه لحن متقنا عليها ، وهايك بهذين ثناء على هذا وهما

الخطيب محيي الدين

محيي بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين بن الحرساني الشافعي خطيب دمشق ومدرس الغزالية ، كان فاضلاً بارعاً آفياً ودرس وولى الخطابة والغزالية بعد

أبيه ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير ، توفي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة ،
ودفن بقاسيون . وفي خامس رجب توفي .

الأمير الكبير ملك عرب ال مثرى
أحمد بن حجي بمدينة بصرى ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب .
الشيخ الامام العالم شهاب الدين

عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد الله بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية
الحراى ، والد شيخنا العلامة العلم تقي الدين ابن تيمية ، مفتى الفرق ، الفارق بين الفرق ، كان له
فضيلة حسنة ، ولديه فضائل كثيرة ، وكان له كرمى بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ،
وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه ، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين
بها بعده في السنة الآتية كما سيأتى ، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستائة

في يوم الاثنين فأتى المحرم منها درس الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن
عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراى بدار الحديث السكرية التى بالقصاعين ، وحضر عنده
قاضى القضاة بهاء الدين ابن الزكى الشافعى ، والشيخ تاج الدين الفزارى شيخ الشافعية ، والشيخ
زين الدين ابن المرحل ، وزين الدين بن المنجا الحنبلى ، وكان درسا هائلا ، وقد كتبه الشيخ تاج
الدين الفزارى بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة ما استحسنه الحاضرون . وقد أظن الحاضرون في
شكره على حداثة سنه وصغره ، فانه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين ، ثم جلس الشيخ
تقي الدين المذكور أيضا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموى بعد صلاة الجمعة على منبر قد هئى له
لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله في تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير
من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة سارت بذكره الركبان
في سائر الأقاليم والبلدان ، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة

وفيها قدم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت ثمانى عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب
حماة الملك المنصور إلى خدمته فتلقاء السلطان في موكب وأكرمه ، فلما كان ليلة الأربعاء الرابع
والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق ، ورعد وبرق ، وجاء سيل عظيم جدا حتى كسر
أقفال باب الفرديس ، وارتفع الماء ارتفاعا كثيرا ، بحيث أغرق خلقا كثيرا ، وأخذ جمال الجيش
المصرى وأتقاهم ، فخرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام ، وتولى مشد الدواوين الأمير
شمس الدين سنقر حوصا عن الدويدراى علم الدين سنجر . وفيها اختلف التتار فيما بينهم على ملكهم

السلطان أحمد فعزلوه عنهم وقتلوه ، وملكوا عليهم السلطان أرغون بن أبغا ، ونادوا بذلك في جيشهم ، وتأطلت أحوالهم ، ومشت أمورهم على ذلك ، وبادت دولة السلطان أحمد . وقامت دولة أرغون بن أبغا .

ومن توفي فيها من الاعيان الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج
وله زوايا مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فأت . وفيها مات
القاضي الامام عز الدين أبو المفاخر

محمد بن شرف الدين عبد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الانصاري . الدمشقي
ولى القضاء بدمشق مرتين ، عزل بابن خلكان ، ثم عزل ابن خلكان به ثانية ، ثم عزل وسجن وولى
بعده بهاء الدين ابن الزكي ، وبقى معزولا إلى أن توفي ببستانه في تاسع ربيع الأول ، وصلى عليه
بسوق الخليل ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكان مشكور السيرة ،
له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين ، وقد سمع الحديث له ابن بلبان مشيخة قرأها ابن جفوان
عليه ، ودرس بعده بالزروية الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن المرحل ، وكيل بيت المال ،
ودرس ابنه محيي الدين أحمد بالمادية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق ، ثم توفي ابنه أحمد هذا
بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب ، فدرس بالمادية والدماغية الشيخ زين الدين بن الفارقي شيخ
دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصائغ بدر الدين وعلاء الدين . وفيها توفي

الملك السعيد فتح الدين

عبد الملك بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل
ناصر الدين محمد ، في ليلة الاثنين ثالث رمضان ، ودفن من القند بقرية أم الصالح ، وكان من خيار
الأمراء محترما كبيرا رئيسا ، روى الموطأ عن يحيى بن بكير عن مكرم بن أبي الصقر ، وسمع
ابن الليثي وغيره .

القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن منصور

البياني الشافعي ، توفي في شوال منها ، وكان فاضلا ، ولى قضاء زرع ثم قضاء حلب ، ثم
ناب في دمشق ودرس بالرواحية وبارشها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي ، يوم عاشر
شوال . وفي هذا اليوم توفي بحماة ملكها :

الملك المنصور ناصر الدين

محمد بن محمود بن عمر بن ملكشاه ، بن أيوب ، ولد سنة ثلاثين وستمائة ، وتملك حماة سنة ثنتين
وأربعين ، وله عشر سنين ، فسكت في الملك أزيد من أربعين سنة ، وكان له بر وصدقات ، وقد

أعنتق في بعض موته خلقاً من الأرقاء ، وقام في الملك بعده ولده الملك المظفر بتقليد الملك المنصور له بذلك .
القاضي جمال الدين أبو يعقوب

يوسف بن عبدالله بن عمر الرازي ، قاضي قضاة المالكية ، ومدرسه بعد القاضي زين الزواوي الذي عزل نفسه ، وقد كان ينوب عنه فاستقل بعده بالحكم ، توفي في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحجاز ، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكاف ، وقد شغل المنصب بعده ثلاث سنين ودرس بعده للمالكية الشيخ جمال الدين الشريشي ، وبعده أبو إسحاق اللوري ، وبعده بدر الدين أبو بكر البريسي ، ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان حاكماً درس بالمدارس والله سبحانه أعلم ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة

في أواخر المحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور فتلقا بمجميع الجيوش ، وخام عليه خلع الملوك ، ثم سافر السلطان بالعساكر المصرية والشامية فنزل المرقب ففتح الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق فدخلت البشارة وزينت البلد وفرح المسلمون بذلك ، لأن هذا الحصن كان مضرة على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، وفتح حوله بلبنياس ومرقب وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر منجنيق ، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه تقريباً إلى السلطان الملك المنصور ، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين ، الذين كانوا عند الفرنج ، والله الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافر بالعساكر المصرية إلى القاهرة .

وفي أواخر جمادى الآخرة ولد للمنصور ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفيها عزل محيي الدين ابن النحاس عن نظر الجامع ووليه عز الدين بن محيي الدين بن الزكي ، وباشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن النقي توبة التكريتي ، وطلب النقي توبة إلى الديار المصرية وأحبط على أمراله وأملاكه ، وعزل سيف الدين طوغان عن ولاية المدينة ، وباشرها عز الدين بن أبي الهيجاء .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عز الدين محمد بن علي

ابن إبراهيم بن شداد ، توفي في صفر ، وكان فاضلاً مشهوراً ، له كتاب سيرة الملك الظاهر ، وكان معنياً بالتاريخ .
البندقداري

أستاذ الملك الظاهر بيبرس ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح ، كان من خيار الأمراء سأل الله . توفي في ربيع الآخر منها ، وقد كان الصالح نجم الدين صادر البندقداري هذا ،

وأخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه إليه لشهامته ونهضته ، فتقدم عنده على أستاذه وغيره .

الشيخ الصالح العابد الزاهد

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل الأحمسي ، كانت له جنازة هائلة ، ودفن بقاصيون رحمه الله .
ابن عامر المقرئ

الذي ينسب إليه الميعاد الكبير ، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر النسولي الحنبلي ، سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان يعمل الميعاد ليلة الأحد ، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم . توفي يوم الأربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمي .

القاضي عماد الدين

داود بن يحيى بن كامل القرشي النصروي الحنفي ، مدرس الغزيرة بالكشك ، وناب في الحكم عن مجد الدين بن العديم ، وسمع الحديث وتوفي ليلة النصف من شعبان ، وهو والد الشيخ نجم الدين العجقازي ، شيخ الحنفية ، وخطيب جامع تنكر .

الشيخ حسن الرومي

شيخ سعيد السعداء بالقاهرة . وقد ولها بعده شمس الدين الاتابكي . الرشيد سعيد بن علي بن سعيد . الشيخ رشيد الدين الحنفي مدرس الشبلية ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ، ونظم حسن . فمن ذلك

قوله :
قل لمن يحذر أن تدركه * نكبات الدهر لا يغني الحذر
أذهب الحزن اعتقادي * أن كل شيء بقضاء وقدر
ومن شعره قوله : الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم منها الهداية للحمد
صحيحاً خلقت الجسم منى مسلماً * ولطفك بى مازال مذ كنت فى المهد
وكنيت نبياً قد أحاط بى الردى * فأويت واستنقذت من كل ما يردى
وهبت لى العقل الذى بضائه * إلى كل خير يهتدى طالب الرشيد
ووقت للاسلام قلبى ومنطقى * فيا نعمة قد حل موقعها عندى
ولو رمت جهدى أن أجازى فضيلة * فضلت بها لم يجز أطرافها جهدى
أست الذى أرجو حنانك عندما * يخلفنى الاهلون وحدى فى الحدى
فجدلى بلطف منك يهدى سريرى * وقلبي ويدنينى إليك بلا بعد
توفي يوم السبت ثالث رمضان ، وصلى عليه المصر بالجامع المظفرى ، ودفن بالسفح .

أبو القاسم علي بن بلبان بن عبد الله
الناصرى المحدث المفيد الماهر ، توفي يوم الخميس مستهل رمضان .
الأمير مجير الدين

محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الحموي الشاعر ، صاحب الديوان في الشعر ، فن
شعره قوله : عاينت وردَ الروض يلعلمُ خدَهُ * ويقولُ قولاً في البنفسج يحقُّ (١)
لا تقربوه وإنْ تضوَعْ نشره * ما بينكم فهو العدو الأزرقُ
الشيخ العارف شرف الدين

أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومي ، ودفن بترابهم بسفح قاسيون ، ومن عندهم
خرج الشيخ جمال الدين محمد السواحى وحلق ودخل في ذى الجوة القية وصار شيخهم ومقدمهم .
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة

استقامت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد ، والسلطان الملك المنصور قلاوون ، وندب به بالشام
الأمير حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، والأمير بدر الدين الصوابى محاصر مابينة الكرك
في أواخر السنة الماضية ، وقدم عليه من مصر عسكر محبة الأمير حسام الدين طرقاتى ، فاجتمعوا
على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر ، في مستهل
صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق ، فدقت البشائر ثلاثة أيام ، وعاد طرقاتى بالملك خضر
وأهل بيته إلى الديار المصرية ، كما فعل الملك الظاهر أبوه بالملك المغيث عمر بن العادل ، كما تقدم
ذلك . واستتاب في الكرك فائبا عن أمر المنصور ، ورتب أمورها وأجلوا منها خلقا من الكركيين ،
واستخدموا بقلعة دمشق . ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاهم المنصور فأكرم لقيامهم وأحسن
إلى الأخوين نجم الدين خضر ، وبدر الدين سلاش ، وجعلهما بركبان مع ابنه على والأشرف
خايل ، وجعل عليهما عيوناً يرصدون ما يفعلان ، وأنزلا الدور بالقلعة وأجرى عليهم من الرواتب
والنفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة ، وكتب الأمير بدر الدين بكتوت السلافى وهو مجرد بمحصر
إلى نائب دمشق لاجين ، أنه قد انقضت زوبعة في يوم الخميس سابع صفر بأرض حصص ثم ارتفعت
في السماء كهيئة العمود والحية العظيمة ، وجعلت تخطف الحجارة الكبار ، ثم تصد بها في الجو كأنها
سهام النشاب وحملت شيئا كثيرا من الجمال بأحمالها ، والآثاث والخيام والدواب ، فتقد الناس من
ذلك شيئا كثيرا ، فأناله وإنا إليه راجعون . وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في دمشق وجاء سيل كثير
ولا سبأ في الصالحية .

وفىها أعيد علم الدين الدويدارى إلى مشد الدواوين بدمشق ، والصاحب تقي الدين بن توبة

(١) في النجوم الزاهرة والشذرات : ويقول وهو على البنفسج يحق .

إلى الوزارة بدمشق . وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف البريدي عوضاً عن القاضي آق الدين برساس الذي توفي بها . وفيها درس بالفزالية بدر الدين بن جماعة انتزعها من يد شمس الدين إمام الكلاسة ، الذي كان ينوب عن شمس الدين الأيكي ، والأيكي شيخ سعيد السعدا ، باشرها شهراً ثم جاء مرسوم بإعادتها إلى الأيكي ، وأنه قد استناب عنه جمال الدين الباجر يقي ، فباشرها الباجر يقي في ثالث رجب .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن شيبان

ابن تغلب الشيباني أحد مشايخ الحديث المسنين المعمرين بدمشق ، توفي بصفر عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بقاسيون .

الشيخ الامام العالم البار

الشيخ جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بجمان البكري الشريشي المالكي ، ولد بشرش سنة إحدى وستمائة ، ورحل إلى العراق فسمع بها الحديث من المشايخ والتطبعي وابن زويرة وابن الأثير وغيرهم ، واشتغل وحصل وساد أهل زمانه ، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق فولى مشيخة الحديث بترية أم الصالح ، ومشيخة الرباط الناصري بالسفح ، ومشيخة المالكية ، وعرض عليه القضاء فلم يقبل . توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون ، ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية وكانت جنازته حافلة جداً .

قاضي القضاة

يوسف ابن قاضي القضاة محي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي ابن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، القرشي الدمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي ، كان فاضلاً مبرزاً ، وهو آخر من ولي القضاء من بني الزكي إلى يومنا هذا ، ولد في سنة أربعين وستمائة ، توفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة ، ودفن بقاسيون ، وتولى بعده ابن الخوي شهاب الدين .

الشيخ محمد الدين

يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المنار ، كان فاضلاً في الحديث والأدب ، يكتب كتاباً حسنة جداً ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ، وقد جمع الكثير واتفّع الناس به وبكتابته ، توفي عاشر ذي الحجة ودفن بباب الفراديس .

الشاعر الأديب

شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمي ، كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، ويد طولى في النظم الرائق ، الفائق جاوز الثمانين وقد تنازع هو ونجم الدين بن

إسرائيل في قصيدة بأية^(١) فتحاكما إلى ابن الفارض فأمرهما بنظم أبيات على وزنها فنظم كل منهما فأحسن ، ولكن لابن الخيمي يد طولى عليه ، وكذلك فعل ابن خلكان ، وامتدحه على وزنها بأبيات حسان ، وقد أطلال ترجمته الجزرى فى كتابه ، وفيها كانت وفاة .

الحاج شرف الدين^(٢)

ابن مري ، والد الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله .

يعقوب بن عبد الحق

أبو يوسف المدينى سلطان بلاد المغرب ، خرج على الواثق بالله أبى دبوس فسلبه الملك بظاهر مراکش ، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء ، فى سنة ثمان وستين وستمائة ، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة ، وزالت على يديه دولة الموحدين بها .

البيضاوى صاحب التصانيف

هو القاضى الامام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازى ، قاضيا وعالما وعالم أذربيجان وتلك النواحي ، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة . ومن مصنفاته المنهاج فى أصول الفقه ، وهو مشهور ، وقد شرحه غير واحد ، وله شرح التنبيه فى أربع مجلدات ، وله الغاية القصوى فى دراية الفتوى ، وشرح المنتخب والكافية فى المنطق ، وله الطوالع وشرح المحصول أيضا ، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة ، وقد أوصى إلى القطب الشيرازى أن يدفن بجانبه بتبريز والله سبحانه أعلم ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة

فى أول المحرم ركبت العساكر محبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة صهيون وحصن برزية ، فما نعمهم الأمير سيف الدين سنقر الأشقر ، فلم يزالوا به حتى استنزروه وسلمهم البلاد ، وسار إلى خدمة الساطان الملك المنصور ، فتلقاء بالأكرام والاحترام ، وأعطاه مقدمة ألف فارس ، ولم يزل معظما فى الدولة المنصورية إلى آخرها ، وانقضت تلك الأحوال . وفى النصف من المحرم حكم القاضى جلال الدين الحنفى نيابة عن أبيه حسام الدين الرازى ، وفى الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضى شهاب الدين محمد بن القاضى قسّمس الدين بن الخليل الخوى من القاهرة على قضاء قضاء دمشق ، وقرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر ، واستمر بنبابة شرف الدين المقسى وفى يوم الاحد ثلث شوال درس بالرواحية الشيخ صفى الدين الهندى ، وحضر عنده القضاء والشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلم الدين الدويدارى ، وتولى قضاء قضاء القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الاعز ، عوضا عن برهان الدين الخضر السنجارى ، وقد كان وليها شهراً بعد ابن الخوى

(١) مطلما : يا مطلبيا ليس لى فى غيره أرب * إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(٢) كانت وفاته فى سنة ٦٨٢ .

فاجتمع حينئذ إلى ابن بنت الأعز بين القضاء كله بالديار المصرية ، وذلك في أوائل صفر منها .
 وفيها استدعى سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربع جزر
 ماء الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى ، فذكر لهم أنه وقفه ، وكان التكلم في ذلك علم
 الدين الشجاعى ، وكان ظالماً ، وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر ، وجعل يتقرب إليه بتحصيل
 الأموال ، ففلق لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسى أن السامري اشترى هذا من بنت
 الأشرف ، وهى غير رشيدة ، وأثبت سفنها على زين الدين بن مخلوف الجائر الجاهل ، وأبطل البيع
 من أصله ، واسترجع على السامري بمغل مدة عشرين سنة مائتى ألف درهم ، وأخذوا منه حصص من
 الزبقية قيمتها سبعين ألفاً وعشرة آلاف مكلة ، وتركوه فقيراً على برد الديار ، ثم أثبتوا رشدها
 واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشقة واحداً بعد واحد ،
 ويصادر ونهم ، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح وأن من ظلم بمصر أفلح وطالت مدته ،
 وكانوا يطالبونهم إلى مصر أرض الفراغة والظلم ، فيفعلون معهم ما أرادوا .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الامام العلامة

قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الامام أبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن
 عبد الله بن أحمد الميمونى القيسى النورى المصرى ، ثم السالكى الشافعى المعروف بالقسطلانى ،
 شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير
 وحصل دلوماً ، وكان يفتى على مذهب الشافعى ، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولى مشيخة
 دار الحديث ، وكان حسن الأخلاق محبباً إلى الناس ، توفى فى آخر المحرم ودفن بالقرافة الكبرى ،
 وله شعر حسن أورد منه ابن الجزرى قطعة صالحة .

عماد الدين

محمد بن العباس الدينيسى الطيب الماهر ، والحاظق الشاعر ، خدم الاكابر والوزراء وعمر ثمانين
 سنة وتوفى فى صفر من هذه السنة بدمشق .

قاضي القضاء

برهان الدين الخضر بن الحسين بن على السنجارى ، تولى الحكم بديار مصر غير مرة ، وولى
 الوزارة أيضاً ، وكان رئيساً وقوراً مهيباً ، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين بن بنت الأعز .

شرف الدين سليمان بن عثمان

الشاعر المشهور ، له ديوان . مات فى صفر منها .

الشيخ الصالح عز الدين

عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحراى ، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع

الكثير ، ثم استوطن مصر حتى توفي بها في رابع عشر رجب ، وقد جاوز التسعين ، وقد سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين ، وحكى عنه أنه شهد جنازة في بغداد فتبعهم نباش ، فلما كان الليل جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت ، وكان الميت شاباً قد أصابته سكتة ، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً فسقط النباش ميتاً في القبر ، وخرج الشاب من قبره ، ودفن فيه النباش . وحكى له قال : كنت مرة بقلوبوب وبين يدي صبرة قح ، فجاء زنبور فأخذوا حدة ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مرات ، قال فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك . قال : وحكى لي الشيخ عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد أسود معنا ، فلما صلى الناس عليها لم يصل ، فلما حضرنا الدفن نظر إلى وقال : أنا عمله ، ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت ، قال فنظرت فلم أر شيئاً .

الحافظ أبو اليمن

أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي ترك الرياسة والأملأ ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مقبلاً على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبول من الناس شامبهم ومصر بهم وغيرهم ، توفي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها قدم الشجاعى من مصر إلى الشام بنية المصادرة لأرباب الأموال من أهل الشام وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة ، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ، ونظر الخصاص ، ومعه تقاليد وخلع فتردد الناس إلى بابه وتكلم في الأمور وأذى الناس ، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشجاعى المتكلم في الديار المصرية ، توصل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكي وبابن الوحيد الكاتب ، وكانا عنده لهما صورة ، وقد طلب جماعة من أعيان الدماشقة في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطولبوا بأموال كثيرة ، فدافع بعضهم بمضا ، وهذا مما يخفف عقوبته من ظلمهم ، وإلا فلوصبروا لوجل الظالم بالعقوبة ، ولزال عنهم ما يكرهون سريراً . ولما قدم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بترية أم الصالح ، والناس يترددون إليه ويخافون شره ، وقد استجد باشورة بباب الفراديس ومساطب باب الساعات للشهود ، وجدد باب الجباية الشمالى ورفعها ، وكان متواطئاً ، وأصلح الجسر الذى تحته ، وكذلك أصلح جسر باب الفراديس تحت السويقة التى جدها عليه من الجانبين . وهذا من أحسن ما عمله ابن المقدسى ، وقد كان مع ذلك كثير الأذية للناس ظلوماً غشوماً ، ويفتح على الناس أبواباً من الظلم لا حاجة إليها .

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضاً قاضى القضاة حسام الدين الحنفى ،

والصاحب تقي الدين توبة التكريتي ، وقاضى القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوى المالكي على قضاء المالكية بعد شغوره عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شعار المنصب ودرس ونشر المذهب وكان له مؤدود ورياسة .

وفى ليلة الجمعة رابع شعبان توفى الملك الصالح علاء الدين بن الملك المنصور قلاوون بالسنتارية فوجد عليه أبوه وجداً شديداً ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له على المنابر من مدة سنين ، فدفنه فى تربته وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل ، من بعد أبيه ، وخطب له على المنابر من بعد ذكر أبيه يوم الجمعة ، ودقت البشائر وزين البلد سبعة أيام ، ولبس الجيش الخلع وركبوا ، وأظهر الناس سروراً لشهائته ، مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى . وفى رمضان بأشر حسبة دمشق فمضى الدين بن السلومى عوضاً عن شرف الدين ابن الشيزرى وفيه توجه الشيخ بدر الدين بن جماعة إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين ، فبأشر بعده تدريس القيمرية علاء الدين أحمد بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعرز . وفى شهر رمضان كبس نصراني وعنده مسلمة وهما يشربان الخمر فى نهار رمضان ، فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجين بتعريق النصراني فبذل فى نفسه أموالاً جزيلاً فلم يقبل منه ، وأحرق بسوق الخليل ، وعمل الشهاب محمود فى ذلك أبياتاً فى قصيدة مليحة ، وأما المرأة فجلدت الحد .

ومن توفى فيها من الأعيان الخطيب الامام قطب الدين

أبو الزكا عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، القرشى ، الزهرى ، خطيب بيت المقدس أربعين سنة ، وكان من الصالحاء الكبار محبوباً عند الناس ، حسن الهيئة مهيباً عزيز النفس ، يفتى الناس ويذكر التفسير من حفظه فى المحراب بعد صلاة الصبح ، وقد سمع الكثير وكان من الاخيار ، ولد سنة ثلاث وستائة ، وتوفى ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة .

الشيخ الصالح العابد

إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجمبرى ، تقي الدين أبو إسحاق ، أصله من قلعة جمبر ، ثم أقام بالقاهرة ، وكان يهذب الناس وكان الناس ينتفعون بكلامه كثيراً . توفى بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم ، ودفن فى تربته بالحسينية ، وله نظم حسن ، وكان من الصالحاء المشهورين رحمه الله .

الشيخ الصالح

يس بن عبد الله المقرئ الحجام ، شيخ الشيوخ محيى الدين النواوى ، وقد حج عشرين حجة ، وكانت له أحوال وكرامات .

الخوندة غازية خاتون

بنت الملك المنصور قلاوون ، زوجة الملك السعيد .

الحكيم الرئيس

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس ، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه ، وكان اشتغاله على ابن الدخوارى ، وتوفى بمصر في ذى القعدة .

الشيخ بدر الدين

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوى ، شارح الألفية التى عملها أبوه ، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً ، توفى في يوم الأحد الثامن من المحرم ، ودفن من القديس باب الصغير . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستائة

فيها كان فتح مدينة طرابلس : وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيش المنصور المصرية محبته إلى دمشق ، فدخلها في الثالث عشر من صفر ، ثم سار بهم وبجيش دمشق ومحبته خلق كثير من المتطوعة ، منهم القاضي نجم الدين الحنبلى ، قاضى الحنابلة ، وخلق من المقادسة وغيرهم ، فنازل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالجنايق حصاراً شديداً ، وضيقوا على أهلها تضيقاً عظيماً ، وانصب عليها تسعة عشر من جنينا ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة ، وشمل القتل والأسر جميع من فيها ، وغرق كثير من أهل الميناء وسبيت النساء والأطفال ، وأخذت الدخائر والحواصل ، وقد كان لها في أيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ ، وقد كانت قبل ذلك في أيدى المسلمين من زمان معاوية ، فقد فتحها سفيان بن نجيب لمعاوية ، فأسكنها معاوية اليهود ، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وأسكنها المسلمين ، وصارت آمنة عامرة معاشنة ، وبها ثمار الشام ومصر ، فان بها الجوز والموز والتلج والقصب ، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية ، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة ، ثم صارت بلداً واحداً ، ثم حوت من موضعها كاسأنى الآن . ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشار وزيئت البلاد وفرح الناس فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلاد بما فيها من العمار والهدور والأسوار الحصينة التى كانت عليها ، وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ، ففعل ذلك ، فبنى هذه البلدة التى يقال لها طرابلس ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً محبوباً ، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة ، ولكنه فوض الأمور والكلام فى الأموال فيها إلى علم الدين

الشجاعى ، فصادر جماعة وجمع أموالا كثيرة ، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق ، وبئس هذا الصنيع فان ذلك تعجيل لعمار الظالم وهلاكه ، فلم ينف عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئا ، فانه لم يمش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله أخذ القرى وهى ظالمة ، كما سيأتى . ثم سافر السلطان فى ثنائى شعبان بمجيئه إلى الديار المصرية ، فدخلها فى أواخر شعبان . وفيها فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب : كركر ، وتلك النواحي ، وكسرت طائفة من التتر هناك ، وقتل ملكهم خربندا نائب التتر على ملطية .

وفىها تولى الحسبة بدمشق جمال الدين يوسف بن التقي توبة التكريفى ثم أخذها بعد شهر تاج الدين الشيرازى . وفيها وضع منبر عند محراب الصحابة بسبب عمارة كانت فى المقصورة ، فصلى برهان الدين الاسكندرى نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر ، الجماعات والجمعات ، ابتداء ذلك من يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى الحجة .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم زوجة النجم بن إسرائيل ، كانت من بيت الفقراء لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام فى طريقة الحربية وغيرهم ، وحضر جنازتها خلق كثير ، ودفنت عند الشيخ رسلان .

العالم ابن الصاحب

الشيخ الملقب ، هو الشيخ الفاضل علم الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر ، كان من بيت علم ورياسة ، وقد درس فى بعض المدارس ، وكانت له وجهة ورياسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على الحرفشة ومحبة الحرافيش والتشبه بهم فى اللباس والطريقة ، وأكل الحشيش واستعمله ، كان من الفهم فى الخلاعة والمجون والزوائد الرائقة الفائقة التى لا يلحق فى كثير منها ، وقد كان له أولاد فضلاء يهونون عن ذلك فلم يلفت إليهم ، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الأول . ولما ولى القضاة الأربعة كان ابن خالته تاج الدين بن بنت الأعز مستغفلا فى القضاء قبل ذلك ، فقال له ابن الصاحب المذكور : ما مت حتى رأيتك صاحب ربيع ، فقال له : نسكت وإلا حلتهم يسقونك السم ، فقال له : فى قلة دينك تفعل ، وفى قلة عقولهم يسمعون منك ، وقال بمدح الحشيشة الخسيسة :

فى خمار الحشيش معنى مراى • يا أهيلُ القول والافهام
حرموها عن غير عقل وقول • وحرامٌ نحرِمُ غير الحرام
وله أيضاً : يأنسُ مبلى إلى النصائب • فالله منه الفنى يعيش
ولا تمل من سكر يوم • إن أهوزَ الخمرُ فالحشيشُ

وله أيضاً: جمعت بين الحشيش والخمر • فرحت لا أهنى من السكر

يا من يرينى لباب مدرسى • يرمج والله غاية الأجر

وقال بهجو صاحب بهاء الدين بن الحنا .

اقعد بها وتنها • لا بد أن تتفى • تكتب على بن محمد • من أين لك يا ابن حنا

فاسدعاه فضر به ثم أمر به إلى المارستان فكث فيه سنة ثم أطلق .

شمس الدين الأصهباني

شارح المحصول : محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني العلامة ، قدم دمشق بعد الحسين
وسمائه ، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث وشرح المحصول للرازي ، وصنف القواعد في
أربعة فون ، أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والخلاف . وله معرفة جيدة في المنطق والنحو
والأدب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، توفي في
العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

الشمس محمد بن العفيف

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني ، الشاعر المطبق ، كانت وفاته في حياة أبيه فنام
له ووجد عليه وجدا شديدا ، وراثه بأشعار كثيرة ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ،
وصلى عليه بالجامع ، ودفن بالصوفية . فن رائع شعره قوله :

وإن ثنائه نجموم ~ لبدرد • وهن لعقد الحسن فيه فرائد

وكم يتجافى خصره وهو فاحل • وكم يتحلى ثغره وهو بارد

وله يندم الحشيشة :

ما للحشيشة فضل عند آكلها • لكن غيرة مصروف إلى رشده

صفراء في وجهه خضراء في فمه • حمراء في عينه سوداء في كبده

ومن شعره أيضاً : بدا وجهه من فوق ذابل خدمه • وقد لاح من سود الذوائب في جنح

قلبت حبيب كيف لم يذهب الدجا • وقد طلعت فحس النهار على رمح

وله من جملة أبيات .

ما أنت عندى والقضية • ما أنت في حديسوى • هذاك حركة المواء • وانت حركت الموى

الملك المنصور شهاب الدين

محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان ، وصلى عليه
بالجامع ، ودفن من يومه بتربة جده ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهله ،

وكان فيه لطف وتواضع . الشيخ فخر الدين أبو محمد

عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي ، شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وشيخ
الصدرية ، كان يفتي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة ، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ،
وتوفي في رجب منها . ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك المنصور قلاوون ، وكان الخليفة الحاكم العباسي ، ونائب مصر حسام الدين
طرطاي ، ونائب الشام حسام الدين لاجين ، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخوي الشافعي ،
وحسام الدين الحنفي ، ونجم الدين بن شيخ الجبل ، وجمال الدين الزواوي المالكي ، وجاء البريد
يطالب فمس الدين سنة الأشتر إلى الديار المصرية ، فأكرمه السلطان وقواه وشديده وأمره باستخلاص
الأموال ، وزلذه مشد الجيوش ، والكلام على الحصون إلى البيرة وكنتا وغير ذلك ، فقويت نفسه
وزاد تبحره . ولكن كان يرجع إلى صرودة وستر وينفع من ينتمى إليه ، وذلك مودة في الدنيا في أيام
قلائل بموافي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي وكيل بيت المال ،
وناصر الناصر ، فظهرت عليه مخازي من أكل الأوقاف وغيرها ، فرسم عليه بالمندراوية وطواب بتاك
الأموال وضيق عليه ، وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامري قصيدة يتشفي فيها لما كان أسدى
إليه من الظلم والابتداء مع أنه راح إليه وتغنم له وتمارحاً هنالك ، ثم جاء البريد بطلبه إلى الديار المصرية
نخاف التولب من ذهابه ، فأصبح يوم الجمعة وهو مشنوق بالمدرسة المنراوية ، فطلبت القضاة
والشهود فشاهدوه كذلك ، ثم جهز وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر الصوفية عند أبيه ، وكان مدرساً
بالرواحية وتربة أم الصالح ، مع الوكالتين والنظر .

وجاء البريد بعمل مجانيق لحصار عكا فركب الأعرس إلى أراضى بعلبك لما هنالك من
الأخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلها بدمشق ، وهي تصلح لذلك ، فكثر الجنايات والجبايات
والسخر ، وكلفوا الناس تكاليفاً كثيراً ، وأخذوا أخشاب الناس ، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة
وشدة كثيرة ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

وفاة الملك المنصور قلاوون

بينما الناس في هذا الهم والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بريدية فأخبروا بوفاة الملك المنصور
يوم السبت سادس ذي القعدة من هذه السنة ، بالنجيم ظاهر القاهرة ، ثم حمل إلى قلعة الجبل ليلاً
وجاس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له ، وحلف له جميع الأمراء ، وخطب له على
المنابر ، وركب في أبهة الملك ، والعساكر كلهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود
الذي هو سوق الخليل ، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع ، وعلى القضاة والأعيان ، ولما جاءت الأخبار

بذلك حاف له الامراء بالشام ، وقبض على حسام الدين طرقاتى نائب آبيه وأخذ منه أموالاً جزيلة أنفق منها على المساكر .

وفيهما ولي خطابة دمشق زين الدين مهر بن مكى بن المرحل عوضاً عن جمال الدين بن عبد الكافي وكان ذلك بمساعدة الأعسر ، وتولى نظار الجامع الرئيس وجيه الدين بن المنجى الخنبلى ، عوضاً عن ناصر الدين بن المقدسى ، ومهر وقفه وعمره وزاد مائة وخمسين ألفاً . وفيها احترقت دار صاحب حماة ، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد يدخلها ، فعملت النار فيها يومين فاحترقت واحترق كل ما فيها .

وفي شوال درس بترية أم الصالح بسمد ابن المقدسى القاضى إمام الدين القونوى ، وفيها باشر الشرف حميد بن أحمد بن الشيخ أبى عمر قضاء الخطابة عوضاً عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل ، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته . وحج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الدوباسى ، وحج قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوى ، وقمى الدين بن السلعوس ومقدم الركب الأمير عتبة ، فنوم منه أبو نعى ، وكان بينهما عداوة ، فأغلق أبواب مكة ومنع الناس من دخولها فاحرق الباب وقتل جماعة ونهب بعض الاماكن ، وجرت خطوب فظيعة ، ثم أرسلوا القاضى ابن الخوى ليصالح بين الفريقين ، ولما استقر عند أبى نعى رحل الركوب وبقي هو فى الحرم وحده وأرسل معه أبو نعى من ألحقه بهم سالماً معظماً . وجاء الخبر بموت المنصور إلى الناس وهم يعرفات وهذا شئ عجيب . وجاء كتاب يستحث الوزير ابن السلعوس فى المسير إلى الديار المصرية ، وبين الأسطر بخط الملك الأشرف بإشاعة يوجه الخبير احضر لتسلم الوزارة . فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر الحرم ، فسلم الوزارة كما قال السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان . السلطان الملك المنصور قلاوون

ابن عبد الله التركى الصالحى الأتلى ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، بألفى دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده وبعده ، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بابنته غازية خاتون ، عظم شأنه جداً عند الظاهر ، وما زال يترفع فى الدولة حتى صار أتابك سلاش بن الظاهر ، ثم رفعه من البين واستقل بالملك فى سنة أربع وثمانين ، وفتح طرابلس سنة ثمان وثمانين ، وعزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية فى السادس والعشرين من ذى القعدة ، ودفن بترتبه بمدرسته الهائلة التى أنشأها بين القصرين ، التى ليس بديار مصر ولا بالشام مثلاً . وفيها دار حديث ومارستان . وعليها أوقاف دارة كثيرة عظيمة ، مات عن قريب من ستين سنة ، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة ، وكان حسن الصورة مهيباً ، عليه أبهة السلطنة

ومهاة الملك ، قام القامة حسن الاحية على الممة شجاعا وقورا ساعه الله .

الأمير حسام الدين طرقتاي

نائب السلطنة المنصورية بمصر ، أخذه الأشرف فسجنه في قلعة الجبل ، ثم قتله وبقي ثمانية أيام لا يدرى به ، ثم لف في حصير وأتى على مزبلة ، وحزن عليه بعض الناس ، فكفن كآحاد الفقراء بعد النعيم الكثير ، والدنيا المتسمة ، والكامة النافذة ، وقد أخذ السلطان من حواصله ستائة ألف دينار وسبعين قنطاراً بالمصرى فضة ، ومن الجواهر شيئا كثيرا ، سوى الخيل والبغال والجمال والأمتعة والبسط الجياد ، والأسلحة الثمينة ، وغير ذلك من الحواصل والأملاك بمصر والشام ، وترك ولدين أحدهما أعمى ، وقد دخل هذا الاعمى على الأشرف فوضع المنديل على وجهه وقال شئ لله وذكر له أن لهم أياما لا يجيدون شيئا يأكلونه ، فرق له وأطلق لهم الاملاك يأكلون من ريعها ، فسبحان الله المتصرف في خلقه بما يشاء ، يميز من يشاء وينزل من يشاء .

الشيخ الإمام العلامة

رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعى ، مدرس الظاهرية ، توفى بها وقد جاوز التسعين ، وجد مخنوقا في المحرم ، ودفن بالصوفية ، وقد جمع الحديث وكان منفردا في فنون من العلوم كثيرة ، منها علم النحو والأدب وحل المترجم والكتابة والانشاء وعلم الفلك والنجوم وضرب الرمل والحساب وغير ذلك ، وله نظم حسن .

الخطيب جمال الدين أبو محمد

عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربيعى ، توفى بدار الخطابة وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سلخ جمادى الأولى ، وحمل إلى السفح ودفن إلى جانب الشيخ يوسف الفقاعى .

فخر الدين أبو الظاهر إسماعيل

ابن عز القضاة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى اليمن ، الشيخ الزاهد المنقلب من متاع الدنيا ، توفى في العشرين من رمضان ، وصلى عليه في الجامع ، ودفن بتربة بنى الزكى بقاسيون محبة في محبى الدين بن عربى ، فانه كان يكتب من كلامه كل يوم ورقتين ، ومن الحديث ورقتين وكان مع هذا يحسن الظن به ، وكان يصلى مع الأئمة كلهم بالجامع ، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه . وفى كل شئ له آية * تدل على أنه عينه

وقد صحح على « عينه » وإنما الصحيح المروى عن أنشد هذا الشعر

* تدل على أنه واحد *

وله شعر فنه : والتهر منجن فى النصوص هوى * فراح فى قلبه بمنه

فغار منه النسيم عاشقها * فجاء عن وصله بملها
 لما تحقق بالامكان فوقكم * وقد بدا حكمه في عالم الصور
 فيز الجع عنه وهو متخذ * فلاح فرقكم في عالم الصور
 لي سادة لا أرى سوام * هم عين معنى وعين جوف
 لقدأ حاطوا بكل جزء * منى وعزوا عن درك طرفي
 هم نظروا في عموم قري * وطول ذلي وفرط ضعفي
 فناملوني بيعت جود * وصرف بروعض لطف
 فلا تلم إن جررت ذيلي * نغرا بهم أو نذيت عطفي
 مواهب ذي الجلال لدى تری * قدأ أخرستني ونطقن شكرا
 فنعني إثر نعني إثر نعني * وبشري بعد بشري بعد بشري
 لما بدت وليس لها انتهاء * يعم مزيدها دنيا وأخرى

الحاج طيبرس بن عبد الله

علاء الدين الوزير، صهر الملك الظاهر، كان من أكابر الأمراء ذوى الحل والعقد، وكان ديناً
 كثير الصدقات، له خان بدمشق أوقفه، وله في فكك الاسرى وغير ذلك، وأوصى عند موته
 بثلاثمائة ألف تصرف على الجند بالشام ومصر، فحصل لكل جندي خمسون درهماً، وكانت وفاته
 في ذى الحجة، ودفن بترتبه بسفح المقطم.

قاضي القضاة

نجم الدين أبو العباس بن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر المقدسي، توفي ثاني عشر رجب
 بسوا، وكان فاضلاً بارعاً خطيباً مدرساً بأكثر المدارس، وهو شيخ الحنابلة وابن شيخهم، وتولى
 بعده القضاء الشيخ شرف الدين حسين بن عبد الله بن أبي عمر، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة

فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطاولة، ولم يبق لهم فيها
 حجر واحد لله الحمد والمنة

استهات هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسي، وسلطان البلاد الملك الأشرف
 خليل بن المنصور قلاوون، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيسرا، ووزيره ابن السلموس
 صاحب شمس الدين، ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري، وقضاة الشام

هم المذكورون في التي قبلها، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وصاحب مكة نجم الدين أبو نجي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني، وصاحب المدينة عز الدين جاز بن شيعة الحسيني، وصاحب الروم غياث الدين كنجسمر، وهو ابن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكيزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جداً من الذهب والفضة، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا، وعلم الدين الشجاعى، وفرت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم صاحب شمس الدين بن السلموس من الحجاز خلع عليه للوزارة، وكتب تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب الانشا بيده، وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره، وحكم. ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن جرمك الناصرى، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا وكان قد قبض عليه مع طرقاتى، ورد عليه أقطاعه، وأعيد النقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى. وفيها أثبت ابن الخوى محضراً يتضمن أن يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعى وأنزعهما من زين الدين الفارق.

فتح عكا وبقيّة السواحل

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في دمشق النزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة والمنطوعة يجرّون في المعجل حتى الفقهاء والمدرسين والصالحاء، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصداً عكا، فتوافت الجيوش هناك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخارى، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزارى، فحضر القضاة والفضلاء والأعيان. وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذى يقال له أبو خرص، فركب هارباً فردّه علم الدين الدويدارى بالمسابة وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخاع عليه ثم

أمسكه بعد ثلاثة أيام وبعثه إلى قلعة صفد واحتاط على حواصله، ورسم على أستاذ داره بدر الدين بكداش، وجرى مالا يليق وقوعه هناك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار. وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس، وطاع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد، فوات الفرنج عند ذلك الأدبار، وركبوا هاربين في مراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يملئه إلا الله تعالى، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها، بحيث لا ينفع بها بعد ذلك، فبسر الله فتحها نهار الجمعة، كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف، فاستوفى الساحل للمسلمين، وتنظف من الكافرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون، ودقت البشائر في سائر الحصون، وزينت البلاد لينتزه فيها الناظر ونال المتفرجون، وأرسل السلطان إلى صور أمير أفهم أسوارها وعفا آثارها. وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسمائة. وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج، ثم إن الفرنج جاؤا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة، ثم جاء صلاح الدين ليأمنهم عنهمادة سبعة وثلاثين شهراً، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين، كما تقدم ذلك.

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصداً دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة، وفي صحبته وزيره ابن السلموس والجيوش المنصورة، وفي هذا اليوم استناب بالاشام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وسكن بدار السعادة، وزيد في إقطاعه حرسنا ولم تقطع لغيره، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة، وجعل له في كل يوم ثلثمائة على دار الطعام، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقى بها برج عصى، ففتحها ودقت البشائر بسببه، ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودعه، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت، وسلمت عننية وانطردوس وجبيل. ولم يبق بالسواحل والله الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين، وأراح الله منهم البلاد والعباد، ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جداً، وكان يوماً مشهوداً. وأفرج عن بدر الدين بيسرى بعد سبع سنين. ورجع علم الدين سنجر الشجاعى نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يبق لهم بها حجر. وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صفد ومعه جماعة

أمراء ، ورد عليهم إقطاعاتهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفى أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين ابن جماعة من القدس الشريف وهو حاكم به ، وخطيب فيه ، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشره ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلحوس وأكرمه جداً واحترمه ، وكانت ليلة الجمعة ، فصرح الوزير بعزل تقي الدين ابن بنت الاعز وتولية ابن جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة ، وجاء القضاة إلى تهنئته وأصبح الشهود بخدمة ، ومع القضاء خطابة الجامع الأزهر ، وتدريس الصالحية ، وركب في الخلعة والطرح ورسم لبقية القضاة أن يستمروا بلبس الطرحات ، وذهب نخطب بالجامع الأزهر ، وانتقل إلى الصالحية ودرس بها في الجمعة الأخرى وكان درساً حافلاً ، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي الساطنة للأشرف خليل بن المنصور ، فلبس خلعة سوداء وخطب الناس بالخطبة التي كان يخطب بها في الدولة الظاهرية ، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي في سنة ستين وسثمائة ، فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة ، وذلك بجامع قلعة الجبل ، ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان ، وكان يستنوب في الجامع الأزهر .

وأما ابن بنت الأعز فناله من الوزير إخراج ومصادرة وإهانة بالغة ، ولم يترك له من مناصبه شيئاً ، وكان بيده سبعة عشر منصبا ، منها القضاء والخطابة ونظر الأجناس ومشيغة الشيوخ ، ونظر الخزانة وتداريس كبار ، ومصادره بنحو من أربعين ألف ، غير مرا كبه وأشياء كثيرة ، ولم يظهر منه استكانة له ولا خضوع ، ثم عاد فرضى عنه وولاه تدريس الشافعي ، وعملت ختمة عند قبر المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة ، حرص الناس على غزو بلاد العراق واسنة تاذها من أيدي التتر ، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجبا فرآه الناس جبهة ، وركب في الاسواق بعد ذلك . وممل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق ، قرئت ختمات كثيرة ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين القاروني ، ثم ابن البرزوري ، ثم تكلم من له عادة بالكلام وجاءت البريدية بالتهبؤ لغزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على دجلة بغداد ، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود ، وحصل لبعض الناس أذى بسبب ذلك .

وفيهما نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عمامة كبيرة ، وخرب الأبنية التي على نهر بانيس والجداول كلها والمسالح والسقايات التي على الأنهار كلها ، وأخرب جسر الزلاية وما عليه من الدكاكين ، ونادى أن لا يمشى أحد بعد العشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه فقط ، وأخرب الحمام

الذى كان بناء الملك السعيد ظاهر باب النصر، ولم يكن بدمشق أحسن منه، ووسع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سدمه، ولم يترك بينه وبين النهر الا مقداراً يسيراً، وعمل هو بنفسه والأمراء بحيطانه.

وفيها حبس جمال الدين آقوش الأفرم المنصوري وأميراً آخر معه في القلعة.
وفيها حل الأمير علم الدين الدويدارى إلى القطار المصرية مقيداً. وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة في فتح عكا.

الحمد لله زالت دولة الصليب * وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت * رؤياه في النوم لاستحيث من الطلب
ما بعد عكا وقد حدث قواعدها * في البحر للترك عند البر من أرب
لم يبق من بعدها للكفر إذ خربت * في البحر والبر ما ينجى سوى الحرب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتناً * شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
ياوم عكا لقد أنسيت ما سبقت * به الفتوح وما قد خط في الكتب
لم يباغ النطق حد الشكر فيك فسا * عسى يقوم به ذو الشعر والأدب
أغضبت عبادة عيسى إذ أبدتهم * لله أى رضى في ذلك الغضب
وأشرف الهادى المصطفى البشير على * ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
فقر عيننا لهذا الفتح وابتهجت * يبشره الكعبة الغراء في الحجب
وسار في الأرض سيراً قد صممت به * فالبر في طرب، والبحر في حرب

وهي طويلة جداً، وله ولغيره في فتح عكا أشعار كثيرة. ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلوس جميع ملابسه التي كانت عليه، ومركوبه الذى كان تحنه، فركبه ورسم له بثمانية وسبعين ألفاً من خزانة دمشق، ليشتري له بها قرية قرحنا من بيت المال.

وفي هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الخراب الذى أصابها من هولاكو وأصحابه عام ثمان وخمسين. وفيها في شوال شرع في عمارة قلعة دمشق وبناء الدور السلطانية والطارمة والقبعة الزرقاء، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لنائبه علم الدين سنجر الشجاعى. وفيها في رمضان أعيد إلى نيابة القلعة الأمير أرجواش ولمعلى إقطاعات سنية. وفيها أرسل الشيخ الرجيعى من قرية الشيخ بونس مضيقاً عليه محصوراً إلى القاهرة، وفيها درس عز الدين القارونى بالمدرسة النجيبية عوضاً عن كمال الدين ابن خلكان، وفي ذلك اليوم درس نجم الدين مكى بالرواحية

عوضاً عن ناصر الدين ابن المقدسى ، وفيه درس كمال الدين الطبيب بالمدرسة الدخوارية الطبية ،
وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخاتونية البرانية ، وجمال الدين بن الناصر
بقى بالفتحية ، وبرهان الدين الاسكندرى بالقوصية التى بالجامع ، والشيخ نجم الدين الدمشقى
بالشريفية عند حارة الغرباء . وفيها أعيدت الناصرية إلى الفارقى وفيه درس بالأمينية القاضى نجم الدين
ابن صصرى بعد ابن الزملكاني ، وأخذت منه العادلية الصغيرة لكمال الدين ابن الزملكاني .
ومن توفى فيها من الأعيان : ارغون بن أبغا ملك التتار

كان شهماً شجاعاً سفاكاً للدماء ، قتل عمه السلطان أحمد بن هولاكو ، فمظم في أعين المغول فلما
كان في هذه السنة مات من شراب شربه فيه سم ، فاتهمت المغول اليهود به - وكان وزيره سعد الدولة
ابن الصفي يهودياً - فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً في جميع مدائن
العراق ، ثم اختلفوا فيمن يقيمونه بعده ، فالت طائفة إلى كيخسرو فأجسلوه على سرير المملكة ، فبقى
مدة ، قيل سنة وقيل أقل من ذلك ، ثم قتلوه وملكوا بعده بيدرا . وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك
الأشرف وهو محاصر عكا ففرح بذلك كثيراً ، وكانت مدة ملك أرغون ثمان سنين ، وقد وصفه
بعض مؤرخى العراق بالعدل والسياسة الجيدة .

المسند المعمر الرحالة

نجر الدين بن النجار وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى المعروف
بابن النجار ، ولد في سلخ أو مستهل سنة ست وسبعين وخمسة ، وسمع الكثير ورحل مع أهله ،
وكان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً فاسكاً ، تفرد بروايات كثيرة لطول عمره ، وخرجت له مشيخات
وسمع منه الخلق الكثير والجم الغفير ، وكان منصوباً لذلك حتى كبر وأسنّ وضعف عن الحركة ،
وله شعر حسن ، منه قوله :

تكررت السنون على حتى * بليت وصرث من سقط المتاع
وقل النفع عندي غير أئى * أعلل بالرواية والسمع
فإن يك خالصاً فله جزاء * وإن يك مالفاً فالى ضياع
وله أيضاً : إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً * وعجزى عن سعى إلى الجمعات
وتركي صلاة الفرض في كل مسجد * تجمّع فيه الناس للصلوات
فيارب لا تمت صلاتى ونجني * من النار واصفح لي عن المغفوات

توفى ضحى نهار الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة ، عن خمس وتسعين سنة ، وحضر
جنازته خلق كثير ، ودفن عند والده الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بسفح قاسيون

الشيخ تاج الدين الفزاري

عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري ، الامام العلامة العالم ، شيخ الشافعية في زمانه ، حاز قصب السبق دون أقرانه ، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين . كان مولد الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمائة ، وتوفي ضحى الاثنين خامس جمادى الآخرة ، بالمدرسة البادرانية وصلى عليه بعد الظهر بالأموى ، تقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوي ، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقي ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكان يوما شديد الزحام . وقد كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق الطيبة ، وفصاحة المنطق ، وحسن التصنيف ، وعلو الهمة ، وفقه النفس ، وكتابه الأقليد الذى جمع على أبواب التنبيه وصل فيه إلى باب النصب ، دليل على فقه نفسه وعلوقدره ، وقوة همته ونفوذ نظره ، وانصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ما سطره ، وقد انتفع به الناس ، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو وعي الدين النووي ، وله اختصار الموضوعات لابن الجوزي ، وهو عندى بخطه ، وقد جمع الحديث الكثير وحضر عند ابن الزبيدي صحيح البحارى ، وسمع من ابن اللبث وابن الصلاح واشتغل عليه ، وعلى ابن عبد السلام وانتفع بهما ، وخرج له الحافظ علم الدين البرزالي أحد تلاميذه مشيخة في عشرة أجزاء عن مائة شيخ فسمعها عليه الأعيان : وله شرح جيد فنه :

لله أيام جمع الشمل ما برحت * بها الحوادث حتى أصبحت ممرا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسأتى * عنكم ، فلم ألق لاعيناً ولا أترا
ياراحلين قد رثتم فالنجاة لكم * ونحن للمعجز لا نستعجز القدرا

وقد ولى الدرس بعده بالبادرانية والحلقة والفتيا بالجامع ولده شيخنا برهان الدين ، فشى على طريقة والده وهديه وصمته رحمه الله . وفي ثالث شعبان توفي

الطبيب الماهر عز الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان

السويدي الأنصارى ، ودفن بالسفح عن تسعين سنة ، وروى شيئا من الحديث ، وفاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وصنف كتباً في ذلك ، وكان يرمى بقله الدين وترك الصلوات وانحلال في العقيدة ، إنكار أمور كثيرة مما يتعلق باليوم الآخر ، والله يحكم فيه وفي أمثاله بأمره العدل الذى لا يجوز ولا يظلم . وفي شعره ما يدل على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه ، واعتراضه على تحريم الخمر ، وأنه قد طال رمضان عليه في تركها وغير ذلك .

الشيخ الإمام العلامة

علاء الدين أبو الحسن على بن الامام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن

خاف الانصارى الزمكافى ، وقد درس بعد أبيه المذكور بالأمينية ، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر بالأمينية ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده الأمير الكبير بدر الدين على بن عبد الله الناصرى ، ناظر الرباط بالصالحية ، من وصية أستاذه ، وهو الذى ولى الشيخ شرف الفزارى مشيخة الرباط بعد ابن الشريشى جمال الدين ، وقد دفن بالتربة الكبيرة داخل الرباط المذكور .

الشيخ الامام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرخي
صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأحد تلاميذه ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسة ، ومات يوم الاربعاء ثمانى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن إلى جانب ابن الصلاح .
الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر

الذى كان قد بويع بالملك بعد أخيه الملك السعيد ، وجعل الملك المنصور قلاوون أتابكه ، ثم استقل قلاوون بالملك ، وأرسلهم إلى الكرك ثم أعادهم إلى القاهرة ثم سفرهم الأشرف خليل فى أول دولته إلى بلاد الاشكرى من ناحية اصطنبول ، فأت سلامش هناك وبقي أخوه نجم الدين خضر وأهلهم بتلك الناحية ، وقد كان سلامش من أحسن الناس شكلاً وأبهام منظرًا ، وقد افتتن به خلق كثير ، والوطية الذين يحبون المردان ، وشبب به الشعراء وكان عاقلاً رئيساً مهيباً وقوراً
العفيف التلمسانى

أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن على بن يس العابدى الكومى ثم التلمسانى الشاعر المتنقن فى علوم منها النحو والأدب والفقه والأصول ، وله فى ذلك مصنفات ، وله شرح مواقف النفر وشرح أسماء الله الحسنى ، وله ديوان مشهور ، ولولده محمد ديوان آخر ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظام فى الأقوال والاعتقاد فى الحلول والاتحاد والزندقة والكفر الحضر ، وشهرته تفتى عن الاطناب فى ترجمته ، توفى يوم الاربعاء خامس رجب ودفن بالصوفية ، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعين يوماً متتابعة فآله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة

فبها فتحت قلعة الروم وسلمان البلاد من دنقلة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكمالها وسواحلها بلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون ، ووزيره فخر الدين بن السلوس ، وقضاته بالشام ومصرهم المذكورون فى التوقيف ، وقائب مصر بدر الدين بندار وقائب الشام علم الدين سنجر الشجاعى ، وسلمان التريدار بن أرغون بن أبغا ، والمهارة

الجزائن أضاف شيئا كثيراً من الذخائر والنفائس والكتب . وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول
خطب الخليفة الحاكم وحث في خطبته على الجهاد والنفير ، وصلى بهم الجمعة وجهر بالبسملة . وفي ليلة
السبت ثالث عشر صفر جرى بهذا الجزر الأحمر الذي يباب البرادة من عكا ، فوضع في مكانه .
وفي ربيع الأول كل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبة الزرقاء ، وجاءت في غاية الحسن
والكمال والارتفاع . وفي يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى ذكر الدرس بالظاهرية الشيخ صفي الدين
محمد بن عبد الرحيم الأرموي ، عوضاً عن علاء الدين بن بنت الاعز . وفي هذا اليوم درس بالدولعية
كمال الدين بن الزكي . وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالنجيبية الشيخ ضياء الدين
عبد العزيز الطوسي ، بمقتضى نزول الفارق له عنها . والله أعلم بالصواب .

فتح قلعة الروم

وفي ربيع الأول منها توجه السلطان الأشرف بالمسافر نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن
السلعوس فاستعرض الجيوش وأنفق فيهم أموالاً جزية ، ثم سار بهم نحو بلاد حلب ، ثم سار إلى
قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً في يوم السبت حادي عشر رجب ، وجاءت البشارة بذلك إلى
دمشق ، وزينت البلد سبعة أيام وبارك الله لجيش المسلمين في سعيهم ، وكان يوم السبت إلباعلى أهل
يوم الأحد ، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً ، مدة ثلاثين يوماً ، وكانت المنجنيقات تزيد على
ثلاثين منجنيقاً ، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير ، وقد قتل من أهل البلد خلق كثير
وغنم المسلمون منها شيئاً كثيراً ، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشجاعى بقلعة الروم يعمر
ما وهى من قلعتها بسبب رمى المنجنيقات عليها وقت الحصار ، وكان دخوله إلى دمشق بكرة يوم
الثلاثاء تاسع عشر شعبان ، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبوه ، وكان يوماً مشهوداً بسط له كما
يبسط له إذا قدم من الديار المصرية ، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلعوس ، فهو أول من بسط له ، وقد
كسر أبوه النمر على حمص ولم يبسط له ، وكذلك الملك الظاهر كسر النمر والروم على البلستين ، وفي
غير موطن ولم يبسط له ، وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملك ، وفيها إسراف وضياع مال
وأشر وبطور ورياء وتكليف للناس ، وأخذ أموال ووضمها في غير مواضعها ، والله سبحانه سائله
عنها ، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه ، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم ،
فليتنق العبد ربه ولا يحدث في الاسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سبب مقت الله له ،
وإعراضه عنه ، فإن الدنيا لا تدوم لأحد ، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم .

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيراً ، وكذلك رؤس أصحابه ، فدخل بهم دمشق وهم يحملون
رؤس أصحابهم على رؤس الرماح ، وجيز السلطان طائفة من الجيش نحو جبل كسروان والجزر بسبب

عما لأنهم للفرنج قديما على المسلمين ، وكان مقدم العساكر بندار وفي صحبته سنقر الأشقر ، وافر
 سنقر المنصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بلبان البطاحي
 المنصوري ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار ، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهليه حملوا
 في الليل إلى بندار حملا كثيرا ففتر في قضيتهم ، ثم انصرف بالجيش عنهم وعادوا إلى السلطان ،
 فتلقاهم السلطان وترجل السلطان إلى الأمير بندار وهو نائبه على مصر ، ثم ابن السلطان بن السلطان
 على فعل بندار فلامه وعنفه ، فرض من ذلك مرضا شديدا أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات ،
 ثم عوفي فعمل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأشغل الجامع نظير ليلة
 النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك
 بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية ، وتصدق عنه بشئ كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة
 كان قد حاف فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم
 بقصيدة هائلة فاضلة أولها :

لَكَ الرَايَةُ الصَّفْرَاءُ يَاقِدُهَا النَّصْرُ * فَن كَيْقَبَادَانِ رَأَاهَا وَيَخْسِرُو
 إِذَا خَفَقَتْ فِي الْأَفْقِ هَدَّتْ بَنُورُهَا * هَوَى الشَّرْكَ وَاسْتَعْلَى الْهَدْيُ وَالنَّجْمُ الْبَنُورُ
 وَإِنْ نَشَرْتَ مِثْلَ الْأَصَائِلِ فِي الْوَعْيِ * جَلَى النَّعْمُ مِنْ الْأَلَاءِ طَلَعَتْهَا الْبَدْرُ
 وَإِنْ يَمُتْ زَرْقُ الْعَدَى سَارَتْحَتَهَا * كَتَائِبُ خَضَرْدُوحِهَا الْبَيْضُ وَالسَّمَرُ
 كَانَ مَسَارَ النَّعْمِ لَيْلٌ وَخَفَقَهَا * بِرُوقٍ وَأَنْتَ الْبَدْرُ وَالْفَلَاحُ الْحَسَرُ
 وَفَتَحَ أُنَى فِي إِيْرٍ فَتَحَ كَأَنَّمَا * سَمَاءٌ بَدَتْ تَقْرَى كَوَاكِبُهَا الزَّهَرُ
 فَكَمْ فَطَمَتْ طَوْعًا وَكَرْهًا مَعَاقِلًا * مَضَى الدَّهْرُ عَنْهَا وَهِيَ عَانِسَةٌ بِكُرُ
 بَذَلَتْ لَهَا عِزْمًا فَلَوْلَا مَهَابَةٌ * كَسَاهَا الْحَيَا جَاءَتْكَ تَسْمَى وَلَا مَهْرُ
 قَصَدَتْ حَمَى مِنْ قَلْعَةِ الرُّومِ لَمْ يَنْجُ * لَغَيْرِكَ إِذْ غَرَّتْهُمْ الْمَفْلُ فَاعْتَرَوْا
 وَوَالْوَمَّ سَرًّا لِيَخْفُوا أَذَامُ * وَفِي آخِرِ الْأُمُرِ اسْتَوَى السَّرُّ وَالْجَهْرُ
 صَرَفَتْ إِلَيْهِمْ هِمَّةً لَوْ صَرَقَتْهَا * إِلَى الْبَحْرِ لَاسْتَوَى عَلَى مَدَّةِ الْجَزْرِ
 وَمَا قَلْعَةُ الرُّومِ الَّتِي حَزَتْ فَتَحَهَا * وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا إِلَى غَيْرِهَا جَسْرُ
 طَلِبَةُ مَا يَأْتِي مِنَ الْفَتْحِ بَعْدَهَا * كَمَا لَاحَ قَبْلَ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ الْفَجْرُ
 فَصَبَحَتْهَا بِالْجَيْشِ كَالرُّوضِ بِهَجَةٍ * صَوَارِمُهُ أَنْهَارُهُ وَالْقَنَا الزَّهْرُ
 وَأَبْعَدَتْ بِلْ كَالْبَحْرِ وَالْبَيْضُ مَوْجُهُ * وَجَرَدَ الْمَزَاكِي السَّفْنُ وَالْخُودُ الذَّرُّ
 وَأَغْرَبَتْ بِلْ كَاللَّيْلِ هَوَجٌ سَيُوفُهُ * أَهْلَتُهُ وَالنَّبْلُ أَتَجَمُّهُ الزَّهْرُ

ولحظات لابل كالتهار شמוש * محياك والآصال راياتك الصفر
ليوث من الانراك آجامها القنا * لها كل يوم في ذرى ظفر ظفر
فلا الريح يجرى بينهم لاشقبا كها * عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
عيون إذا الحرب العوان تعرضت * لخطابها بالنفس لم يغلبها مهر
ترى الموت معقوداً بهدب نبالهم * إذا مارماها القوس والنظر الشرر
ففي كل سرح غصن بان مهف * وفي كل قوس مده ساعد بدر
إذا صدموا شم الجبال ترزلات * وأصبح سهلاً تحت خيلهم الوعر
ولو وردت ماء الفرات خيولهم * لقليل هنا قد كان فيما مضى نهر
أداروا بها سوراً فأضحت كخاتم * لدى خنصر أوتحت منطقته خصر
وأرخوا إليها من أ كف بحارم * سحب ردى لم يخل من قطره قطر
كان المجانيق التي قن حولها * رواعد سخط وبلها النار والصخر
أقامت صلاة الحرب ليلا صخورها * فأكثرها شفع وأكبرها وتر
ودارت بها تلك النقوب فأمرقت * وليس عليها في الذي فعلت حجر
فأضحت بها كالصبت بخفى غرامه * حذار أعاديه وفي قلبه جود
وشبت بها النيران حتى تمزقت * وباحت بما أخفته وإنهتك السر
فلاذوا بذيل العفو منك فلم نجب * رجاءم لو لم يشب قصدم مكر
وماكره الفل اشتغالك عنهم * بها عند ما فروا ولكنهم سروا
فأحرزتها بالسيف قرراً وهكذا * فتوحك فيما قد مضى كله قسر
وأضحت بحمد الله ثغراً ممناً * تبيد الليالي والعدى وهو مقتر
فيا أشرف الاملاك فزت بفزوة * تحصل منها الفتح والذكر والأجر
لبنيك عند المصطفى أن دينه * توالى له في يمن دولتك النصر
وبشراك أرضيت المسيح وأحمداً * وإن غضب البعفور من ذلك والكفور
فسر حيث ما تختار فالأرض كلها * [تطيعك] والأمصار أجمعها مصر
ودم وابق لدنيا ليحيى بك الهدى * وبزهي على ماضي المصور بك المعصر
حذفت منها أشياء كثيرة .

وفيهاتولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروقى الواسطى بعد وفاة زين الدين بن المرحل
وخطب واستسقى بالناس فلم يسقوا ، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم ، فلم يسقوا

ثم انبهل الناس من غير دعاية واستسقاية فسقوا ، ثم عزل الفاروئي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراني الحموي ، كان خطيب حماة ثم نقل إلى دمشق في هذه السنة ، فقام وخطب وتآلم الفاروئي لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير حيلة ، فإذا هو قد شعر لذلك واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه ، فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مائة ركعة بمائة قل هو الله أحد ، فلم يقبلوا واستمروا بالحموي . وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروئي ، وأصاب السلطان في عزله .

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره فهرب هو والأمير حسام الدين لاجين السلحداري ، فنادت عليه المنادية بدمشق من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شتى ، وركب السلطان ومماليكه في طلبه ، وصلى الخطيب بالناس في الميدان الأخضر ، وعلى الناس كآبة بسبب تفرق الكلمة ، واضطراب الجيش ، واختبط الناس ، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سنقر الأشقر فردوه على السلطان فأرسله مقيدا إلى مصر . وفي هذا اليوم ولي السلطان نيابة دمشق امر الدين أبيك الحموي ، عوضا عن الشجاعى ، وقدم الشجاعى من الروم ثاني يوم عزله فتلناه الفاروئي فقال : قد عزلنا من الخطابة ، فقال ونحن من النيابة ، فقال الفاروئي (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) فلما بلغ ابن السلوس تفضب عليه وكان قد عين له القيصرية فترك ذلك ، وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها في أبهة الملك ، وفي يوم دخوله أقطع قرا سنقر مائة فارس بمصر عوضا عن نيابة حلب ، وفي هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشقرى قيسارية القطن المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال ، بمرسوم من السلطان ، وكان حظيا عنده ، ونقل سوق الحرير بين تلك المدة إليها ، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدويدارى بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة ، وأقطعه مائة فارس ، وولاه مشد الدواوين مكرها .

وفي ذى القعدة استحضر السلطان سنقر الأشقر ومقصوا فعاثيها فاعترفا بأنهما أرادا قتله ، فسألها عن لاجين فقالا : لم يكن معنا ولا علم له بهذا ، فغفقا وأطلقا بعد ما جعل الوتر في حلقة ، وكان قد بقي له مدة لا بد أن يبلغها ، وقد ملك بعد ذلك كما سنده إن شاء الله تعالى .

وفي ذى الحجة عقد الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضي القضاة شهاب الدين الخوي بالبدرائية ، وكان حافلا . وفيها دخل الأمير سنقر الأحمر على بنت الوزير شمس الدين بن السلوس على صدق ألف دينار ، وعجل لها خمسمائة ، وفيها قفز جماعة من التتر نحواً من ثلثمائة إلى الديار المصرية فأكرموا .

ومن توفي فيها من الاعيان . الخطيب زين الدين أبو حفص
عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل ، وهو والد الشيخ صدر الدين بن
الوكيل ، جمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى ، منها علم الهيئة وله فيه مصنف ، تولى خطابة
دمشق ودرس وأفتى ، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وصلى عليه من القدياب
الخطابة .
الشيخ عز الدين الفاروثي

ولى الخطابة قليلا ثم عزل ثم مات ودفن بباب الصغير عفا الله عنا وعنه .

الصاحب فتح الدين أبو عبد الله

محمد بن محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ، كاتب الأسرار في الدولة المنصورية بعد ابن لقمان
وكان ماهراً في هذه الصناعة ، وحظي عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف ، وقد طلب منه ابن
السلوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه ، فقال : هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم ،
وابصروا لكم غيرى يكون معكم بهذه المثابة ، فلما باع ذلك الأشرف أعجبه منه وازدادت عنده
منزلته ، توفي يوم السبت نصف رمضان ، وأخرجت في تركته قصيدة قد رثاها تاج الدين بن الأثير
وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فعرف في بقيت بعده ، وتولى ابن الأثير بعده ورثاه تاج الدين كارتاه
وتوفي ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام .

يونس بن علي بن رضوان بن برقش

الأمير عماد الدين ، كان أحد الأمراء بطليخانة في الدولة الناصرية ، ثم حمل وبطل الجندية
بالسككية في الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة ، وكان الظاهر يكرمه ، توفي في شوال ودفن
عند والده بتربة الخزيمين رحمهم الله .

جلال الدين الحلبازي

عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخجندی أحد مشايخ الحنفية الكبار ، أصله من بلاد ما وراء
النهر من بلد يقال لها خجندة ، واشتغل ودرس بخوارزم ، وأعاد ببغداد ، ثم قدم دمشق فدرس
بالعزية والخاتونية البرانية ، وكان فاضلاً بارعاً منصفاً مصنفاً في فنون كثيرة ، توفي لخمس بقين من ذي
الحجة منها ، وله ثقتان وستون سنة ، ودفن بالصوفية .

الملك المظفر

قرا أرسلان الافريقي ، صاحب ماردین ، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده فتمس الدين داود
ولقب بالملك السعد والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة

في تاريخ ظهير الدين السكاز روى ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخسين على صفتها ، إلا أن هذه النار كان يملو لمبيها كثيراً ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا ^(١) ، وبالشام عز الدين أيك الخوي ، وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها ، والوزير فحس الدين بن السلوس . وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وجهر الجيوش ونهياً لغزو بلاد سويس ، وقدم في غضون ذلك رسل صاحب بلاد سويس يطلبون الصلح ، فشفع الأمراء فيهم فسلموا بهسنا وتل حمدون . ومرعش ، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها ، وهي في فم الدربند ، ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأمير مهنا بن عيسى ، فلما انقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين ، وكان عنده ، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى وولى مكانه محمد بن علي بن حذيفة ، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية محبة نائبه بيدرا ، ووزيره ابن السلوس ، وتأخر هو في خاصيته ثم لحقهم .

وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالذشريك بين العلويين والجمهرين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرم ، بدار العدل ، ولم يوافق ابن الخوي ولا غيره ، وحكم للاعنا كيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار . وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت ، وكانت من أحصن القلاع وأمنها وأنفعها ، وإنما خربها عن رأى عتبة العقي ، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين ، لأنها كانت شجى في خلق الأعراب الذين هناك . وفيها أرسل السلطان الأمير علم الدين الدويدارى إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة جداً ، فلم يتفق خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق .

وفي عاشر جمادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية . وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي الثاني والعشرين من ذى الحجة يوم الاثنين طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك العظيم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور ، وعمل مهم عظيم ولعب الأشرف بالقبق وتمت لهم فرحة هائلة ، كانت كالوداع لسلطنته من الدنيا . وفي أول

(١) في شذرات الذهب : بندار .

المحرم درس الشيخ فحمس الدين بن غانم بالمصرونية ، وفي مستهل صفر درس الشيخ كال الدين ابن الزملاكانى بالواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة ، ودخل الركب الشامي في آخر صفر ، وكان ممن حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان أميرهم الباسطى ونالهم في معان ربيع شديدة جداً مات بسببها جماعة ، وحملت الريح جمالا عن أماكنها ، وطارت العائم عن الرؤس ، واشتغل كل أحد بنفسه . وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أفسد شيئاً كثيراً من المغلات بحيث بيع القمح كل عشرة أواق بدرهم ، ومات شيء كثير من الدواب ، وفيه زلزلت ناحية الكرك وسقط من تلفينا أما كن كثيرة .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الأرموي

الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموي ، المقيم بزوايته بسفح قاسيون ، كان فيه عبادة وانقطاع وله أورااد وأذكار ، وكان محبباً إلى الناس ، توفى بالمحرم ودفن عند والده بالسفح .

ابن الأعمى صاحب المقامة

الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الفنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى ، ولد سنة عشرة وستائة ، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً ، له قصائد يمتدح بها رسول الله (س) ، سماها الشفعية ، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتاً . قال البرزالي : سمعته وله المقامة البحرية المشهورة ، توفى في المحرم ودفن بالصوفية .

الملك الزاهر مجير الدين

أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المعظم ، توفى ببستانه عن ثمانين سنة ، وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ودفن بقربته بالسفح ، وكان دينياً كثير الصلاة في الجامع ، وله إجازة من المؤيد العاظمى وزينب الشعرية وأبى روح وغيرهم . توفى في جمادى الآخرة .

الشيخ تقي الدين الواسطي

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلى ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، توفى يوم الجمعة آخر النهار رابع عشر من جمادى الآخرة عن تسعين سنة ، وكان رجلاً صالحاً عابداً ، تفرد بعمل الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد تفقه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالصالحية مدة عشرين سنة ، وبمدرسة أبى عمر ، وولى في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروقى ، وكان داعية إلى مذهب السلف والصدر الأول ، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله . وقد درس بعده بالصالحية الشيخ فحمس الدين محمد بن عبد القوى المرداوى ، وبمرار الحديث الظاهرية

شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناصح .

ابن صاحب حماة الملك الأفضل

نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، توفي بدمشق وصلى عليه بجامعها ، وخرج به من باب الفراديس محمولا إلى مدينة أبيه وترتبهم بها ، وهو والد الأميرين الكبيرين بدر الدين حسن وعهاد الدين إسماعيل الذي تملك حماة بعد مدة .

ابن عبد الظاهر

محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه ، وسبق سائر أقرانه ، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم ، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده ، وقد كانت له مصنفات منها سيرة الملك الظاهر ، وكان ذا مروءة ، وله النظم الفائق والنثر الرائق . توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين ، ودفن بترابته التي أنشأها بالقرافة .

الأمير علم الدين سنجر الحلبي

الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه فبويع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر وهرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف ، واحترمه وأكرمه ، بلغ الثمانين سنة ، وتوفي في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستائة

في أولها كان مقتل الأشرف ، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم ، فلما كان بأرض بروجيه بالقرب من الاسكندرية ثاقب عشر المحرم ، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش ، فأول من صوبه نائبه بيدرا ، ونعم عليه لاجين المنصوري ، ثم اختفى إلى رمضان ، ثم ظهر يوم العيد ، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر الدين بيسرى وشمس الدين قراسنقر المنصوري ، فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تملك بيدرا ، وسموه الملك القاهر أو الاوحد ، فلم يتم له ذلك ، فقتل في اليوم الثاني بأمر كتبغا ، ثم اتفق زين الدين كتبغا ، وعلم الدين سنجر الشجاعى على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون ، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً ، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم ، وكان الوزير ابن السلوس بالاسكندرية ، وكان قد خرج في صحبة السلطان وتقدم هو إلى الاسكندرية فلم يشعر إلا وقد أحاط به البلاء ، وجاءه العذاب من كل ناحية ، وذلك أنه كان يعامل الأمراء الكبار معاملة

الصغار ، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعى ف ضرب ضربا عظيما ، وقرر على الاموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته فى عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله كلها . وأحضر جسد الأشرف فدفن بتربته ، وتآلم الناس لفقده وأعظموا قتله ، وقد كان شهما شجاعا على المهمة حسن المنظر ، كان قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار ، واستعد لذلك ونادى به فى بلاده ، وقد فتح فى مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل ، ولم يترك للفرنج فيها معلما ولا حجرا ، وفتح قلعة الروم وبهنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر ، واستقر الحال على ذلك ، وجعل الأمير كتبنا أنابك ، والشجاعى مشورا كبيرا ، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كتبنا فأمر أن يطاف به فى البلد ، وفرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا ، ولم يبق لكتبنا منازع ، ومع هذا كان يشاور الأمراء تطييبا لقلوبهم .

وفى صفر بعد موت ابن السلموس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين بن بنت الاعز واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر فى كفاية ورياسة ، وتولى الوزارة بمصر صاحب تاج الدين ابن الحنا ، وفى ظهر يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر رتب إمام بمحراب الصحابة ، وهو كمال الدين عبد الرحمن بن القاضى محيى الدين بن الزكى ، وصلى بعدئذ بعد الخطيب ، ورتب بالكتب الذى يباب للناطفانيين إمام أيضا ، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الاسكندرى ، وباشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان ، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه ، وأخلوا قيسارية القطن الذى كان نواب طنجهى ألزوم بسكنائها ، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسى ، بعد عزل موفق الدين الحموى دعوه إلى حماة فخطب المقدسى يوم الجمعة نصف رجب ، وقرئ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر ، وكان فصيحيا بليغا علما بارعا .

وفى أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كتبنا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وصارت البيعة بذلك فى سائر المدن والمعامل .

واقعة عساف النصراني

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبى (س) ، وقد استنجا عساف هذا بابن أحمد بن حجبى أمير آل على ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقى شيخ دار الحديث ، فدخلوا على الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب السلطنة فكلما فى أمره فأجابهما إلى ذلك ، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ،

فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي : هو خير منكم - يعنى النصراني - فرجهما الناس بالحجارة ، وأصاب عسافا ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضرهما بين يديه ، ورسم عليهما فى العندراوية وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فحقن دمه ، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز ، فاتفق قتله قريبا من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتله ابن أخيه هنالك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية فى هذه الواقعة كتابه الصارم المسلول على سبب الرسول .

وفى شعبان منها ركب الملك الناصر فى أهبة الملك وشق القاهرة ، وكان يوما مشهودا ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام وجاء المرسوم من جهته ، قرئ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطى الظلم ، وإبطال ضمان الاوقاف والأموال إلا برضى أصحابها . وفى اليوم الثانى والعشرين من شعبان درس بالمسروورية القاضى جمال الدين القزويني ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضى القضاة شهاب الدين الخويزي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درسا حافلا . قال البرزالي : وفى شعبان اشتهر أن فى الفيلة بجسر ين تنينا عظيما ابتلع رأسا من المعز كبيرا صحيحا . وفى أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان محتفيا منذ قتل الاشرف فاعتذر له عند السلطان قبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

وفى شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر ، وانحاز إلى التتر . وفى يوم الاربعاء ثامن ذى القعدة درس بالفرازية الخطيب شرف الدين المقدسى عوضا عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن الخويزي ، توفى وترك الشامية البرانية ، وقدم على قضاء الشام القاضى بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة ، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكامله لتلقيه ، وامتدحه الشعراء ، واستناب تاج الدين الجمبرى نائب الخطابة وباشر تدريس الشامية البرانية ، عوضا عن شرف الدين المقدسى ، الشيخ زين الدين الفاروقى ، وانترعت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة ، وفى العادلية فى العشرين من ذى الحجة ، وفى هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى القلاة بأمر واليها جمال الدين اقباي ، وشدد على الناس والبوايين بذلك . ومن توفى فيها من الاعيان

الملك الاشرف خليل بن قلاوون المنصور . ويبدرا والشجاعى ، وفهمس الدين بن السلموس ،

الشيخ الامام العلامة

تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراعى ، المعروف بأبى الجواب الشافى ، درس بالاقبالية

وغيرها وكان من فضلاء الشافعية ، له يد في الفقه والاصول والنحو وفهم جيد ، توفي فجأة يوم السبت ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وقد جاوز السبعين .

الخاتون مؤنس بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب

وتعرف بدار القطبية ، و بدار إقبال ، ولدت سنة ثلاث وستمائة ، وروت الاجازة عن عفيفة الفارانية ، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية ، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة ، ودفنت بباب زويلة .
الصاحب الوزير فخر الدين

أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن محمد البناني المصري رأس الموقعين ، وأستاذ الوزراء المشهورين ، ولد سنة ثنتي عشرة وستمائة ، وروى الحديث ، توفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة
الملك الحافظ غياث الدين بن محمد

الملك السعيد معين الدين بن الملك الأجدبهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه ابن أيوب ، وكان فاضلاً بارعاً ، سمع الحديث وروى البخاري ، وكان يحب العلماء والفقراء ، توفي يوم الجمعة سادس شعبان ، ودفن عند جده لأنه ابن المقدم ، ظاهر باب الفراديس .

قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي المباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر ابن عيسى بن محمد الشافعي ، أصابهم من خوى ، اشتغل وحصل علوماً كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً ، وله نظم علوم الحديث وكفاية المنحفظ وغير ذلك ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان محباً له ولأهله ، وقد درس وهو صغير بالداغية ، ثم ولي قضاء القدس ، ثم بهسنا ، ثم ولي قضاء حلب ، ثم عاد إلى المحلة ، ثم ولي قضاء القاهرة ، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والغزالية وغيرهما ، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام ، عفيفاً نزهةً بارعاً محباً للحديث وعلمه وعلمائه ، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزني أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وخرج له تقي الدين ابن عتبة الأسودي الأسعدي مشيخة على حروف المعجم ، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيئاً . قال البرزالي : وله نحو ثلثمائة شيخ لم يذكر في هذا المعجم ، توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، عن سبع وستين سنة ، وصلى عليه ودفن من يومه بترية والده بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .
الأمير علاء الدين الأعمى

ناظر القدس وباني كثيراً من معالمه اليوم ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين بن عبد الله الصالح النجفي ، كان من أكابر الأمراء ، فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولى نظره معمره ومشره وكان مريباً لا تخالف مراسيمه ، وهو الذي بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي (ص) ، فانتفع الناس

بها بالوضوء وغيره ، ووجد بها الناس تيسيرا ، وابتقى بالقدس ربطا كثيرة ، وآثارا حسنة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، وله حرمة وافرة ، توفي في شوال منها .

الوزير شمس الدين محمد بن عثمان

ابن أبي الرجال التنوخي ، المعروف بابن السلعوس ، وزير الملك الأشرف ، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقرعة ، في عاشر صفر من هذه السنة ، ودفن بالقرافة ، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك . وكان ابتداء أمره تاجرا ، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين بن توبة ، ثم كان يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق ، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولاه الوزارة ، وكان يتعامل على أكبر الامراء ويسمبهم بأسمائهم ، ولا ية يوم لهم ، فلما قتل أستاذه الأشرف تسلموه بالضرب والاهانة وأخذ الأموال ، حتى أعدهوه حياته ، وصبروه وأسكنوه الثرى ، بعد أن كان عند نفسه قد باغ الثريا ، ولكن حقا على الله أنه مازع شيئا إلا وضعه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستائة

استلمت والخليفة الحاكم بأمر الله وساطان البلاد الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وأشهرآ ، ومدير الممالك وأتابك المساكر الأمير زين الدين كتبغا ، وفائب الشام الأمير عز الدين أيبك الحموي ، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي ، وشاد الدواوين شمس الدين الأعسر ، وقاضى الشافعية ابن جماعة ، والحنفية حسام الدين الرازى ، والمالكية جمال الدين الزواوى ، والحنابلة شرف الدين حسن ، والحنسب شهاب الدين الحنفى ، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان ، ووكيل بيت المال وفاخر الجامع تاج الدين الشيرازى ، وخطيب البلد شرف الدين المقدسى .

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من مماليك الأشرف وخرقوا حرمة السلطان وأرادوا الخروج عليه ، وجاؤا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه ، ثم احتيط عليهم ، فنهض منهم من صلب ومنهم من شقق ، وقطع أيدي آخرين منهم وأسكنهم ، وجرت خبطة عظيمة جدا ، وكانوا قريبا من ثلثمائة أوبزيدون . سلطنة الملك العادل كتبغا

وأصبح الأمير كتبغا فى الحادى عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة ، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور ، وألزمه بيت أهله ، وأن لا يخرج منه ، وبأيمه الأمر له على ذلك ، وهنتوه ومد سباطا حافلا ، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم ، فبويغ له وخطب له مستقلا وضربت السكة باسمه ، وتم الأمر وزينت البلاد ، ودقت البشائر ، ولقب بالملك العادل ، وكان عمره إذ ذاك نحوآ من خمسين سنة ، فانه من سبى وقعة حصص الأولى التى كانت فى أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين

جالوت ، وكان من النويرانية ، وهم طائفة من النتر ، واستناب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، وكان بين يديه مدر الممالك . وقد ذكر الجزري في تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو خان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذي تلك الديار المصرية ، فضرب وحسب وقال له : أجد رجلا يملكها اسمه كتبغا فظنه كتبغاتوين ، وهو صهر هولاكو ، قدمه على المساكر فلم يكن هو ، فقتل في عين جالوت كما ذكرناه ، وأن الذي ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة ، وقصدا في نصرة الاسلام .

وفي يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول ركب كتبغا في أبهة الملك ، وشق القاهرة ودعاه الناس وعزل صاحب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة وولى نغر الدين بن الخليلي ، واستسقى الناس به مشق عند مسجد القدم ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجمبري نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسي ، وكان مريضا فمرل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يستقوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمسكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسي ، وكان الجمع أكثر من أول ، فلم يستقوا . وفي رجب حكم جمال الدين ابن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة ، وفيه درس بالمعظمية القاضي شمس الدين بن العز ، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق . وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحدي ابن الملك الناصر داود بن المعظم . وفي رمضان رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الامام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث لحراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعا في وقت واحد ، فحصل تشويش بسبب ذلك ، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الامام الكبير ، في وقت صلاة مشهد على الصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي .

قلت : وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمائة كما سيأتي .

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن صصري من الديار المصرية على قضاء المساكر بالشام ، وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال صلى القاضي بدر الدين بن جماعة بحراب الجامع إماما وخطيبا عوضا عن الخطيب المدرس شرف الدين المقدسي ، ثم خطب من المنبر وشكرت خطبته وقراءته ، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره .

وفي أوائل شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدريس الغزالية لابن صصري عوضا عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع بتدريس الأمينية لامام الدين القزويني عوضا عن نجم الدين ابن صصري ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرانية عوضا عنه . وفي شوال كتبت عمارة الحمام الذي أنشأه عز الدين الحموي بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحمامات ، وباشر مشيخة

دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن المطار عوضاً عن شرف الدين المقدسي . وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك المادل كتبها ، وتصدقوا بصداقات كثيرة في الحرمين وغيرها ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل الزمة خيلاً ولا بغلاً ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الزمة قد خالف ذلك فله سلبه . وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بديار مصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير ، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفاً . وفيها ملك التتار قازان ابن أرغون بن أبغاين تولى بن جنكزخان فأسلم وأظهر الاسلام على يد الأمير توزون رحمه الله ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الاسلام ونثر الذهب والفضة والؤلؤ على رؤس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت السبع والهيكل مع التتار والحمد لله وحده . وفيها توفي من الأعيان الشيخ أبو الرجال المنيني

الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مرعي من مجتري المنين ، كانت له أحوال ومكاشفات وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريثاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً ، وقد باغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بمنين في منزله في عشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فنهض منهم من أدر كها ومن الناس من لم يدرك فصلى على القبر ودفن بزاويته رحمه الله . وفيها في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عساف بن أحمد بن حجي الذي كان قد أجاز ذلك انصراني الذي سب الرسول قتل ففرح الناس بذلك .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع

بقية الساف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن الحارستاني بن قاضي القضاة ، وخطيب الخطباء ، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد ، سمع الحديث وقاب عن أبيه في الامامة وتدريس الغزالية ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، ولناس فيه اعتقاد حسن صالح ، يقبلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر . الشيخ محب الدين الطبري المكي

الشافعي ، سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة ، من ذلك كتاب الاحكام في مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب على ترتيب جامع المسانيد أممعه لصاحب اليمن ، وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة منها ، ودفن بمكة ، وله شعر جيد فنه قصيدته في المنازل التي بين

مكة والمدينة تزيد على ثلثمائة بيت ، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الديلملي في معجمه .

الملك المظفر صاحب اليمن

يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، أقيم في مملكة اليمن بعد أبيه سبعا وأربعين سنة ، وعمر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولي أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقيس ابن الكامل محمد ، وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقيس ، فلما مات أقيس وثب على الملك قثم له الأمر وتسمى بالملك المنصور ، واستمر أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة ، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف محمد الدين فلم يمكث سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد عز الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مدة ، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يحب الحديث وسماعه ، وقد جمع لنفسه أربعين حديثا .
شرف الدين المقدسي

الشيخ الامام الخطيب المدرس المفتي ، شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي ، ولد سنة ثنتين وعشرين وستائة ، وسمع الكثير وكتب حسنا وصنف فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرسا للغة الفارسية ودار الحديث النورية مع الخطابة ، ودرس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الافناء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية ، وكان يفخر بذلك ويفرح به ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالافناء ، وكان يتقن فنونا كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن ، وصنف كتابا في أصول الفقه جمع فيه شيئا كثيرا ، وهو عندى بضائه الحسن ، توفي يوم الاحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزاري خطيب جامع جراح ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي :

أحجج إلى الزهر لتسمى به * وارم جمارهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر في وقته * من قبل أن يخلق قد قصرا

واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين

أبو بكر محمد بن عياش بن أبي المسكارم النجدي الجوهري ، واقف الجوهريّة على الخنفية بدمشق توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال ، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم على الملوك ، فن دونهم .

الشيخ الامام العالم المفتي

الخطيب الطيب ، محمد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي

الحنفى ، خطيب النيرب ومدرس الدماغية للحنفية ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً ، توفى بالنيرب وصلى عليه بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً وله شعر حسن ، وروى شيئاً من الحديث ، توفى ليلة السبت خامس ذى القعدة عن خمس وسبعين سنة .

الفاروقى الشيخ الامام العابد الزاهد

الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محيى الدين إبراهيم بن عمر بن الفرج بن سابور ابن علي بن غنيمة الفاروقى الواسطى ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وسمع الحديث ورحل فيه ، وكانت له فيه يد جيدة ، وفى التفسير والفقه والوعظ والبلاغة ، وكان ديناً ورعاً زاهداً ، قدم إلى دمشق فى دولة الظاهر فأعطى تدريس الجاروضية وإمام مسجد ابن هشام ، ورتب له فيه شئ على المصالح ، وكان فيه إثبات له أحوال صالحة ، ومكاشفات كثيرة ، تقدم يومافى محراب ابن هشام ليصلى بالناس فقال - قبل أن يكبر الاحرام والتنت عن يمينه - فقال : اخرج فاغتسل ، فلم يخرج أحد ، ثم كر ذلك ثانية وثالثة ، فلم يخرج أحد ، فقال : يا غلمان اخرج فاغتسل ، فخرج رجل من الصف فاغتسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذر إليه ، وكان الرجل صالحاً فى نفسه ، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً ، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه يخاطب غيره ، فلما عينه باسمه علم أنه المراد . ثم قدم الفاروقى مرة أخرى فى أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب بجامع دمشق مدة شهر ، ثم عزل بموفق الدين الحموى ، وتقدم ذكر ذلك ، وكان قد درس بالنجيبية وبتدار الحديث الظاهرية ، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه ، فمات بكرة يوم الاربعاء مستهل ذى الحجة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بواسط ، وصلى عليه بدمشق وغيرها رحمه الله ، وكان قد لبس خرقة التصوف من السهر وردى ، وقرأ القراءات العشرة وخاف أنى مجلد ومائتى مجلداً ، وحدث بالكثير ، وسمع منه البرزالى كثيراً صحيح البخارى وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ، ومسند الشافعى ، ومسند عبد ابن حميد ، وجمع الطبرانى الصغير ، ومسند الدارمى وفضائل القرآن لأبى عبيد ، وثمانين جزء وغير ذلك .

الجمال المحقق

أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقى ، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعى ، وبرع فيه وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً فى الطب ، وقد ولى مشيخة الدخوارية لتقدمه فى صناعة الطب على غيره ، وعاد المرضى بالمراستنان النورى على قاعدة الأطباء ، وكان مدرساً للشافعية بالفرخشانية ، ومعيداً بعدة مدارس ، وكان جيد الذهن مشاركاً فى فنون كثيرة سأل الله .

الست خاتون بنت الملك الأشرف

موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل ، وهى التى أثبت سفنها

زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حزرما وأخذت الزنبقية من زين الدين السامري .

الصدر جمال الدين

يوسف بن علي بن مهاجر التكريتي أخو الصاحب تقي الدين توبة ، ولى حربية دمشق في وقت ودفن بترية أخيه بالسفح ، وكانت جنازته حافلة ، وكان له عقل وافر وثروة ومروءة ، وخلف ثلاث بنين : شمس الدين محمد ، وعلاء الدين علي ، وبدر الدين حسن .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة

استلمت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان البلاد الملك المادل زين الدين كتبغا ، وفائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، ووزيره نحر الدين بن الخليل ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، وفائب الشام عز الدين الحموي ، ووزيره تقي الدين توبة ، وشاد الدواوين الأعسر ، وخطيب البلد وقاضها ابن جماعة . وفي الحرم ولى نظار الايتام برهان الدين بن هلال عوضا عن شرف الدين بن الشيرجى .

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً ، وقد تغانى الناس إلا القليل ، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس ، والأسعار في غاية الغلاء ، والأقوات في غاية القلة والغلاء ، والموت عمال ، فأت بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفاً ، ووقع غلاء بالشام فبلغت الفرارة إلى مائتين ، وقدمت طائفة من التتر العورانية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لانه منهم ، فتأقاهم الجيش بالرحب والسعة ، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسنقر المنصوري ، وجاء الخبر بأشتداد الغلاء والفناء بمصر حتى قيل إنه بيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما ، وبالقاهرة بتسعة عشر ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وأفئيت الحر والخيـل والبغال والكلاب من أكل الناس لها ، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه .

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاة بمصر الشيخ المسلمة تقي الدين بن دقيق العيد عوضا عن تقي الدين بن بنت الأعز ، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة والله الحمد .

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقيصرية عوضاً عن صدر الدين ابن رزين الذي توفي . قال البرزالي : وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة ، وكان قد روى شيئا من الحديث . وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلاش من بلاد الاشكرى إلى دمشق في أواخر رمضان فبعث إليها فائب البلد بالهدايا والتحف ورتبت لها الرواتب والاقامات ، وكان قد نفاهم خليل

ابن المنصور لما ولي السلطنة .

قال الجزري : وفي رجب دريس كمال الدين بن القلانسي عوضا عن جلال الدين القزويني .
وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين بن
تيمية الحراني بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجي توفي إلى رحمة الله ، ونزل
ابن تيمية عن حلقة الهاد بن المنجا لشمس الدين بن الفخر البعلبكي . وفي آخر شوال فاب القاضي
جمال الدين الزرعي الذي كان حاكما بزرع ، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرق عن ابن جماعة
بدمشق ، فصدرت سيرته . وفيها خرج السلطان كتبغا من مصر قاصدا الشام في أواخر شوال ،
ولما جاء البريد بذلك ضربت البشار بالقلعة ، ونزلوا بالقلعة السلطان ونائبه لاجين ووزير ابن
الخليلي . وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن
حمزة المقدسي عوضا عن شرف الدين مات رحمه الله ، وخلف عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات
الكبار وأكابر الأمراء ، وولي نجم الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال عوضا عن ابن الشيرازي
وخلف عليه مع الجماعة ، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه وخلق من الكتبة والولاة وصودروا
بمال كثير ، واحتيط على أموالهم وحواصمهم ، وعلى بنت ابن السلموس وابن عدنان وخلق ، وجزت
خبطة عظيمة ، وقدم ابنا الشيخ على الحريري حسن وشيث من بسر لزيرة السلطان فحصل لهما منه
رغد وإسعاف وعادا إلى بلادهما ، وضيقت القلندرية السلطان بسفح جبيل المزة ، فأعطاه نحواً من
عشرة آلاف ، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان ولعب معه الكرة بالميدان ، واشتكت الاشراف
من تقيهم زين الدين بن عدنان ، فرفع صاحب يده عنهم وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي ،
فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة
الخطابة ، وعن يمينه صاحب حماة ، وتحتة بدر الدين أمير سلاح ، وعن يساره أولاد الحريري حسن
وأخوه ، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين ، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي ،
وتحتة بدر الدين بيسري ، وتحتة قرا سنقر وإلى جانبه الحاج بهادر ، وخلفهم أمراء كبار ، وخلف
على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية . ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان وزار السلطان
المصحف العثماني . ثم أصبح يوم السبت فلعب الكرة بالميدان .

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام وطالبه السلطان
عتابا كثيرا على أشياء صدرت منه ، ثم عفا عنه وأمره بالمسير معه إلى مصر ، واستناب بالشام الأمير
سيف الدين غرلو العادلي ، وخلف على المولى وعلى الموزل ، وحضر السلطان دار العدل وحضر عنده
الوزير والقضاة والأمراء ، وكان عادلا كما سمى ، ثم سافر السلطان في ثلثي عشر ذي الحجة نحو بلاد

حلب فاجتاز على حرستا ، ثم أقام بالبرية أياماً ثم ، عاد فنزل حمص ، وجاء إليه نواب البلاد وجلس
الأمير غرلوق نائب دمشق بدار العدل لحكم وعدل ، وكان محمود السيرة سديد الحكم رحمه الله تعالى .
ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ زين الدين بن منجي

الامام العالم العلامة مفتي المسلمين ، الصدر الكامل ، زين الدين أبو البركات بن المنجي بن الصدر
عز الدين أبي عمر عثمان بن أسعد بن المنجي بن بركات بن المتوكل النخعي ، شيخ الحنابلة وعلمهم ،
ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وتفقه ، فبرع في فنون من العلم كثره من الأصول
والفروع والعربية والتفسير وغير ذلك ، وانتهت إليه رياسة المذهب ، وصنف في الأصول ، وشرح
المقنع ، وله تعاليق في التفسير ، وكان قد جمع له بين حسن السمعة والديانة والعلم والوجاهة وصحة
الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة ، ولم يزل يواظب على الجامع للاشتغال متبرعاً حتى توفي في
يوم الخميس رابع شعبان ، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البها بنت صدر الدين الخجندی ، وصلى
عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق ، وحملهما جميعاً إلى سفح قاسيون شمالي الجامع المظفرى تحت الروضة
فدفنا في تربة واحدة رحمهما الله تعالى . وهو والد قاضي القضاة علاء الدين ، وكان شيخ المسارية
ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين ، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بعده الشيخ
أقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث .

المسعودي صاحب الحمام بالمرزة

أحد كبار الأمراء ، هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي ، أحد الأمراء
المشهورين بخدمة الملوك ، توفي ببستانه بالمرزة يوم السبت سابع عشرين شعبان ، ودفن صبح يوم
الأحد بترتبه بالمرزة ، وحضر نائب السلطنة جنازته ، وعمل عزاءه تحت النسر بجامع دمشق .

الشيخ الخالدي

هو الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي ، له زاوية خارج باب السلامة ، كان
يقصد فيها للزيارة ، وكان مشتملاً على عبادة وزهادة ، وكان لا يقوم لأحد ، ولو كان من كان ،
وعنده سكون وخشوع ومعرفة بالطريق ، وكان لا يخرج من منزله إلا إلى الجمعة ، حتى كانت وفاته
بنصف رمضان ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

الشرف حسين المقدسي^(١)

هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الامام الخطيب شرف الدين أبي بكر
عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي ، مرمع الحديث وتفقه وبرع في الفروع واللغة ، وفيه أدب وحسن
محاضرة ، مليح الشكل ، تولى القضاء بعد نجم الدين بن الشيخ فمضى الدين في أواخر سنة سبع

(١) في شذرات الذهب : حسن المقدسي .

وثمانين ، ودرس بدار الحديث الأشرقية بالسفح ، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال ، وقد قارب الستين ، ودفن من القدر بمقبرة جنده بالسفح ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته ، وعمل من القدر عزاءه بالجامع المظفرى ، وبأشر القضاة بمعه تقي الدين سليمان بن حمزة ، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرقية بالسفح ، وقد وليها شرف الدين الغابر الحنبلى النابلسى مدة شهر ، ثم صرف عنها واستقرت بيد التقي سليمان المقدسى .

الشيخ الامام العالم الناسك

أبو محمد بن أبي حمزة المغربي المالكي ، توفي بالديار المصرية في ذى القعدة ، وكان قوالا بالحنى ، أماراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر .

الصاحب محيي الدين بن النحاس

أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدى الحلبي الحنفي ، ولد سنة أربع عشرة وستائة بمحلب ، واشتغل وبرع وجمع الحديث وأقام بدمشق مدة ، ودرس بها بمدارس كبار ، منها الظاهرية والزنجانية ، وولى القضاء بمحلب والوزارة بدمشق ، ونظر الخزانة ونظر الدواوين والأوقاف ، ولم يزل مكرماً معظماً معروفاً بالفضيلة والانصاف في المناظرة ، محباً للحديث وأهله على طريقة السلف ، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته ، توفي ببستانه بالارزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن يوم الثلاثاء مستهل سنة ست وتسعين بمقبرة له بالارزة ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة .

قاضي القضاة

تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن القاضي الاعز أبي القاسم خلف بن بدر الملاقي الشافعي ، توفي في جمادى الأولى ودفن بالقرافة بترتهم .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وستائة

استهلت والخليفة والسلطان ونائب مصر ونائب الشام والقضاة هم المذكورون في التي قبلها والسلطان الملك المادل كتبنا في نواحي حمص بتصيد ، ومعه نائب مصر لاجين وأكابر الامراء ، ونائب الشام بدمشق وهو الامير سيف الدين غرلو المادلى . فلما كان يوم الاربعاء ثاني المحرم دخل السلطان كتبنا إلى دمشق وصلى الجمعة بالمقصورة وزار قبر هود وصلى عنده ، وأخذ من الناس قصصهم بيده ، وجلس بدار العدل في يوم السبت ووقع على القصص هو ووزيره نغر الدين الخليلي . وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين بن يحيى الدين بن النحاس في مدرستى أبيه الزنجانية والظاهرية وحضر الناس عنده ، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء وجاء يوم الجمعة فعلى الجمعة بالمقصورة

ثم صعد في هذا اليوم إلى مغارة الدم لزيارتها ، ودعا هناك وتصدق بجملة من المال ، وحضر الوزير الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء فجلس عند شبك الكاملية وقرأ القرآن بين يديه ، ورسم بأن يكمل داخل الجامع بالفرش ففعلوا ذلك ، واستمر ذلك نحواً من شهرين ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي فحمس الدين بن الحريري بالقيازية عوضاً عن ابن النحاس باتفاق بينهم ، وحضر عنده جماعة ، ثم صلى السلطان الجمعة الأخرى بالمقصورة ومعه وزيره ابن الخليلي وهو ضعيف من مرض أصابه ، وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل بن الملك السعيد ابن الصالح إسماعيل بن العادل بطلبخانة ولبس الشربوش ، ودخل القلعة ودقت له الكوسات على يابه ، ثم خرج السلطان العادل كتبها بالمسافر من دمشق بكرة الثلاثاء ثاني عشرين المحرم ، وخرج بعده الوزير فاجتاز بدار الحديث ، وزار الأثر النبوي ، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي وشافه بتدريس الناصرية ، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية فولياها القاضي كمال الدين بن الشريشي ، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ شيئا من حطام الدنيا قبله ، وكذلك أعطى خادم الأثر وهو المعين خطاب . وخرج الأعيان والقضاة مع الوزير لتوديعه . ووقع في هذا اليوم مطر جيد استشفى الناس به وغسل آثار المسافر من الأوساخ وغيرها ، وعاد النقي توبة من توديع الوزير وقد فوض إليه نظار الخزانة وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس ، ودرس الشيخ ناصر الدين بالناصرية الجوانية عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الأربعاء آخر يوم من المحرم .

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخبيط بين المسافر ، وخلف وتشويش ، ففلق باب القلعة الذي يلي المدينة ، ودخل صاحب شهاب الدين إليها من ناحية الخوخة ، ونهيا النائب والأمراء وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقفا ، فلما كان وقت المصروصل السلطان الملك العادل كتبها إلى القلعة في خمسة أنفس أو ستة من ماليبك ، فدخل القلعة فجاء إليه الأمراء وأحضر ابن جماعة وحسام الدين الحنفي ، وجددوا الحلف للأمراء ثانية فحلفوا ، وخلع عليهم ، وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله ، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام ، وكان الخلف الذي وقع بينهم يوم إحدى خمسة يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم ، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل ، وتوثق منهم ، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة ، وذلك لئلا يبقى بدمشق شيء من المال يتقوى به العادل إن قاتهم ورجع إلى دمشق ، ويكون قوة له هو في الطريق على ما عزم عليه من الغدر ، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين ييحااص وبكتوت الأزرق العادليين ، وأخذ

الخرانة من بين يديه والعسكر ، وقصدوا الديار المصرية ، فلما سمع العادل بذلك خرج في الدهليز وساق جريده إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا ، وتراجع إليه بعض مماليكه كزين الدين غلبك وغيره ، ولزم شهاب الدين الحنفى القلعة لتدبير المملكة ، ودرس ابن الشريشى بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر ، وتقلبتم أمور كثيرة في هذه الايام ، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها ، وأطلق كثيراً من المكوس ، وكتب بذلك توقييع وقرئت على الناس ، وغلا السعر جداً فبلفت الفرارة مائتين ، واشتد الحال وتفاقم الأمر ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

سلطنة الملك منصور لاجين السلحداري

وذلك أنه لما استاق الخرانة وذهب بالجيش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة ، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار وبايعوه وملكوه عليهم . وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر ، ودقت بصر البشار ، وزينت البلد ، وخطب له على المنابر ، وبالقدس والخليل ، ولقب بالملك المنصور ، وكذلك دقت له البشار بالكرك ونابلس وصفد ، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق ، وقدمت النجريد من جهة الرجة محبة الأمير سيف الدين كجكن فلم يدخلوا البلد بل نزلوا بميدان الحصن ، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر ، وركب إليه الأمراء طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، فضعف أمر العادل جداً ، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء : هو خشداشى وأنا وهو شىء واحد ، وأنا سامع له مطيع ، وأنا أجلس في أى مكان من القلعة أريد ، حتى تسكت به وتنظر واية قول . وجاءت البريدية بالمكتوبات بالأمر بالاحتياط على القلعة وعلى العادل وبقي الناس في هرج وأقول ذات ألوان مختلفة ، وأبواب القلعة مغلقة ، وأبواب البلد سوى باب النهر إلا الخوخة ، والعمامة حول القلعة قد ازدحموا حتى سقطت طائفة منهم بالخنق فمات بعضهم ، وأهسى الناس عشية السبب وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين ، ودقت البشار بذلك بعد العصر ودعاه المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق ، وتلوا قوله تعالى [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء] الآية .

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء وفيهم غرلو العادلى بدار السعادة فحلفوا للمنصور لاجين ، ونودى بذلك في البلد ، وأن يفتح الناس دكاكينهم ، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب ، فعمل الوالى ابن النشابة حسبة البلد ، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته . وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين ، وسافر نائب البلد غرلو والأمير جاعان إلى الديار المصرية يعلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به ، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة عاشر صفر ، وشق القاهرة في سادس عشره في أبهة المملكة ، وعليه الخلمة الخلفية

والأمراء بين يديه ، وأنه قد استناب بمصر الأمير سيف الدين سنقر المنصوري ، وخطب للمنصور
 لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول ، وحضر المقصورة القضاة وقميس الدين الاعسر وكجكن ،
 واستندرو جماعة من أمراء دمشق ، وتوجه القاضي إمام الدين القزويني وحسام الدين الحنفي وجمال
 الدين المالكي إلى الديار المصرية مطلوبين ، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان ، وسيف
 الدين جاعان من جهة السلطان فخلفوا الأمراء ثانية ودخلوا على العادل القلعة ومعهم القاضي بدر الدين
 ابن جماعة وكجكن فخلفوه أيماناً مؤكدة بعدما طال بينهم الكلام بالتركي ، وذكر وبالتركي في مبايعته
 أنه راض من البلدان أي بلد كان ، فوقم التعيين بعد اليقين على قلعة صرخد ، وجاءت المراسيم
 بالوزارة لتقي الدين توبة ، وعزل شهاب الدين الحنفي ، وبالحسبة أمين الدين يوسف الأرمي الرومي
 صاحب شمس الدين الايكي ، عوضاً عن زين الدين الحنفي ، ودخل الأمير سيف الدين قبجق
 المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت السادس عشر من ربيع الأول ، ونزل دار
 السعادة عوضاً عن سيف الدين غرلو العادلي ، وقد خرج الجيش بكامله لتلقيه ، وحضر يوم الجمعة
 إلى المقصورة فصلى بها وقرأ بعد الجمعة كتاب سلطاني حسامي بإبطال الضمانات من الأوقاف
 والأملاك بغير رضى أصحابها ، قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الانشاء ، ونودي
 في البلد من له مظالم فليات يوم الثلاثاء إلى دار العدل ، وخلع على الأمراء والمقدمين وأرباب المناصب
 من القضاة والكتبة ، وخام على ابن جماعة خلعيتين واحدة للقضاة والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني القضاء بالشام
 عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة ، وتدريس القيمرية التي كانت بيد
 إمام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيمرية يوم الخميس ثاني
 رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم الأربعاء الثامن من رجب فجلس
 بالعادلية وحكم بين الناس وامتدحه الشراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها :

تبدلت الأيام من بعد عسرها يسراً * فأضحت تغور الشام تغتر بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ومعه القاضي جمال الدين الزواوي ، قاضي قضاء المالكية
 وعليه خلعة أيضاً ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو
 حسن جميل ، ودرس بالعادلية بكرة الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد الدرس بولاية أخيه
 جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلعة ، وجاء الناس يهنئونه وقرئ تقليده
 يوم الجمعة بالشباك السكالي بعد الصلاة بمحضرة نائب السلطنة وبقية القضاة ، قرأه شرف الدين
 الفزاري . وفي شعبان وصل الخبر بأن قميس الدين الاعسر تولى بالديار المصرية شد الدواوين

والوزارة ، وباشر المنصبين جميعاً ، وباشر نظر الدواوين بدمشق نضر الدين بن السرجى عوضاً عن زين الدين بن مصرى ، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال ، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفارقى مع الناصرية بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشى بالقاهرة .

وفى الرابع عشر من ذى القعدة أمسك الأمير قنص الدين قراستقر المنصورى نائب الديار المصرية لاجين هو وجاعة من الامراء معه ، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام ، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكوت الحسامى ، وهؤلاء الامراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وباعوه على العادل كتبغا ، وقدم الشيخ كمال الدين الشريشى ومعه توقيع بتدريس الناصرية عوضاً عن الشامية البرانية ، وأمسك الأمير قنص الدين سنقر الأعرس وزير مصر وشاد الدواوين يوم السبت الثالث والعشرين من ذى الحجة ، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام . ونودى بمصر فى ذى الحجة أن لا يركب أحد من أهل الذمة فرساً ولا بغلاً ، ومن وجد منهم راكباً ذلك أخذ منه . وفيها ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر المتقدم ذكره فى التى قبلها . ومن توفى فيها من الاعيان

قاضي قضاة الحنابلة بمصر

عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى الحنبلى ، سمع الحديث وبرع فى المذهب وحكم بمصر ، وكان مشكوراً فى سيرته وحكمه ، توفى فى صفر ودفن بالمقطم ، وتولى بعده شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحرانى بديار مصر .

الشيخ الامام الحافظ القدوة

عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصرى الحنبلى ، توفى بالمدينة النبوية فى أواخر صفر ، ولد سنة خمس وعشرين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة ، وحج فيها أربعين حجة متوالية ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله . الشيخ شيث بن الشيخ علي الحريرى

توفى بقرية بسر من حوران يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر وتوجه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكبر فيه .

الشيخ الصالح المقرئ

جمال الدين عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصرى ، ثم الدمشقى ، تقيب السبع الكبير والنزالية ، كان قد قرأ على السخاوى وسمع الحديث ، توفى فى أواخر رجب وصلى عليه

بالجامع الاموى ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان .

واقف السامرية

الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري واقف السامرية التي إلى جانب الكروسية بدمشق ، وكانت داره التي يسكن بها ، ودفن بها ووقفها دار حديث وخانقاه ، وكان قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة ، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام ، بناها من حجارة منحوتة كلها ، وكان السامري كثير الأموال حسن الأخلاق معظماً عند الدولة ، جميل المعاشرة ، له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة ، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، وقد كان ببغداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمي ، وامتدح المعتمد وخلع عليه خلمة سوداء سنية ، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فخطب عنده أيضاً فسمي فيه أهل الدولة فصنف فيهم أرجوزة فتح عليهم بسببها بابا فصادروهم المالك بمشرين ألف دينار ، فعضموه جديماً وتولوا به إلى أغراضهم ، وله قصيدة في مدح النبي (س) ، وقد كتب عنه الحافظ الديلماني شيئاً من شعره .

واقف النفيسية التي بالرصيف

الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلام بن علي ابن صدقة الحراني ، كان أحد شهود القيمة بدمشق ، وولى نظر الأيتام في وقت ، وكان ذا ثروة من المال ، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وجمع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفي يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذي القعدة ، ودفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ما صلى عليه بالاموى .

الشيخ أبو الحسن المعروف بالساروب الدمشقي

يلقب بتجم الدين ، ترجمه الحريري فأطنب ، وذكر له كرامات وأشياء في علم الحروف وغيرها والله أعلم بحاله .

وفيها قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه ، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم وأسلم معه أكثر النتر ، فان النتر شوشوا خاطر قازان عليه واستأله منه وعنه ، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب إليه ، وكان نوروز هذا من خيار أمراء النتر عند قازان وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته ، وقصده الجيد رحمه الله وعفا عنه ، ولقد أسلم على يديه منهم خاق كثير لا يعلمهم إلا الله ، واتخذوا السبح والمياكل وحضروا الجمع والجماعات وقرأوا القرآن والله أعلم . ثم دخلت سنة سبع وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم والسلطان لاجين وفائب مصر منكونم وفائب دمشق قبجق . وفي عاشر صفر تولى جلال الدين بن حسام الدين القضاء مكان أبيه بدمشق ، وطلب أبوه إلى مصر فأقام

عند السلطان وولاه قضاء قضاء مصر للحنفية عوضاً عن فمس الدين السروجي ، واستقر ولده بدمشق قاضي قضاء الحنفية ، ودرس بمدرستي أبيه الخاتونية والمقدمية ، وترك مدرسة الفصاعين والشبلية وجاء الخبر على يدى البريد بعافية السلطان من الوقعة التى كان وقها فدقت البشائر وزينت البلد ، فانه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة ، فكان كما قال الشاعر :

حويت بطشاً وإحساناً ومعرفة * وليس يحمل هذا كله الفرس

وجاء على يديه تقليد وخلمة لنائب السلطنة ، فقرأ التقليد وباس العتبة . وفى ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان وحضر عنده إمام الدين الشافعى وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء ، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه بأذنه فى ذلك .

وفى ربيع الاول غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً ، ثم استرضى وعاد وشرطوا عليه أن لا يستنبد ولده الحب ، وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة المعظمية وخطب فيها مدرستها القاضي فمس الدين بن المعز الحنفى ، واشتهر فى هذا الحين القبض على بدر الدين بيسرى واحتيط على أمواله بديار مصر ، وأرسل السلطان بحريدة صحبة علم الدين الدويدارى إلى تل حمدون ففتحها بحمد الله ومنه ، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق فى الثانى عشر من رمضان ، وخربت به الخليلية وأذن بها الظهر ، وكان أخذها يوم الاربعاء سابع رمضان ، ثم فزحت مرعش بعدها فدقت البشائر ، ثم انتقل الجيش الى قلعة حموص فأصيب جماعة من الجيش منهم الامير علم الدين سنجر طقصباً أصابه زيار فى فخذه ، وأصاب الامير علم الدين الدويدارى حجر فى رجله .

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعاداً فى الجهاد وحرص فيه وبالغ فى أجور المجاهدين ، وكان ميعاداً حافلاً جليلاً .

وفى هذا الشهر عاد الملك المسعود بن خضو بن الظاهر من بلاد الاشكرى إلى ديار مصر بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور ، وتلقاه السلطان بالموكب وأكرمه وعظمه . وحج الامير خضر بن الظاهر فى هذه السنة مع المصريين وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى . وفى شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التى أنشأها نائب السلطنة بمصر وهى المنكونمرية داخل باب القنطرة . وفيها دقت البشائر لاجل أخذ قلعتى حميص ونجم من بلاد سييس .

وفيها وصلت الجريدة من بلاد مصر قاصدين بلاد سييس مدداً لأصحابهم ، وهى نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وفى منتصف ذى الحجة أمسك الامير عز الدين أيبك الحموى الذى كان نائب الشام هو وجماعة من أهله وأصحابه من الامراء . وفيها قلت المياه بدمشق جسداً حتى بقى نورا فى

بعض الأماكن لا يصل إلى ركبة الإنسان ، وأما بردى فإنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر حسر بن ، وغلاسر الثلج بالبلد . وأما نيل مصر فإنه كان في غاية الزيادة والكثرة .
ومن توفى فيها من الأعيان . الشيخ حصن بن الشيخ علي الحريري
في ربيع الأول بقرية بسر ، وكان من كبار الطائفة ، وللناس إليه ميل لحسن أخلاقه وجودة معاشرته ، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة .

الصدر الكبير شهاب الدين

أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجا بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن السلعوس ، أخو الوزير ، قرأ الحديث وسمع الكثير ، وكان من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والبر ، توفى بداره في جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وعمل عزاءه بمسجد ابن هشام ، وقدموا في وقت نظر الجامع وشكرت سيرته ، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه ، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفى ، وشهد جنازته خلق كثير من الناس .

الشيخ شمس الدين الأيكي

محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ، المعروف بالأيكي ، أحد الفضلاء الحلالين للشكليات ، الميسرين المضلات ، لاسيما في علم الأصول والمنطق ، وعلم الأوائل ، بشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر ، وأقام مدرس الفزالية قبل ذلك ، توفى بقرية المزة يوم جمعة ، ودفن يوم السبت ومشى الناس في جنازته ، منهم قاضي القضاة إمام الدين التزويني ، وذلك في الرابع من رمضان ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شمعة وعمل عزاءه بخاتناه السيمساطية ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان معظم في نفوس كثير من العلماء وغيرهم

الصدر ابن عقبة

إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي ، درس وأعاد ، وولى في وقت قضاء حلب ، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر فجاء بتوقيع فيه قضاء قضاء حلب ، فلما اجتاز بدمشق توفى بها في رمضان من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة . يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الأمل
الشهاب العابر

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي شهاب الدين عابر الرؤيا ، سمع الكثير وروى الحديث . وكان مجيهاً في تفسير المنامات ، وله فيه اليد الطولى ، وله تصنيف فيه ليس كالذي يؤثر عنه من الغرائب والمجائب ، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، توفى في ذي القعدة ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله .



ثم الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية . ويليه الجزء الرابع عشر . وأوله سنة ثمان وتسعين وستمائة

فهرست الجزء الثالث عشر من كتاب البداية والنهاية

صحيحة	صحيحة
٢ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة	أبو الغنائم محمد بن علي
٤ تركته وشيء من ترجمته	الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد
٦ فصل	الشيخ أبو شجاع
٧ <u>السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب</u>	ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
الأمير بكتمر صاحب خلط	١٥ سيف الإسلام طغتكين
الأنابك عز الدين مسعود	الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي
جعفر بن محمد بن فطيرا	قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي
يحيى بن سعيد بن غازي	ابن هبة الله بن محمد
السيدة زبيدة	السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد
٨ الشيخة الصالحة فاطمة خاتون	١٦ الست عذراء بنت شاهنشاه
ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة	ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة
٩ أحمد بن إسماعيل بن يوسف	١٧ العوام بن زيادة
١٠ ^{لغز عجب} ابن الشاطبي ناظم الشاطبية	القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة	الأمير عز الدين حرديل
١١ علي بن حسان بن سافر	ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة
١٢ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة	فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر
مؤيد الدين أبو الفضل	١٩ السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف
١٣ الفخر محمود بن علي	٢١ الأمير مجاهد الدين قياز الرومي
	أبو الحسن محمد بن جعفر
	الشيخ جمال الدين أبو القاسم
	ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

صحيفة

- ٢٢ السلطان علاء الدين خوارزم شاه
 ٢٣ نظام الدين مسعود بن علي
 أبو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب
 الفقيه مجد الدين
 الأمير صارم الدين قايمار
 الأمير لؤلؤ
 ٣٤ الشيخ شهاب الدين الطوسي
 الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي
 الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكر
 الشاعر أبو الحسن
 أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف
 ٢٦ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة
 ٢٨ عبد الرحمن بن علي
 ٣٠ العماد الكاتب الأصبهاني
 ٣١ الأمير بهاء الدين قراقوش
 مكلبة بن عبد الله المستنجدي
 أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع
 ٣٢ أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر
 ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
 القاضي ابن الزكي
 ٣٣ الخطيب الدولعي
 الشيخ علي بن علي بن عlish
 الصدر أبو الثناء حماد بن هبة الله
 ٣٤ ينفشا بنت عبد الله
 ابن المحتسب الشاعر أبو السكر
 ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

صحيفة

- الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين
 الأمير علم الدين أبو منصور^(١)
 ٣٥ القاضي الضياء الشهرزوري
 عبد الله بن علي بن نصر بن حمزه
 ابن النجا الواعظ
 ٣٦ الست الجليلة زمرد خاتون
 سنة ستائة من الهجرة
 ٣٨ أبو القاسم بهاء الدين
 الحافظ عبد الغني المقدسي ✓
 ٣٩ أبو الفتوح أسعد بن محمود العجاي
 ٤٠ البناني الشاعر
 أبو سعيد الحسن بن خلد
 العراقي محمد بن العراقي
 ثم دخلت سنة إحدى وستائة
 ٤١ أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلبي
 ٤٢ أبو نصر محمد بن سعد الله^(١)
 أبو العباس أحمد بن مسعود
 أبو الفداء إسماعيل بن برتمس النجاوي
 أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلي
 ٤٣ أبو السعادات الحلبي
 أبو غالب بن كمنونة اليهودي
 ثم دخلت سنة اثنتين وستائة
 ٤٤ شرف الدين أبو الحسن
 التقي عيسى بن يوسف

- أبو الفنائم المكي سهار البغدادي
أبو الحسن علي بن سعاد الفارسي
الخاتون
٤٥ الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجد
ثم دخلت سنة ثلاث وستائة
٤٦ الفقيه أبو منصور
عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر
أبو الحزم مكي بن زيان
إقبال الخادم
ثم دخلت سنة أربع وستائة
٤٩ الأمير بنيامين بن عبد الله
٥٠ حنبل بن عبد الله
عبد الرحمن بن عيسى
الأمير زين الدين قراجا الصلاحي
عبد العزيز الطيب
العفيف بن الدرعي
أبو محمد جعفر بن محمد
٥١ ثم دخلت سنة خمس وستائة
٥٢ أبو الفتح محمد بن أحمد بن يختيار
قاضي القضاة لمصر
ثم دخلت سنة ست وستائة
٥٣ القاضي الأسعد ابن ماني
أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل
أبو عبد الله محمد بن الحسن
- أبو المواهب معتوق بن منيع
ابن خروف
أبو علي يحيى بن الربيع
٥٤ ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية
المجلد المطرزي النحوي الخوارزمي
الملك المغيث
٥٥ مسعود بن صلاح الدين
الفخر الرازي
٥٦ ثم دخلت سنة سبع وستائة
٥٧ ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين
٥٨ الشيخ أبو عمر
٦١ ابن طبرزد شيخ الحديث
السلطان الملك العادل أرسلان شاه
ابن سكيته عبد الوهاب بن علي
مظفر بن ساسير
٦٢ ثم دخلت سنة ثمان وستائة
الشيخ عماد الدين
ابن حمدون تاج الدين
٦٣ صاحب الروم خسرو شاه
الأمير فخر الدين سر كس
الشيخ الكبير المعمر أبو القاسم
أبو بكر أبو الفتح
قاسم الدين التركاني
ثم دخلت سنة تسع وستائة

- أبو الفنائم المكي سهار البغدادي
أبو الحسن علي بن سعاد الفارسي
الخاتون
٤٥ الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجد
ثم دخلت سنة ثلاث وستائة
٤٦ الفقيه أبو منصور
عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر
أبو الحزم مكي بن زيان
إقبال الخادم
ثم دخلت سنة أربع وستائة
٤٩ الأمير بنيامين بن عبد الله
٥٠ حنبل بن عبد الله
عبد الرحمن بن عيسى
الأمير زين الدين قراجا الصلاحي
عبد العزيز الطيب
العفيف بن الدرعي
أبو محمد جعفر بن محمد
٥١ ثم دخلت سنة خمس وستائة
٥٢ أبو الفتح محمد بن أحمد بن يختيار
قاضي القضاة لمصر
ثم دخلت سنة ست وستائة
٥٣ القاضي الأسعد ابن ماني
أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل
أبو عبد الله محمد بن الحسن

صحيفة

- ٦٤ نجم الدين أيوب
فقيه الحرم الشريف بمكة
أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي
الشيخ الصالح الزاهد العابد
ثم دخلت سنة عشر وستائة
٦٥ مسعود الأمير
شيخ الحنفية
والشيخ أبو الفضل بن إسماعيل
والوزير معز الدين أبو المعالي
٦٦ وسنجر بن عبدالله الناصري
قاضي السلامة
وتاج الأمناء
والنسابة الكلي
٦٧ المذهب الطبيب المشهور
الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستائة
٦٨ إبراهيم بن علي
الركن عبد السلام بن عبد الوهاب
أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك
الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستائة
٦٩ الحافظ عبد القادر الرهاوي
الوجيه الأعمى
٧٠ أبو محمد عبد العزيز بن أبي المعالي
الشيخ الفقه كمال الدين مودود

صحيفة

- ٧١ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة
الملك الظاهر أبو منصور
زيد بن الحسن
٧٢ العزيز محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي
أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك
الشريف أبو جعفر
أبو علي مزيد بن علي
٧٥ أبو الفضل رشوان بن منصور
محمد بن يحيى
ثم دخلت سنة أربع عشرة وستائة
٧٧ الشيخ الامام العلامة الشيخ العماد
القاضي جمال الدين ابن الحرساني
٧٨ الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم
الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ
الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة
ثم دخلت سنة خمس عشرة وستائة
٨٠ صفة أخذ الفرنج دمياط
٨١ القاضي شرف الدين
٨٢ عماد الدين أبو القاسم
أبو اليمن نجاح بن عبدالله الحبشي
أبو المظفر محمد بن علوان
أبو الطبيب رزق الله بن يحيى
ثم دخلت سنة ست عشرة وستائة
ظهور جنكيز خان وعبور التتار
نهر جيحون

صحيفة

- ٨٤ ست الشام
٨٥ أبو البقاء صاحب الاعراب واللباب
الحافظ عماد الدين أبو القاسم
٨٦ أبو زكريا يحيى بن القاسم
صاحب الجواهر
ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة
٩٢ الملك الفائز
٩٣ شيخ الشيوخ صدر الدين
صاحب حمه
صاحب آمد
الشيخ عبد الله اليونيني
٩٤ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة
٩٦ ياقوت الكاتب الوصلي رحمه الله
جلال الدين الحسن
الشيخ الصالح
والخطيب موفق الدين
المحدث تقي الدين أبو طاهر
٩٧ أبو الفيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب
أبو العز شرف بن علي
أبو سليمان داوود بن إبراهيم
أبو المظفر عبد الوود بن محمود بن المبارك
ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة
٩٨ عبد القادر بن داود

صحيفة

- أبو طالب يحيى بن علي
٩٩ قطب الدين العادل
الشيخ نصر بن أبي الفرج
ثم دخلت سنة عشرين وستمائة
موفق الدين عبد الله بن أحمد
١٠١ عبد الرحمن بن الحسن بن هبة
الله بن عساكر
سيف الدين محمد بن طرودة الموصلية
١٠٢ الشيخ أبو الحسن الروزبهاري
الشيخ عبد الرحمن اليماني
الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد
الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة
١٠٣ أبو علي الحسن بن أبي المحاسن
أبو علي يحيى بن المبارك
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة
١٠٤ أحمد بن محمد
أبو الكرم المظفر بن المبارك
١٠٥ محمد بن أبي الفرج بن بركة
أبو بكر بن حلبة الموازيني البغدادي
أحمد بن جعفر بن أحمد
ثم دخلت سنة إثنين وعشرين وستمائة
١٠٦ وفاة الخليفة الناصر لدين الله
وخلافة ابن الظاهر

- ١٠٧ خلافة الظاهر بن الناصر
١٠٨ أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل
الأمير سيف الدين علي
الشيخ علي الكردي
١٠٩ الفخر ابن تيمية
الوزير بن شكر
أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر
١١٠ أبو الحسن علي بن الحسن
البحر السنجاري
عثمان بن عيسى
أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوي
١١١ أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله
أبو علي الحسن بن علي
أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ
ابن يونس شارح التنبيه
١١٢ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستائة
وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه
المستنصر
١١٣ خلافة المستنصر بالله العباسي
١١٤ الجمال المصري
١١٥ المعتمد والي دمشق
١١٦ واقف الشبلية التي بطريق الصاحية
واقف الرواحية بدمشق وحلب
أبو محمد محمود بن مودود بن محمود
ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله
١١٧ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستائة
جنكيز خان

- ١٢١ السلطان الملك المعظم
١٢٢ أبو المعالي أسعد بن يحيى
أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد
أبو النجم محمد بن القاسم بن
هبة الله التكريتي
١٢٣ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستائة
ثم دخلت سنة ست وعشرين وستائة
١٢٤ الملك المسعود اقسيس بن الكامل
محمد السبتي النجار
أبو الحسن علي بن سالم
١٢٥ أبو يوسف يعقوب بن صابر الحراني
١٢٦ أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي
أبو الفضل جبرائيل بن منصور
١٢٧ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستائة
زين الأمان الشيخ الصالح
١٢٨ الشيخ بيرم المارديني
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستائة
١٢٩ يحيى بن معطي بن عبد النور
١٣٠ الدخوار الطيب
القاضي أبو غانم بن العديم
أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي
أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم
المجد البهنسي
١٣١ جمال الدولة

صحيفة

الملك الأجد

بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه

١٣٢ جلال الدين تكش

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستائة

١٣٣ الحافظ محمد بن عبد الغني

الجمال عبد الله بن الحافظ عبد

الغني المقدسي

أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب

حسام بن غزي

١٣٤ أبو عبد الله محمد بن علي

أبو الثناء محمود بن رالي

ابن معطي النحوي يحيى

١٣٥ ثم دخلت سنة ثلاثين وستائة

١٣٦ أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج

ابن الجوزي

الوزير صفى الدين بن شكر

الملك ناصر الدين محمود

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم

الملك المظفر أبو سعيد كوكبيري

١٣٧ والملك العزيز بن عثمان بن العادل

أبو المحاسن محمد بن نصر الدين

ابن نصر

صحيفة

١٣٨ الشيخ شهاب الدين السهروردي

١٣٩ ابن الأثير مصنف اسد الغابة والكامل

ابن المستوفي الأربلي

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستائة

١٤٠ أبو الحسن علي بن أبي علي

١٤١ واقف الركينة الأمير ركن

الدين مفكورس الفلاني

الشيخ الامام العالم رضي الدين

الشيخ طي المصري

الشيخ عبد الله الأرمني

ثم دخلت سنة إثنين وثلاثين وستائة

قاضي القضاة بحلب

ابن الفارض

١٤٤ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستائة

الحاجري الشاعر

ابن دحية

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستائة

١٤٥ الملك العزيز الظاهر

١٤٦ صاحب الروم

الناصح الحنبلي

الكمال بن المهاجر

الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية

الفاضي عبد الرحمن التكريتي

- ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة
 ١٤٩ ذكر وفاة الملك الكامل
 ذكر ما جرى بعده
 ١٥٠ وأما الجواد
 محمد بن زيد
 ١٥١ محمد بن هبة الله بن جميل
 القاضي شمس الدين يحيى بن بركات
 الشيخ شمس الدين بن الحوي
 الشيخ الصالح المعمر
 صارم الدين
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة
 ١٥٢ جمال الدين الحصري الحنفي
 ١٥٣ الوزير جمال الدين علي بن حديد
 جعفر بن علي
 الحافظ الكبير زكي الدين
 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة
 ١٥٤ صاحب حمص
 ١٥٥ القاضي الحوي شمس الدين أحمد بن خليل
 ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة
 ١٥٦ محي الدين بن عربي
 القاضي نجم الدين أبو العباس
 ١٥٧ ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرولي
 ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة
 الشمس ابن الخباز

- ١٥٨ الكمال بن يونس
 عبد الواحد الصوفي
 أبو الفضل أحمد بن اسفنديار
 أبو بكر محمد بن يحيى
 قاضي القضاة ببغداد
 ١٥٩ ثم دخلت سنة أربعين وستمائة
 ١٦٠ خلافة المستعصم بالله
 ١٦١ المحتصر بالله
 خاتون بنت عز الدين مسعود
 ١٦٢ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة
 الشيخ شمس الدين أبو الفتوح
 ١٦٣ الشيخ الحافظ الصالح
 واقف الكروسية
 الملك الجواد يونس بن ممدود
 ١٦٤ مسعود بن أحمد بن مسعود
 أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسين
 ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وستمائة
 ١٦٥ الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب
 تاج الدين أبو عبد الله بن عمر بن حمويه
 الوزير نصر الدين أبو الأزهر
 نقيب النقباء خطيب الخطباء
 ١٦٦ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة
 ١٦٨ الشيخ تقي الدين أبو الصلاح
 ١٦٩ ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ

صحيفة

الحافظ ضياء الدين المقدسي
١٧٠ الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي

ربيعة خاتون بنت أيوب

١٧١ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ

سيف الدين بن قلع

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

١٧٢ الملك المنصور

الصائغ محمد بن حسان

الفيقيه العلامة محمد بن محمود بن

عبد المنعم

والضياء عبد الرحمن الفماري

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

الحسين بن الحسين بن علي

الشلوبين النحوي

الشيخ علي المعروف بالحريري

١٧٤ واقف العزيزه الأمير عز الدين أيبك

الشهاب غازي بن العادل

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة

١٧٥ فصل الدين الخونجي

علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن
المهرمي

١٧٦ الشيخ أبو عمرو بن الحاجب

١٧٧ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة

١٧٨ فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة

صحيفة

المعز عز الدين أيبك التركماني يملك

مصر بعد بني أيوب

١٧٩ الناصر بن العزيز بن الظاهر صاحب

حلب يملك دمشق

شيء من ترجمة الصالح إسماعيل

واقف تربة الصالح

١٨٠ الملك المعظم توران شاه بن الصالح

أيوب

الخاتون ارغوانية

أمين الدولة أبو الحسن غزال المتطلب

١٨١ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة

بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة

المهيري

القاضي أبو الفضل عبد الرحمن بن

عبد السلام

١٨٢ ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية

جمال الدين بن مطروح

شمس الدين محمد بن سعد المقدسي

١٠٣ عبد العزيز بن علي

الشيخ أبو عبدالله محمد بن غانم

ابن كريم

١٨٤ أبو الفتح نصر الله بن هبة الله

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة

١٨٥ ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وستمائة

عبد الحميد بن عيسى

١٨٦ الشيخ كمال الدين بن طلحة

السيد بن علان

الناصح فرج بن عبد الله الحبشي

النصرة بن صلاح الدين يوسف

ابن ايوب

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستائة

ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم

أبو العز^(١) إسماعيل بن حامد

١٨٧ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستائة

١٩٣ الشيخ عماد الدين عبد الله بن

الحسن بن النحاس

١٩٤ يوسف بن الأمير حسام الدين

١٩٥ واقف مرستان الصالحية

مجير الدين يعقوب بن الملك العادل

أبي بكر بن أيوب

الأمير مظفر الدين إبراهيم

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستائة

١٩٧ والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن

أبي الفهم

الشيخ شرف الدين

المشهد الشاعر الأمير سيف الدين

١٩٨ بشاره بن عبد الله

القاضي تاج الدين

الملك الناصر

الملك المعز

١٩٩ شجرة الدر بنت عبد الله

الشيخ الأسعد هبة الله بن صاعد

ابن أبي الحديد الشاعر العراقي

٢٠٠ ثم دخلت سنة ست وخمسين وستائة

٢٠٤ خليفة الوقت المستعصم بالله

٢١٠ فصل

فصل

٢١١ الصرصري المادح رحمه الله

البهاء زهير صاحب الديوان

٢١٢ الحافظ زكي الدين المنذري

النور أبو بكر بن محمد بن محمد

عبد العزيز

الوزير - بن العلامي الرافضي قبّحه الله

٢١٣ محمد بن عبد الصمد بن عبد الله

ابن حيدرة

القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان

العماد داود بن عمر بن يحيى بن

عمر بن كامل

الشيخ علي العابد الخباز

صحيفة

محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي
الفرج أبو عبدالله المقدسي
٢١٤ البدر لؤلؤ صاحب الموصل
الملك الناصر داود المعظم
٢١٥ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة
٢١٦ ولاية الملك المظفر قطز
واقف الصدرية صدر الدين أسعد
بن المنجاة بن بركات بن مومل
الشيخ يوسف الاقيني
٢١٧ الشمس علي بن الشبي المحدث
أبو عبدالله الفاسي شارح الشاطبية
النجم أخو البدر مفضل
سعد الدين محمد بن الشيخ محي
الدين بن عربي
سيف الدين بن صبرة
النجيب بن شعيشعة الدمشقي
٢١٨ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة
٢١٩ صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم
عنها سريعاً
٢٢٠ وقعت عين جالوت
٢٢٢ ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس
البندقداري
٢٢٤ قاضي القضاة صدر الدين أبو
العباس ابن سني الدولة

صحيفة

الملك السعيد صاحب ماردين
٢٢٥ الملك السعيد حسن بن عبدالعزيز
عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحسن
ابن عبد الرحمن بن طاهر
الملك المظفر قطز بن عبدالله
٢٢٧ الشيخ محمد الفقيه اليونيني
٢٢٩ محمد بن خليل بن عبد الوهاب
ابن بدر
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة
٢٣١ البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي
القاسم أحمد بن أمير المؤمنين
الظاهر
٢٣٢ تولية الخلافة للمستنصر بالله لسدك
الظاهر السلطنة
ذهاب الخليفة إلى بغداد
٢٢٣ ثم دخلت سنة ستين وستمائة
ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي
٢٣٥ الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر
الله العباسي
العز الضير النحوي اللغوي
ابن عبد السلام
٢٣٦ كمال الدين بن العديم الحنفي
يوسف بن يوسف بن سلامة
البدر المراغي الخلافي

هولاكو خان بن تولي خان بن
جنكيز خان
ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة
٢٤٩ السلطان برکه خان بن تولي بن
جنكيز خان
قاضي القضاة بالديار المصرية
٢٥٠ واقف القيمرية الامير الكبير
ناصر الدين
الشيخ شهاب الدين أبو شامة
٢٥١ ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة
فتح انطاكية على يد السلطان
الملك الظاهر
٢٥٣ الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال
٢٥٤ الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله
ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة
٢٥٥ الأمير عز الدين أيدهر بن عبد الله
شرف الدين أبو الظاهر
القاضي تاج الدين أبو عبد الله
الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن
٢٥٦ الشيخ نصير الدين
الشيخ أبو الحسن
ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة
٢٤٧ صاحب زين الدين يعقوب بن
عبد الله الرفيع

محمد بن داود بن ياقوت الصارمي
٢٢٧ ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة
ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبي العباس
١٣٨ ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام
صاحبها
٢٤١ أحمد بن محمد بن عبد الله
عبد الرزاق بن عبد الله
محمد بن أحمد بن عنتر السامي الدمشقي
علم الدين أبو القاسم بن أحمد
الشيخ أبو بكر الدينوري
مولد الشيخ تقي الدين ابن تيميه
شيخ الإسلام
٢٤٢ الأمير الكبير مجير الدين
ثم دخلت سنة إثنين وستين وستمائة
٢٤٣ الملك الأشرف
الخطيب عماد الدين بن الحورستاني
محيي الدين محمد بن أحمد بن محمد
٢٤٤ محيي الدين عبد الله بن صفى الدين
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة
٢٤٦ خالد بن يوسف بن سعد النابلسي
الشيخ أبو القاسم الحواري
القاضي بدر الدين الكردي السنجاري
ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة
٢٤٨ أيدهر بن عبد الله

الشيخ موفق الدين
الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم
القاضي محيي الدين ابن الزكي
٢٥٨ صاحب فخر الدين
الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن
ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانمائة
٢٦٠ الملك تقي الدين عباس بن الملك
العاقل

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص
الطواشي شجاع الدين المظفري
الحموي

٢٦١ ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم
ابن محمد
ثم دخلت سنة سبعين وثمانمائة من
الهجرة

٢٦٢ الشيخ كمال الدين
وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب
فجم الدين يحيى بن محمد بن
عبد الواحد بن اللبودي
الشيخ علي البكاء

٢٦٣ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثمانمائة
٢٤٦ الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد
الخطيب فخر الدين أبو محمد

٢٦٥ الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني
العدوي
مصنف التعجيز

ثم دخلت سنة إثنين وسبعين وثمانمائة
٢٧٦ مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس
الأمير الكبير فارس الدين أقطاي
الشيخ عبد الله بن غانم
٢٦٧ قاضي القضاة كمال الدين

إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن
عبد الله

ابن مالك صاحب الالفية

النصير الطوسي

الشيخ سالم البرقي

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة
ابن عطاء الحنفي

٢٦٩ يميند بن يميند بن يميند

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة

٢٨٠ الشيخ الإمام العلامة

الشيخ الإمام عماد الدين عبد العزيز
ابن محمد

ابن الساعي المؤرخ

٢٧١ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة

وقعة البلستين وفتح قيسارية

صحيفة

- قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن
أبي العز
٢٨٢ طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال
الدين الهمداني
عبد الرحمن بن عبد الله
قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن
بن جمال الدين
الوزير ابن الحنا
الشيخ محمد ابن الظهير اللغوي
٢٨٣ ابن اسرائيل الحريري
٢٨٧ ابن العود الرافضي
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستائة
٢٨٨ حلع الملك السعيد وتولية أخيه
الملك العادل سلامش
بيعة الملك المنصور قلاوون الصالح
٢٨٩ سلطنة سنقر الأشقر بدمشق
عز الدين بن غانم الواعظ
٢٩٠ الملك السعيد بن الملك الظاهر
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستائة
٢٩٢ الأمير الكبير جمال الدين آقوش
الشمسي
٢٩٣ الشيخ الصالح داود بن حاتم
الأمير الكبير

صحيفة

- ٢٧٢ الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد
ابن عبد الخالق الدمشقي
الطواشي من الحبشي
الشيخ المحدث شمس الدين
أبو العباس
الشاعر شهاب الدين أبو المكارم
القاضي شمس الدين
٢٧٣ الشيخ الصالح العالم الزاهد
الشيخ الصالح جندل بن محمد المنيني
محمد بن عبد الرحمن بن محمد
محمد بن عبد الوهاب بن منصور
٢٧٤ ثم دخلت سنة ست وسبعين وستائة
٢٧٧ الأمير الكبير بدر الدين بيلبك
ابن عبد الله
قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي
٢٧٨ الشيخ خضر الكردي شيخ الملك
الظاهر
الشيخ محيي الدين النووي
٢٧٩ علي بن علي بن أسفنديار
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستائة
٢٨١ آقوش بن عبد الله الأمير الكبير
جمال الدين النجيب
أيديكين بن عبد الله

الجزار الشاعر

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة من
الهجرة

٢٩٥ وقعة حص

٢٩٧ أبغامك التتار بن هولاكوخان
قاضي القضاة

قاضي القضاة صدر الدين عمر

٢٩٨ الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري
قاضي القضاة

٢٩٩ الملك الأشرف

الشيخ جمال الدين الأسكندري

الشيخ علم الدين أبو الحسن

الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم

الشيخ صفي الدين

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

٣٠٠ الشيخ الصالح بقية السلف

القاضي امين الدين الأشثري

الشيخ برهان الدين أبو الشاء

القاضي الامام العلامة شيخ القراء

زين الدين

٣٠١ الشيخ صلاح الدين

ابن خلكان قاضي القضاة

ثم دخلت سنة إثننتين وثمانين وستمائة

٣٠٢ الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل

شيخ الجبل الشيخ العلامة شيخ الاسلام

ابن أبي جفوان

الخطيب محيي الدين

٣٠٣ الأمير الكبير ملك عرب ال مثرى

الشيخ الامام العالم شهاب الدين

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة

٣٠٤ الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج

القاضي الامام عز الدين أبو المفاخر

الملك السعيد فتح الدين

القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن

منصور

الملك المنصور ناصر الدين

٣٠٥ القاضي جمال الدين أبو يعقوب

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة

الشيخ عز الدين محمد بن علي

البندقداري

٣٠٦ الشيخ الصالح العابد الزاهد

ابن عامر المقري

القاضي عماد الدين

الشيخ حسن الرومي

٣٠٧ أبو القاسم علي بن بلبان بن عبدالله

الأمير مجير الدين

الشيخ العارف شرف الدين
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة
٣٠٨ أحمد بن شيبان

الشيخ الامام العالم البارع
قاضي القضاة

الشيخ مجد الدين

الشاعر الأديب

٣٠٩ الحاج شرف الدين^(٢)

يعقوب بن عبدالحق

البيضاوي صاحب التصانيف

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة

٣١٠ الشيخ الامام العلامة

عماد الدين

قاضي القضاة

شرف الدين سليمان بن عثمان

الشيخ الصالح عز الدين

٣١١ الحافظ أبو اليمن

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

٣١٢ الخطيب الامام قطب الدين

الشيخ الصالح العابد

الشيخ الصالح

٣١٣ الخوند غازية خاتون

الحكيم الرئيس

الشيخ بدر الدين

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
٣١٤ الشيخة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم
الزغبى

العالم ابن الصاحب

٣١٥ شمس الدين الأصبهاني

الشمس محمد بن العفيف

الملك المنصور شهاب الدين

٣١٦ الشيخ فخر الدين أبو محمد

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

وفاة الملك المنصور قلاوون

٣١٧ السلطان الملك المنصور قلاوون

٣١٨ الأمير حسام الدين طرطاي

الشيخ الإمام العلامة

الخطيب جمال الدين أبو محمد

فخر الدين أبو الظاهر إسماعيل

٣١٩ الحاج طيبرس بن عبدالله

قاضي القضاة

٣١٩ ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من

الهجرة

٣٢٠ فتح عكا وبقيّة السواحل

٣٢٤ ارغون بن ابغا ملك التتار

المسند المعمر الرحالة

٣٢٥ الشيخ تاج الدين القزاري

صحيفة

الطبيب الماهر عز الدين إبراهيم
ابن محمد بن طرخان
الشيخ الإمام العلامة
٣٣٦ الشيخ الامام أبو حفص عمر بن
يحيى بن عمر الكرخي
الملك العادل بدر الدين سلامش
ابن الظاهر
العفيف التامساني
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة
٣٣٥ فتح قلعة الروم
٣٣١ الخطيب زين الدين أبو حفص
الشيخ عز الدين الفاروثي
الصاحب فتح الدين أبو عبدالله
يونس بن علي بن رضوان بن برقش
جلال الدين الحبازي
الملك المظفر
٣٣٢ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة
٣٣٣ الشيخ الأرموي
ابن الأعمى صاحب المقامة
الملك الزاهر مجير الدين
الشيخ تقي الدين الواسطي
٣٣٤ ابن صاحب حماة الملك الأفضل
ابن عبد الظاهر

صحيفة

الأمير علم الدين سنجر الحلبي
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة
٣٣٥ واقعة عساف النصراني
٣٣٦ الشيخ الامام العلامة
٣٣٧ الخاتون مؤنس بنت السلطان العادل
أي بكر بن أيوب
الصاحب الوزير فخر الدين
الملك الحافظ غياث الدين بن محمد
قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي
الأمير علاء الدين الأعمى
٣٣٨ الوزير شمس الدين محمد بن عثمان
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة
سلطنة الملك العادل كتبغا
٣٤٠ الشيخ أبو الرجال المنيني
الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع
الشيخ محب الدين الطبري المكي
٣٤١ الملك المظفر صاحب اليمن
شرف الدين المقدسي
واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين
الشيخ الامام العالم المفني
٣٤٢ الفاروثي الشيخ الامام العابد الزاهد
الجمال المحقق
الست خاتون بنت الملك الأشرف

صحيفة

الشيخ الامام الحافظ القدوة
 الشيخ شيث بن الشيخ علي الحريري
 الشيخ الصالح المقرئ
 ٢٥١ واقف السامرية
 واقف النفيسية التي بالرصيف
 الشيخ أبو الحسن المعروف
 بالساروب الدمشقي
 ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة
 ٢٥٣ الشيخ حسن بن الشيخ علي الحريري
 الصدر الكبير شهاب الدين
 الشيخ شمس الدين الايكي
 الصدر ابن عقبة
 الشهاب العابر

صحيفة

٢٤٣ الصدر جمال الدين
 ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة
 ٢٤٥ الشيخ زين الدين بن منجي
 المسعودي صاحب الحمام بالمرزة
 الشيخ الخالدي
 الشرف حسين المقدسي^(١)
 ٢٤٦ الشيخ الامام العالم الناسك
 صاحب محيي الدين بن النحاس
 قاضي القضاة
 ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة
 ٢٤٨ سلطنة الملك منصور لاجين
 السلحداري
 ٢٥٠ قاضي القضاة الحنابلة بمصر

انتهى الفهرست



